

المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 35

الروض العطر الأنفاس
بأخبار الصالحين من أهل فاس

المنسوب
لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط
1109 هـ - 1697 م

دراسة وتحقيق
زهراء النظام

الكتاب : **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس.**
المؤلف : أبو عبد الله محمد بن عيشون الشراط 1109هـ/1697م.
المحققة : زهراء النظام.
الناشر : منشورات كلية الآداب بالرباط.
سلسلة : رسائل وأطروحات.
الغلاف : إعداد عمر أفا.
الخطوط : بلعيد حميدي.

التصفيف : أنسيف الزنايدي، الرباط، الهاتف : 73.07.22-72.70.66.
الطبع : مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء.
رقم التصنيف الدولي : 0334-1113.
رقم الإيداع القانوني : 97-212.
ردمك : 9981-825-81-6.
الطبعة الأولى : 1997.

طبع هذا الكتاب بدعم من برنامج التعاون
بين الكلية ومؤسسة كونراد أدناور



منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 35

الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس

المنسوب
لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط
1109 هـ - 1697 م

دراسة وتحقيق
زهراء النظام

1997

إِهْدَاءٌ

إِلَى زَوْجِي

كلمة شكر

أتقدم بشكري العميق لأستاذي الجليل الدكتور محمد حجي الذي لم يبخل علي بوقته وتوجيهاته أثناء إنجاز هذا العمل. وأتوجه بشكري الخالص للعلامة الأستاذ محمد المنوني الذي وضع تحت تصرفي نسخة من المخطوط.

كما يتجدد شكري للسيد القيدوم عبد الواحد بنداود على إدراجه هذا العمل ضمن منشورات كلية الآداب، وللأستاذ أحمد التوفيق الذي كان دائما خير مشجع لي، وللأستاذ عمر أفا وكافة أعضاء مصلحة النشر على حسن مساعدتهم.

الرموز المستعملة

رموز النسخ المعتمدة

ح : نسخة الخزانة الحسنية رقم 647
و : نسخة الخزانة الحسنية رقم 11464
ك1 : نسخة الخزانة العامة رقم 1246 د
ك2 : نسخة الخزانة العامة رقم 2409 د
د : نسخة الخزانة العامة رقم 2409 د
م : نسخة الأستاذ محمد المنوني

رموز لتحديد مدافن الأشخاص

د.م : داخل المدينة
د.ب.ج : داخل باب الجيسة
خ.ب.ج : خارج باب الجيسة
د.ب.ف : داخل باب الفتوح
خ.ب.ف : خارج باب الفتوح
د.ب.ب.م : داخل باب بني مسافر
خ.ب.ب.م : خارج باب بني مسافر
د.ب.ش : داخل باب الشريعة
خ.ب.ش : خارج باب الشريعة

تقديم

كتاب «**الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**» الذي أسعد بتقديمه معدود في طليعة كتب المناقب الخاصة بمدينة فاس في بداية العصر الحديث، لاشتماله على أزيد من مائة ترجمة لشخصيات متميزة بعلمها وعملها وصلاحها، وانفراده بالتعريف بمن عاصرهم المؤلف من شيوخ القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. وزاد من أهمية الكتاب الطريقة التي سار عليها المؤلف في تتبع صلحاء كل حي على حدة بحيث يمكن استعماله دليلًا للتعريف بأصحاب الأضرحة المنتشرة في مختلف جهات العاصمة الإدريسية. وهي طريقة عملية قلده فيها الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في معلمته الكبرى «**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**».

وإذا كانت نسبة كتاب «**الروض العطر**» لمحمد بن عيشون الشراط قد وقع فيها أخذ ورد، بسبب ما قاله الشيخ محمد العربي القادري من أنه هو الذي جمع معظم تراجم هذا الكتاب بطلب من ابن عيشون، ثم نسخ ما جمع لابن عيشون بأجر معلوم، متهماً ابن عيشون بالتصرف فيه بالزيادة والنقصان ونسبته إلى نفسه، فإن هذه المقولة لم يكن لها صدى يذكر، وظل الناس ينسبون «**الروض**» إلى ابن عيشون بالرغم من عبارة التشكيك عند بعضهم : «**الروض** المنسوب لابن عيشون»، وينقلون عنه من لدن عصره إلى أيامنا هذه. وبذلك تأكدت حجية الكتاب وأصبح من المراجع المعتمدة لمدينة فاس وأحيائها وأضرحتها وصلحائها.

وقد بذلت الأستاذة زهراء النظام جهداً مشكوراً في إحياء هذا النص التراثي وتحقيقه رسالةً لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، محاولة استخراج نسخة قريبة من الأصل عن طريق مقابلة المخطوطات التي أمكنها الوقوف عليها في الخزائن العامة والخاصة، وأثبتت في الهوامش مراجع إضافية لتراجم مَن يُعرِّف بهم ابن عيشون،

وتوضيحات لإشارات مغلقة وشروحاً لعبارات لغوية أو اصطلاحية معقدة وتعريفاً بمواقع جغرافية.

وها هو كتاب «**الروض العطر الأنفاس**» يُنشر لأول مرة، ولا شك أن جمهور القراء والباحثين سيتقبَّلونه بقبولٍ حسن ويفيدون منه إفادة محققة.

سلا، في 6 شعبان عام 8/1415 يناير 1995

محمد حجي

مقدمة الطبعة

نالت مدينة فاس عناية المؤرخين القدامى والمحدثين، فصنفوا حول رجالاتها وألفوا حول سكانها وعمرانها واهتموا بأحوالها؛ فامتازت عن بقية الحواضر المغربية الأخرى بكثرة ما كتب حول تاريخها. ولعل أبرزها كتاب «**المستفاد، بمناقب الصالحين والعباد، من أهل فاس وما والاها من البلاد**» الذي ألفه محمد بن عبد الكريم التميمي في القرن السابع الهجري واعتنى فيه بأخبار عباد فاس وأعمالها. وتعزز هذا المؤلف خلال القرن الثامن الهجري بمؤلفين آخرين هما كتاب «**الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**»، لعلي بن عبد الله بن أبي زرع، وكتاب «**جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**» لعلي الجزنائي، تناول فيهما المؤلفان تاريخ المدينة السياسي والعمراني. وشكلت مادة فاس ما بعد هذا القرن موضوعا أساسياً لدراسات وأبحاث المؤرخين فأصبحت الوثائق حولها أكثر غزارة وحفلت رفوف الخزانة المغربية بما كتب حول تاريخها السياسي والاجتماعي والثقافي والديني والعمراني. ونذكر من جملة هذه المؤلفات كتاب «**الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**» الذي يعد مصدرا لتاريخ المدينة ولتاريخ الحركة الصوفية بمغرب القرن الحادي عشر الهجري. فهو كتاب تراجم ومناقب، جمع فيه مؤلفه تراجم لأشهر الصلحاء الذين دفنوا بمدينة فاس، فجاء جامعا لتعريفات أوليائها وصلحائها بدءا بالمولى إدريس ووصولا إلى عصر المؤلف.

فمدينة فاس، بفضل دورها الحضاري وإشعاعها الروحي الواسع الذي تميزت به منذ نشأتها، استقطبت عددا من الأولياء والعلماء والفقهاء من مختلف جهات المغرب والعالم الإسلامي، اتخذوها مقرا لهم في حياتهم واحتوت مدافنهم بعد مماتهم.

ويحتوي الكتاب على أسماء لعلماء وصلحاء مغاربة مشهورين زاروا بلدان المشرق العربي، فأخذوا عن علمائه واستناروا بفقهائه وأصبحوا يشكلون، بما حملوا معهم من أفكار ومؤلفات، روافد للحركة الصوفية بمنطقة الغرب الإسلامي؛ فتفرعت مبادئ طريقة الجنيد في هذه الجهة من العالم الإسلامي بالسند المتسلسل بواسطة

رجالات هذه الطريقة عن طريق الشيخ الجزولي الذي تعد طريقته بعثا وتجديدا للطريقة الشاذلية في الغرب الإسلامي. وبواسطتهم انتشر المذهب المالكي وتعزز في بلدان المغرب واستعاض به المغاربة عن الحركات الأخرى.

ويفيد الكتاب في التعريف بمجهود العلماء والصوفية الوافدين على فاس الذين ساهموا بدورهم في إثراء الحياة الفكرية وإغنائها وترسيخ الروابط الروحية بين المغرب وباقي الأقطار الإسلامية.

لقد استقى المؤلف مادة كتابه من مصادر مختلفة مكنت، خاصة في القسم الأول منه، من الوقوف على معلومات قيمة حول بعض الصلحاء والتعريف بمصادر ما زال بعضها مفقودا. واتبع في ترتيب وتحديد مدافن الصلحاء طريقة خاصة وتتبعها في كل جهات المدينة، مما جعل كتابه مصدرا للتعريف بكثير من مواقعها ومآثرها.

ويعكس الكتاب من جانب آخر روح العصر في مدينة فاس، وهي روح طغى فيها الجانب الصوفي وطبع الكثير من مجالات حياة المجتمع لأسباب تتصل بالظرفية العامة التي كان المغرب يعرفها آنذاك. ولعل الأزمات التي مرت منها فاس كانت الباعث لابن عيشون لوضع تأليفه الذي يعد شهادة حية على تأثير أزمات القرن الحادي عشر الهجري في الجوانب الروحية والثقافية والاجتماعية بالمدينة.

وكان المؤلف مُهيَّأً للقيام بهذه المهمة. فهو من صلحاء فاس، تربى في كنف جماعة من صوفيتها المشهورين وعايش الصعوبات التي واجهتها المدينة واستحضر، بما دونه من كرامات الأولياء ومناقبهم ـ ارتبط بعضها بأحداث هذه المرحلة ـ، الأدوار التي قاموا بها لمواجهة تلك الظروف.

والكتاب، بهذا كله وبما بسطناه في الدراسة المرفقة بهذا التحقيق يمثل مصدرا للباحث في تاريخ مدينة فاس وتاريخ التصوف في مغرب القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

تلك بعض الحوافز التي كانت وراء إنجاز هذا العمل وتقف اليوم وراء إخراجه، راجية أن يكون عند الظن المقصود ويحقق الأمل المنشود، وأن يساهم في دعم البحث في تاريخ المغرب الحديث.

والله ولي التوفيق

المحققة

مدخل

خصائص القرن السابع عشر الميلادي

شهد المغرب خلال النصف الأول من القرن 11 هـ/17 م أزمة سياسية حادة بسبب النزاع على السلطة بين أبناء المنصور، انتهت بتراجع نفوذ السعديين عن عدد من المراكز وظهور قوى جديدة برز من بينها العلويون الذين تمكنوا من السيطرة على الحكم بالبلاد، بعد أن تخلصوا من منافسيهم.

فالمنصور، قبيل وفاته، لم يكن قد عين من يخلفه في الحكم. فبعد أن ثار عليه ابنه محمد الشيخ المامون الذي كان خليفة له بفاس، أدخله السجن وعين مكانه ابنه زيدان خليفته على تادلا. وبعد وفاته، بايع أهلُ فاس زيدان. فاعتبر أهل مراكش هذه البيعة استبدادا بالأمر، فبايعوا أبا فارس باعتباره خليفة أبيه في حاضرة ملكه. ولتدارك الموقف، أصدر علماء فاس فتوى تبيح قتال أبي فارس، فأدى ذلك إلى قيام الحرب بين المتنافسين الثلاثة من أبناء المنصور، وهم أبو فارس وزيدان ومحمد الشيخ المامون الذي كان قد أخرجه أخوه أبو فارس من السجن عقب وفاة والده. واستمرت هذه الحرب طيلة العقد الثاني من القرن الحادي عشر الهجري. وشارك فيها إلى جانب المتنافسين الثلاثة زعماء محليون من أمثال ابن أبي محلي وأبي زكرياء الحاحي، وانتهت بقتل كل من أبي فارس وأخيه محمد الشيخ واستقر زيدان بمراكش التي توارث فيها أبناؤه الحكم بعد وفاته سنة 1627/1037 تاركا حكم فاس لعبد الله بن الشيخ المامون، وبعد وفاة هذا الأخير سنة 1623/1032 انتقل الحكم في فاس إلى أخويه عبد المالك ومحمد، فصارت بالمغرب مملكتان، مملكة بفاس وأخرى بمراكش.

وقد خلفت هذه الأزمة اضطرابات داخل البلاد، وعاشت فاس خلال هذه الفترة عدة انقسامات واصطدامات بين سكان المدينة من جهة وبينهم وبين حكامها

من جهة ثانية، وبوفاة محمد بن محمد الشيخ المامون سنة 1628/1037، انقرض حكم السعديين بفاس التي دخلت عهدا من الفوضى وأصبحت عرضة لهجمات القبائل المجاورة، خاصة قبائل الحياينة وشراكَة التي كان احتلال الإسبانيين للعرائش والمعمورة يضايقها ويدفعها للبحث عن منافذ في اتجاه الجنوب والشرق. ولم يكن أمام سكان فاس سوى الِاستنجاد بالعياشي الذي ظهر أمره وهو يجاهد ضد الِاحتلال المسيحي منذ أوائل العقد الثاني من القرن 17/11، إذ قاد عدة حملات حربية شمال البلاد وجنوب غربها، وقام بأعمال زجرية ضد القبائل الثائرة، وبوفاته سنة 1641/1051 انتقل حكم المدينة للدلائيين الذين كونوا بها إمارة وأقاموا بها جهازا إداريا، وأقروا على كل من العدوتين رئيسا من أعيانها[1]. إلا أن المدينة لم تنعم في عهدهم بالِاستقرار المطلوب، إذ تم استبدال حكامها أكثر من مرة[2]. وبعد انتقال الحكم إلى العلويين، عرفت فاس فترة أخرى من المحن والِاضطرابات، فبعد الحصار الذي تعرضت له من قبل المولى الرشيد الذي تمكن بعده من إخضاعها والقضاء على الثائرين بها، شهدت المدينة عهدا آخر من الفوضى مع المولى إسماعيل الذي دخل مباشرة بعد توليته في صراع مع سكانها الذين ثاروا عليه ونادوا بابن أخيه أحمد بن محرز ؛ ولعل من أسباب ذلك الضرائب الثقيلة التي كان يفرضها عليهم والتي كانت تضر بمصالحهم، ونقله للأسرى المسيحيين لتشغيلهم بمدينة مكناس.

كان القرن 17/11 إذن عهد تراجع لمدينة فاس، إذ تميز بكثرة الِاضطرابات والِانقسامات وتعدد المشاكل الِاقتصادية والِاجتماعية، وعرفت خلاله أيضا صعوبات ديمغرافية، مما أثر على دورها الذي يتمثل في أنها مركز حضاري، وأدى إلى فقدانها بعض إشعاعها الذي تميزت به خاصة منذ العهد المريني. فباستقرار السعديين في جنوب البلاد واتخاذهم مدينة مراكش عاصمة لهم حيث صارت قبلة للعديد من العلماء، تراجع دور فاس العاصمة السياسية والمركز الثقافي لتتحول أثناء الأزمة إلى إمارة يحكمها الدلائيون.

ولم يتمكن المولى الرشيد ولا المولى إسماعيل من جبر كسرها. فباستقرار هذا الأخير في مدينة مكناس التي اتخذها عاصمة لملكه، أصبحت فاس لا شأن لها بالحياة السياسية.

---

(1) محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، ص. 226.

(2) **المرجع نفسه**، ص. 226.

في هذا الطور من انحطاط مدينة فاس وتدهورها، عاش مؤلف «**الروض العطر الأنفاس**». ولعل هذا الظرف الذي كانت تمر منه المدينة ـ والذي برز فيه بشكل كبير دور الصلحاء ـ كان هو الدافع لابن عيشون لتأليف كتابه الذي ضمنه تراجم مجموعة من صلحاء المدينة.

القسم الأول

ابن عيشون وكتابه

المؤلف وبيئته الاِجتماعية والعلمية

1 ـ أسرة المؤلف

لا نتوفر على معلومات كثيرة عن أسرة ابن عيشون التي عاشت في فاس والتي لم يشتهر من أفرادها سوى المؤلف ووالده. ويظهر أنها لم تكن من الأسر الفاسية الشهيرة التي ورد ذكرها عند كل من ابن الأحمر المتوفى سنة 1404/807 في كتابه «**ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم**»، وعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1685/1096 في اختصاره للكتاب المذكور.

وقد بحثنا عن أثر لهذه الأسرة في كتب التراجم والمناقب فعثرنا أثناء تصفحنا لبعضها مثل «**تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**» لابن الفرضي المتوفى سنة 403/ 1013، و«**جذوة المقتبس**» للحميدي المتوفى سنة 1095/488، و«**التكملة لكتاب الصلة**» لابن الأبّار المتوفى سنة 1259/658 وغيرهم، على عدد من التراجم لأشخاص يحملون آسم عيشون ممن اشتهروا في الأندلس بالعلم والتدريس والفقه والأدب والصلاح، عاش معظمهم بين القرنين 10/4 و13/7، وفيهم من حمل لقب الأنصاري، ولعل لأسرة المؤلف صلة بهذه الأسر التي عُرفت بالأندلس، إذ ربما يكون أحد أفرادها قد دخل المغرب فيما بعد مع المهاجرين الأندلسيين واستقر بمدينة فاس.

2 ـ والد المؤلف

لم يذكر المؤلفون من أسرة المؤلف غيره، ولم نعثر له في كتب التراجم على ترجمة وافية. وقد اعتمدنا على ما ذكره عنه المؤلف نفسه، وما أضافه بعض الذين نقلوا عنه مثل الكتاني في كتابه «**سلوة الأنفاس**» ولفي بروفنصال في كتابه «**مؤرخو الشرفاء**».

وجاء في نص الترجمة التي خص بها المؤلف والده، أن آسمه محمد بن محمد بن طاهر بن عيشون، ووصفه بالصالح المجاهد، ولم يذكر سنة ميلاده، وذكر فقط أنه توفي شهيدا في قتال النصارى بحلق سبو سنة **1631/1040**.

وأضاف بروقنصال أن هذه الغزوة قام بها مجاهدو فاس بتحريض من المجاهد العياشي ضد الإسبان وقت احتلالهم للمهدية (المعمورة)[1]، ودفن خارج باب الجيسة، بروضة شيخه في الطريق، مسعود الشراط.

3 ـ حياة المؤلف

بالرغم من شهرة الكتاب بين كتب التراجم والمناقب، فإن صاحبه ظل غير معروف بين مؤلفي عصره، إذ لم يحظ كثيراً باهتمام المؤرخين[2]. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عدم شهرة المؤلف في مجال العلم : فمعظم الذين ذكروه، لم يذكروا أن له اهتماماً بهذا الجانب، وبذلك ظلت معلوماتنا عنه ناقصة، واعتمدنا فيما جمعناه منها على ما ذكره بعض المؤلفين، وعلى ما أورده المؤلف في كتابه، حيث ذكر في مقدمته آسمه ونسبه ولقبه وهو : محمد بن محمد بن محمد بن طاهر بن عيشون الشراط، وضمن ترجمة شيخه حمدون الملاحفي بعض الإشارات حول حرفته.

ويتفق معظم المؤرخين على أن ولادة ابن عيشون كانت سنة **1035/ 1625ـ 1626**، وأن وفاته كانت سنة **1697/1109**، وقد وصفه معظمهم بالفقر والجذب، وكانت حرفته حرّاراً. ولعل هناك صلة للقبه (الشراط) بحرفة الشراطين التي كانت من بين الحرف التقليدية المعروفة في فاس، والتي ربما يكون والد المؤلف قد احترفها من قبل، أو تلقب بها اعتباراً لشيخه في الطريق مسعود الشراط. ولعله أيضا كان فقيها، لأنه وُصِف بالمالكي مذهبا[3].

---

(1) راجع لفي بروفنصال، **مؤرخو الشرفاء**، ص. 198.

(2) ترجم لابن عيشون كل من : م. القادري، **نشر المثاني**، ج 3، ص. 84؛ م. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج 2، ص. 35؛ ل. بروفنصال، **المرجع السابق**، ص. 198 ؛ ك. بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ج 2، ص. 683 ؛ إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين**، ج 2، ص. 305 ؛ ابن سودة، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ج 1، ص. 51.

(3) راجع **هدية العارفين**، ج 2، ص. 305.

4 ـ شيوخه

نسب المؤلف نفسه في الطريق لمسعود الشراط عن طريق والده وشيخه حمدون الملاحفي، ومسعود الشراط المذكور ممن انتسب في الطريق لأبي الحسن الشاذلي عن طريق شيخه أبي الشتاء.

ومن خلال ما ورد في الكتاب من إشارات، نستنتج أن المؤلف لم يكن عالما، بل كانت تربيته صوفية على يد شيخه المذكور.

5 ـ مؤلفاته

له، بالإضافة إلى كتابه «**الروض**» وذيله «**التنبيه**»، مجموعة من المؤلفات نسبها له عدد ممن ترجموا له وهي :

ـ تأليف في الأذكار، نسبه له محمد العربي القادري في «**كناشتــ**»ـه.

ـ تأليف في الأذَان[4]، نسبه له محمد بن الطيب القادري في كتابه «**التقاط الدرر**».

ـ تأليف في الأدب، نسبه له إسماعيل باشا البغدادي في كتابه «**هدية العارفين**».

ـ كتاب في أشياخه يسمى «**سلسلة الأنوار**»[5]، نسبه له محمد بن الطيب القادري في كتابيه «**نشر المثاني**» و«**التقاط الدرر**».

وهذه المؤلفات غير معروفة ولا تعرف خزائنها، وبذلك ظل كتاب «**الروض**» بالرغم من الشكوك التي أحيطت بنسبته له هو الكتاب المعروف.

---

(4) ورد ذكره في هامش الصفحة الأولى من إحدى نسخ «**الروض**» الموجودة في الخزانة الحسنية وتحمل رقم 3509، وسماه الناسخ باسم «**روضة الأزهار**».

(5) ورد كذلك ذكره في هامش نفس الصفحة من النسخة المذكورة وسماه الناسخ باسم «**حديقة الأنوار في سلسلة السادات الأخيار**».

المؤلف وكتابه

1 ـ الكتاب ومشكل نسبته

هناك من ينكر نسبة كتاب «**الروض**» لابن عيشون أو يشكك في ذلك اعتمادا على ما ذكره محمد العربي بن الطيب القادري في «**كناشتـ**»ـه، من أنه هو الذي ألف كتاب «**الروض**» بطلب من صاحبه محمد بن عيشون، وجمع فيه تراجم ثمانين من صالحي فاس إلا واحد، أولهم دراس بن إسماعيل وآخرهم مجبر. ثم استأجره ابن عيشون على نسخه، فنسخه له في بضع وثلاثين كراسة. وبعد ذلك، خرج القادري للحج، ثم مرض عقب رجوعه مدة أربع سنين. فلما نقه من مرضه، علم بتصرف ابن عيشون في الكتاب بالزيادة والحذف ونسبته إلى نفسه، فغضب وأغلظ القول لابن عيشون ومزق خطبة الكتاب. لكن ابن عيشون عوضها باسمه كما كانت.

ونشير إلى أن الذي نقل هذا الِإعتراض عن «**كناشة**» محمد العربي القادري هو أخوه عبد السلام القادري في كتابه «**المقصد الأحمد**»، وعنه نقل محمد بن الطيب القادري في كتابيه «**الزهر الباسم**» و«**نشر المثاني**»، وعن هذا الأخير نقل كثير من المؤلفين المتأخرين منذ عصر المؤلف مرورا بالمسناوي الدلائي في كتابه «**نتيجة التحقيق**»، وسليمان الحوات في كتابه «**السر الظاهر**»، والوليد العراقي صاحب «**الدرّ النفيس**» إلى محمد بن جعفر الكتاني صاحب «**سلوة الأنفاس**». على أننا رجعنا إلى مخطوطتي «**كناشة**» محمد العربي القادري المحفوظتين بالخزانة الحسنية تحت رقم 2774 و2389، فلم نعثر فيهما على نص الِإعتراض المشار إليه. وفي ما نقل منها اعتراف من محمد العربي القادري بأنه كتب ما كتب عن صلحاء فاس تأليفاً ونسخا بطلب من محمد بن عيشون مقابل أجر معين أداه له كاملا. فربما رأى ابن عيشون أن ما كتبه القادري إنما هو مادة جمعت له، ثم حررها حسب طريقته الخاصة وأضاف إليها تراجم بلغ عددها في القسم الأول خمسة، كما أضاف إليها، باتفاق، قسما ثانيا هو المعنون بـ«**التنبيه على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه**». ولعل من جملة تصرف ابن عيشون في القسم الأول من الكتاب، إن صح الِإعتراض، ترتيبه لتراجم الصالحين بحسب أحياء المدينة، وهو النهج الذي اقتفى أثره فيه صاحب «**سلوة الأنفاس**».

ومهما يكن، فإن لابن عيشون «حجة تأليف» «**الروض العطر الأنفاس**» منذ عدة قرون، وحجة النقل عنه حتى من طرف المعارض الرئيسي محمد بن الطيب القادري ومن سار على نهجه ممن يضيفون عبارة التمريض والتشكيك عند الإحالة : «في الكتاب المنسوب لابن عيشون».

2 ـ حياة محمد العربي القادري

ونظرا للعلاقة الموجودة بين محمد العربي القادري وبين تأليف كتاب «**الروض العطر الأنفاس**»، فقد رأينا أنه من المفيد أن نعطي هنا لمحة موجزة عن حياته.

فهو الفقيه الصوفي محمد العربي بن الطيب الحسني، من أسرة القادريين المعروفة بفاس، وهي أسرة اشتهرت بالعلم والتصوف، وأنجبت العديد من العلماء منهم صاحب الترجمة، وأخوه عبد السلام، ومحمد بن الطيب صاحب كتاب «**نشر المثاني**»، وغيره من التآليف الشهيرة. ولد صاحب الترجمة بفاس سنة 1056/ 1646 حيث حصل العلوم على مشايخها منهم : عبد القادر الفاسي، ومحمد بن عبد القادر الفاسي ومحمد المهدي الفاسي، والحسن بن مسعود اليوسي، ومحمد بن أحمد الفاسي، وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي. ولقي جماعة من الصوفية منهم قاسم الخصاصي وأحمد بن محمد اليمني، وأحمد بن عبد الله معن الأندلسي.

وكان له اهتمام بالتاريخ والأنساب، إذ اعتنى بتاريخ الفرع المغربي من الشرفاء القادريين، فخصص تأليفا صغيرا غير معنون للكلام عمن اشتهر منهم بفاس. وله تأليف آخر اختصر فيه كتاب «**تحفة أهل الصديقية**» لمؤلفه محمد المهدي الفاسي وأضاف إليه معلومات جديدة وسماه «**الطرفة في اختصار التحفة**»، وله أيضا «**كناشة**» جمع فيها تقاييد مختلفة، وهي الكناشة التي تحمل نص الإعتراض المذكور سابقا والذي تناقله عنها المؤلفون.

وقد توفي صاحب الترجمة بفاس سنة 1694/1106.

3 ـ الروض كتاب تراجم ومناقب

تكتسي كتب التراجم والمناقب أهمية كبيرة في مجال التأريخ، لأنها تغني التاريخ العام بما يرد فيها من معلومات ؛ فهي تكمل ما يرد في كتب الإخباريين من

أخبار، وهي مصدر لما تحتوي عليه من تراجم، كما أن ما تضمه أحيانا من استطرادات تفيد في توضيح عدد من الحقائق التاريخية.

وهذا النوع من التأليف ظهر في المشرق كما ظهر في المغرب منذ القرون الوسطى، ومن أشهر ما عرف منها بالمغرب كتاب «**التشوف إلى رجال التصوف**» الذي ألفه أبو الحجاج يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات (تـ627ـ28/ 29ـ1130) وخصصه لتراجم أولياء من الصوفية من العالم الإسلامي ومن المغرب بشكل خاص.

وخلال القرن الهجري العاشر، تعددت كتب التراجم والمناقب بتعدد المؤلفين الذين ازداد اهتمامهم بهذا النوع من التأليف. وقد كان لهذا الاهتمام بتراجم الأولياء والصلحاء أسباب تبدو متباينة، ولكنها في الأصل مترابطة ومتكاملة، وتعود إلى تلك الحركات الجهادية التي قادها رجال اتسموا بالتقوى والصلاح ضد الغارات المسيحية على السواحل المغربية. وتمثل الشكل النموذجي لهذا النوع من التأليف في هذه المرحلة فيما ألفه كل من ابن عسكر الذي خصص كتابه «**دوحة الناشر**» لتسجيل مناقب مجموعة من علماء وصلحاء هذا القرن (10هـ) وابن القاضي والإفراني والقادري وغيرهم الذين خصصوا أجزاء من مؤلفاتهم لوضع معاجم لأعلام عاشوا في هذا القرن (10هـ) والأحقاب التي تلته.

وقد أشار الكتاني في كتابه «**سلوة الأنفاس**» إلى أسماء عدد من هذه المؤلفات التي ما زال بعضها مفقودا، منها ما اهتم بمناقب أشخاص أو طوائف معينة، ومنها ما اهتم بأخبار علماء أو بيوت خاصة الشرفاء.

ويصنف كتاب «**الروض**» ضمن هذه المؤلفات لعناية مؤلفه بمناقب مجموعة من أولياء وصلحاء مدينة فاس، وله ما يميزه في هذا المجال، وهو اهتمامه إلى جانب التراجم بذكر كرامات الأولياء التي شغلت حيزا مهما من الكتاب نظرا لارتباطها بحياتهم اليومية. ولعل لهذا الاهتمام كذلك ارتباطاً بحياة المؤلف (فهو من محبي أولياء الله وتربيته لا تختلف عن تربيتهم)، وارتباطاً بعصره الذي عرفت فيه الحركة الصوفية تطورا كبيرا بظهور الطرقية الصوفية التي عرفت بالمغرب مع الشيخ أبي الحسن الشاذلي (ت 1258/656) وانتشرت مع الشيخ الجزولي (ت 1464/869). فتعددت الرباطات والزوايا وانتشر إجلال الصلحاء وازداد عددهم في المدن والبوادي.

إن أي عصر لا يخلو من وجود أولياء وصلحاء، احتفظت كتب التراجم والمناقب بأسماء عدد كبير منهم، وسجلت أدوارهم التي كانت تتحدد من خلال الوقائع والأحداث التي يعيشها أي مجتمع، والتي كانت تستدعي تدخلهم لحل عدد من القضايا السياسية عن طريق مراقبة السلطة وتوجيهها أو تعويضها أحيانا في حالة عجزها، وحل بعض المشاكل الاقتصادية والاجتماعية بتسوية الخلافات بين الأشخاص أو بينهم وبين المخزن أو باستنزال المطر أو معالجة الأمراض أو التحكم في بعض الحيوانات؛ وهي كلها أمور تهدف إلى تذليل الصعاب أو الوصول إلى بعض الغايات والأهداف المتعذرة على أشخاص عاديين.

ويظهر من خلال هذه الأدوار أن التصوف كان ملتصقا بالمجتمع، وكان لكل صوفي سند يربطه بأحد شيوخ التصوف أو بالنبي ﷺ أو بأحد صحابته، وهو أمر لا تكاد تخلو منه معظم تراجم الكتاب.

4 ـ مصادر المؤلف في كتابه

اعتمد المؤلف في تدوين أخباره على مصادر مكتوبة كان معاصرا لبعضها، وأهم أنواع هذه المصادر هي :

- كتب التراجم والمناقب والطوائف.
- كتب تهتم بتاريخ الدول والسلالات.
- كتب التصوف.
- مؤلفات فقهية.
- فهارس.
- وثائق اطلع عليها المؤلف ولم يذكر أسماءها.

اعتمد المؤلف على هذه المصادر خاصة في التراجم التي وردت في «**الروض**»، وجاءت على شكل نصوص يدرجها المؤلف في الترجمة مصحوبة باسم المصدر واسم مؤلفه.

وقد اختلفت أهمية هذه المصادر في الكتاب بحسب ما تحتوي عليه من أخبار. فكتب المناقب اعتمد عليها المؤلف بشكل كبير لما تحتوي عليه من معلومات

حول حياة الأشخاص المترجم لهم. نجد ذلك مثلا في ترجمة أحمد الشاوي، حيث اعتمد المؤلف في معظم ترجمته على «**معتمد الراوي**» لعبد السلام القادري، وكذلك في ترجمة رضوان الجنوي التي اعتمد فيها على كتاب «**تحفة الإخوان**» للمرابي، كما اعتمد على وثائق كان يشير أحيانا إلى نوعيتها بقوله : «وجدت رسالة أظنها لصاحب الترجمة»، وأحيانا يشير إليها فقط بقوله : «وجدت بخط صاحب الترجمة» أو بقوله : «... كما رأيت بخط من أثق به في تعريفه».

واعتمد المؤلف كذلك على كثير من الروايات الشفوية سواء في المرحلة التي عاصرها أو التي لم يعاصرها، ومعظم رواته لا تعرف صلته بهم، إذ لا يذكر أسماءهم ولكنه يصرح بأنهم ثقات كقوله : «وحدثني بعض الثقات...»، أو «... وهكذا أخبرني بهذه الترجمة بعض الفضلاء الثقات».

وبالرغم من هذه الثقة التي كان يضعها في الرواة، فإنه مع ذلك كان حريصا على تصحيح المعلومات عند تدوينها. ومن ذلك استعماله أكثر من مرة لكلمة «صح» كقوله مثلا : «... هذا ما خلص إلي وصح عندي».

أما الأحداث التي عاصرها، فإنه يتكلم عنها بصفة غير مباشرة ولا يستعمل فيها كلمة «حدثني» ولا يظهر متكلِّماً إلا في بعض الحالات النادرة.

وشكلت الرواية الشفوية المصدر الأساسي في الذيل «**التنبيه**»، بحيث أن المؤلف اعتمد في معظم التراجم على ما جمعه من أخبار عن طريق الرواة وأثبتها في الكتاب دون ذكر مصادرها.

وحرص المؤلف كذلك على ذكر المعلومات مصححة مع التعليق على ما يأتي فيها أحيانا من أخطاء.

5 ـ منهجية المؤلف في كتابه

تناول المؤلف في كتابه تراجم ومناقب مجموعة من صلحاء فاس، واعتمد في عمله على ما توافر لديه من مصادر وعلى ما جمعه من أخبار عن هؤلاء الصالحين، وأشار لذلك في مقدمة الكتاب بقوله : «قد تحرك مني العزم الساكن لجمع تقييد أذكر فيه من وقفت على تعريفه من الأولياء الكائنين بقاعدة المغرب، مدينة فاس».

ولا نعلم متى بدأ المؤلف كتابه الذي انتهى من تأليفه سنة **1688/1099**. وسلك في تعامله مع مصادره المنهج نفسه الذي سلكه من سبقه من المؤلفين، إذ حرص على إثبات النصوص كما جاءت في الأصل مع ذكر آسم المصدر وآسم مؤلفه. ومن حرصه على ذلك قوله أحيانا : «... انتهى كلام صاحب... بحروفه».

وحين يقتصر في نقله على مضمون النص أو اختصاره، فإنه يشير إلى ذلك بقوله : «... انتهى ببعض اختصار».

وعند اعتماده على بعض المعلومات الشخصية يذكر ذلك بقوله : «... هكذا أخبرني بهذه الترجمة بعض من أثق به» أو «... كذا رأيت بخط من أثق به».

شغلت الكرامات قسما كبيرا من الكتاب. واقتصر المؤلف في الأحداث التاريخية على ما له صلة بالمترجم له عن طريق معاصرته لها أو لصلتها بكراماته، وتميزت بعض التراجم بالطول، بينما بعضها جاء مختصرا. ولعل ذلك يرجع إلى شهرة الشخص وما توافر لدى المؤلف عنه من مصادر ومراجع ترجمته. ولم يكن للنساء حظ كبيرا داخل الكتاب، إذ لم يترجم المؤلف سوى لبعض من اشتهر منهن بفاس.

صنف المؤلف الأشخاص الذين ترجم لهم في الكتاب بحسب مدافنهم داخل الأبواب أو خارجها، وتتبع أحيانا مدافنهم داخل الحومات والروضات، ثم اتبع ترتيبا معينا داخل التراجم حيث يقدم الشخص المترجم له بكلمة : «ومنهم»، ثم يذكر بعد كنيته اسمه ونسبه ولقبه ومدفنه، ثم يذكر صاحب المصدر أو المرجع الذي اعتمد عليه، ثم يدرج ترجمة الشخص. وعند الِانتهاء من استعمال المصدر أو المرجع يشير إلى ذلك بكلمة «انتهى»، ويكرر أحيانا ذكر آسم المصدر أو صاحبه. وتأتي سنة الميلاد غالبا في بداية الترجمة. أما سنة الوفاة، فإنها تأتي في وسط الترجمة أو نهايتها، وأحيانا تتنوع المصادر داخل الترجمة. أما سند المترجم له، فإنه يأتي في النهاية.

وأسلوبه في ما كتبه يتميز بالسهولة، ويستعمل في بداية الترجمة صفات متناسبة مسجوعة بحسب ما يناسب صفات الشخص؛ إن كان من العلماء، نجد صفات العارف، الراسخ الكبير، المحقق، الواصل الخطير؛ وإن كان من الأولياء، نجد صفات المجذوب البهلول، الملامتي، إلخ.

وتتخلل الكتاب بعض الكلمات المستعملة في اللهجة الدارجة؛ وتطغى المصطلحات الصوفية داخل الكتاب مثل : الصوفي، الملامتي، ذي الأحوال، إلخ.

وألحق المؤلف بكتابه ذيلا ترجم فيه لمجموعة ممن لم ترد تراجمهم في «**الروض**» قال في مقدمته :

إني كنت قد وضعت تأليفا في التعريف بالصالحين من أهل فاس سميته «**الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**»، اقتصرت فيه غالبا على من له ترجمة في كتاب ووقع به تعريف، ثم نظرت فوجدت كثيرا من المقابر والروضات مذكورا عند الناس من أهل فاس إما عموما وإما خصوصا أهل محلته بالخير والفضل، مشهورا لديهم، متميزاً عن غيرهم من المقابر، مشارا إليه منهم بالتعظيم والتوقير... ولما رأيت هذا، انتدبت لوضع تقييد أذيل به التأليف المذكور أذكر فيه جميع من عرفته ممن يشار إليه ويتميز عن غيره، وأسردهم سردا بذكر أسمائهم ومواقعهم...

وقد اتبع فيه المؤلف المنهج نفسه المتبع في «**الروض**»، حيث صنف الأشخاص بحسب مدافنهم داخل الأبواب أو خارجها، وتتبع مدافنهم داخل المساجد والمقابر والزوايا والأزقة والأحياء وغيرها. وتميزت أغلب التراجم فيه بالإختصار لقلة المعلومات المتعلقة بالأشخاص، فجاءت قصيرة ولم تتعد آسم الشخص أحيانا.

6 ـ الفوائد التاريخية العامة للكتاب

يهتم الكتاب بتاريخ المغرب عموما وتاريخ مدينة فاس على الخصوص، جمع فيه المؤلف تراجم مجموعة من الصلحاء ممن عاشوا بين القرن 8/2 والقرن 17/11، ومات أغلبهم خلال القرنين 16 و17. وتوافق هذه التواريخ من حيث التحقيب التاريخي دول الأدارسة والمرابطين والموحدين والمرينيين والوطاسيين والسعديين وبداية العلويين، فجاءت فوائده التاريخية متنوعة نذكر منها :

أ ـ على مستوى الأحداث السياسية :

ـ حدث حصار جوهر لمدينة فاس سنة 349هـ.

ـ حصار يعقوب بن عبد الحق المريني لتلمسان سنة 698هـ، والنزاعات المستمرة التي كانت بين بني مرين وبني عبد الواد (آل يغمراسن).

ـ أحداث معركة وادي المخازن والصراع الذي عاشه المغرب مع البرتغاليين سنة 1578/986.

ـ الصراعات التي عاشتها مدينة فاس مع عبد الله بن الشيخ المامون ومناصريه من عرب شراكَة وما نتج عن ذلك من اضطرابات داخل المدينة.

ـ ثورة أهل فاس على المولى إسماعيل بعد توليته سنة 1083هـ.

بَ ـ على مستوى الحياة الإجتماعية :

يتضمن الكتاب معلومات حول بعض العادات الإجتماعية والتقاليد التي كانت معروفة في المغرب والتي ما زال بعضها موجودا مثل بعض العادات المتبعة في الزواج أو عند الوفاة وتوجه الحجاج إلى بيت الله الحرام وتأسيس ما يسمى بـ«ركب الحجاج»، وهو من المؤسسات التي كانت الدولة تسهر على تنظيمها لتوفير الراحة للحجاج، وزيارة الأضرحة للتبرك بالصالحين، وبعض الأطعمة مثل الكسكسو والثريد، وهما من الأكلات الشعبية الشهيرة في المغرب، وبعض الألبسة مثل المئزر والطاقية والدراعة، وبعض الأفرشة مثل الحصير واللحاف وغيرها.

ج ـ على المستوى الثقافي والديني :

يطلعنا الكتاب على الدور الثقافي الذي لعبته مدينة فاس إلى جانب بعض الحواضر الكبرى مثل مراكش والقصر الكبير، وعلى التطور الذي وصلت إليه الحركة الصوفية في المغرب على يد كبار رواد الصوفية مثل أبي الحسن بن حرزهم وأبي محمد صالح بن حرزهم، وانتشار الفكر الصوفي في المغرب عن طريق تعدد الزوايا والطرقية الصوفية.

كما يطلعنا على أسماء بعض المصادر التاريخية التي ما زال بعضها مفقودا ككتاب «**المستفاد**»[6] الذي كان يوجد في ثلاثة أجزاء لم يظهر منها سوى معظم جزئيه الثاني والثالث، واعتمد عليه المؤلف في سبع تراجم لم ترد أسماء بعضها ضمن أسماء الأشخاص المترجم لهم في القسم الذي ظهر منه، ولعلها وردت في القسم الذي ما زال مفقودا.

ونجد في الكتاب كذلك خبر دخول المذهب المالكي إلى المغرب مع الفقيه دارس بن إسماعيل. ويصحح الكتاب كذلك بعض المعلومات التي وردت في بعض

(6) أنظر : **دعوة الحق**، عدد محرم ـ صفر 1407/شتنبر ـ أكتوبر 1986، ص. 25.

كتب التراجم مثل ما ذكره صاحب «**دوحة الناشر**» حول سنة وفاة الحسن بن عيسى الجزولي وعلي بن محمد حماموش.

د ـ على مستوى الأحداث الطبيعية :

يحتوي الكتاب على تواريخ وأخبار حول بعض الكوارث الطبيعية التي شهدها المغرب في بعض الفترات، مثل الزلازل والأوبئة والمجاعات والفيضانات، نذكر منها مجاعة سنة 673هـ/1270، وزلزال سنة 1033هـ/1623، وغلاء سنة 1072هـ/ 1661. وهذه الأحداث، وإن كانت تخص مدينة فاس، فيحتمل أن تكون المناطق المغربية الأخرى قد شهدت ما يماثلها.

7 ـ كتاب ابن عيشون مصدراً لتاريخ مدينة فاس

بالإضافة إلى أهمية الكتاب لجوانب مختلفة من تاريخ المغرب بشكل عام وأهميته ككتاب تراجم، فهو يعد أيضا مصدرا لتاريخ مدينة فاس. فالتراجم التي اعتمد المؤلف في جمعها على مصادر متنوعة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، تضمنت ذكر أحداث سياسية ومعلومات حول جوانب اقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية وعمرانية تهم مدينة فاس.

أ ـ الجانب السياسي : لا تكاد تخلو معظم تراجم الكتاب من أخبار حول التاريخ السياسي لمدينة فاس منذ نشأتها إلى بداية الدولة العلوية، وهي أحداث تلخص في مجملها الصعوبات والاضطرابات التي واجهتها المدينة طيلة هذه المرحلة من تاريخها، وتشهد في أغلبها على التقهقر السياسي الذي بدأت تعرفه منذ انتقالها من عاصمة للدولة المرينية إلى مجرد مقر لإقامة أبناء المنصور خلفاءَ له بها وغيرهم من الحكام المحليين. نذكر من هذه الأحداث على الخصوص الصعوبات التي واجهتها المدينة أثناء فترة حكم عبد الله بن الشيخ المامون السعدي، والصراعات التي شهدتها والتي شارك فيها إلى جانب الثوار من أهل فاس عدد من القبائل المجاورة التي كانت تستغل فترات الفوضى للهجوم على المدينة. وأحداث أخرى عاشتها المدينة خلال القرن 17م أثناء صراع سكان المدينة مع المولى الرشيد الذي قام في إطار محاولاته الأولى لتثبيت أقدامه وتمهيد المناطق المغربية بمحاصرة المدينة سنة 1076هـ/ 1665 لإخضاعها، ثم قام بعد دخولها بقتل عدد من الثوار من أمثال أبي عبد الله الدريدي

وابن صالح الليريني اللذين حاولا الِاستقلال بحكم المدينة بعد ضعف نفوذ الدلائيين بها.

كما تعرض الكتاب للأحداث التي وقعت في عهد المولى إسماعيل وتأثيرها على الوضع داخل المدينة.

فقد قام المولى إسماعيل عقب توليته، وخلال محاولته لإخضاع ما تبقى من جهات البلاد بمحاصرة فاس سنة 1083هـ/1672، ثم عاود محاصرتها سنة 1084هـ/ 1673 ولم يرفع عنها الحصار الذي دام أربعة عشر شهرا، والذي عانى منه سكان المدينة، إلا بعد إذعان سكانها وتدخل بعض أعيانها للصلح.

هذه الأحداث، كما يبدو، لم تكن تمر دون أن تخلف تأثيرا على الأوضاع داخل المدينة التي تضررت كثيرا من جرائها.

ب ـ الجانب الِاقتصادي : من الجوانب التاريخية التي يهتم بها كتاب «**الروض**»، الحياة الِاقتصادية لمدينة فاس. فالكتاب، وإن كان لا يحتوي على تفاصيل مهمة حول هذا الجانب، يبقى من المصادر الأساسية لتاريخ المدينة الِاقتصادي، وذلك لاحتوائه على معلومات تتعلق بأهم الأنشطة الحرفية بمدينة فاس، وأسماء لبعض المصنوعات والمواد التي كانت تستعمل في صنعها، وبمختلف المنشآت الصناعية والتجارية المنتشرة في المدينة، من فنادق وأسواق وطاحونات ومعاصر وغيرها.

يطلعنا الكتاب كذلك على التنظيم الِاقتصادي الذي ساد فيها والذي كان يعتمد على تركز الصناعة في يد حرفيين مهرة يتوزعون داخل أحياء حرفية تستمد أسماءها من أنواع الحرف التي توجد بها. وقد ذكر عدد منها بالكتاب مثل حي الشرابليين والدباغين والشراطين والزياتين وغيرها. كما يطلعنا على وجود نظام طائفي، وهو نظام ينضوي تحته أفراد الطائفة الحرفية الواحدة لضمان تكتُّلهم وحماية صناعتهم.

ويطلعنا الكتاب كذلك على الدور الذي كان يقوم به كل من الأمين والمحتسب لحماية هذا التنظيم وضمان استمراره، وعلى نوع المعاملات التجارية ووسائلها من عملات ومكاييل وأوزان وغيرها.

إن هذا التنظيم الذي طبع الحياة الِاقتصادية في مدينة فاس، قد ميزها عن

باقي الحواضر المغربية الأخرى. وقد استطاعت مدينة فاس، بالرغم من الهزات العنيفة التي تعرضت لها طيلة تاريخها، أن تحافظ عليه وتضمن استمراره.

ج ـ **الجانب الإجتماعي** : يعطينا الكتاب صورة عن الحياة الإجتماعية في مدينة فاس بما يوفره لنا من معلومات عن نظم عيش السكان وكل ما يتعلق بسلوكهم وعاداتهم، وعن الفئات التي كان يتكون منها المجتمع الفاسي، والدور التاريخي لبعض هذه الفئات مثل فئة الشرفاء والعلماء، واهتم على الخصوص بالزوايا وبدورها العلمي والديني داخل المدينة.

كما يزودنا الكتاب بمعلومات عن التنظيم الإجتماعي الذي ساد بالمدينة والذي لعبت فيه العناصر الإجتماعية دوراً أساسيا. وقد تجلى هذا التنظيم على مستوى الأحياء السكنية بها. فإلى جانب الأحياء الكبرى التي كانت تتكون منها المدينة مثل الأندلسيين واللمطيين والعدوة، وهي أحياء اكتمل تكوينها خلال القرن السابع عشر مع وصول آخر الموجات من المهاجرين الأندلسيين، كانت فاس تضم مجموعة من الأحياء الصغرى التي تعد امتدادا لهذه الأحياء الكبرى ونماذج مصغرة لها من حيث تنظيمها وتعميرها. ومعظم هذه الأحياء كانت تستمد أسماءها من أسماء العائلات التي تقطن بها، ونجد في الكتاب أمثلة كثيرة لهذه الأحياء منها حي اللمطيين والأندلسيين وجزاء ابن عامر ودرب ابن شليش إلخ.

د ـ **الجانب الثقافي والديني** : يهتم الكتاب أيضا بالجانب الفكري والديني لمدينة فاس، حيث يقدم لنا معلومات عن النشاط العلمي بالمدينة ودور المؤسسات التعليمية والدينية بها.

فالجانب الفكري بالمدينة ارتبط منذ وقت مبكر جدا بجامع القرويين، أي منذ أن أضيفت الجامعة إلى الجامع، وظل ـ بالرغم من وجود عدة مؤسسات أخرى إلى جانبه ـ يحتل مركز الصدارة في التربية والتعليم.

وبالرغم من التراجع الذي عرفته مدينة فاس في المجال الفكري في أواخر العهد المريني والخراب الذي لحق عددا من منشآتها العلمية، فإن جامعة القرويين استمرت في أداء رسالتها التعليمية والدينية، فظلت مركزا لتلقين عدد من العلوم من فقه وحديث وتفسير ومنطق وغيره، وظلت قبلة لعدد من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء من مختلف أقطار العالمين الإسلامي والأوربي.

وقد احتفظ كتاب «**الروض**» بأسماء عدد من هؤلاء الوافدين الذين كانوا يمارسون، إلى جانب العلماء المغاربة، مهام دينية وتعليمية مثل التدريس والفتيا والخطابة والقضاء. كما احتفظ الكتاب أيضا بأسماء لعلماء مغاربة ساهموا بدورهم في التواصل العلمي بين فاس وعدد من البلدان الإسلامية، نذكر منهم الفقيه دراس بن إسماعيل الذي زار إفريقية والأندلس وأخذ عن علمائها، ويعد أول من أدخل «**مدونة**» سحنون إلى المغرب، وبه اشتهر الفقه المالكي في المغرب الذي استعاض به المغاربة عن المذاهب الأخرى؛ والفقيه أبو محمد صالح بن حرزهم الذي قام بزيارة لبيت المقدس التقى أثناءها بالشيخ وجيه الدين السهروردي وبالإمام أبي حامد الغزالي وأخذ عنه.

وقد استفادت مدينة فاس من هذا التواصل بجلب عدد من المؤلفات التي ظل معظمها متداولًا بها مثل «**تسهيل**» ابن مالك و«**قوت القلوب**» لأبي طالب المكي وكتاب «**الإرشاد**» للجويني وغيرها.

هـ ـ الجانب العمراني : يقدم لنا الكتاب، خاصة القسم الثاني منه، وصفا شاملا لمختلف المنشآت العمرانية بمدينة فاس. فقد قام المؤلف أثناء تتبعه لمدافن الصلحاء بتحديد مواقع عدد من المرافق التعليمية والصحية والاِقتصادية والدينية، وهي مرافق اكتمل إنجازها بالمدينة خلال القرن السابع عشر الميلادي. فمدينة فاس منذ أصبحت عاصمةً سياسيةً للمغرب خلال العهد الإدريسي في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري، وهي تتطور اقتصاديا واجتماعيا وديمغرافيا وعمرانيا، وشهدت أهم التطورات خلال العهد المريني، حيث تأكد دورها كمركز تجاري وأصبح لها إشعاع ثقافي وديني كبيران.

وفي هذا العصر أيضا ظهرت على شكل مدينتين متكاملتين : فاس الجديد (العليا)، وفاس الإدريسية (السفلى). الأولى أسسها السلطان المريني أبو يوسف عام 676/ 1276 على مقربة من فاس الإدريسية، فاختصت بالإدارة السياسية والعسكرية وأنشأت بها دار الإمارة بأجهزتها وقصورها وترتيباتها؛ أما الثانية، فقد ظلت مركزا للعلم والزهد والنشاطات الاِقتصادية من تجارة وصناعة.

إلا أن الظروف الصعبة التي واجهتها المدينة خلال العهد الوطاسي وأواخر العهد السعدي جعلتها تنطوي على نفسها. ومن أخطر ما تعرضت له الكوارثُ

الطبيعية والفتن الداخلية التي أدت إلى هدم وتخريب عدد من منشآتها العمرانية. وبالرغم من ذلك، حافظت فاس على طابعها التقليدي المميز. فقد ظل السور يوحد بين قسميها المعروفين : عدوة القرويين التي كانت تشكل الخلية الأم لاحتوائها على ضريح المولى إدريس وجامع القرويين وسوقها المركزي المعروف بالقيصرية، وعدوة الأندلسيين التي تقع شرق الأولى ويفصلها عنها الوادي الكبير (وادي بوخرارب).

وهذان القسمان ينقسمان بدورهما إلى مجموعة من الأحياء الكبرى التي تنقسم هي أيضا إلى مجموعة من الأحياء الصغرى : «دروب» و«أزقة» تُعَدُّ شرايين تربط وسط المدينة بشوارعها الرئيسية وأبوابها المتعددة.

8 ـ اهتمام المؤلفين بكتاب ابن عيشون

بالإضافة إلى العدد العديد من المؤلفين الذين اعتمدوا كتاب «**الروض**» ونقلوا عنه طوال القرون الثلاثة الأخيرة، فإن هناك من استعمل بكيفية خاصة مادة الكتاب فنظمها أو اختصرها أو حذا حذوها مثل :

أ ـ المدرع في «**منظومتـ**»ـه : في أوائل القرن الثامن عشر، جمع محمد المدرع الأندلسي المتوفى بفاس سنة 1147/34ـ 1735، ملخصا لكتاب «**الروض**» في منظومة تشتمل على نحو 500 بيت أوجز فيها خصائص كل مترجم في ثلاثة أو أربعة أبيات، وضمنها في غالب الأحيان جملة حسابية تمثل قيمتُها الأبجدية تاريخ الوفاة بصيغة شعرية.

ب ـ التاشفيني في كتابه «**اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون**» : اختصر محمد بن أحمد التاشفيني المتوفى سنة 1311هـ في كتابه مادة «**الروض**» وأضاف إليها بعض الهوامش وزاد فيها بعض التراجم.

ج ـ الكتاني في كتابه «**سلوة الأنفاس**» : اهتم فيه بتراجم ومناقب مجموعة من صلحاء فاس واعتمد فيه على مجموعة من المصادر التاريخية، من بينها كتاب «**الروض**» الذي نقل معظم تراجمه، وزاد فيها معلومات جديدة وتعاليق، واتبع فيه التصنيف والترتيب نفسه المتبع في «**الروض**»، حيث صنف الأشخاص في القسمين الأول والثاني بحسب مدافنهم داخل الأبواب، وخارجها، وأضاف في القسم الأخير أسماء الأشخاص الذين لم يعثر لهم على تراجم.

9 ـ مصادر الروض مرتبة ترتيبا زمنيا

ـ محمد بن قاسم التميمي : «**المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**».

ـ عبد الجليل القصري : «**اختصار شعب الإيمان**».

ـ ابن الزيات : «**التشوف إلى رجال التصوف**».

ـ ابن الأبار : «**التكملة لكتاب الصلة**».

ـ ابن أبي زرع : «**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس**».

ـ محمد بن يوسف المواق : «**سنن المهتدين في مقامات الدين**».

ـ علي الجزنائي : «**جنى زهرة الآس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس**».

ـ عبد الله اليافعي : «**روض الرياحين**».

ـ محمد ابن أبي بكر الحضرمي : **السلسل العذب والمنهل الأحلى المرفوع للخلافة العزيزية التي لا تزال مناقبها على مر الدهور تتلى، في سلك من تحلى سلكهم الأربعيني في الجيل : جيل فاس ومكناس وسلا**».

ـ ابن تيجلات : «**إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين أبي زيد وأبي عبد الله الهزميريَّيْن**».

ـ محمد بن أحمد الساحلي : «**بغية السالك إلى أشرف المسالك**».

ابن قنفذ : «**أنس الفقير وعز الحقير**».

ـ محمد بن عبد الله التنسي : «**نظم الدر والعقيان في نسب بني زيان**».

ـ أحمد بن يحيى الونشريسي : «**المعيار المُعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**» ؛ «**فهرس**».

ـ ابن غازي : «**فهرس**».

ابن عسكر : «**دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**».

ـ المنجور : «**فهرس**».

ـ ابن القاضي : «**درة الحجال في أسماء الرجال**».

ـ أحمد بن موسى المرابي : «**تحفة الإخوان ومواهب الإمتنان في مناقب سيدي رضوان**».

ـ أحمد بابا السوداني : «**نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**».

ـ محمد العربي الفاسي : «**مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**».

ـ إبراهيم بن عامر العامري : «**عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق**».

ـ محمد المهدي الفاسي : «**ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومن لهما من الأتباع**»؛ «**تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية**»؛ «**الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع**».

ـ عبد السلام القادري : «**المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد**»؛ «**معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي**»؛ «**نزهة النادي وطرفة الحادي فيمن بالمغرب من أهل القرن الحادي**».

10 ـ النسخ المعتمدة في التحقيق

عندما عزمنا على تحقيق كتاب «**الروض**»، كان أول عمل قمنا به هو البحث على نسخه ومحاولة العثور على النسخة الأم أو أقرب نسخة لها، فعثرنا على مجموعة من النسخ في الخزانة الحسنية والخزانة العامة، وأمدنا الأستاذ محمد المنوني (جازاه الله خيرا) بنسخة. وكان مجموع ما عثرنا عليه هو سبع نسخ. إلا أننا لم نتمكن من العثور على النسخة الأم، فاخترنا واحدة منها واعتمدناها أصلًا لأنها نسخة مصححة، إذ ثبت عند مقابلتها بالنسخ الأخرى أنها كاملة. وقد أشار ناسخها إلى ذلك في هامش آخر صفحة من «**الروض**» بقوله : «انتهت مقابلته من نسخة بخط سيدي المهدي الفاسي».

ومعظم النسخ المذكورة تم نسخها خلال القرن 13هـ. والفرق بين تاريخ تقييد النسخة الأصلية الذي هو سنة 1688/1099 وهذه الفترة، يزيد عن مائة سنة. ولعل الكتاب ظل مفقودا طيلة هذه المدة، حتى ظهر خلال القرن 13هـ حيث أصبح متداولا وتعددت نسخه. وقد اعتمدنا في مقابلة هذه النسخة على أربع نسخ أخرى واستعنا في تصحيح ما ورد فيها من كلمات مبهمة أو في ملء بعض الفراغات على ثلاث نسخ أخرى، فبلغ مجموع ما اعتمدناه 7 نسخ.

أ ـ نسخ الخزانة الحسنية بالرباط

* **المخطوط رقم 647** : هي النسخة التي اعتبرناها «أصلا» واعتمدناها. وجدت ضمن مجموع، عدد ورقاتها 160 (27 × 18,5)، 19 سطرا في كل صفحة، كتبت بخط مغربي ملون وتحتوي، إلى جانب «**الروض**» الذي ينتهي عند ص. 150، على نسخة من «**الذيل**» وهو مستقل بقلم الناسخ نفسه، ويقع في عشر ورقات من الحجم نفسه والخط والأسطر ومتمم للسفر السابق.

هذه النسخة خالية في ديباجتها وفي خاتمتها من آسم الناسخ، كتب في إحدى ورقاتها الأولى ما نصه : «هذا السفر المكتوب على أول ورقة منه ملك لأقل العبيد عبد القادر بن (...)* الجامعي الله وليه ومولاه»؛ بهامشها بعض الطرر بخط الناسخ تتضمن بعض المعلومات الإضافية، وبعض المعلومات التي يبدو أن الناسخ أسقطها أثناء النسخ وتداركها في الهوامش مشيرا إليها بكلمة «صح». رمزت لهذه النسخة بحرف : ح.

* **المخطوط رقم 11464** : نسخة تضم «**الروض**» و«**الذيل**»، خطها مغربي ملون وعدد ورقاتها 226 (20 × 16)، 19 سطرا بكل صفحة، ويبدو أن الصفحة الأولى منها والخمس صفحات الأخيرة من «**الذيل**» أكلت الأرضة بعض حواشيها، فعوضت بورق آخر وأعيدت عليه كتابة ما ضاع من الصفحة الأولى.

ينتهي «**الروض**» عند ص. 424، ويبدأ «**الذيل**» عند ص. 425؛ ولكن عند نهاية ص. 437 كتبت حوالي 3 ورقات بخط غير خط الناسخ وأسقطت منها 3 تراجم، وعند نهاية ص. 442 أعيد النسخ بخط الناسخ الأول. ولعل الناسخ أناب عنه من نسخ له هذه الصفحات. وهي خالية من الطرر والهوامش. رمزت لهذه النسخة بحرف : و.

* **المخطوط رقم 3509** : نسخة مبتورة الوسط والأخير (21×16)، 22 سطراً بكل صفحة كُتبت بخط مغربي ملون، أتت الأرضة على أغلب حواشيها ونالت من بعض الكلمات خاصة في الصفحات الأولى منها.

---

* (...) خروم.

كتب الناسخ في إحدى ورقاتها الأولى بأنه وجد على ظهر نسخة من الكتاب، لعلها النسخة التي اعتمد عليها، نص مبتور، بخط محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي جاءِ فيه ما يلي :

الحمد لله رب العالمين وبه أستعين، وهو القوي المعين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيئين إمام الدين، هذا، والذي أقول إن هذا الكتاب المسطر على أول ورقة منه، المسمى «**الروض العطر الأنفاس**» كتاب (...)* حسن صحيح (...)* يعنى بمطالعته ونسخه وكتابته ويعول على إفادته، جمع من صالحي بلده فأكثر (...)* بهم فشفا في الخير ووصف، وحلى فأحسن (...)* فيما علمت بمن تقدم، من أولائك وتأخر، وفاقهم بما يفوق العقد المنظوم لأفراد منثور الجوهر جزاه الله خيرا وضاعف له متوبة (...)* بمنِّه وفضله آمين (...)* الله تعالى. محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي كان الله له بمنه. وفي ضحى يوم الإثنين شوال (...)*.

وأضاف الناسخ في نهاية النص : «انتهى كما وجد، ومن خطه كتبت». ثم تلاها بفهرس للكتاب. وهذه النسخة لا تحتوي على «**الذيل**»، وقد انتهى الناسخ من نسخها سنة 1240هـ. واعتمدت عليها بصفتها نسخة ثانوية.

ب ـ نسخ الخزانة العامة بالرباط

* **المخطوط رقم 1246 د** : نسخة كتبت بخط مغربي ملون، تحتوي على «**الروض**» و«**الذيل**»، عدد ورقاتها 218 (20×17) 19 سطرا في كل صفحة ، كتب في هامش الصفحة الأولى منها بخط غير خط ناسخها ما نصه :

محمد العربي بن الطيب بن محمد ستا بن سعد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن الشيخ إبراهيم بن سلطان الأولياء ورئيس الأصفياء غوث الثقلين وجليس الحضرتين مولانا عبد القادر الجيلاني قدس الله سره النُّوراني.

وكتب فوق آسم ابن عيشون في الصفحة نفسها كلمة «خطأ»، ولعل الناسخ يريد بذلك نفي نسبة الكتاب لابن عيشون وإثباتها لمحمد العربي القادري. أما «**الذيل**»، فقد كتب بالخط والمقياس والسطور نفسها، ويبدأ من ص. 205 وينتهي عند ص. 218.

---

* (...) خروم.

لم يرد آسم الناسخ في بداية النسخة ولا في نهايتها، وأنهاها الناسخ بقوله «انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل في تاسع حجة عام تسعة وسبعين ومائتين وألف». وهي النسخة الثالثة المعتمدة بعد النسخة «الأصل» رمزت لها بحرف: **ك1**.

* **المخطوط رقم 525 د** : نسخة بخط مغربي رديء خالية من «**الذيل**»، عدد ورقاتها 162 (22,5 × 17)، 20 سطرا في كل صفحة، أكلت الأرضة حواشي 12 صفحة الأولى منها ونالت من بعض الكلمات. لا توجد بها طرر، في الورقة 40 حيث ترجمة عبد الرحمان الفاسي، أدرج الناسخ في صفحة واحدة ترجمة عبد الرحمان الجزولي السملالي، ثم تابع كتابة ترجمة عبد الرحمان الفاسي.

كتب في نهايتها فقرة فيها بَتْرٌ ببعض سطورها جاء فيها :

... الحمد لله من علينا بتحصينه وتفضل علينا بتكميله على يد مقيده لنفسه ثم لمن شاء الله من بعده عبد ربه وأسير دينه المفتقر إليه في (...)* المعترف بنقصه في سره وجهره، المتبرئ من حوله وقوته بحول ربه وقوته محمد الغالب بن محمد بن محمد بن عبد السلام الطالب الحسني الجوطي أصلح الله حاله بمنّه. وكان تمام هذا الكتاب المبارك يوم الأربع وعشرين من ربيع النبوي سنة ثلاث ومائتين وألف.

وهي النسخة الرابعة المعتمدة بعد النسخة «الأصل». رمزت لها بحرف: **ك2**.

* **المخطوط رقم 2409 د** : نسخة ضمن مجموع تحتوي على «**الروض**» و«**الذيل**». كتبت بخط مغربي، وعدد ورقاتها 235 (21 × 15,5)، 25 سطرا في كل صفحة، وتحتوي في صفحاتها الأولى على مجموعة من الطرر كتبت بخط يقارب خط الناسخ، كتب في الصفحة الثانية منها بخط غير خط ناسخها ما نصه :

صاحب الخط أعلاه وبعده والطرر الموجودة في هذا الكتاب هي للإمام الشيخ الكبير سيدي أحمد بن سودة دفين زاويته بالعقبة الزرقاء بفاس نفعنا الله به وبعلومه وهو صاحب «**حاشية السبكي**» و«**منطق الخرشي**» و«**رسالة الوضع**».

ثم، بعد «**التنبيه**»، ذكر الناسخ مجموعة ممن تولوا القضاء والفتوى بفاس وبعده كتب بخط الشخص السابق الذكر نفسه ما نصه :

---

* (...) خروم.

توفي صاحب الخط أعلاه والطرر المرقومة في هذا التأليف عام 1294 هـ ودفن بزاويته المشهورة بالعقبة الزرقاء وهو شيخ الجماعة الحافظ سيدي المهدي بن سودة رحم الله الجميع.

اعتمدت عليها بالخصوص في مقابلة «**الذيل**». رمزت لها بحرف : **د**.

ج ـ نسخة الأستاذ محمد المنوني

نسخة كاملة تضم «**الروض**» وذيله «**التنبيه**». كتبت بخط مغربي، وعدد ورقاتها 134 (20×16)، 22 سطرا في كل صفحة. ينتهي «**الروض**» عند ص. 251، ويبدأ «**الذيل**» عند ص. 252. تحتوي على بعض الطرر، خاصة في «**الذيل**»، وتتضمن بعض المعلومات حول المترجمين فيه، وهي خالية من آسم الناسخ وتاريخ النسخ، وهي النسخة الثانية المعتمدة بعد النسخة «الأصل». رمزت لها بحرف : **م**.

11 ـ الخطوات المتبعة في التحقيق

كان أول عمل قمنا به في عملية التحقيق هو مقابلة النسخة «الأصل» بباقي النسخ، ثم رددنا النصوص المعتمدة في الكتاب إلى أصولها لمحاولة ضبط الفروق والتأكد من صحة ما تحتوي عليه من معلومات وهدفنا هو الخروج بنص كامل صحيح شكلا ومضمونا. وقد مكنتنا هذه العملية من تصحيح عدد من الكلمات والتعابير، وخرجنا بنص أقرب إلى الصواب.

وقمنا بضبط ما وجدناه من اختلاف بين النسخ، وبينها وبين النصوص المعتمدة في الهوامش. أما الأحاديث والآيات، فقد أرجعناها إلى أصولها ؛ كما أثبتنا بحور الأشعار في الهوامش.

ومن حيث الشكل، فقد تصرفنا في الرسم في حدود لا تمس مضمون الكتاب. وضعنا النقط والفواصل والعارضتين وعلامات الِاستفهام والتعجب، ثم كتبنا بعض الكلمات طبقا للقواعد المتبعة في الكتابة العصرية دون أن نشير إلى ذلك في الهامش.

ثم استعملنا ثلاثة أنواع من الهوامش :

أ ـ هامش للفروق بين نسخ المخطوط.

ب ـ هامش للتراجم، أثبتنا فيه مجموعة من المصادر والمراجع تتعلق بالمترجم وبعض المعلومات الإضافية، وضبطنا فيه بعض الإختلافات.

ج ـ هامش خصصناه للتعريف بالأعلام البشرية والجغرافية وكل ما يستحق التوضيح داخل الكتاب، معتمدين في ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع. وقمنا ببعض التحريات الميدانية، حيث قمنا بزيارة لمدينة فاس للوقوف على أسماء الأماكن والإطلاع على التطورات التي لحقتها. فوجدنا أن معظم الأماكن ما زالت تحمل الأسماء نفسها التي ذكرت بها في الكتاب إلا بعض الإختلافات في نطقها أو اندثار بعضها.

ووضعنا خريطة اعتمدنا في مضمونها على المعطيات المتوافرة داخل الكتاب، تسهل على القارئ التعرف على المواقع المذكورة فيه.

وحاولنا أن تكون الفهارس كاملة شاملة لما احتواه الكتاب من أعلام بشرية وجغرافية وكتب.

ولإبراز مضمون الكتاب، قمنا بوضع مجموعة من الرموز تسهّل الإطلاع عليه مثل :

النجيمة * : للدلالة على صاحب الترجمة.

النجيمة بين قوسين (*) : للتنبيه.

المعقفتين [ ] : للدلالة على ما زيد في «الأصل» أو ما أسقط منه أو من إحدى النسخ إن كان فيه ما يخل بالمعنى.

ثلاث نقط بين قوسين مع النجيمة (...)*: للدلالة على ما يوجد من خروم.

المزدوجتين : « » : للدلالة على الحديث النبوي.

القوسين المورَّدَيْن : ﴿ ﴾ : للدلالة على الآيات القرآنية.

القسم الثاني

نصوص الروض محققة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

الحمد لله الذي أعز أهل حضرة قدسه برفع مقامهم فوق الرؤوس والمناكب، وجعل مفاخرهم في سماء المجد كالنجوم الثواقب، وأطلعهم على خوافي الغيوب، وأسرار المعاني والقلوب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أفوز بها في هذه الدار وفي تلك الدار، وأرجو بها رحمة العزيز الغفار، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله، أرسله بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، وعلى من اقتفى نهجه[1] القويم على مرور الأزمان وتعاقب الأعصار، ما دام الليل والنهار والجنة والنار.

وبعد : فيقول العبد الفقير إلى ربه محمد بن محمد بن محمد بن [طاهر بن محمد بن محمد بن][2] عيشون الملقب بالشراط، لطف الله به وبجميع المسلمين آمين.

وقد تحرك مني العزم الساكن لجمع تقييد أذكر فيه من وقفت على [تعريفه][3] من الأولياء الكائنين بقاعدة المغرب مدينة فاس [أمنها الله من كل بأس][4] تبركا بذكر أخبارهم، وذلك في شهر رمضان المعظم عام تسعة وتسعين وألف، وسميته «**الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**» وعند ذكر الأولياء والصالحين تنزل الرحمة والبركة.

قال سيدي سفيان بن عيينة، رضي الله عنه : عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة.

ومثله روي عن سيدي معروف الكرخي نفعنا الله به.

قال اليافعي في كتابه **روض الرياحين** : إن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين.

قال عبد الله بن جبير : سمعت محمد بن يونس[5] يقول : ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين.

---

(1) كذا في ك1 وهو أنسب وفي المخطوطات الأخرى : نهجهم.

(2) سقط من ك1.

(3) بياض في م.

(4) زيادة في ك2.

(5) في ك1 : يوسف.

وللفضيل بن عياض في كلام جرى بينه وبين غيره : وإن لم نكن صالحين فإنا نحب الصالحين.

وقال ﷺ : (المرء مع من أحب)[6] اللهم أجعلنا من المحبين لهم.

وقال أبو حامد الغزالي : وإذا تعذرت رؤيتهم ومصاحبتهم فلا شيء أنفع للنفس من سماع أحوالهم وأخبارهم وما كانوا عليه من الجهد الجهيد في العبادة، وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم أبدا الآباد لا ينقطع، فما أعظم ملكهم ! وما أشد من لا يقتدي بهم ! وقد قيل في فضلهم :

يا ساداتي يا أفضل السادات لأزينن بذكركم أوقاتي[7]
يا خير صحب محمد من بعده يا أفضل الأحياء والأموات

وكان سيدي أبو العباس المرسي ينشد :

لي سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي في ذكرهم عز وجاه[8]

ومن كتاب «**سنن المهتدين**» للإمام المواق : كان سيدي المشوري، رحمه الله، لم يزل ينشد :

أسرد حديث الصالحين وسمهم فبذكرهم تتنزل الرحمات
واحضر مجالسهم تنل بركاتهم وقبورهم زرها إذا ما مات[9]

والحاصل أن ذكر الصالحين وأخبارهم وأحوالهم وزيارتهم وحضور مجالسهم والتلذذ بذكرهم جمع خصال الخير كلها.

فلنبدأ بمن يجب البدء به وتقديمه، وإكباره بالتصدير وتعظيمه، وهو إمام فاس وسلطانها وبانيها وواسطة عقدها وحرزها وبركتها وأمانها [ومن][10] هي وأهلها وما عملوه من عمل صالح في ميزانه، ومسطر في صحيفته وديوانه.

---

(6) في **صحيح البخاري**، باب علامة الحب في الله، و**سنن الترمذي**، أبواب الزهد، باب المرء مع من أحب.

(7) من الكامل.

(8) مجزوء الرجز.

(9) من الكامل.

(10) زيادة في ك2.

* المولى إدريس الأزهر

مولانا أبو العلاء إدريس نفعنا الله ببركاته، وماذا عسى أن أقول أو أثني به على من هو من نسل سيد أهل الأرض والسموات، ومن فاضت من نوره جميع الكائنات، ومن كان خادمه الأمين جبريل، فكان السفير بينه وبين الملك الجليل، بالوحي والتنزيل.

ونسب هذا السيد الشريف من رسول الله، ﷺ، قريب، فإنه مولانا إدريس بن عبد المالك بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله، ﷺ، وجمع بين شرف الطين وشرف الدين والعلم والعمل، وجمع له بين بنوة رسول الله، ﷺ، والخلافة والعلم والولاية، فلا أشرف من هذا ولا أعلى ولا أسمى ولا أسنى ولا أزكى ولا أطهر ولا أنوه ولا أشهر. ومقامه عند أهل بلده والحمد لله أعرف من أن يعرف به، وضريحه بينهم لا يشتبه، ومكانته من قلوبهم جازت الغاية، وفضله ضروري لكل أحد، فلا يحتاج إلى إطالة كلام، ومن أراد ذلك فكتبه ميسرة معروفة، وأخباره فيها مدونة مسطرة.

ثم لنبدأ من أهل بلدته بمن هو في جهة قبلته، ونستفتح بأهل باب الفتوح ونقدم المتقدم منهم بالزمان.

صلحاء باب الفتوح(11)

** دراس بن إسماعيل

وهو الشيخ أبو ميمونة سيدي دراس بن إسماعيل دفين خارج باب الفتوح،

---

* أحد كبار ومشاهير الأولياء بالمغرب، حول ترجمته راجع ابن أبي زرع، **القرطاس** ؛ ع. الجزنائي، **زهرة الآس** .

(11) نسبة للفتوح بن دوناس بن المعز بن عطية المغراوي الذي حصن، عقب اختطاط الأدارسة للمدينة، عدوة الأندلسيين وبنى بها قصبة لسكناه بالكدان وفتح بالعدوة باباً سماه باسمه (راجع **جذوة الإقتباس**، ص. 48).

** ترجمته أيضا عند ابن أبي زرع، **القرطاس**، ص. 37، وص. 101؛ ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ص. 116؛ العربي الفاسي، **مرآة المحاسن**، ص. 143؛ م الكتاني، **سلوة الأنفاس**، 175/2؛ م مخلوف، **شجرة النور**، 130/1؛ م. الحجوي، **الفكر السامي**، 161/1.

كان، رحمة الله تعالى، ممن تقدم عصره وشهر فضله، ومسجده الذي بمصمودة[12] من عدوة الأندلس بمدينة فاس، حرسها الله، وبه يعرف المسجد إلى الآن. له رحلة إلى المشرق، ولقي جلة من العلماء، وروى الحديث وقرأ الفقه، ولما رجع من المشرق كان يدرس الفقه بمسجده المذكور.

قال الشيخ أبو عبد الله التميمي : أخبرني الفقيه الحاج أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفارسي[13]، جارنا، عن الشيخ الفقيه أبي الحسن علي بن محمد بن قاسم، رحمه الله، قال : بلغنا عن أشياخ مدينة فاس أن أبا ميمونة دراس بن إسماعيل كان يتجمع عليه طلبة العلم لقراءة الفقه بمسجده المذكور، وكان يلقي عليهم الدرس بعد صلاة الصبح، وكان بالمسجد مؤذن يقوم به ويغلقه ويؤذن فيه لأوقات الصلوات، فذكر المؤذن أنه كان بعد صلاة العشاء الأخيرة يغلق باب المسجد، فإن جاء في السحر وجده على خلاف ما تركه ويجد الفقيه دراس بن إسماعيل يصلي.

قال المؤذن : فلما كان ليلة، اختبأت له في المسجد وأغلقته [علي][14] كما كنت أفعل، فلما كان في آخر الليل فإذا الفقيه قد أقبل ودفع الباب فانحل له من غير واسطة ودخل القبلة وأخذ يصلي، فبينما هو يصلي وأنا في موضع لا يعرف بي، إذ جاء رجل آخر فدفع الباب فانحل له، ودخل حتى وقف على الشيخ وهو يصلي، فأوجز الشيخ في صلاته، فأكب عليه وأسر في أذنه وانصرف، فلما قرب الصباح خرجت من المسجد وأشعرت بنفسي أني كما وصلت، وأذنت، فلما طلع الفجر أقمت الصلاة وصلى الشيخ وانصرف، ولم تكن عادته، وحضر جماعة الطلبة الذين كانوا يحضرون إليه وانتظروه فلم يصل، فلما طلع النهار، قدموا واحداً منهم ألقى عليهم الدرس، فلما أكملوا ذلك وأضحى النهار، أقبل الشيخ والعرق على جبينه والغبار على وجهه، فأخبروه بما صنعوا، فحسن لهم ذلك وأخذ الكتاب وعين لهم الدرس الذي يلقى [عليهم][15] بعد ذلك وانصرف.

---

(12) حي بفاس ينسب لقبيلة مصمودة التي استقرت به عند إتمام المولى إدريس بناء مدينة فاس (راجع **القرطاس**، ص. 46؛ ع، الجزنائي، **زهرة الآس**، ص. 117).

(13) محمد بن إبراهيم الشيرازي الفارسي كان له اهتمام بالفلسفة وله تصانيف في علم الكلام والأصول، ولد سنة 528هـ وتوفي سنة 622هـ (راجع ترجمته عند : ابن حجر في **لسان الميزان**، 29/5؛ الزركلي، **الإعلام**، 187/6).

(14) زيادة في ك2.

(15) سقط من م وك1 وك2.

قال المؤذن : فتبعته إلى داره، وأراد الدخول فقلت له : لي إليك كلام، قال : فقلت له : إنني كنت أغلق باب المسجد كل ليلة وانصرف، فإذا جئت في السحر وجدتها على خلاف ما تركتها، فلما كان البارحة، اختبأت في المسجد بعد أن أغلقته، فلما كان السحر، أقبلت وانحل لك الباب من غير واسطة، ورأيت الرجل الذي جاءك وأسر إليك، فلما صليت انصرفت، ولم تكن من عادتك، وجئت بعد أن تعالى النهار، قال : فقال لي : ذلك الرجل الذي جاءني وأسر إلي أعلمني أن بعض أصحابنا بالشام توفي، فلما صليت مشيت حتى حضرت جنازته وانصرفت، لا تخبر بذلك عني ما دمت حيا. قال المؤذن : فما أخبرت بذلك حتى توفي، رحمه الله.

وأخبرني الشيخ الفقيه أبو القاسم عبد الرحمان ابن الفقيه القاضي أبي موسى عيسى بن يوسف الأزدي أنه بلغه عن الثقة من أشياخ البلد، أن بعض أصحاب الفقيه دراس بن إسماعيل كان يسكن البادية، فبعث إليه بحمل من زرع وقال له في وصيته مع من حمل ذلك الطعام[16] : تقول للفقيه يطحن لنا في رحى الماء ذلك الحمل لأن المرأة شق عليها الطحن. فعمد أبو ميمونة وزوجته وخادمه وطحنوا ذلك الحمل بأيديهم، وبعث به إلى صاحبه المذكور، فلما كان بعد مدة، بعث إليه صاحبه المذكور بحمل آخر وقال له مع الرسول : جاءني ذلك الحمل من أطيب ما يكون فلعله يطحن لنا هذا الثاني، ففعل له الفقيه مثل ما فعل في الحمل الأول وبعثه إليه وقال له : إنما طحنت الحمل الأول أنا وأهلي وخادمي، وكذلك الثاني. وإنما فعل ذلك، رحمه الله، لما رأى في رحى الماء ما يجب التنزه عنه. وكان في غاية من الورع.

وأخبرني بعض أشياخي من أهل البلد أنه استعار حمارا لينقل عليه حملا من الطعام إلى المدينة، وبعث بالحمار مع رسوله، فلما رجع الرسول إلى البلد، حمل الطعام على الحمار، ومر بموضع حلال فيه من هذا البقل الخبيز، فقطع منه شيئا، وحمله على حمل الطعام الذي على الدابة حتى وصل ذلك كله لمنزل الفقيه أبي ميمونة، فلما جاء وقت إفطاره، قدم إليه خبزا وشيئا من ذلك البقل، فقال : من أين لكم هذا؟ فقالت له عياله[17] : فلان جاء بذلك على حمل الطعام من موضع حلال. فقال : إنما استعرت الحمار لأحمل عليه حمل الطعام لا لأحمل عليه غير

(16) في ك2 : الزرع.

(17) في ك1 : فقالت زوجته.

ذلك. وأبى أن يأكله رحمه الله. وفضائله وكراماته كثيرة وشهرته أغنت عن استيفاء خبره.

هكذا ذكر ترجمته الشيخ الفاضل، المحدث الحافظ الراوية[18] المؤرخ، أبو عبد الله التميمي[19] في كتاب «**المستفاد**»[20].

وذكر في ترجمة الغازي بن الفتوح، أن جوهرا لما حاصر مدينة فاس أقام عليها مدة ولم تفتح له[21] فساءه ذلك فرأى في المنام قائلا يقول : لا تقدر على دخول هذه البلدة أبدا ولو أقمت عليها أعواما لأن فيها أربعة من أوتاد الأرض، فذكرهم وذكر فيهم الشيخ سيدي دراس بن إسماعيل نفعنا الله به وببركاته، آمين.

قال التميمي لما ابتدأ به كتابه المذكور : فممن كان عالما في زمانه، وإماما في وقته وأوانه، وابتدئ به قبل غيره ممن كان أقدم منه لعلمه وشهرته بالعلم والمعرفة والزهد والعبادة، انتهى.

وقال أبو الحسن الجزنائي[22] في «**جنى زهرة الآس**»: ودراس، رحمه الله تعالى، ممن أدخل علم مالك. رضي الله عنه، بلاد المغرب، فإنه كان الغالب عليها في القديم

---

(18) في م وك1 : الرواية.

(19) المحدث الحافظ للحديث ورجاله وتواريخهم وطبقاتهم محمد بن قاسم بن عبد الكريم الفاسي المعروف بالتميمي، له فهرست سماها : «**النجوم المشرقة في ذكر من أخذ عنه كل ثبت وثقة**». توفي حوالي سنة 604هـ. (راجع ترجمته عند ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ص. 682؛ وابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، ص. 352، **دعوة الحق**، عدد محرم ـ صفر 1407/شتنبر ـ أكتوبر 1986، ص. 26).

(20) «**المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**»، وهو من تأليف التميمي سابق الذكر لكن بعض الإخباريين وهموا ونسبوه لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم الفندلاوي الفاسي المعروف بابن الكتاني المتوفى سنة 597هـ. منهم : الجزنائي في **زهرة الآس**؛ وابن القاضي في **جذوة الإقتباس**؛ والكتاني في **سلوة الأنفاس**.

(21) دام حصار جوهر لفاس ما يقرب من نصف شهر تمكن بعده من دخولها عنوة سنة 349هـ لوضع حد لدعوة بني أمية ونشر دعوة العبيديين، وذلك في عهد الحسن بن قاسم كنون آخر ملوك الأدارسة بالمغرب. وجوهر هذا هو قائد الحسن المذكور (انظر: **جذوة الإقتباس**، ص. 176؛ **والإستقصا**، 197/1).

(22) علي الجزنائي، فقيه وأديب، ينتمي لقبيلة كَزناية الريفية الشهيرة المستقرة شمال إقليم تازة، وهو من أهل القرن الثامن (راجع ترجمته عند عبد الوهاب بنمنصور في مقدمة **زهرة الآس**؛ عبد الهادي التازي، **جامع القرويين**، 494/2، وفيه ورد أنه توفي سنة 767هـ).

مذهب [الكوفيين](23) إلى أن أدخل(24) علي بن زياد(25) وغيره ثم أسد بن الفرات بمذهب مالك، فأخذه كثير من الناس، فلم يزل ينتشر ويظهر إلى أن جاء سحنون(26) ففض حلف(27) المخالفين واستقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في أقطار المغرب إلى وقتنا هذا.

ثم قال : وسمي دراسا لكثرة درسه العلم، أصله من مدينة فاس، سمع من شيوخ بلده، وبإفريقية من أبي بكر بن اللباد(28) وغيره، وبالأندلس من شيوخها، وله رحلة حج فيها وسمع من علي بن أبي مطر بالإسكندرية كتاب ابن المواز(29) وحدث به بالقيروان، سمعه منه أبو محمد بن أبي زيد(30) وأبو الحسن بن القابسي(31) ودخل الأندلس مجاهدا وطالبا، فسمع منه أبو الفرج عبدوس بن خلف، وخلف بن أبي جعفر(32)، وغير واحد، وكان، رضي الله عنه، من الحفاظ المعدودين من أهل الفضل والدين ممن له الإمامة بمذهب مالك وأصحابه.

(23) بياض في م. والمقصود به مدرسة الرأي التي ظهرت بالكوفة حيث وضع عبد الله بن مسعود أسس منهج يعتمد على الرأي والاجتهاد متأثرا في ذلك، كباقي الصحابة، بالمنهج المتميز الذي كان عمر بن الخطاب يعتمد عليه في اجتهاداته وآرائه. وقد نشأت أصول هذه المدرسة بالمدينة، ومنها انتقلت إلى العراق حيث كانت الظروف ملائمة لاحتضانها (أنظر: محمد فاروق النبهان، **المدخل للتشريع الإسلامي**، ص. 152؛ **مذكرات من التراث المغربي**، 102/2).

(24) في م : دخل علي بن زياد وغيره.

(25) الفقيه المالكي علي بن زياد التونسي توفي سنة 183هـ (راجع **شجرة النور**، 60/1).

(26) عبد السلام بن سعيد التنوخي القيرواني، درس بالقرويين، وولي قضاءها وهو ابن ثمانين سنة، ولد حوالي سنة 161هـ وتوفي سنة 240هـ. اشتهر بمدونته وبمنهجه الذي سلكه في شرح «**الموطأ**» وهو المنهج الذي سار عليه معظم الفقهاء المالكيين في الغرب الإسلامي (انظر: **الديباج المذهب**، ص. 30؛ **لسان الميزان**، 8/3؛ **مذكرات من التراث المغربي**، 227/2).

(27) في ك2 : خلاف.

(28) الفقيه المالكي محمد أبو بكر بن اللباد، توفي سنة 333هـ (راجع ترجمته عند الصفدي : **الوافي بالوفيات**، 130/1؛ **الديباج المذهب**، ص. 249؛ **شجرة النور**، 84/1).

(29) اسمه «**الموازية**»، وهو من أجلّ الكتب التي ألفها فقهاء المالكية (راجع **الوافي بالوفيات**، 535/1؛ **الديباج المذهب**، ص. 233؛ **شجرة النور**، 68/1).

(30) عبد الله بن أبي زيد، من أئمة المالكية في وقته، شاعر وصاحب تآليف عديدة في الفقه وغيره. توفي حوالي سنة 389هـ. (راجع ترجمته في **الديباج المذهب**، ص. 136؛ **شجرة النور**، 96/1).

(31) علي بن محمد بن خلف المغافري القيرواني، عالم المالكية بإفريقية في زمانه، وله دراية بالحديث، ولد سنة 324هـ وتوفي بالقيروان سنة 403هـ (راجع ترجمته في **الديباج المذهب**، ص. 201؛ **سلوة الأنفاس**، 93/3؛ **الأعلام**، 145/5؛ **شجرة النور**، 97/1).

(32) خلف بن أحمد يعرف بابن أبي جعفر، من موالي بني أمية. ذكره صاحب «**جذوة المقتبس**»، (ص. 205) ولم يذكر له وفاة.

توفي بفاس بلده سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وقبره خارج باب الجيزيين معروف، والدعاء عنده مجاب، وله بفاس مسجد[33] يعرف به، وقد جدد قبره مولانا الماضي (كذا) أبو عنان، كرم الله وجهه، وجعل هنالك رخامة منقوشة باسمه وتاريخ موته، ونصبت عند رأسه في أول سنة سبع وخمسين وسبعمائة[34].

[وأخبر ابن التبان[35] أن رجلا من أهل العلم قال له سنة سبع وخمسين وثلاثمائة][36] : نمت بالرمادة، فرأيت السماء والأرض تبكيان فقلت : ما هذا؟ فقيل لي : مات أبو ميمونة دراس بن إسماعيل، فكان [الأمر][37] كذلك. وكثيرا ما كان ينشد رحمه الله، ونفع به، آمين :

غفلت وحادي الموت في أثري يحدو ... وإن لم أرح ميتا فلابد أن أغدو
أرى العمر قد ولى ولم أبلغ المنا ... وليس معي زاد وفي سفري بعد
أنعم جسمي باللباس ولينه ... وليس لجسمي من قميص البلابد
كأني ذهبت مني المحاسن وامحت ... ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد
فكيف إذا بالنار يا رب قربت ... ونارك لا يقوى لها الحجر الصلد
عسى غافر الزلات يغفر زلتي ... فقد يغفر المولى إذا أذنب العبد[38]

وابن أبي مطر[38م] المتقدم في أشياخه هو الشيخ الولي أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي مطر، من ولد أبي موسى الأشعري، رضي الله تعالى عنه، وكان مجاب الدعوة، توفي بالأسكندرية سنة تسع وثلاثين[39] وثلاثمائة، قاله في «**المدارك**»[40].

(33) يوجد بحومة مصمودة قرب درب بن بوبكر، يقال إن قبلته أقوم قبلة بفاس (انظر: **زهرة الآس**، ص. 111).

(34) في م وك2 : «ثلاثمائة» وما أثبتناه عن ح وك1 هو الصحيح اعتمادا على ما ذكر في مصادر ترجمته.

(35) عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التبان، فقيه مالكي، اشتهر بحفظه للقرآن الكريم والتفنن في علومه والكلام على أصول التوحيد، توفي سنة 371هـ (راجع **الديباج المذهب**، ص. 138؛ **شجرة النور**، 95/1).

(36) سقط من م وك2.

(37) زيادة في ك2.

(38) من الطويل.

(38م) ولد سنة 241هـ، ورد ذكره في **زهرة الآس**، ص. 20؛ **الديباج المذهب**، ص. 214؛ **شجرة النور**، 80/1.

(39) في م وك1 وك2 : ثمانين، ولعله الصواب كما في **زهرة الآس**.

(40) «**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**»، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المالكي المتوفى سنة 544هـ.

ومر يوما على ضريح صاحب الترجمة، سيدي كَدار، وكان من أهل الكشف الصحيح، فسأل عنه إما وقت مروره أو بعده، ولم يكن يعرفه، فقيل له : إنه سيدي دراس بن إسماعيل، فقال : إن النبي ﷺ، لا يفارق ذلك الموضع.

وذكر الشيخ العالم البركة أبو عبد الله سيدي محمد المهدي[41] بن أحمد بن علي بن العارف بالله سيدي أبي المحاسن يوسف الفاسي، رضي الله عنه، في كتابه «**ممتع الأسماع**»، أن الشيخ أبا العباس أحمد البريبري[42]، من أصحاب الشيخ سيدي يوسف الفاسي وذوي الأحوال الصحيحة الربانية منهم، زار مرة قبر سيدي دراس مع الشيخ العارف الكامل سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي، رضي الله عنه، وكانوا صلوا هنالك، فقال لهم سيدي البريبري : ألا تسمعون ما يقول لكم هذا الشيخ؟ فقالوا له : لا، قال : إنه يقول لكم أحييتم قبري، أو قال موضعي، أحيا الله قلوبكم، انتهى.

وما تقدم من أن وفاته سنة سبع وخمسين وثلاثمائة هو الذي عند الحافظ أبي محمد الرشاطي[43] وهو الصحيح.

قال ابن أبي زرع[44] في «**الأنيس**» : كانت وفاته سنة إحدى وستين وثلاثمائة[45].

(41) الفقيه الصوفي العالم، ولد بالقصر الكبير سنة 1033هـ حيث ابتدأ تعليمه، فأخذ عن جماعة من أقاربه؛ ثم رحل إلى فاس حيث أخذ أيضا عن علمائها، وبها توفي سنة 1109هـ، له عدة تآليف في التصوف والسير والأنساب (راجع ترجمته عند : الإفراني في **صفوة من انتشر**، ص. 211؛ **نشر المثاني**، 80/3؛ **شجرة النور**، 328/1؛ **مؤرخو الشرفاء**، ص. 192).

(42) التطاوني، توفي عام 1020هـ (راجع ما ذكر حوله عند المهدي الفاسي في **تحفة أهل الصديقية**، ص. 81؛ **صفوة من انتشر**، ص. 80).

(43) عبد الله بن عمر اللخمي المعروف بالرشاطي الأندلسي المري صاحب كتاب «**اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار**»، وهو من أقدم الكتب في الأنساب. ولد سنة 466هـ وتوفي سنة 542هـ (راجع ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 106/3؛ **الأعلام**، 242/4؛ **شجرة النور**، 135/1).

(44) خطيب جامع القرويين، علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي توفي سنة 726هـ (راجع ترجمته في **مقدمة كتاب القرطاس**؛ **الإعلام**، 121/5؛ محمد حجي، **الحركة الفكرية**، ص. 54).

(45) وفي النسخة المحققة من **القرطاس** (ص. 101)، ورد أنه توفي سنة 362هـ؛ ولعله الصواب.

* صالح بن محمد بن حرزهم

ومنهم الشيخ أبو محمد صالح بن حرزهم، نفعنا الله به، آمين، دفين خارج باب الفتوح خارج روضة ابن أخيه سيدي علي بن حرزهم.

قال الشيخ أبو عبد الله التميمي : كان خيرا فاضلا ورعا مستجاب الدعوة، رحل إلى المشرق وحج وانقطع بالشام أعواما، واجتمع بالإمام أبي حامد الغزالي، رحمه الله ورضي عنه.

أخبرني الشيخ الفقيه أبو محمد قاسم بن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم النفزاوي(46) رحمه الله، وغيره من أهل فاس، عن الفقيه أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم، أن عمه صالحا، رحمه الله، لما حج زار بيت المقدس والتقى بالأبدال السبعة وأقام معهم، وكان من عادتهم أن يتقدم للصلاة بهم واحد منهم في كل يوم، فإذا صلى بهم المغرب، بعد عن الموضع قليلا ثم يجيء بما تفطر عليه الجماعة، وليس بقربهم بلد ولا قرية ولا عمارة. ولما فرغ(47) القوم [وصلته النوبة](48) قدموه للصلاة بهم وأمروه بالآذان، فصلى بهم، فلما صلى صلاة المغرب قالوا له : العادة، فخرج عنهم وتوسل إلى الله بهم وتضرع إليه، فإذا بين يديه الطعام الذي كان يأتي به كل [يوم](49) واحد منهم، فأخذه وقدم به إليهم. فقال أحدهم :.هو منهم، ثم حجبوا عنه.

وأخبرني غير واحد عن الفقيه أبي الحسن عن عمه صالح المذكور، أنه لما زار بيت المقدس أقام في بعض القرى القريبة من بيت المقدس، فقدمه أهل تلك القرية للإمامة بهم في مسجد القرية، فبينما هو في بعض الأيام في المسجد، إذ أقبل الإمام أبو حامد الغزالي في جماعة من تلامذته، فنزلوا في المسجد، وكان في المسجد دالية وفيها حصرم، فقال التلامذة للإمام أبي حامد الغزالي، رضي الله عنه : اشتهينا

---

* راجع ترجمته أيضا في كتاب **التشوف إلى رجال التصوف**، تقديم وتحقيق الأستاذ أحمد التوفيق، ص. 94؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 358؛ **سلوة الأنفاس**، 69/3.

(46) في ك2 : النفراوي.

(47) في م : قدم.

(48) زيادة في ك2، ومعناه جاء دوره.

(49) زيادة في ك2.

حصرمة، فقال لهم الشيخ : إسألوا إمام المسجد، يعني أبا محمد صالحا، عن الدالية هل هي حبس على المسجد ؟ أو على الإمام ؟ أو على المؤذن ؟ أو غير ذلك ؟ فسئل فقال لهم : لي كذا وكذا عاما في المسجد إماما لا أعلم على من حبست ولا اشتغلت بها ولا نأكل شيئا منها، فأخبروا بمقالته الإمام أبا حامد الغزالي، رضي الله عنه، فقال : هذا مغربي له أعوام في هذا المسجد لم يتعرض لهذه الدالية ولا يعرف خبرها، وأنتم من ساعة واحدة لم تملكوا أنفسكم.

هذا كلام أبي عبد الله التيمي، رحمه الله، في سيدي أبي محمد صالح بن حرزهم، رضي الله عنه.

وقال الشيخ أبو عبد الله الساحلي[50] رحمه الله في «**بغية السالك**» : هو صالح بن محمد بن عبد الله بن حرزهم، من أهل فاس، كان رجلا عالما عاملا زاهدا ورعا متجردا، له رحلة إلى المشرق، وانقطع بالشام، كان معاصرا لأبي حامد الغزالي، رضي الله عنه، [و][51] بالمشرق لقي شيخه وجيه الدين[52] فأخذ عنه وسلك على يده، فنفذ وقطع **المقامات**. ولما زار بيت المقدس عدل إلى قرية على قرب من بيت المقدس فالتزم الإمامة بأهلها، وبها لقي أبا حامد الغزالي. ثم ذكر قضية الدالية المتقدمة، ثم قال : بعد ذلك عاد أبو محمد صالح إلى فاس فنشر بها طريقه وهدى الله به خلقا كثيرا، فكان ممن نجب [فيه][53] على يديه، أبو الحسن علي بن أخيه إسماعيل، وبفاس أقام حتى توفي، رحمة الله عليه[54]. ووقع عندي بعض إشكال في

---

(50) الولي الصوفي محمد بن أحمد بن إبراهيم الساحلي الأنصاري، توفي سنة 803هـ (راجع مقدمة كتاب **بغية السالك**).

(51) زيادة في «**بغية السالك**».

(52) عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي صاحب كتاب «**عوارف المعارف**»، فقيه شافعي مفسر، من كبار الصوفية، ولد بسهرورد سنة 539هـ، صحب عمه أبا النجيب وعنه أخذ التصوف والوعظ، توفي ببغداد سنة 632هـ (راجع **وفيات الأعيان**، 493/3؛ ابن السبكي، **طبقات الشافعية**، 338/8؛ **جامع كرامات الأولياء**، 219/2؛ **الإعلام**، 223/5).

(53) سقط من م، وفي ك2 : انتفع بدل نجب.

(54) يرجح الكتاني في **السلوة** (71/3) أن تكون وفاة صاحب الترجمة في أواسط القرن السادس الهجري.

أخذه عن وجيه الدين[55] أو عن ابن أخيه[56] ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر[57]، والأقوى عندي أنه أخذ عن وجيه الدين لقرائن قامت عندي مقام التحقيق، لكني أبرأ من عهدته وبالله التوفيق[58]. انتهى كلام الساحلي، رحمه الله.

وعرف به التادلي ببعض ما تقدم، وسيأتي سند طريقه في الترجمة بعده إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق.

°علي بن إسماعيل بن حرزهم

ومنهم الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم نفعنا الله به، ابن زيان بن يوسف بن سومران بن حفص بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان صاحب رسول الله، ﷺ.

كان، رحمه الله، خيرا فاضلا دينا ورعا زاهدا متقشفا سالكا لطريق الملامتية، ولم يكن يعرف ذلك الطريق بالمغرب، فكان أهل البلد ينكرون عليه بعض أحواله، ولكن لصدقه كانت القلوب مائلة إليه.

قال التميمي بعدما تقدم : أدركته واختلفت إليه، كان، رحمه الله، معظما للعلم يوفيه حقه ودرجته، منقبضا عن السلطان، شريف النفس، متواضعا للفقراء، لم أر

---

(55) علق الكتاني (**سلوة الأنفاس**، 70/3) على ما ذكره الساحلي ونقله عنه المؤلف قائلا : إن أخذ صاحب الترجمة عن وجيه الدين بعيد، لأن صاحب الترجمة لقي الغزالي قبل وفاة هذا الأخير سنة 505هـ ولا أقل من أن يكون عمر صاحب الترجمة إذ ذاك تقريبا عشرين سنة، ووجيه الدين ولد سنة 539هـ وعمر صاحب الترجمة إذ ذاك تقريبا ستون سنة، ولا يمكنه الأخذ عن وجيه الدين إلا بعد بلوغه سن التكليف التي هي تقريبا عشرون سنة، فإذن يكون صاحب الترجمة قد أخذ عنه وهو ابن ثمانين سنة وهذا بعيد جدا.

(56) اختلط الأمر على المؤلف وجعل وجيه الدين عم ضياء الدين والعكس صحيح.

(57) عبد القاهر بن عبد الله عموية أحد كبار الشافعية وأعظم مشايخ الصوفية ولد سنة 490هـ بسهرورد ومات ببغداد سنة 563هـ (راجع : **وفيات الأعيان**، 204/3؛ **جامع كرامات الأولياء**، 101/2؛ **سلوة الأنفاس**، 70/3).

(58) يستبعد الكتاني أيضا أن يكون صاحب الترجمة قد أخذ عن ضياء الدين، لأن ضياء الدين لم يبلغ آنذاك عشرين سنة، ويحتمل أن يكون أخذ عنه فيما بعد.

° ترجمته أيضا في : **القرطاس**، ص. 266؛ **الديباج المذهب**، ص. 198؛ أحمد باب التنبكتي، **اللآلئ السندسية**، ص. 133؛ **مرآة المحاسن**، ص. 200؛ **سلوة الأنفاس**، 71/3؛ **الإعلام**، 49/9؛ **شجرة النور**، 162/1؛ **الفكر السامي**، 224/2؛ **الإستقصا**، 200/2.

أزهد منه، اجتمعت فيه خصال ما اجتمعت في غيره، الفقه في المسائل والفقه في الحديث ومعرفة التفسير والتصوف، وأما الكلام على الرعاية وكلام المحاسبي[59] فلم يخلفه مثله في ذلك مع الورع والزهد في الدنيا والتخشن في الملبس والسماحة وحسن الخلق، طلق الوجه، سالم الصدر، اجتمعت القلوب على محبته، يهابه كل من لقيه، يقبل على الصغير والكبير، ويجيب من دعاه، لا يحقد على أحد ولا يتعاظم عليه. وكان، رحمه الله، يصل قرابته وجيرانه وسائر الناس، وكان يقصد من البلدان للقراءة عليه، وكان، رحمه الله، ممن تنزه عن الدنيا وتركها اختيارا.

أخبرني الشيخ أبو عبد الله محمد ابن أخيه الفقيه أبي القاسم وغير واحد من أهل البلد، أنه كان سبب تركه للدنيا وزهده فيها أنهما اتفقا على قسمة التركة المذكورة التي ورثاها عن أبيهما، رحمه الله، فلما قام الفقيه أبو الحسن بالليل لورده، جال خاطره في التركة وما يأخذ منها لنفسه وما يترك حتى لم يدر ما صلى، [و][60] اشتغل سره بذلك، فلما أصبح بعث لأخيه أبي القاسم المذكور وقال له : أحضر الشهود حتى أتصدق عليك بميراثي في أبي، فقال له : لا تفعل. فقال له : لئن لم تفعل ذلك لأتصدقن به على الجذماء. فلما رأى عزمه على ذلك أحضر الشهود وتصدق عليه بميراثه وقبل ذلك منه.

قال أبو عبد الله التميمي بعد ذكر ما تقدم : هذا يدل على سعة علمه ومعرفته بالله تعالى لأن العارف بالله يراعي قلبه ويفتقده، فإذا وجد فيه شيئا من الِاشتغال بأمر الدنيا بادر إلى نزعه من قلبه حتى يقبل على صلاته ومناجاة مولاه وهو فارغ القلب لأنه قد روي في الحديث (أن الله تعالى مقبل على العبد في صلاته ما كان مقبلا عليه بقلبه)[61] فإذا سرح قلبه في أودية الدنيا أعرض الله عنه.

قال التميمي : وكان، رحمه الله، خشن الملبس، كان يلبس في الصيف دراعة قطن مصبوغة وطاقية، ومئزرا قصيرا على رأسه، ويزيد في الشتاء دراعة ثانية من قطن. وكنت أدخل إليه في بيته الذي [كان][62] يستريح فيه ويدخل إليه فيه الطلبة ومن له

(59) الحارث بن أسد المحاسبي، صوفي زاهد له كتاب «**الرعاية لحقوق الله والقيام بها**»، طبع بالقاهرة سنة 1958.

(60) زيادة في ك1.

(61) يوجد معناه في سنن أبي داوود، كتاب **الصلاة**، باب الِالتفات في الصلاة.

(62) زيادة في م.

حاجة في سؤال، وكان في وسط البيت حصير لا غير، وفي ناحية منه سجادة وعليها حصير حلفا، وفوق الحصير عباءة خشنة جدا كان ينام فيها. وتأملت أحواله، رحمه الله، فإذا به لا يأخذ من الدنيا إلا المهم الضروري، ولو شاء لكانت تعد له الفرش اللينة، لكنه رحمه الله، لما بلغه أن رسول الله ﷺ، كان كثيرا ما يأمر أصحابه بالتصبر على المكاره وعلى خشن المطعم وخشن الملبس، أخذ نفسه بذلك، رحمه الله.

قال رحمه الله : إني كنت لما اجتمعت مع الطلبة في مسجد أبي جعفر بالقلعة ويقرأ علي، ذكر بعض الطلبة أنه يحضر [المجلس][63] رجل أول الناس لا يسبقه أحد، وهو آخر من يخرج منه، يجلس ورأسه تحته لا يكلم أحدا. فقال لهم : إذا كان في المجلس أشيروا إلي. فلما حضروا في المجلس[64] على عادتهم أشار إليه بعضهم، فقال الشيخ لمن يليه من الطلبة : يقع لي أنه من مومني الجن، فإياكم أن تتعرضوا له بشيء من كلام أو غيره. فلما انقضى المجلس لم يمتثل الطلبة ما أمرهم به الشيخ، بل كانت توصيته لهم إغراء. فقعد له بعضهم في الطريق على باب المسجد، ووقفوا له في مواضع في الطريق، فلما خرج من المسجد مشى بعضهم أمامه وبعضهم عن يمينه وعن يساره وبعضهم خلفه، واكتنفوه من جميع الجهات، فلما مشى قليلا عن المسجد حجب عنهم [وطلبوه فلم يجدوه][65] ولم يعرفوا أين أخذ، فرجعوا إلى الشيخ فأخبروه بما جرى فقال لهم : أسأتم في فعلكم، فلن تروه أبدا. فلما كان بعد مدة جاءتني رفروفة من هذا المتوفى، رحمه الله، يقول لي : يا فقيه، [كان رجل من إخواننا من مومني][66] الجن يحضر مجلسك وينقل إلينا ذلك في كل يوم، فكنا ننتفع بذلك، فتعرض له بعض أصحابك، وهم لا يحتملون من يتكشف عليهم، فانقطع عن حضور مجلسك وانقطعت عنا بركة مجلسك.

قال المؤلف التميمي : أخبرني الشيخ أبو عبد الله محمد ابن أخي أبي الحسن المذكور، رحمه الله، أن عمه كان من خواص أصحابه الفقيه محمد بن عبود، وكان من أعيان مدينة فاس، حرسها الله، ومن أهل اليسار، قال : جاء ابن عبود للشيخ أبي الحسن فقال له : يا فقيه، وصل من المشرق رجل من أهل العلم والفضل لم ير

(63) زيادة في ك1.
(64) في م وك1 : المسجد.
(65) زيادة في ك2.
(66) زيادة في م.

مثله، وقد أخرجته للجنان اليوم وأحب أن تحضر معه، فقال له : نعمة وكرامة، فمشى معه إلى الجنان، وكان الجنان خارج باب بني مسافر من عدوة الأندلس، وكان ابن عبود لما وصل إلى الجنان مع الرجل المشرقي أعلمه أنه يمشي للفقيه أبي الحسن، ويرغب إليه أن يصل إلى الجنان ويجتمعا فيه، فوصل إليه وأعلمه بذلك فأجابه لسؤاله، قال : فدخل الفقيه الجنان، فلما فتح باب الجنان فإذا بالشيخ المشرقي مستندا إلى شجرة مقابلة للباب ينتظر وصول الفقيه، فلما وصل ووقع بصره عليه جلس عند الباب ولم يدخل فقال له ابن عبود : ادخل يا فقيه، فقال له : لا أدخل ولا أمشي إليه حتى يأتيني ويسلم علي، فعظم ذلك على ابن عبود وقال له : رجل من أهل العلم غريب لا تصل إليه؟ فقال له : هو رجل حلال. قال : فقام الرجل المشرقي ومشى إلى الفقيه وسلم عليه وقبله برأسه وبيده، فنظر إليه وتفرس فيه فقال له : أنت رجل حلال؟ فقال له : نعم. فقال : بأي شيء أردت أن تتحلل عليه؟ فقال له : بعمل الكيمياء. فقال ابن عبود : كم نويت أن تعطيه في ضيافته؟ فقال : عشرة دنانير. قال له : أضعفها له، ففعل ذلك وأعطاها له وانصرف الرجل بعد اعترافه على نفسه بما تفرس فيه الفقيه، وأخباره في هذا كثيرة.

أخبرني بعض أصحابنا ممن يوثق به عمن حدثه قال : كنت عند الفقيه أبي الحسن يوما، فجاءه رجل من أهل مكناسة فقال له : يا فقيه، عندي صبي من أربعة أعوام ولم يتكلم قط بكلمة، فأدع الله له، فقال له : أطلق الله لسانه. وكان ذلك بعد صلاة العصر، فرجع الرجل المذكور إلى مكناسة ثاني يوم بدعائه، فتلقاه الناس يهنونه بكلام ابنه أمس بعد صلاة العصر فقال لهم : في ذلك الوقت دعا له الشيخ، رحمه الله.

وجاءه إنسان فقال له : يا فقيه، فلان توعدني بشر، وأخشى أن يؤذيني عند أهل الأمر، فقال له، رضي الله عنه، أشغله الله بنفسه، فبقي ذلك الرجل المدعو عليه نحوا [من][67] خمس وعشرين سنة ما تزول عنه نكبة حتى يقع في أخرى، معلل الجسم حتى توفي.

أخبرني الشيخ أبو الحجاج يوسف بن علي صديقنا، والرجل الصالح الفاضل الخطيب أبو عمران موسى بن إبراهيم، رحمهما الله، قالا : سمعنا الشيخ أبا الحسن،

(67) سقط من ك2.

رحمه الله، يقول : رأيت الحق سبحانه في المنام وعليه مسوح، ورأيت بالحضرة جماعة منهم من أعرف، فكان يقطع من تلك المسوح ويلقي لكل من حضر واحد بعد واحد، فيقع بقلبي أن ذلك الذي يعطي هي الدنيا التي حجبت عنه، فيقطع من تلك المسوح ليعطيني فيقول لي : يا فقيه، فنقول : يا رب، كفاني أن سميتني فقيها لا أحتاج إلى غير ذلك، كفاني منك ذلك يا رب.

أخبرني الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن الفقيه أبي القاسم بن حرزهم أن امرأة جاءت إلى الشيخ أبي الحسن فقالت له : سرق بيتي ولم يبق لي فيه شيء، فقال لها : أعرف السارق أنا تقولي لي[68] ذلك (كذا). فقالت له : قد قلت لك ذلك، فقال لها : فاسمعي مني ما أقول لك، إذا كانت الليلة فنامي على طهارة بعد صلاة [العشاء][69]، فما رأيت في النوم فأخبريني به غدا إنشاء الله. فلما أصبحت [وطلع النهار][70] جاءت إليه فقالت : رأيت كأن ديكا نقرني، فقال : المؤذن أخذ متاعك. فبعث إليه فقال له : ما معنا ثالث من الآدميين، فرد متاعها في خفية وإلا كتبت للقاضي في أمرك. فاعترف المؤذن بمتاع المرأة ورد ذلك إليها.

أخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشريشي، رحمه الله، قال : سمعت الفقيه أبا الحسن، يعني ابن حرزهم، يقول : كنت حين كوني أعمل المجلس بمسجد أبي جعفر ليلة، وخبرت نفسي من دقائق العلوم وأسرارها وقلت : أسمع الناس غدا إنشاء الله كلاما لم يسمع من أحد قبلي، وتأهبت لذلك، فلما أصبح، احتبست عن المجلس حتى علمت أن المجلس قد غص بالناس ثم أتيته، فوجدته قد احتفل، فلما أردت أن أتكلم لم أجد في نفسي حرفا واحدا مما كنت قد رويته، والناس قد أوموا إلي بأبصارهم، فلما رأيت ذلك من نفسي وضعت جنبي كأني قد أخذني وجع، ثم فكرت في السبب في ذلك، فإذا هو ما خطر ببالي. فتبت إلى الله من ذلك، ثم نظرت إلى الناس فوقعت عيني على شخص ورأسه تحته، فرفع رأسه ونظر إلي ونظرت إليه، ثم عاد إلى حالته، ثم رجعت إلى حالتي ففتح الله علي كل ما كنت أعددته ورويته، وثم المجلس وقام الرجل الذي نظرت إليه، وكان الخضر عليه السلام.

(68) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب : إن تقولي لي ذلك.

(69) زيادة في ك2.

(70) زيادة في ك1 وك2.

أخبرني أبو القاسم عبد الرحمان بن عمر عمن حدثه، أن رجلا من أهل فاس سأل من الفقيه أبي الحسن بن حرزهم أن يبيت عنده، فأجابه لذلك وبات عنده، وكان في الدار التي بات فيها الفقيه امرأة لها مدة أعوام مريضة مقعدة من أوجاع بوركيها، فلما أصبح الصباح خرج الفقيه وشيعه صاحب الدار، فلما رجع صاحب الدار من تشييعه دخل منزله فوجد المرأة المريضة المقعدة قائمة على قدميها فقال لها : ما هذا؟ وما السبب في عافيتك ؟ فقالت : لما سمعت بالفقيه أبي الحسن أنه بات في موضعنا رفعت يدي إلى الله وقلت : اللهم إني أسألك بكرامة هذا الفقيه عندك أن تعافيني مما أنا فيه. فلما أصبحت وجدت في نفسي خفة، فقمت وتصرفت وليس بي ألم والحمد لله.

أخبرني أبو القاسم عبد الرحمان بن عمر أن امرأة جاءت إلى الفقيه أبي الحسن، فذكرت له أن ولدا لها أخذ مع أقوام وسجنوا جميعا، وخافت عليه أن يضرب، فلعلك تكلم القاضي في ذلك، فقال لها : أفعل إن شاء الله. فلما كان من الغد أخرج ولدها ومن كان معه في السجن وضرب كل واحد منهم، فلما جاءت النوبة (كذا) إلى ولدها أطلق بلا ضرب، فجاءت المرأة إليه تشكر له على ذلك. وما كلم القاضي في ذلك، ولا كانت عادته، وإنما سأل الله تعالى في ذلك.

أخبرني الشيخ أبو الحسن علي بن الحسين الزرهوني قال : لما كان بإثر دخولي فاس، كان الفقيه أبو الحسن يجلس في المسجد الجامع من عدوة القرويين، فجاءه محتسب البلد وقال له : ما هذا وقت جلوسك في الجامع، فإنا نخاف عليك، فقال له الفقيه أبو الحسن : لو نزلت نار من السماء لنجوت منها لأني رأيت رؤيا أمنتني، فسئل عن الرؤيا فقال : رأيت القيامة قد قامت وحشر الناس للحساب فنودي باسمي وقيل لي : قد فعلت كذا، لشيء فعلته، فلم أجب المنادي حتى نادى ثلاث مرات، فقلت : ما للسكوت معنى. فقلت : ما فعلت، ما فعلت استخفافا بحقك ولا تهاونا، وإنما فعلت ذلك بغلبة القضاء السابق، فقال : سل حاجتك، فقلت له : أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. فقال لي : قد فعلت.

أخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن علي، رحمه الله، قال : سمعت الفقيه، يعني ابن حرزهم رحمه الله، يقول : كنت مارا في بعض الطرق وصبيان يلعبون، فضرب صبي منهم رجلي، فعظم علي، فصحت عليه وأغلظت له في القول، ثم سرت وتركته، وإذا

بسائل يسأل شيئا لله، فنزع مئزره من على رأسه ودفعه للسائل، فسأله بعض من حضر عن فعله ذلك، إذ لم يكن له غيره، قال رحمه الله : لا يجمع الله في مومن سوء الخلق والبخل.

أخبرني الفقيه أبو محمد قاسم الشريف عن الشيخ أبي الحسن، أن رجلا من أصحابه كان يدل عليه. قال أبو الحسن : فمشيت إليه يوما للجنان، فدخلت الجنان فرأيت شخص امرأة ما رأيت أقبح صورة منها فقلت : اللهم أقلعها، فأقامت أياما وتوفيت، وإذا هي ابنة الرجل صديقي.

قال أبو الحسن : وكنت بعد ذلك أدخل عليه، فرأيت يوما من الأيام مع امرأته صبية صغيرة فقالت لي : أمهل يا فقيه، لا تدع عليها عسى تعيش تفل (كذا) لي رأسي.

وأخبرني غير واحد من أهل البلد ممن له معرفة، أن إجابة الدعاء في أجداده وقرابته من أبيه معروفة فيهم، وكانوا كلهم من أهل الفضل والصلاح والدين والورع. وكان الفقيه أبو الحسن يقول : في الشهر الفلاني من عام كذا أموت، وسمعت أنا ذلك منه. وتوفي، رحمه الله، بمدينة فاس عام تسعة وخمسين وخمسمائة.

وأخبرني غير واحد من أهل البلد أن اليوم الذي توفي فيه كان بعض أصحابه دعاه إلى منزله وتغذى عنده، ثم خرج من عنده ودخل الحمام على عادته، وكان من عادته أن يدخل الحمام في كل يوم، ثم خرج من الحمام، وأتى منزله، فدخل بيته واستلقى على فراشه، فلما حان وقت الظهر، أتى إليه بعض الطلبة ليوقظه للصلاة فوجده ميتا، رحمه الله. انتهى كلام الشيخ أبي عبد الله التميمي، رحمه الله، مختصرا. ولم يذكر موضع ضريحه[71] وهو ظاهر معلوم خارج باب الفتوح من مدينة فاس وأشهر من أن يبين، رضي الله عنه ونفعنا ببركاته، آمين بمنه وكرمه.

قال أبو العباس أحمد بن الخطيب شهر بابن قنفد[72] في «**أنس الفقير وعز**

(71) يوجد ضريحه بالقرب من العين التي تنسب له خارج باب الفتوح وهي التي يقصدها الناس للإستشفاء (راجع : Camille Mauclair, **Fès Ville Sainte**, p. 122).

(72) عالم صوفي وخطيب مشارك، ولد بمدينة قسنطينة حوالي سنة 740هـ، نشأ في وسط يسوده الإهتمام بالعلم والأدب، رحل إلى فاس حيث أخذ عن علمائها، له تآليف في مواضيع مختلفة منها تأليفه هذا في التصوف. توفي سنة 810هـ (راجع ترجمته في مقدمة كتاب **أنس الفقير**؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 154؛ **شجرة النور**، 250/1؛ ومقدمة كتاب **ألف سنة من الوفيات**).

الحقير»: وقد ألف بعضهم تأليفا حسنا في التعريف به وذكر فضائله وعلمه وكرامته. ومن أخباره أنه قدم مراكش، فاستدعاه بعض أمراء صنهاجة[73] ليقرأ عليه، فأجابه إلى ذلك، فجلس الأمير على السرير، وجلس أبو الحسن تحته، فقال له أبو الحسن: هكذا تفعل مع أشياخك؟ فقال له : نعم، فقال أبو الحسن : أنا هو الذي أكون على السرير وتنزل أنت إلى مكاني، وهذا من أدب المتعلم مع المعلم، قال الأمير: نعم. فنزل الأمير إلى الأرض وجلس أبو الحسن على السرير ولازمه؛ وما زال يأخذه بسلوك الطريق والتضييق، فلم يجد الأمير ما يقتات به إلا ما يدفع له بعض التجار عن طيب نفس. وبلغ الأمير ببركته النهاية من مقام الورع، وهذا من بركته، رضي الله عنه.

وقد عرف به الشيخ أبو عبد الله الساحلي في «**بغية السالك**» فقال : وأما الشيخ أبو الحسن بن حرزهم فهو علي بن حرزهم بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله ابن حرزهم، كذا ذكره صاحب «**التشوف**»[74] ورأيته بخط أهل العناية بالضبط والتصحيح : ابن حرازم، الأول عندي أصوب، من أهل مدينة فاس، كان عالما فقيها محدثا حافظا مدرسا زاهدا في الدنيا، سالكا في طريق القوم سبيل أهل التحقيق، له مشاركة في العلوم الشرعية، لكنه أميل للعلوم الباطنية، أحكم كتاب «**إحياء علوم الدين**» وضبط مسائله، فكان يستحسنه ويثني عليه، وخرج عن الدنيا وأسبابها وتجرد للعبادة والزهد. ورد عليه الشيخ أبو مدين[75] بفاس، فصار يتردد إلى مجلسه في طلب العلم وإلى مجلس غيره، قال أبو مدين : فكنت كلما سمعت من الشيخ أبي الحسن يعلق بقلبي فأنتفع به، وما أسمعه من غيره لا يعلق بقلبي، فذكرت ذلك للشيخ فقال : إن الكلام إذا خرج عن صدق من القلب صادف القلب فانتفع به، قال : ولازمته وانتفعت به.

ذكر أنه دعا لبعض أصحابه[76] بالعفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

---

(73) يقصد بها لمتونة، وهي إحدى قبائل صنهاجة وأكبر قبائل الملثمين الذين إليهم ينتسب ملوك الدولة المرابطية (راجع **قبائل المغرب**، ص. 332).

(74) راجع الهامش 537.

(75) الفقيه الصوفي شعيب بن الحسين الأنصاري، يعرف بأبي مدين الغوث، أندلسي الأصل ينتمي لأحواز إشبيلية، قدم فاساً فأخذ عن علمائها وصحب خلال إقامته بها الشيخ أبي يعزى، ولد سنة 815هـ وتوفي بناحية تلمسان حوالي سنة 580هـ (راجع ترجمته في **القرطاس**، ص. 269؛ ابن قنفد، **شرف الطالب**، ص. 67؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 530؛ **شجرة النور**، 164/1).

(76) في التشوف : خديمه أبو قرن.

فقال له : رأيت رب العزة في المنام فقال لي : ما حاجتك؟ فقلت : أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. فقال : قد فعلت. ثم قال : فما أبالي بشيء يتقى، فإن رب العزة قد أمنني ولذلك دعوت لك بهذا الدعاء. قال المدعو له : والله ما نالني قط مكروه بعد ذلك الدعاء بحمد الله، ولقد وجدت بركة دعاء الشيخ لي بذلك الدعاء.

رحل إلى مراكش فدرس بها العلم وتوب بها ناسا وزهد أميرها في الدنيا وكثر أتباعه وتلاميذه، وأخذ عنه ناس هذا الطريق ففتح لهم، من جملتهم الشيخ أبو مدين الشهير التربة بأحواز تلمسان، سلك على يديه مع أبي عبد الله التاودي، فنجبا ونفذا وكانا أخوين في طريق شيخهما، إمامين فاضلين عارفين. ولأبي مدين في طريق القوم تآليف وتقييدات، وله حكايات وكرامات، وهو حسنة من حسنات الشيخ أبي الحسن بن حرزهم؛ له أشياخ عدة، لكن اعتماده في طريق التربية والعلم على عمه أبي محمد واسمه صالح، وشيخه أبي بكر بن العربي.

نعيت للشيخ أبي الحسن نفسه فكان يقول : لن أصوم شهر رمضان الآتي. قال : فلما كان في بعض الأيام قصد صاحبا له فقال له : قدم لي طعاما آكله فإن طعامك حلال. فقدم له خبزا ولبنا فأكل، ثم خرج فدخل الحمام وقال لخدمة الحمام : لم يبق لكم من خدمتي إلا هذا اليوم، قال : فلما خرج من الحمام أتى منزله فأقام[77] على فراشه [مستلقيا][78] فلما حان وقت صلاة العصر[79] أتاه بعض تلامذته ليوقظه للصلاة فوجده ميتا. فدفن بفاس، رحمة الله عليه، وقبره مشهور بها اتخذه أهل فاس مزارا يتبركون به. توفي في أخريات شعبان سنة تسع وخمسين وخمسمائة، رحمة الله عليه. هذا كلام الساحلي، رضي الله عنه، وقد حذفت منه حكاية واحدة لتكررها مع ما تقدم.

وقد عرف بالشيخ ابن حرزهم أيضا الشيخ أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي[80] رحمه الله، في كتاب «**التشوف**» وأطال فيه كالتميمي. قال التادلي بعد

(77) في ك1 : فنام.

(78) سقط من ك1، وفي **التشوف** : مستقبلا.

(79) في ك1 : الظهر.

(80) الفقيه الصوفي الأديب، عرف بابن الزيات، ولي خطة القضاء بناحية رَكَراكَة حيث توفي حوالي سنة 628هـ. له إلى جانب كتابه «**التشوف**» تأليف آخر في صلحاء المغرب (راجع ترجمته في مقدمة كتاب **التشوف**؛ أحمد بابا، **كفاية المحتاج**، ص. 451؛ **مؤرخو الشرفاء**، ص. 152 وص. 167).

وأدخل فيها حماره، فلما صلى العتمة نام، فلما كان السحر قام أهل الرابطة وهم بين ذاكر ومصل وباك، والعشاب نائم، فجاءه رجل فأيقظه وقال له : قم، ولا تكن كحمارك تنام الليل كله غافلا، وتوضأ وصَلِّ واذكر الله تعالى. فخرج من الرابطة ليتوضأ في العين، فوجد الأسد، فرجع مرعوبا وأخبر ذلك الرجل، فرجع معه، فتقدم إلى الأسد وفتل أذنيه وضربه بالقضيب وقال له : ألم أقل لك لا تروع أصحابي؟ ففر الأسد أمامه، فتوضأ العشاب وصلى إلى طلوع الفجر، فركب حماره إلى أن وصل منزله، فطرح به عشبه وذهب إلى أبي الحسن ليخبره، فلما دخل من باب المسجد ابتدأه أبو الحسن وقال : جئتني تعرفني بما شهدت من عابد الرابطة مع الأسد. أقام في مكان خال لا يشاهد فيه فتنة وظن أنه جاء بشيء، لو أقام بفاس حيث يعاين المحاجر الزرق عن الأعين البلى لعلم هل يصبر أم لا.

ذر الدنيا وإن راقتك حسنا ولا تغررك ربات الحجال[87]
[فليست فتنة في الأرض تخشى أضر من النساء على الرجال][88]

سمعت أحمد بن عيسى الأنصاري، سمعت عليا السكاك المعروف بالوالي، وكان خادما[89] لأبي الحسن، يقول : حضرت مجلس أبي الحسن يوما فظهر لي عليه التغير ولم يتكلم بكلام يسير فسألته، فذكر لي أن زوجته طلبت منه كسوة تحضر بها عرس أخيها، وسمت له ما تحتاجه من كسوة، فاشتغل سره[90] بذلك. قال : فبينما هو جالس ذات يوم إذ وقف عليه رجل أندلسي، فقال لي : يا علي، قم مع هذا الرجل وخذ ما جاء به وادفعه في الدار. فقمت معه، فناولني مزودا فيه ثياب فدفعته في الدار، ورأيت الرجل يتعجب فسألته فقال لي : أنا رجل من أهل إشبيلية، نظرت لأهلي كسوة على عادتي في كل عام، فلما أتيتها بها كرهتها، فرفعتها لأنظر في غيرها، فنمت الليل، فأتاني آت في نومي وقال لي : إبعث بهذه الكسوة إلى ابن حرزهم بفاس، فتغافلت عن ذلك فقال لي في الليلة الثانية مثل ذلك، فقوي الأمر عندي ونظرت من يوصلها إليه فلم أجده، فأتاني في الليلة الثالثة وبيده حربة فقال لي : لئن لم تبعث ما أمرتك به لأخرجن هذه الحربة من ظهرك، فلما أصبحت رأيت أن أحملها بنفسي

(87) من الوافر.

(88) زيادة في م.

(89) في **التشوف** : خديما.

(90) في ك1 : قلبه.

وأشاهد هذا الرجل. فلما وقفت على حلقته أمرك بأخذ الثياب مني، وما أوصلني إلى فاس إلا هذا السبب، ثم رجع من فوره. وقال لي غير أبي العباس. قال علي : فسألت أبا الحسن من أين علم أن هذا الرجل جاءه بكسوة. فقال لي : رأيت النبي، ﷺ، في النوم فأخبرني بذلك، رضي الله عنه ونفعنا به، آمين.

أخذ، رضي الله عنه، طريق القوم عن عمه الشيخ أبي محمد صالح بن حرزهم وهو عن الشيخ القاضي وجيه الدين أبي حفص عمر السهروردي، عن والده الشيخ أبي عبد الله محمد، والشيخ أخي فرج الزنجاني. فأما والده الشيخ أبو عبد الله بن محمد فعن والده الشيخ أبي محمد عبد الله عموية والشيخ أبو العباس أحمد الدينوري الأسود وغيرهما. فأما الشيخ عبد الله عموية فعن والده الشيخ سعد عن والده الحسين عن والده القاسم عن والده النضر عن والده القاسم عن والده محمد عن والده عبد الله عن والده عبد الرحمان عن والده القاسم عن والده محمد عن والده أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وغير واحد من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين. وأخذ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أيضا، عن عمته عائشة، رضي الله عنها، وجدته أسماء بنت عميس وابن عباس وغيرهم من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين. وأما أبو العباس أحمد الدينوري فأخذ عن جماعة من المشايخ منهم الشيخ أبو علي ممشاذ الدينوري والشيخ أبو محمد أحمد الجريري. فأما ممشاذ فعن عدة من المشايخ منهم الجنيد. أما الجريري فعن جملة من الشيوخ منهم الجنيد أيضا، وهو عمدته، وإليه ينتسب، وشيخه السري السقطي وسهل بن عبد الله التستري، ثم التستري أخذ عن خاله محمد بن سوار وأبي النجيب حمزة بن عبد الله العباداني، ولا أعرف سندهما، ولقي التستري ذا النون المصري بمكة. وروى ابن سوار الحديث عن جعفر بن سليمان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك، رضي الله عنه. وأما الشيخ أخي فرج الزنجاني فأخذ عن الشيخ أبي العباس النهاوندي عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن خفيف وهو عن جماعة منهم : الجنيد، وأبو محمد الجريري، والقاضي أبو محمد رؤيم، والحسين بن منصور الحلاج، وأبو حامد الحذاء. فأما الجريري ورؤيم والحلاج فعن الجنيد. وأما أبو حامد الحذاء فعن أبي عمرو الأصطخري عن الشيخ أبي تراب النخشبي عن الشيخ أبي عبد الرحمان حاتم الأصم عن الشيخ أبي علي شقيق البلخي. وأخذ الشيخ أبا تراب أيضا عن شقيق بلا واسطة وزار معه الشيخ أبا يزيد البسطامي، ثم شقيق عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن أدهم وعن الشيخ أبي محمد عبد العزيز بن أبي رواد،

وهو عن جملة تابعي التابعين، يروي الحديث عن نافع عن ابن عمر، رضي الله عنه. أما الشيخ إبراهيم بن أدهم فأخذ عن جماعة من الشيوخ منهم : الشيخ أبو عمران موسى بن عبد الله ويقال ابن زيد الراعي والشيخ أبو علي الفضيل بن عياض وسفيان الثوري وداوود البلخي، وعلمه إسم الله العظيم الأعظم ولقي الخضر عليه السلام. فأما موسى بن عبد الله الراعي فعن السيد الجليل أبي محمد أويس القرني وهو عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وأمير المومنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما. وأما الفضيل بن عياض فعن جماعة منهم سليمان بن مهران الأعمش، ويونس بن عبيد ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب وهشام بن حسان وأبان بن أبي عياش وحصين بن عبد الرحمان الأعور وغيرهم من التابعين ومن أصحاب السيد الحسن البصري، رضي الله عنهم أجمعين. وأما سفيان الثوري فعن غير واحد منهم : منصور بن المعتز وهو عن إبراهيم النخعي وهو عن جماعة منهم خاله علقمة بن قيس والأسود بن يزيد وعبيدة بن عمرو السلماني، وثلاثتهم عن ابن مسعود رضي الله عنه. وأخذ عبيدة بن عمرو أيضا عن سيدنا علي، رضي الله عنه. وأما داوود الطائي فلا أعرف سنده. وأما ما يذكر كثيرا في التآليف أن الشيخ علي بن حرزهم أخذ عن القاضي أبي بكر بن العربي عن الشيخ أبي حامد الغزالي عن إمام الحرمين عن أبي القاسم القشيري فقد صرح صاحب «**النبذة المفيدة**»، أن ابن حرزهم إنما أخذ عن أبي بكر بن العربي العلم الظاهر، وشيخه الحقيقي هو عمه أبو محمد صالح بن حرزهم، وكذا ابن العربي لم يأخذ عن الغزالي إلا العلم الظاهر، والغزالي عن إمام الحرمين، إنما أخذ عنه العلم الظاهر أيضا. ثم رأيت سيدي طاهر بن زيان صرح بأن هذا السند في لبس الخرقة ثم قال : وسمي سند التبرك، وهو لبس الخرقة تبركا.

يحيى بن علال العمري *

ومنهم الشيخ أبو زكرياء يحيى بن علال العمري دفين خارج باب الفتوح. عرف به السيد الجليل العالم أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد الفاسي في كتابه «**ممتع الأسماع**» فقال : هو من جلة أصحاب الشيخ التباع وكبارهم وذوي الرسوخ في الولاية والعرفان، ومن أعيان الصدور من المشايخ وصدور الأعيان.

* ترجمته أيضا في : **مرآة المحاسن**، ص. 190؛ **المقصد الأحمد**، ص. 298؛ **سلوة الأنفاس**، 66/3 وفيها ورد أنه ولد سنة 863هـ.

ووصفه في «**الدوحة**» بالمتفق على فضله وصلاحه، ثم قال : كان، رحمه الله سيدا فاضلا، مرتكبا الجادة في طريق معاملة الحق سبحانه، وكانت زاويته بموضع يقال له تيزغوين(91) من بلاد أزغار(92)، وكان له مسجد حفر في محرابه قبرا إذا وجد من نفسه فترة دخل ذلك القبر ومد نفسه فيه كالميت، ويبيت فيه يعاتب نفسه طول ليله. ولما حان أجله قال لأصحابه : يا معشر الفقراء، إنا عازمون على الرحيل، إن شاء الله تعالى، فاشتغلوا بالتأهب لحمل أثقالهم والاِستعداد لظعنهم ظنا منهم أنه يريد الرحيل الحسي بالأهل والأولاد إلى غير ذلك الموضع، فحضر أجله في ذلك الوقت، وأوصى بأن يدفن بباب الفتوح من مدينة فاس، وأن لا يبنى على قبره، فحمله أصحابه بعد موته إلى فاس وباتوا به ليلة وصولهم، فلما أصبح ذهبوا إلى باب الفتوح واشتغلوا بحفر قبره ومواراته، ولم يتعرضوا لتعريف أحد، فصاح صائح بالمدينة أن الشيخ يحيى ابن علال يدفن اليوم بباب الفتوح، فخرج الناس أفواجا من كل ناحية، نساء ورجالا، فسمع السلطان أبو العباس أحمد المريني بذلك، فركب لوقته هو وجميع الأمراء والفقهاء والصلحاء، فحضروا لدفنه، وتزاحم الناس على جنازته حتى كاد يقتل بعضهم بعضا، وتقاسموا أعواد نعشه تبركا به لما يعلمون من فضله وصلاحه. وتوفي، رحمه الله، أواسط العشرة الخامسة، يعني من القرن العاشر، انتهى.

ويقال إنه قال لهم ادفنوني بباب الفتوح على طريق الحجاج(93)، فدفنوه على مقربة من روضة سيدي علي بن حرزهم إلى جهة باب الفتوح.

ويذكر من كراماته، رضي الله عنه، أنه كان مارا يوما ببركة ماء ومعه إنسان، فتكلموا في كرامات الأولياء فقال ذلك الإنسان : ما بقي ولي ولا كرامة في هذا الزمان أو نحو هذا. فقال الشيخ : انظر، كل ما يموت في هذه البركة على رقبتك، فبصق فيها، فإذا هي تضطرم نارا، واحترق جميع ما فيها من حيوانات الماء.

ومما حضرني من كلامه، رضي الله عنه، إذ قال بعد أن حض على التجرد من كل ما يشغل القلب عن الله عز وجل ما نصه : إنما يدعى بالأسماء، كما أمر الله تبارك

(91) في النسخة المحققة من **دوحة الناشر**، تزغري.

(92) منطقة سهلية تمتد شمال مدينة فاس، ويخترقها وادي سبو (راجع الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، 233/1).

(93) قبل أن يخرج الحجاج من فاس في اتجاه الحجاز كانوا يجتمعون داخل باب الفتوح برأس القليعة ومن ثم ينطلق الركب في اتجاه تازة ومنها عبر الصحراء الشرقية إلى ليبيا ثم مصر في مسالك حددتها الرحلات المغربية (راجع **مذكرات من التراث المغربي**، 40/3).

وتعالى، لإظهار الفاقة عبودية لله عز وجل للمضطرين، وأصحاب الفاقة، بالأسماء اللائقة بأحوالهم المطابقة لحوائجهم، لأن لا يجهلوا عند ذلك ما يدعون به من أسماء الله ويدعون بغيرها، فأمرهم الله عز وجل أن يدعوه ويسألوه بأسمائه الكريمة اللائقة بمطالبهم في أوقات الضرورة وطلب الحاجة رحمة منه على عباده. دلهم بذلك على معرفة أسمائه وكيف يسألونه على حسب أحوالهم فقال : ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾(94) ولا يكون لهم ذلك دائما شغلا شاغلا حتى يشغلهم عنه، وإنما الواجب الشغل به عن غيره، فإن من وجد الله ما فقد شيئا ومن فقد الله ما وجد شيئا، إذ في الله غنى عن كل شيء. وينبغي للشيخ أن يجمع همم المريدين على الحق ويجنبهم من أسباب الفرق وعن جميع المرادات والمهمات، ويكون طلبك للحق بهذا المعنى من قلبك. ثم قال : ولا ينبغي كثرة الإهتمام بالأسماء والدوام على ذلك حتى يشغل عن الله كما يفعله أكثر أصحاب شيوخ أهل هذا الزمان، فذلك مما يسقط به من عين الله لخساسة همته وقناعته بما دون الله وشغله بذلك عنه، فافهم هذه المزلة القاطعة عن الحق سبحانه وتعالى عما يشركون. وقد أشار الشيخ سيدي أبو الحسن لهذا المعنى بقوله : ليس الشيخ من دلك على تعبك، وإنما الشيخ من دلك على راحتك، والراحة عندهم الشغل به وترك كل ما يشغل عنه، والتعب عندهم الإهتمام بغيره. وقيل : من دلّك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على الأعمال فقد أتعبك، يريد الأعمال التي تكون سببا في الفرق، وهو ما يشغلك عن الله عز وجل؛ ومن دلك على الله فقد نصحك، انتهى.

وذكر أن والده سيدي علي بن موسى بن محمد بن يحيى بن سيدي غانم، من أصحاب الشيخ التباع أيضا، قال : وسيدي غانم المذكور هو أبو خصيب المنسوب إليه، وهو بوزن رغيف، وهو من أصحاب سيدي أبي محمد صالح صاحب آسفي، وهو الذي كناه بأبي خصيب، ونسبهم مرفوع بخط صاحب الترجمة إلى سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، انتهى.

وأبو خصيب هو ابن حميد بن صباح بن رافع بن دلج بن حمدان بن محمد بن جراع بن مالك بن عيسى بن جرمون بن أبي مالك إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، هذا الذي ثبت بخط صاحب الترجمة سيدي يحيى. قال : ونسيت إثنين أو ثلاثة من عددهم.

(94) آية : 180 من سورة الأعراف.

قال الشيخ أبو العباس أحمد بن سيدي يوسف الفاسي(95)، رحمه الله : يريد أن الساقط بين أبو مالك وعمر: والظاهر عندي أن الساقط أكثر كما هو المعهود في الأنساب لغيره، والله أعلم، انتهى.

وفي بعض الأنساب : أبو مالك بن محمد بن داوود بن محمد بن دلج بن سالم بن عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، وكانت وفاته، رضي الله عنه، على ما ذكره بعض الفقهاء، بعد عصر يوم الأحد منسلخ ربيع الثاني سنة خمس وأربعين وتسعمائة. وأخذ رضي الله عنه، كما تقدم، عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز بن عبد الحق الحرار، المعروف بالتباع، عن الشيخ القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي صاحب «**دلائل الخيرات**»، رضي الله عنه ونفعنا به، آمين.

* علي بن أحمد الصنهاجي

ومنهم الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي دفين خارج باب الفتوح. قال الفقيه المؤرخ أبو عبد الله بن عسكر(96) في «**دوحة الناشر**»: كان، رحمه الله تعالى، من عباد الله الصالحين، وولايته عند أهل فاس قطعية كفلق الصبح، وكان بهلولا مجذوبا على طريق الملامتية تعتريه أحوال الجذب في كل حين، وليس له أهل ولا قرار، يخبر بالمغيبات ويكاشف بها من لقيه، لا يلتفت إلى مدح ولا إلى ذم، يدخل ديار ملوك بني مرين، فتلتقيه النساء والأولاد فيقبلون يديه وقدميه فلا يلتفت إلى أحد، ويدفعون إليه الحوائج الرفيعة والدخائر النفيسة، ويلبسه السلطان من أشرف لباسه، فإذا خرج تصدق بجميع ذلك، ويمر على حوانيت الزياتين فيغمس أكمام الحلة التي تكون عليه ويبرقعها بالزيت أو السمن، ولا يزال يدور في بعض الأماكن ويصرخ باسم الجلالة، ولا يعرف أحد له مأوى. وشأنه عظيم عند أهل فاس لما رأوا له من

(95) أحد الحفاظ الثلاثة لكتب الحديث، ولد بالقصر الكبير عام 971هـ ثم رحل إلى فاس حيث أخذ عن علمائها. له تآليف في التصوف والحديث والأدب. توفي بقبيلة مصمودة قرب القصر الكبير سنة 1021هـ (راجع **الحركة الفكرية**، ص. 365).

* ترجمته أيضا في **مرآة المحاسن**، ص. 190؛ عبد الرحمان الفاسي، **ابتهاج القلوب**، ص. 40؛ **الإستقصا**، 158/4؛ **سلوة الأنفاس**، 219/2.

(96) محمد بن علي بن مصباح الشهير بابن عسكر الشفشاوني الأصل، درس بمسقط رأسه وبالقصر الكبير وببعض المراكز البدوية. وتكون تكوينا متينا في الفقه والتصوف والتاريخ، ثم ولي قضاء شفشاون أيام السعديين. توفي في معركة وادي المخازن سنة 986هـ (راجع ترجمته عند ابن القاضي في **لقط الفرائد**، ص. 315؛ **الإعلام**، 154/5؛ **مؤرخو الشرفاء**، ص. 160؛ **الحركة الفكرية**، ص. 423).

الكرامات التي لا تحصى. ولما توفي تساقط الناس على جنازته وتقاسموا أعواد نعشه وسجادته ولباسه. وكانت وفاته في آخر العشرة الخامسة، يعني من القرن العاشر، ودفن خارج باب الفتوح، وحضر السلطان والفقهاء وغيرهم جنازته، رحمة الله عليه. هذا كلام صاحب «**الدوحة**» فيه، رضي الله عنه.

وقال في «**ممتع الأسماع**» : وكان، رضي الله عنه، له صاحب يبيع الزيت والسمن بعين علون[97] من سوق[98] فاس. فكان يأتيه فيعطيه الزيت يريقه على نفسه، فإذا به قد أقيمت عليه بينة، أنه حلف بيمين الزوجة ليحجن العام، وقد ذهب ركب الحجيج[99] ولم يبق مطمع في لحوقه، وتعين عليه فراق زوجه إن مضى وقت الحج، فشق عليه ذلك كثيرا. فبينما هو على حاله تلك مهموما مكروبا إذا بسيدي علي قد أتاه على العادة فكلمه فقال له : إليك عني، ولم يجد فيه مساغا للكلام، فسأله عن حاله فأخبره خبره وما هو فيه فقال له [سيدي علي][100] : لتحجن العام إنشاء الله فليسكن روعك، واشتغل بشغلك حتى يأتي إبان الحج. فاشتغل كما أمره، فلما حضرت أيام الحج جاءه فقال له : سر معي، فسار معه، وقيل إنه أردفه وراءه على قصبة [كانت بيده][101] إلى موضع خال من الناس، فأطلقه في بلاد أخرى لا يعرفها وقال له : إذا حججت فقل لمعارفك يكتبون لك كتبا إلى أهاليهم وأنا آتيك، فسأل عن البلاد، فإذا هي حرم مكة، فدخلها ولقي معارفه فسألوه عن مجيئه وكيف كانت قصته فقصها عليهم، فلما تم الحج قال لهم : إني ذاهب إلى

---

(97) وتنطق أيضا علوان، عين شهيرة بفاس تقع أسفل عقبة الشرابليين، تنسب لشخص كان يعرف بعلوان كان يقطع الطريق على المارين بجوارها أيام إدريس الثاني. فأمر إدريس بصلبه، فصلب على شجرة قرب العين المذكورة فنسبت له (راجع : **زهرة الآس**، ص. 112؛ **الإستقصا**، 73/1؛ **موسوعة الأعلام البشرية والحضارية**، 319/2).

(98) في ك2 : مدينة.

(99) نظرا لما كان يحف بالطرق البرية والبحرية الرابطة بين المغرب والحجاز من مخاطر كان الحجاج يتوجهون إلى الحج في قوافل تنظم لهذا الغرض، وكان أول من نظمها الإمام أبو محمد صالح دفين آسفي عام 631هـ، ثم تأسس فيما بعد ركب الحجاج وسمي في البداية بالركب الصالحي، لأنه كان ينطلق من مدينة آسفي في اتجاه الحجاز، ثم صار يحمل بعد اسم الركب الفاسي لأنه أصبح ينطلق من مدينة فاس، وأصبحت الدولة تتدخل في تنظيمه وتعين للسهر على شؤون الحجاج أشخاصا لهم مؤهلات معينة (راجع **مذكرات من التراث المغربي**، 41/2).

(100) زيادة في ك2.

(101) زيادة في ك2.

بلدي، فمن أراد منكم أن يبعث معي كتابا فليكتبه، فكتبوا إلى أهاليهم، فأتاه سيدي علي وفعل به ما فعل به أولا، وإذا به في بلاده، فجعلوا يسلمون عليه ويقولون له : أين كنت؟ فيخبرهم أنه قد حج، فيتعجبون منه وينكرون عليه، فأعطاهم كتبهم، واستوصفوه البلاد فوصفها لهم، فتوقفوا في أمره إلى أن قدم أصحابهم فسألوهم عنه فأخبروهم بحجه معهم وأنهم الذين كتبوا له الكتب، فاتضح أمره وسلموا له. وقد تكلم شيخ شيخه سيدي أحمد زروق[102]، رضي الله عنه، في شرح «**الوغليسية**»[103] على الحج بالخطوة هل يكفي في حج الفريضة أم لا، فراجعه.

وكانت خديمته وضجيعته في [المدفن][104] السيدة آمنة بنت أحمد بن القاضي لا تفارقها آنية الزيت، إذا أتاها وجدها عندها ليريقها على نفسه، وكانت هذه السيدة تخدمه وتتبعه، وكان أهلها ينقمون ذلك عليهما وقال : ما جاء بأولاد ابن القاضي كلهم من مدينة مكناسة إلا لأجلها. وسجنوها مرة في غرفة وجعلوا عليها قيد الحديد فلم يشعروا إلا وهو واقف في وسط الدار ينادي : يا آمنة، وكان رضي الله عنه لا تحده الحدود ولا يمنعه حائط ولا باب، فلما ناداها قالت : نعم يا سيدي، فقال لها : إهبطي، فإذا بالقيد قد سقط من رجليها وبها خرجت إليه وهم ينظرون، فمن يومئذ سلموا لهما.

وكانت يوما قد طبخ أهلها دجاجا وأعطوها سهمها فقالت : لو أن كلبة سيدي، لكلبة كانت له، [حضرت][105] لأعطيتها سهمي هذا، فإذا بالكلبة معها مادة يدها فناولتها إياه.

وكانت امرأة أخرى تخدمه، وكان زوجها لا يحب ذلك، وكان يمنعها من المسير إليه، فأتى سيدي علي يوما فوجد الزوج في وسط الدار، فهزه سيدي علي بيده

(102) الفقيه أحمد بن عيسى البرنسي، نسبة إلى البرانس، وهم جذم من البربر شهير بناحية فاس، الشهير بزروق، أخذ عن علماء مغاربة ومشارقة، ألف تآليف عديدة في الفقه والتصوف، ولد بفاس سنة 846هـ وتوفي بمسراته قرب طرابلس الغرب سنة 899هـ (راجع ترجمته في **جذوة الإقتباس**، ص. 128؛ **درة الحجال**، 90/1؛ تحفة أهل الصديقية؛ **لقط الفرائد**، ص. 274؛ **سلوة الأنفاس**، 183/3؛ **شجرة النور**، 267/1؛ **الحركة الفكرية**، ص. 28).

(103) «**المقدمة الوغليسية الجامعة في الأحكام الفقهية على مذهب الإمام مالك**»، لعبد الرحمان بن أحمد الوغليسي البجائي المتوفى سنة 786هـ.

(104) زيادة في **ممتع الأسماع**.

(105) زيادة في ك2.

وأجلسه في وسط الدار، فما استطاع القيام من هنالك حولا كاملا، وهو يظلل عليه من المطر والشمس، وبعد الحول، دخل سيدي علي، فكلموه ورغبوا إليه فيه، فأتى إليه فهزه وأقامه كأن لم يكن به شيء.

ودخل يوما دارا فصعد السطح وجعل يدور بحلقة الدار وهو يقول : الله، الله، مولانا، يكرر ذلك لوارد ورد عليه في الوقت اقتطعه عن ضبط حسه، فلم يبال بجمع ثيابه عليه. فقالت امرأة في نفسها : [سيدي علي][106] يدور على رؤوسنا ولم يجمع عليه ثيابه، فنزل إليها مسرعا وقال لها : وأنتن، أي عدوات أنفسهن، أو كلمة تشبهها، تدخلن حيث يدخل ماء الوضوء.

ودخل دارا بغتة قبل أن يستأذن أهلها، فوجد ربتها تغسل ثيابها وهي مشمرة ثيابها التي عليها، فكرهت دخوله عليها في تلك الحال[107]، وإذا بصبي قد سقط من سطح الدار وفق دخوله، فلقيه بيده وأنزله إلى الأرض سالما وقال للمرأة : هذا الذي أدخلني [دارك][108]، وخرج على طريقه مسرعا.

ومر يوما بدار فألقى يده تحت عتبة الباب العليا وجعل يصيح بأهل الدار أخرجوا، أخرجوا، فلما خرجوا كلهم ولم يبق بها منهم أحد أزال يده فسقط الحائط.

وكان يوما جالسا بباب مسجد القرويين والناس يصلون وهو يأكل الخيار، فاجتاز به رجل داخل للمسجد يصلي فقال في نفسه : الناس يصلون وسيدي علي يأكل الخيار لا يصلي، ثم دخل، فكان يصلي وخاطره يتحدث بشراء حمار احتاج إليه من سوق الخميس، وكان ذلك اليوم يوم الخميس، والصلاة صلاة الصبح، فلما خرج ناداه سيدي علي : يا فلان، أكل الخيار خير من صلاة الحمار. هكذا حكى الحكاية حفيد الرجل الذي وقع له ذلك معه وغيره.

ومما وقع بعد موته، أن بعض الناس كان عنده سروال له، فأراه جماعة من الناس في أيام الهرج وقسمة فاس ووقوع الشر بها[109] فأراد بعض الحاضرين أن

---

(106) زيادة في ك1.

(107) في ك2 : في تلك الساعة وهي على ذلك الحال.

(108) زيادة في ك2.

(109) لعل ذلك حدث أثناء صراع محمد الشيخ السعدي مع الوطاسيين حول مدينة فاس الذي انتهى بدخول السعديين لفاس بعد هزيمة الوطاسيين ومقتل أبي حسون سنة 960هـ (راجع **نزهة الحادي**، ص. 31).

يتنخم، فتنخم في السروال استهانة به، فبنفس ما صدر منه ذلك أتته رصاصة مدفع فضربته في فمه. أخبرني بها من حضر القضية. وله، رضي الله عنه، أبيات تنسب إليه وهي :

الموت أفنـــــى من مضى والموت يفنـــي من بقـــي[110]
والموت يجمـــع في الثرى بين المنعـــم والشقـــي
يا من أسى فيمـــا مضى كن محسنـــا فيمـــا بقـــي

وله كلام على معاني حروف الهجاء وأسرارها لم يحضرني. هذا آخر كلام صاحب «**ممتع الأسماع**» في سيدي علي الصنهاجي.

وكلام سيدي علي في أسرار الحروف الذي أشار إليه صاحب «**الممتع**» وهو ما ثبت بخط الولي الكبير، العالم الشهير، القدوة الخطير، الشيخ أبي محمد بن عبد الرحمان بن محمد الفاسي، رضي الله عنه، قال : وجدت معزوا لسيدي علي الصنهاجي المعروف بالدوار[111] وهو شيخ سيدي عبد الرحمان المجذوب، شيخ شيخنا، نفعنا الله بهم وسلك بنا سبيلهم، ما نصه :

الحمد لله الذي خلق أولياءه بنشأة أولهم فمدهم عند ذلك بسر سره المكنون من بعد فناء فنائهم، وغيبهم عن كل ما كان ويكون، فطوى الوجود بأسره، فأشرقت في أعلى عليين شموس أنوارهم، ولاحت على كل عاشق ومصدق بأخباره آثارهم، وحجبت عن كل فاسق وممزق في طريقتهم، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا من المحبين فيهم، المتخلقين بأخلاقهم، المتمسكين بأذيالهم، ولا يجعلنا من المعترضين عليهم، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ونشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، خالق الخلق ومنشئهم، ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمد عبده ورسوله، سيد ولد آدم بأجمعهم، وتاج الأنبياء وإمامهم، ﷺ وعليه وعلى آله وأصحابه الذين باعوا في مرضاة الله أنفسهم، وهجروا في حبه وحب نبيه أموالهم وأولادهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(110) مجزوء الرجز.

(111) قيل إنه سمي بالدوار لأنه كان يدور في أعطيته فيستردها، وقيل أيضا لكثرة ما كان يدور في الأماكن ويصيح الله، الله (آنظر **ابتهاج القلوب**، ص. 41).

أما بعد : يا طالب البحث والتعجيز والمراء والجدال في طريقة السادات الأبدال، ولكن، قال مولانا العظيم : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[112] وقال جل من قائل : ﴿وَجَادَلُوا بِالبَاطِلِ لِيَدْحَضُوا بِهِ الحَقَّ﴾ الآية[113]. وقال مولانا محمد رسول الله ﷺ : (وترك المراء والجدال في الدين)[114] الحديث، لا يقف مع كتابة السؤال إلا كل منهمك بطال، المستغرق في بحر الخيال، الواقف مع لسان المقال، المفقود من لسان الحال؛ وأما من دخل في بحر أهل الكمال، أهل المواهب والإقبال، المخلصين في جميع الأقوال، الشاهدين لمن لا شبيه له ولا مثال، فلا يقفون مع قيل وقال، أو يلتفتون إلى كل دجال، والمصرين على البدعة والضلال، المطرودين من حضرة العزيز ذي الجلال؛ وأما ما قلتم أخبرونا عن حروف الولاية ولمن سبقت له سابقة العناية، وصحت له من شيخه حقيقة البداية، فعند ذلك كانت له به من الله إلى الله نهاية. اِعلم أنها على حروف الألياف، وهي في الحقيقة الشيء الحفاف، الذي حق الوجود كلها، لما كان الإذن من ربها، فأولها :

الألف، فهو ألف التألف في حضرة القدوس، فاكتفوا عند ذلك بأنسه عن كل أنس، وإن شئت قلت : تألف القلوب على ما فيه مرضاة المحبوب، الخالق الخلاق الذي لا تحجبه حجوب، وإن شئت قلت : هو حرف التفريد لمن صحت له حقيقة التجريد؛ الباء : به كانت بدايتهم فانتهت إليه نهايتهم؛ التاء : تاهوا في حبه فما بقي لهم التفات إلى غيره؛ الثاء : آثروه على أنفسهم فصحت عند ذلك حياتهم؛ الجيم : جالت أرواحهم في الملكوت فشاهدت من لا يدركه عدم ولا موت؛ الحاء : لما صح فحوهم ثبت عن ذلك صحوهم وبقاؤهم؛ الخاء : خلوا من هواهم فسكنوا في حضرة خالقهم؛ الدال : دلهم الأدب على ترك الطلب؛ الذال : تذللوا في حضرة العبيد فسلكهم الحق على المنهج الحميد؛ الراء : رأوا أنهم أقل عبيده، فجعلهم الحق تعالى عند ذلك أهلا لحضرته؛ الزاي : زادهم الحق على الخلق زيادة على قطع الأسباب ورفع الحجاب وشهودهم إلى الملك الوهاب؛ الطاء : طهر قلوبهم من جميع الأغيار، فأشرقت فيها شموس المواهب والأسرار؛ الظاء : ظلت مصابيح الهدى فؤادهم فجرت على مقتضى الأبد أعمالهم؛ الكاف : لم يبق لهم في الحق تكييف ولا في

(112) الآية 54 من سورة **الكهف**.

(113) الآية 5 من سورة **غافر**.

(114) يوجد معناه في سنن أبي داود، كتاب **السنة**، باب النهي عن الجدال في القرآن.

معرفته شك ولا توقيف؛ اللام : لما انقطع منهم فضول الكلام أقبلوا على ذكر الحي الدائم الذي لا ينام؛ الميم : من محمد عليه السلام نالت الأصفياء هذا المقام الذي سبقت لهم من الله سابقة الإكرام ووالاهم بموالاة الأنعام؛ النون : نور القلوب إخلاصها وذلك عند المحققين كمالها؛ الصاد : صدوا عن كل ما سواه فأوقفهم حكمه وقضاه، فجرت أعمالهم على ما فيه رضاه؛ الضاد : ضدان لا يجتمعان إن كانت خطة وافرة، وبصيرة ناظرة، حب الدنيا وحب الآخرة، وإن شئت قلت، الأضداد جميعا قطعوا والأنداد، فبلغهم الحق إلى غاية المراد؛ العين : عاينوا محض اليقين عيانا فبينوه لأهل الصدق تبيانا؛ الغين : غيبوا في الحق غيبة التفويض حتى لم يبق لهم فيه شك ولا ترديد؛ الفاء : تعففوا عن كل ما سواه وأقبلوا على ما فيه حبه ورضاه؛ القاف : وقفوا على قدم الخضوع والانكسار حتى رفعت لهم الحجب والأستار، وأشرقت من سناء ثنائهم الشموس والأنوار؛ السين : استوى ظاهرهم وباطنهم سواء، فهم لكل عاشق دواء ولكل محبوب [كمية][115] كمياء؛ الشين : شاهدوا ما لا تدركه العيون ولا يوصف بالحركة والسكون؛ الهاء : هاموا بين الأحباب حتى رفعت لهم أستار الحجاب، فقربهم إليه الملك الوهاب؛ الواو : أي شيء أعظم من لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ [لمن][116] امتزجت بلحمه ودمه وجرت على مجاري لسانه، فظهرت من جميع الأغيار آنيته؛ لام الألف : لاموا النفوس فوفقهم لطاعته الملك القدوس؛ الياء : آية الله في خلقه محمد حبيبه ورسوله؛ الهمزة : همز وارد الحق على قلوبهم فانكشفت جميع الأشياء إلى عيانهم؛ وبالله التوفيق لأهل البصيرة والتحقيق، السالكين على منهاج الطريق، وصلى الله على سيدنا محمد الصادق البدر الشارق وعلى آله وأصحابه المغترفين من بحره العميق، والحمد لله رب العالمين. انتهى كلام سيدي علي الصنهاجي، رضي الله عنه. وكانت وفاته، رضي الله عنه، على ما ذكر بعضهم، في جمادى الثانية سنة سبع وأربعين وتسعمائة.

أخذ، رضي الله عنه، عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أفحام[117] دفين جبل

---

(115) زيادة في ك1.

(116) زيادة في ك1 وك2.

(117) ويعرف أيضا بأفهام بالهاء وبالزرهوني (راجع: **تحفة أهل الصديقية**، ص. 26؛ **سلوة الأنفاس**، 221/2).

زرهون[118] وكان مجذوبا ملامتيا، رأى النبي، ﷺ، في النوم ففتح له على يده الكريمة وأخذ عنه، ثم انضاف إلى الشيخ زروق وصحبه وانتسب إليه بقصد التربية والتهذيب؛ وأخذ الشيخ زروق، رضي الله عنه، عن عدد كثير من المشايخ منهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن زمام الركاع والشيخ أبو العباس أحمد بن عروس التونسي والشيخ أبو عبد الله محمد الزيتوني دفين المسيلة، خدمه بفاس، والشيخ أبو العباس أحمد بن عقبة وإليه انتسب وعليه اعتمد وقال : إنتفعت به انتفاعا لا يخفى على أحد؛ والشيخ أبو عبد الله السنوسي والشيخ أبو العباس أحمد الجزائري صاحب «**القصد**» والشيخ أبو زيد عبد الرحمان الثعالبي الجزائري والشيخ أبو العباس أحمد بن الحسن الغماري التلمساني والشيخ أبو الحسن الزروالي والشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي، فيما ذكره الشيخ أبو العباس بابا. فأما الشيخ بن زمام فأخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الأمين العطار دفين جبل زرهون وهو [سيدي الأمين العطار][119] لا شيخ له لكنه انتسب للشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أبي يعزى، غيب [فيهما][120] ونوى أن كل نافلة يعملها فهي لهما، فرآهما نوما وأتاه المدد منهما. وأما الشيخ ابن عروس فسيأتي سنده في ترجمة سيدي إبراهيم الزواري. وأما الشيخ الزيتوني فأخذ عن مشايخ كثيرين. قال الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسي : وهو قادري الطريقة[121]، ولم يذكر له سندا. وأما الشيخ ابن عقبة فأخذ، كما ثبت في بعض التقاييد، عن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن أحمد الشريف القادري[122] عن الشيخ أبي الحسن علي بن وفا عن والده الشيخ القطب أبي عبد الله محمد وفا عن الشيخ أبي سليمان داوود البلخي

---

(118) يمتد هذا الجبل بين مدينة فاس ومكناس، اشتهر بخصبه وطيب هوائه، ومن أشهر مدنه مدينة وليلي التي أسسها الرومان واتخذها المولى إدريس الأكبر فيما بعد عاصمة لدولته (راجع : **وصف إفريقيا**، 227/1؛ **الحركة الفكرية**، ص. 494).

(119) سقط من ك2 وح، وفي ك1 : محمد الأمين العطار.

(120) زيادة في ك1.

(121) الطريقة القادرية ،من أهم الطرق الصوفية التي عرفت انتشاراً بالمغرب، أسسها الشيخ عبد القادر الجلاني المتوفى سنة 561هـ، فنسبت إليه وانتقلت على يد أتباعه من المشرق إلى المغرب ابتداء من القرن السادس الهجري وشكلت إحدى دعائم الطريقة الشاذلية. حول هذه الطريقة راجع : Michaux Bellaire, «Essai sur l'histoire des Confréries Marocaines», **Hespéris**, Année 1921, T.I, 2e tri., pp. 141-159 ; **Encyclopédie de l'Islam**, T. II, p. 647.

(122) طرة من م : صوابه يحيى بن أحمد الوقادي عن عمه سيدي علي؛ وأما سيدي يحيى القادري، فلا يصح لوجوده أعرضنا عنها.

عن الشيخ القطب تاج الدين بن عطاء الله والشيخ ياقوت العرشي(123)، كلاهما عن الشيخ القطب أبي العباس المرسي عن الشيخ قطب الأقطاب شيخ الطريقة أبي الحسن الشاذلي. وأخذ الشيخ ابن عقبة أيضا كما قال هو، عن الشيخ عبد الكبير الحضرمي(124) نزيل مكة كما في مختصر «**الضوء اللامع**» للشهاب القسطلاني. صحب جماعة من الشيوخ، وكان انتفاعه بثلاثة : أبو عمران موسى صاحب «**الحليف والحلف**»، والشريف أحمد المسناوي وأبو بكر بن محمد الزليعي(125) صاحب «**الخال بالمعجمة**»، ولم نقف على سندهم كما لم نقف على سند من بقي من أشياخ الشيخ زروق، رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا ببركاتهم، آمين. ثم إن الشيخ زروق على كل حال يتصل بالشيخ الشاذلي، رضي الله عنه، كما صرح بذلك تلميذه الشيخ أبو الجمال طاهر بن زيان والشيخ أبو عبد الله الخروبي. وأما ما يذكره في كتبه من روايته كتب الشيخ بن عطاء الله عن الشمس السخاوي عن أبي زيد القبابي عن السبكي عن مؤلفها فليس من أسانيد القوم في ورد ولا صدر كما قاله في «**المرآة**»، وإنما هي رواية محضة على العادة. وأخذ الشيخ الإمام أبو الحسن الشاذلي الشريف الحسني، رضي الله عنه، عن الشيخ قطب الأقطاب أبي محمد عبد السلام بن مشيش الشريف الحسني وهو عن القطب أبي محمد عبد الرحمان المدني الشريف لا خلاف في ذلك. ثم اختلف فقيل إن الشيخ المدني عن الشيخ أبي مدين وهو الذي في «**نور الحذق**» للجلال الكركي، وقيل إن المدني عن الشيخ أبي محمد جعفر بن سيد بونة عن الشيخ أبي مدين وعلى يديه فتح له، ولقي بعده الشيخ أبا العباس أحمد الرفاعي ولبس منه الخرقة، ثم الرفاعي أخذ عن خاله الشيخ منصور البطايحي وبه تخرج، عن الشيخ أبي محمد الشنبكي عن الشيخ أبي بكر بن هوارى، عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، مناما، وستأتي قريبا كيفية أخذه عنه. والمعتمد ما ذكره تقي الدين أبو عبد الله محمد الإسكندري سبط الشاذلي في «**النبذة المفيدة**» وفي كتابه «**شفاء الغليل**».

وذكر غير واحد أنه وجد بخط الشيخ ابن عطاء الله، وذكر سبط المرصفي في «**داعي الفلاح**»، أنه وجد بخط الشيخ محمد الحنفي. وقال سيدي إبراهيم المواهبي

(123) في م : الحبشي.

(124) طرة من م : عن سيدي عمر القرافي عن عبد الرحمان اليافعي عن الملين عن ياقوت الحبشي.

(125) طرة من م : عن أبيه جمال الدين محمد بن عيسى عن أبيه عيسى عن أبيه القطب أحمد بن عمر عن أبي الحسن الأشعري عن أبي مدين. وأخذ الشريف المسناوي عن إسماعيل الهيري بسنده.

أنها طريقة مشهورة، وهي أن الشيخ سيدي عبد الرحمان المدني أخذ عن القطب تقي الدين الفقير المعروف بتقي الفقير، بالتصغير فيهما، وذلك من أرض العراق عن القطب فخر الدين عن القطب شمس الدين أبي الحسن علي عن القطب تاج الدين محمد عن القطب شمس الدين محمد بأرض الترك عن القطب زين الدين محمد القزويني عن القطب أبي إسحاق إبراهيم البصري عن القطب أبي القاسم أحمد المرواني عن القطب أبي محمد سعيد عن القطب سعد عن القطب أبي محمد فتح السعود عن القطب سعيد الغزواني عن القطب أبي محمد جابر عن أول الأقطاب أبي محمد الحسن بن فاطمة وعلي، رضي الله عنهما. ويؤيد هذا السند قول الشيخ أبي العباس المرسي في هذه الطريقة، أنها متصلة بالأقطاب معنعنة برجل عن رجل إلى الحسن بن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ.

وأخذ الشيخ أبو الحسن الشاذلي أيضا، رضي الله عنه، تبركا واستفادة قبل شيخه سيدي عبد السلام عن شيخين أحدهما : الشيخ أبو سعيد خليفة بن أبي أحمد الباجي دفين خارج باب تونس، وقال إنه لازمه وانتفع به كثيرا، وهو كما ثبت في بعض التقاييد عن الشيخ أبي مدين دون واسطة؛ وفي بعضها عن الشيخ عبد العزيز المهدوي عن الشيخ أبي مدين؛ وثانيهما الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن علي بن حرزهم، وهو عن الشيخ أبي محمد صالح دفين بمدينة فاس[126] عن الشيخ أبي محمد عبد الرزاق الجزولي أحد أصحاب الشيخ أبي مدين ودفين خارج الإسكندرية، ثم بعده وبأمره عن الشيخ أبي مدين، وبعثه الشيخ أبو مدين للشيخ عبد القادر الجيلاني، فأدخله الخلوة مائة وعشرين يوما وأخذ عنه ما كتب له على يده، ثم رده للشيخ أبي مدين، رضي الله عنهم أجمعين.

وأخذ الشيخ أبو مدين، رضي الله عنه، عن جماعة من الأكابر منهم : الشيخ أبو الحسن علي بن حرزهم دفين خارج باب الفتوح، والشيخ أبو الحسن علي بن غالب دفين القصر، والشيخ أبو يعزى دفين تاغيا، والشيخ سلطان الأقطاب أبو محمد عبد القادر الجيلاني الشريف الحسني، أخذ عنه بعرفات وجلس بين يديه ولبس منه الخرقة، وهو آخر من أخذ عنه، والشيخ أبي عبد الله الدقاق؛ وأخذ الدقاق المذكور عن الشيخ أبي عمرو التلمساني والشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر الأصم،

(126) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب مدينة آسفي كما في «**تحفة أهل الصديقية**» و«**المقصد الأحمد**».

ولم أعثر على سندهما. أما الشيخ بن حرزهم [فقد تقدم سنده في ترجمته مستوفى. وأما الشيخ أبو الحسن بن غالب فأخذ عن الشيخ][127] أبي العباس أحمد بن العريف دفين داخل مراكش، والشيخ أبو محمد عبد السلام بن برجان، ولا أعرف سنده. أما ابن العريف فعن الشيخ أبي بكر عبد الباقي بن محمد بن بريال من وادي الحجارة عن الشيخ أبي عمر أحمد الطلمنكي عن الشيخ أبي عمر أحمد بن عون الله، والشيخ أبي علي الحسن بن عبد الله الجرجاني، أخذ عنه بمكة؛ وكلاهما عن الشيخ أبي سعيد بن الأعرابي، وهو عن جلة من المشايخ منهم : سلم بن عبد الله الخراساني وأبو الحسين النوري وأبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي، وأبو القاسم الجنيد، وهو أصغر أشياخه. فأما سلم الخراساني، فعن الفضيل بن عياض، وهو كبير أصحابه، وتقدم سنده في ترجمة سيدي علي بن حرزهم.

وأما أبو الحسين النوري فعن غير واحد من المشايخ منهم : السري السقطي وهو عمدته وأبو الحسن أحمد بن أبي الحواري وهو عن جملة من الشيوخ منهم : أبو سليمان الداراني وهو عن جماعة منهم : عبد الواحد بن زيد وهو عن الحسن البصري وغيره من الشيوخ. وأما عمرو المكي فعن أبي سعيد الخراز وغيره من المشايخ وهو عن عدة من الشيوخ منهم : أبو عبيدة البسري وذو النون المصري والسري السقطي وبشر الحافي. فأما أبو عبيدة البسري فعن أبي تراب النخشبي وتقدم سنده في ترجمة الشيخ ابن حرزهم. وأما ذو النون المصري والثلاثة بعده فيأتي أخذهم في سند الجنيد. وأما الشيخ أبو يعزي فأخذ عن نحو أربعين وليا منهم : الشيخ أبو شعيب دفين بلدة أزمور، وهو عن الشيخ أبي ينور عبد الله بن وكريس الدكالي عن الشيخ أبي محمد عبد الجليل بن ويحلان الدكالي دفين أغمات عن الشيخ أبي الفضل الجوهري عن والده الشيخ أبي عبد الله الحسين بن بشرى عن أبي بكر الدينوري عن أبي الحسين النوري عن السري السقطي. وأما الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني فأخذ عن جماعة من المشايخ منهم عمدته الشيخ أبو الخير حماد بن مسلم الدباس والشيخ تاج العارفين أبو الوفاء كاكيس الكردي والشيخ أبو الحسن علي الهكاري. فأما الشيخ حماد فلم أطلع على سنده. وأما أبو الوفاء فعن الشيخ أبي محمد الشنبكي، عن الشيخ أبي بكر بن هوارى وهو رأى النبي، ﷺ، وأبا بكر الصديق، رضي الله عنه، في المنام فقال : يا رسول الله، ألبسني الخرقة، فقال : يا ابن هوارى، أنا نبيك، وهذا شيخك؛ وأشار

(127) زيادة في ك2.

إلى أبي بكر الصديق، ثم قال له : ألبس سميك بن هوارى، فألبسه ثوبا وطاقية ومسح على رأسه وناصيته وقال : بارك الله فيك، ثم استيقظ فوجد الثوب والطاقية بعينهما عليه. وأما الشيخ أبو الحسن الهكاري فعن الشيخ أبي الفرج الطرسوسي عن الشيخ أبي الفضل عبد الواحد التميمي عن أبي بكر الشبلي عن الجنيد. ولبس الخرقة الشيخ أبو محمد عبد القادر من الشيخ القاضي أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي وانتفع به، كما لبسها هو منه بسؤال كل واحد منهما لصاحبه في ذلك، وهما معا لباساها من شيخهما الشيخ أبي الحسن الهكاري بالسند المذكور قبله. وأخذ الشيخ أبو القاسم الجنيد، رضي الله عنه، عن جماعة من الأكابر، منهم خاله السري السقطي، وهو عمدته، وأبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي وأبو الفيض ذو النون المصري وأبو عبد الله محمد بن علي القصاب وأبو جعفر الحداد وأبو الحسين الكرنبي وغيرهم. فأما السري فأخذ عن معروف الكرخي، وهو عن عدة من المشايخ منهم : مولاه علي الرضى، وهو عمدته، وأبو سليمان داوود الطائي وبكر بن خنيس، وصحبته له معروفة وأبو عبد الله محمد بن صبيح بن السماك. فأما علي الرضى فعن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن فاطمة وعلي، رضي الله عنهم أجمعين، عن رسول الله، ﷺ. وأما داوود الطائي فعن حبيب العجمي عن الحسن البصري. ولقي داوود أيضا التابعين وأخذ عنهم. فأما بكر بن خنيس فلا أعرف سنده وهو يروي الحديث عن ضرار بن عمرو وسفيان الثوري، ثم ضرار عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، وسفيان تقدم سنده. وأما محمد بن السماك فلا أعرف سنده أيضا وهو يروي الحديث عن عدة من التابعين منهم : إسماعيل بن خالد والأعمش وهشام بن عروة. وأما الحارث المحاسبي فعن بشر الحافي وهو عن جماعة من الشيوخ منهم : عامر بن شعيب وأبو حفص عمرو المكي والفضيل بن عياض. فأما عامر وأبو حفص فعن الحسن البصري، وأما الفضيل فتقدم أخذه، وأما ذو النون فعن الفضيل بن عياض. وأخذ الإمام الحسن البصري، رضي الله عنه ونفعنا به، عن جماعة وافرة من الصحابة رضوان الله عليهم أولهم : أم المومنين أم سلمة، رضي الله عنها، كانت تلقمه ثديها في صغره تعلله بذلك إذا كانت أمه في شغل، وربما در اللبن، ورأى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، على ما صححه السيوطي وغيره، وعثمان وطلحة، وروى عن معقل بن يسار وأبي بكرة وأبي موسى وابن عباس وجابر وسمرة بن جندب وعمرو بن تغلب وخلق كثير من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين، واختص بأنس بن مالك وعمران بن حصين

وحذيفة بن اليمان، وعلى حذيفة في هذا الشأن اعتمد، كما نص عليه في «**القوت**»(128)، انتهى.

* علي بن محمد حماموش

ومنهم الشيخ أبو الحسن علي بن محمد حماموش دفين خارج باب الفتوح. قال في «**دوحة الناشر**» : هو الشيخ الفاضل الولي الصالح أبو الحسن علي الشهير بحماموش، قال : وكان، رحمه الله تعالى، من رجال التصريف، ظهرت على يده الخوارق، وكان الناس يدعون إليه الجن فيرعوي لأمره، وتواتر الخبر عنه بأن طائفة من الجن كانت تقرأ عليه القرآن.

وسمعت ممن يوثق به أن رجلا كانت له ابنة رائعة، فاختطفها الجن ولم يدر أين ذهبت، فبقي متحيرا لا يدري مسلكا يذهب عليه، فدل على الشيخ، فذهب إليه وقص أمره عليه. فقال له الشيخ : عسى أن يجمع الله عليك ابنتك، لكنك اذهب الليلة إلى خارج باب الفتوح واجلس هنالك حتى يذهب النصف الأول من الليل فإن ملوك الجن تجتاز عليك في سبع مراكب، واثبت ولا تخف حتى يمر لديك المركب السابع، فتقدم إلى الملك، ووصفه له، وقل له فلان يقرئك السلام، يعني نفسه، ويأمرك أن تجمع علي ابنتي. ففعل الرجل ما أمره به ورأى من أهبة الجن وكثرة عدده ما يهول العقول. ولما وقف بين يدي الملك وبلغه الرسالة، وقف بمركبه في ذلك الموضع وقال : علي بفلان الجني والإنسية التي عنده، فأتي بهما في نصف ساعة، فقال الملك للرجل : خذ ابنتك، واقرأ الشيخ مني السلام وقل له إني ممتثل لكل ما تأمرني به، ثم عطف على الجني وقال له : ما حملك على ما فعلت ؟ فلم يكن له جواب، فأمر بقتله وصلبه في ذلك المكان، ولما [طلع النهار](129) أتى الرجل إلى الشيخ والإبنة معه، وأخبره بما كان، قال الشيخ : إذهب بسلام ولا تحدث أحدا بما جرى ما دمت حيا. قال الرجل المذكور : فذهبت مجتازا على الموضع الذي صلب فيه الجني، فوجدت شبه خنفسة معلقة في عود.

---

(128) «**قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**»، تأليف محمد بن علي بن عطية المكي المتوفى سنة 386هـ.

* ترجمته أيضا في **تحفة أهل الصديقية**، ص. 25؛ **ممتع الأسماع**، ص. 116؛ **سلوة الأنفاس**، 225/2.

(129) زيادة في ك2.

قلت : لما وفدت على حضرة فاس سنة ثمانين من القرن، يعني العاشر، بالأهل والولد، ونزلت بالدار المنسوبة إلى الشيخ بطالعة فاس، فأخبرني أهل المنزل أنهم لم يزالوا يسمعون قراءة القرآن في جوف الليل بالسقلابية التي كان فيها مأوى الشيخ، وهي خالية من العمران لا يقدر أحد على سكناها، وفيها سطلة وزير وسجادة، والذي يسكن بالدار لا يجتري عليها سوى الوقوف ببابها نهارا للتبرك، وأقمت بها أياما، ثم إن بعض أهلي يسمع ذلك نهارا، وتطارحت علي في الاِنتقال منها لما سكن قلبها من الهيبة، فساعفتها لمقصودها.

توفي في العشرة الثالثة، يعني من القرن العاشر، ودفن خارج باب الحمراء من فاس، وقبره مشهور بزاويته هنالك، رحمة الله عليه.

هذا كلام صاحب «**دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**» في سيدي علي حماوش، رضي الله عنه، ولم يذكر عمن أخذ الطريق ؛ وقد أخذ، رضي الله عنه، عن شيخه القطب سيدي عبد الله الغزواني عن القطب سيدي عبد العزيز التباع عن القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي، رضي الله عنهم ونفعنا بهم. ونسب صاحب الترجمة مرفوع إلى يعقوب المنصور الموحدي. وما ذكره في «**الدوحة**» من أنه توفي في العشرة الثالثة من القرن العاشر غير صحيح، بل كان في قيد الحياة أواخر ذي الحجة متم سنة ثلاث وثلاثين من المائة المذكورة، ولم أعثر على تحقيق وفاته، انتهى.

* آمنة بنت أحمد بن القاضي

ومنهم السيدة آمنة بنت الفقيه القاضي أبي العباس أحمد الشهير بابن القاضي دفينة خارج باب الفتوح. كانت، رضي الله عنها، من الأولياء الخاصة الأصفياء، أخذت عن الشيخ أبي الحسن علي الصنهاجي، رضي الله عنه، وكانت تخدمه وتتبعه، وكان أهلها أولا ينكرون ذلك عليها، فسجنوها مرة في غرفة وجعلوا على رجليها قيدا من حديد، فجاء شيخها سيدي علي ووقف وسط الدار وناداها : يا آمنة، فقالت : نعم يا سيدي، فقال : اهبطي، وسقط القيد من رجليها، وخرجت وهم ينظرون والغرفة على حالها مسدودة. فمن يومئذ سلموا لها حالهما. وطبخ أهلها يوما دجاجا فأعطوها نصيبها منه، فقالت : لو أن كليبة سيدي هنا، لكلبة كانت له، لأعطيتها

* ترجمتها أيضا في **تحفة أهل الصديقية**، ص. 29؛ **سلوة الأنفاس**، 22/2.

هذا، فإذا هي معها مادة يدها فناولتها إياه حسبما تقدم ذلك كله في ترجمة سيدي علي الصنهاجي، رضي الله عنه.

وقد شهد لها الشيخ سيدي عبد الرحمان المجذوب، رضي الله عنه، بالخصوصية، فقال لما مات شيخه سيدي علي الصنهاجي : مات سيدي فورثته أنا وأختي آمنة، للذكر مثل حظ الأنثيين.

وقال في «**الممتع**» : ويقال إن سيدي عبد الرحمان المجذوب دخل يوما على شيخه سيدي علي الصنهاجي قرب احتضاره، فأعطاه خبزة وقال له : إياك النساء، فمشى، فبينما هو برأس الماء على نحو تسعة أميال من فاس، إذا بالسيدة آمنة عليه فقالت له : هات الخبزة، فناولها إياها، فقسمتها فأعطته الثلثين وأمسكت لنفسها الثلث، فقال لها : لولا قسمت بالعدل لخشيت على نفسك. ثم ماتت فورثها وقال : الآن حصل لي إرث أبي كاملا، انتهى. يعني بالإرث الموروث من الأسرار والأحوال. وكانت من أهل الحظوة، وكانت ربما تصبح في فراشها جريحة أو نحوه من أثر حضور في الجهاد. وكان شيخها يقول : إنه ما أتى بأولاد ابن القاضي من مكناسة إلى فاس إلا من أجلها. وكانت، رحمها الله، تزوجت بعض بني عمها وهو الفاضل الخير أبو زكرياء يحيى بن قاسم بن علي شقيق والدها، وصداقها مؤرخ بخامس شوال عام أحد عشر وتسعمائة. ولما حضرتها الوفاة أخرجت من كان معها في البيت وقالت لهم : إن سيدي آت يحضر خروج روحي، ثم ماتت.

وكانت وفاتها، رحمة الله عليها، في حدود الستين وتسعمائة أو بعدها بقريب، قيل عن نحو ثمان وسبعين سنة. ودفنت وراء قبر شيخها سيدي علي داخل الروضة، وقبرها معلوم هنالك. وقد عرف في «**درة الحجال**» بوالدها[130] وذكر أنه أخذ عن ابن غازي، وأنه توفي بفاس سنة خمس وخمسين وتسعمائة.

* يوسف بن محمد الفاسي

ومنهم الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي دفين خارج باب الفتوح. قال حفيده السيد الصوفي العالم المحقق أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن

(130) قاضي مكناسة، أحمد بن علي بن عبد الرحمان بن أبي العافية المكناسي. ورد ذكره في **درة الحجال**، 106/2.

* ترجمته أيضا في **المقصد الأحمد**، ص. 10؛ **صفوة من انتشر**، ص. 27؛ **سلوة الأنفاس**، 306/2؛ **الحركة الفكرية**، ص. 364.

يوسف الفاسي، حفظه الله، في «**تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية**» : هو الشيخ الإمام الحبر الهمام العالم العلم البحر الخضم العارف الكامل المحقق الواصل الصديق الوارث الرباني شيخ وقته، حجة الطريقة، وفارس الحقيقة، ترجمان العارفين وقدوة الصديقين، أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي.

وقال في «**ممتع الأسماع بمناقب الشيخ الجزولي ومن له من الأتباع**» : هو شيخ وقته، المعد لهذا الشأن، ومبرزه في التحقق بالشهود والعيان. كان، رضي الله عنه، بالقصر محل منشئه ومولده، ومأوى أبيه وجده، صغيرا، لا يعرف الفقر ولا ما هو، فقيض الله له الشيخ العارف الكامل، قطب الأحوال، أبا محمد عبد الرحمان المجذوب، ووكله به، فكان يطلبه ويحوم عليه ويراقبه، فكان يأتيه للمكتب ويذكر بعض ما يؤول إليه أمره من الخير، ويخبر عن انتقاله إلى حضرة فاس وما يكون له هنالك، وقال لهم : سبقت إليه قبل أن يأتيه غيري. وجاءه يوما للمكتب ومسح على رأسه وقال له : علمك الله علم الظاهر والباطن، ثلاثا، ثم التفت للمعلم وقال : لابد نوارة هذا تفتح، وإذا أحياك الله ترى. وكان قبل ذلك يأتي الحومة ويقول : بدار الفاسي نوارة لابد أن تفتح. فلما كان في أوان البلوغ وهو ما زال في المكتب، أتاه الحال منه وأشرق باطنه بنور التوحيد واضمحلال ما سوى الله تعالى، وانخرط في سلك الشيخ. وكان أول شيء فاجأه أنه كان يقرأ في المكتب فكتب في لوحه : ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾[131] إلى آخره. ثم ذهب ورجع فلم يجد في نفسه متسعا لقراءة ولا غيرها، ولم يجد إلا نمشي نزور سيدي عبد الرحمان المجذوب، ولم ير في اللوح إلا ذلك، قيل إنه رآه مكتوبا فيه بالنور، فسأل بعض جيرانهم عنه فإذا به من أصحابه، وهو سيدي محمد بن علي النيار الأندلسي[132] فسقط منه على الخبير فقال له : يا بني، ذاك شيخنا ونحن في انتظاره قريبا، فقال له : إذا جاء فأعلمني. فلما جاء أعلمه وقال له : نحن بايتون عند فلان، فقال له : كلم والدي في شأني لأبيت معكم، فكلمه فأذن له لوثوقه بالرجل المذكور في ديانته وأمانته فبات معهم،

---

(131) آية 99 من سورة **النساء** وفي ك2 ورد محلها : وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفوراً رَحِيماً، وهي من معنى نفس الآية من سورة **النساء**.

(132) أندلسي الأصل، قصري المولد والمنشأ، مكناسي السكنى والوفاة، توفي سنة 961هـ (راجع عنه في **ممتع الأسماع**، ص. 139؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 30؛ **إتحاف أعلام الناس**، 264/4).

وجلس بمعزل من الناس لصغره وعدم مخالطته لهم،، فلما كان بعد هدوء من الليل أتاه ووضع يده عليه وجعل يقول : هنا أنت يا أخي، جعل الله لنافيك البركة، يكررها، فكانت تلك الليلة أول ذهابه إليه. ثم بات عنده أيضا ليلة ثانية بزاوية سيدي محمد الصباغ(133) بالقطانين(134) فرقد الشيخ، ووقع بين أصحابه وقوم دخلوا عليهم نزاع ولغط، وكان أصحاب الشيخ يذكرون كلامه، فقال القوم الداخلون : نذكر كلام الششتري(135) وما جرى مجراه، فوقع بينهم في ذلك كلام، فأفاق الشيخ وجعل يقول : أتعملون لي هذا وابن الفاسي عندي؟ أتعملون لي هذا وابن الفاسي عندي؟ يكرر ذلك. ثم استمر على صحبته وملازمته وخدمته، وبقي مع ذلك على قراءته، فقرأ على أهل بلده ما كتب له، ثم سافر به والده إلى فاس للقراءة على مشايخها، فكان من التدارك الرحماني أن مكن في سنين قليلة من تحصيل العلوم، فتكيف له من ذلك ما لم يتكيف لكثير من الطالبين في أضعافها. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو الفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(136) ثم رجع من فاس إلى القصر بعلم غزير، فانتفع به الخاص والعام، وأقام للعلم سوقا، وأحيا الله به من يومئذ البلاد والعباد، وسرت محبة العلم وتعلمه في الخاص والعام، وظهرت بركته فيهم وفي أهلهم وأولادهم، إذ كان علمه مصحوبا بالنور والفتح الرباني، وتخرج به كثير من أهل الطلب، فاشتغل في ذلك القطر برياسة العلم والدين منفردا في ذلك، إماماً متبوعا مسموعا، وهو في ذلك ملازم لشيخه وخادم له. ثم إن الله تعالى جذبه إليه ورفع همته، فلم يقف بها على شيء دونه، وشغله به عما سواه، ثم كنس وجوده وأفناه عن شهوده لغيبته في مشهوده، واستولى على باطنه أمر الحق تعالى حتى لم يبق هاجس ولا وسواس، وكادت تستولي عليه الغيبة عن الإحساس، والشيخ يربيه في ذلك الحال ويرقيه في مدارج الكمال؛ وكان يمتحنه كثيرا ويلقي عليه مشاق لا يقف لها إلا من أيده الله تعالى، يهذبه بذلك فيتلقاها ثبتا لا تحوم الاستكانة حوله. ومما اتفق له من ذلك أنه سمع به قد تزوج فخاف عليه من المرأة أن تأخذ ببعض قلبه، فأتاه في أيام العرس وقد دخل بأهله،

---

(133) ورد ذكره في **مرآة المحاسن**، ص. 237؛ **تحفة أهل الصديقة**، ص. 24.

(134) حي بالقصر الكبير.

(135) الشاعر الصوفي علي بن عبد الله النميري الششتري، أندلسي من أهل ششتر، ولد سنة 610هـ وتوفي بقرب دمياط سنة 668هـ (راجع : **أنس الفقير**، ص. 49؛ **الأعلام**، 305/4؛ **شجرة النور**، 196/1).

(136) الآية 21 من سورة **الحديد**.

فأدخله الدار وأجلسه في بيت الزفاف وهو مزين مفروش على العادة عند النكاح. فقال لهم : إيتوني بحطب أصطلي بالنار، فأتوه بالحطب، فجعل يوقد النار في بيت العرس وقد كثر الدخان وغص الناس به وهو يصطلي وينظر إلى الشيخ أبي المحاسن هل أحس بذلك أو يقع له به تغير. فلما لم يره بالى بشيء من ذلك وهو فرح مسرور، رضي بما يعمل كأنه يقول له : أتتجلد علي؟ فقال له : سر معي، فسار معه، وهو حديث عهد بعرس، إلى أن وصل منزله، فتركه يبيت هنالك وسلط عليه الحمى، فكان إذا أخذته الحمى الباردة لم يجد ما يلقي عليه إلا بردعة كانت هنالك فيتغطى بها، فإذا ذهبت أزالها، فبقي كذلك أربعين يوما، وكان في خلال ذلك يأتي فينظر إليه ويقول : إذا طاح العلم فاقرأ السلام، بمعنى، لو لم يثبت هو عند الإمتحان لم يثبت أحد، لأنه كان المشار إليه في أصحابه والمنتظر لوارثة حاله؛ ثم يغيب عندما يشاء الله أيضا ثم يأتيه ويقول له مثل ذلك، فلما استكمل الأربعين يوما جاءه فقال له : قم فاذهب إلى أهلك من لم يشبع لا يشبع. وكان واقفا في موقف الخدمة بنفسه وماله، لا يبالي في جانبه بشيء من صرف مال وبذل مهجة، ولا يستصعب ركوب أمر في ذلك، ولا يكترث بلوم لائم ولا طعن طاعن، بل هو محمول في ذلك كله لا يحس بشيء منه وليس عليه فيه كلفة، ولم يكن أحد من أصحاب شيخه يؤذى ما يؤذى به هو في صحبته، فكان يؤذى الأذى البالغ في نفسه وعرضه لكونه كان العلم فيهم والمقتدى به منهم، فكان لا يبالي بكل ما يصيبه في خدمته، وكان يقول للائمه في خدمته : والله لو ضربتموني بسيوف النار ما رجعت عنه. وكان له مال جزيل من تجارة أبيه، فجعل ينفقه عليه وفي وجوه الخير يمينا وشمالا حتى أتى على آخره، ولم يبق بيده شيء من عرض الدنيا إلا دارا كانت بمحل الضرورة لكسناه، ثم إنها شغلت قلبه ولم يرد أن تبقى على ملكه معه. فلما قدم الشيخ القصر وكان يوم جمعة، تعرض له بمفاتيحها بباب المسجد الذي كان يعتاد الخروج منه، فكاشفه الشيخ بذلك، فخالف عادته وخرج من باب آخر، ثم لقيه بعد ذلك فناوله المفاتيح، فقال له : أرح نفسك واقعد في دارك فهي دارنا إن احتجنا إليها أخذناها، تطييبا لقلبه، ثم عزم على بيعها مرة [أخرى][137] في مبلغ يحمله للشيخ، سماه، ففتح عليه بذلك المبلغ وسلمت الدار. وذلك أنه لما قرب أجل الشيخ أبي محمد، قدم القصر ونزل بظاهره، فتلقاه أصحابه وفيهم الشيخ أبو المحاسن. فلما اطمأن بهم المجلس قال لهم : أنا أردت

(137) زيادة في ك1.

أن أزور السلطان. ثم قال لهم : أنا لنشتري القدور كثيرا وتنكسر. فقالوا لي : لا يليق بك إلا قدر نحاس وكسكاس نحاس، فقلت لهم : وكم ثمن ذلك؟ فقالوا : خمسون أوقية، [فقلت لهم](138) : هل فيكم من يعطي خمسين أوقية ؟ فسكت القوم كلهم. قال الشيخ أبو المحاسن : فوقع في نفسي أن الشيخ، رضي الله عنه، قد قرب أجله وأنه أراد أن يوجه مدده إلى أحد من أصحابه ليقوم خليفة من بعده، وأن ذلك موقوفا على الخمسين أوقية، فقلت : الله ييسر من يعطي ذلك من أصحابه ليعمر المكان ونستظل تحته كما كنا نستظل تحت الشيخ، ولم يكن إذ ذاك عندي منها درهم واحد. فأعاد عليهم القول، فلم يجبه أحد، ثم ثالثا، فلم يملك الشيخ أبو المحاسن نفسه أن قال له : يا سيدي، أنا آتيك بها، فقال له : وتفعل ذلك ؟ قال : نعم، فقال له : قم الآن. فقال لهم : أسرجوا له فرسي، ثم قال الشيخ : أنا أسرجه له، فقام فسرجه، فجاء الشيخ أبو المحاسن يركب فأرادوا أن يحبسوا(139) له الركاب فقال : وهل أنتم تحبسون له ؟ أنا أحبس له الركاب، فحبسه. قال : فاستحييت منه فجثم علي، فلم يكن لي بدمن إسعافه، فركب، فدخل القصر عازما على بيع الدار. فلما دخل لقيه بعض المحبين الأسخياء من الأصحاب فأعطاه الدراهم، فرجع بها من حينه، فلما تراءى للشيخ جعل يقول لهم : ها سيدي يوسف جا ! ها سيدي يوسف جا ! ثم وصل فقال له : وهل جئت بالدراهم ؟ فقال له : نعم يا سيدي، فقال له : كذلك أنت، يبتليك ويتوب عنك. ثم قال له : إنا جعلنا دارك بفاس. قال : فوقع في نفسي استعظام ذلك تهيبا لسكنى فاس لكثرة مطالبها وصعوبة معاشها وذلك لشيء في نفسي فقط، فقال لي : لا، وتحطب لك الرياح، فكانت العطية المذكورة آخر عطية، وسلمت الدار من البيع وبسطت عليه الدنيا من يومئذ، وظهرت عليه في حياة شيخه بركته ظهورا لا يشك فيه ذو بصر وبصيرة، فعلا شأنه وأشرقت فيه أنوار المعارف، فتحقق بمقامات الواصلين ومنازل المقربين ومراتب المحققين، وأعطي التأييد والتمكين، ولم يزل مع شيخه على سنة المريد مع الشيخ. وكان كثيرا ما يجيئه طالب الإرادة فيرده إلى الشيخ، إلى أن توفي، رضي الله عنه. وكانت مدة صحبته إياه، منذ سلب الإرادة، تزيد على عشرين سنة، وشيخه في جميع ذلك ينوه باسمه ويشيد ذكره ويعرف بحقه ويفتخر به، فكان يقول : عندي ابن الفاسي نلقى به الغرب وتارة

(138) زيادة في ك2.

(139) في ك1 : يقبضوا.

يقول نلقى به الشرق والغرب، وكان كثيرا إذا رآه يقول فيه : مصباح الأمة، ويقول : إنه يكون إماما في العلمين الظاهر والباطن، ويقول : إنه لابد أن يكون في مقام الغزالي، وتارة يقول فيه : غزالي عصره، ويقول فيه : لا يوجد مثله ولو فتش المفتش ما عسى أن يفتش، ويقول : إنه كالملح لا يستغني عنه أحد، ويقول فيه : من مسس طعامه فليذهب إليه يملحه له. ويقول فيه : الذي وده الله أو الذي أراد به خيرا يكون بعيدا منه ويقرب إليه، والذي خذله الله أو الذي أراد به شرا يكون بعيدا منه، ويقول : لأي شيء يصلح، ويصرح كثيرا بأنه المقصود من بين أصحابه، ويقول فيه : إنه الذي خمل بيده حتى للقاع، ويقول له : أخذت مطمورتي[140] بأطواقها، ويقول : من أحب أن ينظر قلبي فلينظر ابن الفاسي، يشير بذلك إلى أنه نسخة منه، فهو كقول سيدي أبي الحسن الشاذلي لسيدي أبي العباس المرسي، رضي الله عنهما، يا أبا العباس، ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا، وأنا أنت، ودعا له : الله يجعل منك الزرع والزريعة[141]، فالزرع : أنت، والزريعة : أولادك، يشير إلى أنه وارثه، وأن طريقته عنه توخذ ومنه تنتشر وتمتد والله أعلم. وقال في آخر أمره : سيدي يوسف كنت أنا شيخه، واليوم هو شيخي.

وكان الشيخ أبو المحاسن يأخذ عنه الطريق وقلده فيها. وكان الشيخ أبو محمد يقلده في أمر دينه الظاهر ويأخذ عنه، فلعل أبا محمد يعني بكلامه المتقدم، الشهادة لأبي المحاسن بأنه انتهى أمره في الطريق وكمل حاله ولم يبق له احتياج إلى شيخه، وشيخه ما زال يحتاج إليه في أمر دينه والله أعلم. وكلامه فيه كثير جدا، فكان أصحاب شيخه لا تجد أحدا منهم إلا ويحفظ بعض ما كان يثني به عليه، وكان لا يزال يوصي أصحابه به ويحضهم على صحبته ويحرضهم عليه ويشير لهم إليه ويعرفهم أنه الخليفة عليهم بعده، ويحذرهم أن يتخذوا أحدا غيره بعده شيخا، ويقول لهم : إنه سيظهر أمره ويعلو [شأنه][142] شرقا وغربا، وإنه سينفرد في عصره؛ ويقول : إنه سيكون له أتباع كثيرة متتابعون تنتشر منهم الأذواق العالية، ويكونون واقفين في مقام الدعوة والتمكين. ولما كان في مرض موته جمع أصحابه وأوصاهم به وقال لهم :

(140) حفيرة تحت الأرض تخبأ فيها الحبوب ونحوها، وتستعمل أيضا للحبس، وتستعمل هنا بمعنى المكتنز والدخيرة.

(141) تستعمل في المعنى الصوفي للدعاء بأن تحصل منه الفائدة وممن يأخذون عنه.

(142) زيادة في ك1.

إنما جمعتكم لأوصيكم لأن الموت فوت. ثم جعل يصف لهم الرجل الكامل وما يجمع من الأوصاف الحميدة، والخصال المجيدة، حتى أتى في ذلك بما أراد. وكان الشيخ أبو المحاسن عند رأسه، فأومأ إليه شيخه وجعل يده على رأسه ثم قال : وهو هذا. ولما أخذ يوصيهم، بكى بعض أصحابه وقال له : لا تتركنا يتامى، فقال لهم : أنا ما تركتكم يتامى، صاحبكم معكم. وكذا كان يوصي أولاده أيضا به ويحضهم على صحبته. وكان خلف تسعة رجال أو عشرة، فأعرف ممن صحبه منهم أربعة : أحدهم ولده الأكبر، السيد الفاضل البركة أبو عبد الله محمد السبع[143]، وكان يقول : محمد عندي فيه ثلاثة : ولدي، وأخي، وصاحبي. صحب الشيخ أبا المحاسن وانقاد له، وكان يستشيره في أموره ويصدر عن رأيه ويوصي أولاده به. والثاني السيد الخير البركة أبو السرور عياد[144] خدم الشيخ أبا المحاسن واعتمده. والثالث السيد أبو العباس أحمد، صحبه كذلك وانتسب إليه. ورابعهم الشيخ الولي الكبير أبو الحسن علي بوفصلون، فإياه صحب وإليه انتسب وعلى يديه فتح له وبه انتفع، رحمهم الله ورضي عنهم. وكان الشيخ أبو المحاسن في خلال صحبته للشيخ أبي محمد، رضي الله عنهما، يلقى مشايخ الطريق من أهل عصره، ويأخذ عنهم، لكن لا على سبيل التحكيم في نفسه وسلب الإرادة، بل على سبيل التبرك بهم والاستفادة. ولم يكن بالوصف الأول إلا مع شيخه أبي محمد، رضي الله عنهما. فكان ممن لقي جماعة من أصحاب الشيخ التباع، وجماعة من أصحاب الشيخ الغزواني، ومن غيرهم منهم : الشيخ أبو سالم إبراهيم الزواري التونسي، كان يتردد إليه مدة استيطان الشيخ أبي سالم القصر، قبل انتقاله إلى فاس، وتقدم فيمن أخذ عن الشيخ التباع؛ ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد بن منصور الحيحي[145]، وقال إن أول حالة تحقق بها، أي رسخت وتمكنت فيه، حالة الشيخ أبي العباس بن منصور، وقال : وأتيت ببرنس ذي مفاتيح. قال أخوه سيدي عبد الرحمان الفاسي : فيه إشارة إلى التصريف من رفع وخفض وولاية وعزل

(143) أحد أبناء عبد الرحمان المجذوب، تتلمذ على أبي المحاسن، توفي سنة 1014هـ (راجع : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 32؛ **نشر المثاني**، 135/1).

(144) أحد أبناء عبد الرحمان المجذوب أيضا ورد ذكره مع إخوته : أبو العباس أحمد وعلي بوفصلون في **تحفة أهل الصديقية**، ص. 31 وص. 32.

(145) أو الحاحي، نسبة إلى حاحا، استوطن القصر الكبير وبه دفن، كان من أهل الولاية والعرفان، شهد له شيخه عبد الرحمان الفاسي بأنه القطب الخامس (راجع : **مرآة المحاسن**، ص. 17؛ **ممتع الأسماع**، ص.71؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 15؛ **المقصد الأحمد**، ص.295).

وغير ذلك مما هو معلوم عند أهله. ومنهم الشيخ أبو عبد الله كانون المطاعي[146]، والشيخ أبو محمد عبد الله الهبطي[147] والشيخ أبو محمد الحسن بن عيسى المصباحي[148]، والشيخ أبو عبد الله محمد بن مخلوف الضريسي[149]، والشيخ أبو النجا سالم العماري[150] ولقنه ذكرا كان يذكره إدبار الصلوات عن شيخه سيدي عبد الرحمان بن ريسون عن الشيخ الغزواني. ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الطالب والشيخ أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المشنزائي[151] والشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسي[152] وغيرهم من المشايخ ممن لا يحصون، ولا يعرف شهادة وغيبا، ومن أهل الظهور والخفاء؛ وكان له في لقاء أهل الخفاء بحث لا يوصف؛ وكان في لقاء المشايخ بإذن شيخه ومع الجمع عليه. وقدم على الشيخ أبي محمد يوما من القصر بعض المنتسبين إليه فسأله : كيف هو سيدي يوسف ؟ فقال له : سيدي يوسف ليس هو فينا اليوم، هو في مخالطة ناس آخرين، فتغافل عنه الشيخ ثم سأله ثانيا، فعاد لكلامه الأول، فقال له : يا فلان، شلل فمك[153] وحينئذ تذكر سيدي يوسف.

---

(146) محمد كانون المطاعي ثم العبدي، نسبة إلى قبيلة أولاد مطاع، القبيلة العربية المتشلحة المعروفة قرب مراكش. توفي سنة 981هـ (راجع : **مرآة المحاسن**، ص. 14؛ **ممتع الأسماع**، ص. 45؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 12؛ **المقصد الأحمد**، ص. 295؛ المختار السوسي، **إيليغ**، ص. 17).

(147) عبد الله بن محمد الصنهاجي الطنجي المعروف بالهبطي، أخذ بمدينة فاس عن عبد الله الغزواني وصحبه واعتمده. ولد سنة 805هـ وتوفي حوالي سنة 968هـ (راجع ترجمته في : **دوحة الناشر**، ص. 7؛ **ممتع الأسماع**، ص. 74؛ **الإستقصا**، 87/5؛ **شجرة النور**، 284/1؛ **الحركة الفكرية**، ص.284).

(148) نزيل البروزي من بلاد طليق، أخذ عن قريبه محمد بن أبي عسرية المصباحي، توفي في العشرة الثامنة من القرن العاشر (راجع : **دوحة الناشر**، ص. 85؛ **مرآة المحاسن**، ص. 215؛ **ممتع الأسماع**، ص. 93؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 18؛ **المقصد الأحمد**، ص. 296).

(149) دفين بوشفان من بلاد ضريسة ببلاد الهبط، توفي سنة 942هـ (راجع **مرآة المحاسن**، ص. 16؛ **ممتع الأسماع**، ص. 100؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 19؛ **المقصد الأحمد**، ص. 295؛ **إتحاف أعلام الناس**، 21/4).

(150) ورد ذكره في : **مرآة المحاسن**، ص. 17؛ **ممتع الأسماع**، ص. 117؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 20.

(151) نزيل مكناسة وهو يعد أحد الأقطاب الأربعة في التصوف، توفي في العشرة السادسة من القرن العاشر (راجع **دوحة الناشر**، ص. 78؛ **مرآة المحاسن**، ص. 16؛ **ممتع الأسماع**، ص. 89؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 18).

(152) البوسعيدي، من أصحاب الشيخ عبد الله الغزواني، توفي بزاويته على ضفة وادي تانسيفت قرب مراكش، حوالي سنة 961هـ (راجع **دوحة الناشر**، ص. 110؛ **مرآة المحاسن**، ص. 16؛ **ممتع الأسماع**، ص. 71؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 15؛ **الإستقصا**، 20/5 و87).

(153) يعني بهذه العبارة وجوب التحفظ والتعظيم في جناب الشيخ يوسف الفاسي.

ومن شيوخ صاحب الترجمة أيضا والده أبو عبد الله محمد بن يوسف الفاسي[154]، وكان ذا دين متين وسخاء عظيم. صح عنه أنه كان يحسب كل يوم ما أنفق في داره فيتصدق بمثله. وكانت له أوراد من ذكر وصلاة على النبي، ﷺ، في دلائل الخيرات، وصلاة بالليل؛ وأخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن قاسم الشرفي الأندلسي المتقدم في أهل روضة الأنوار.

ومن أشياخ الشيخ أبي المحاسن أيضا، الشيخ أبو الحسن علي العربي المسمى به المسجد الذي بطرف القطانين من القصر، من جهة السوق[155] وهناك قرأ عليه القرآن. وكان رجلا صالحا فاضلا. ولما مرض الشيخ أبو محمد مرض موته، جمع أصحابه وأوصاهم كما تقدم، ثم صرفهم إلى ديارهم ليحضروا العيد مع أولادهم وعيالهم، وبسبب ذلك لم يحضر الشيخ أبو المحاسن موت شيخه، وإنما لحقه في الطريق كما تقدم، إذ لم تمكنهم مخالفته ولا وسعهم إلا مساعفته، فمات الشيخ ليلة عيد الأضحى، ثم أصبح الشيخ أبو المحاسن ذاهبا إلى خارج المدينة إما لزيارة ضريح ولي أو إلى جنانه خارج باب الواد أحد أبواب القصر فيما قيل، ويحتمل أن يكون إلى المصلى في وقت الخروج إليه، فلقيه رجل من أهل الخصوصية من أهل الغيبة في حاله فقال له : أين شيخك ؟ فقال له : ببلاده، فقال له : إنه قد مات، فإنه لم يقف معنا البارحة بجبل عرفة، وكان يقف به كل عام. وقد انتقل حاله إلى سيدي عبد الله بن حسين[156] بتامصلوحت، فقال له الشيخ أبو المحاسن : ونحن أجرنا على الله، فقال له : لا إنه إليك يعود، ثم بعث إليه سيدي عبد الله بن حسين أن يأتيه وقال له : إن سر شيخك عندي، فامتنع الشيخ من الذهاب إليه وقال : أخاف إن ظهر علي خير يقال إنه من سيدي عبد الله بن حسين فيضيع حق شيخي وظهور بركته علي، وإن كان لي عند سيدي عبد الله بن حسين شيء يصلني إن شاء الله، فكان كذلك. فلما حضرت سيدي عبد الله الوفاة. أوصى له بشيء من أثاثه إشارة إلى أداء ما كان أودعه من ميراث شيخه المجذوب، فلما سمع صاحب الترجمة بموته قال : الآن

(154) عرف بثرائه وبتعاطيه التجارة، ولد بالقصر الكبير سنة 912هـ وبه توفي سنة 974هـ (راجع **مرآة المحاسن**، ص. 135؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 30).

(155) في ك2 : الشرق.

(156) الشيخ الصوفي، من شرفاء بني أمغار أهل عين الفطر، نزيل ودفين تامصلوحت بضواحي مدينة مراكش حيث توفي حوالي سنة 979هـ (راجع **تحفة أهل الصديقية**، ص. 14؛ **الإستقصا**، 48/5 و88؛ **سلوة الأنفاس**، 309/2).

أذهب إليه، فمشى وزاره في قبره، وأخرج له أهل سيدي عبد الله ما أوصى له به من جملته مضمة، فأخذ ذلك ورجع. قيل، وكانت مدة ما بين موت سيدي عبد الرحمان وسيدي عبد الله نحو الستة أشهر. وكان الشيخ صاحب الترجمة بعد موت سيدي عبد الله بن حسين رأى أهل الله مجتمعين على النبي، ﷺ، وهم يتفاوضون فيمن يخلف سيدي عبد الله ويقوم مقامه، فأشار سيدي عبد الله لصاحب له سماه، فقال النبي، ﷺ : حتى يأتي الكوش، يعني سيدي عبد الرحمان المجذوب، وكان لم يحضر، فإذا به قد أتى، فقالوا له [ذلك][157] فأشار لصاحبه الشيخ أبي المحاسن، فوافق عليه النبي، ﷺ، والجماعة فأقاموا في الوقت؛ فمن يومئذ فاضت أنواره وطار في الآفاق ذكره واشتهاره، وسارع نحوه أرباب الإرادات، وأقبل إليه أهل الفوز والفلاح من العلماء والأولياء السادات، وكان أول مقبل عليه أصحاب شيخه أبي محمد، رضي الله عنه، وتأهل، رضي الله عنه، للمشيخة في علمي الشريعة والحقيقة[158] ونهض بأعباء الطريقتين[159] بتأهيل الله تعالى وتأييده، وكثر تابعوه، وتخرج به مشايخ، ونشأ على يده رجال، وظهرت على يديه الخوارق العظام والكرامات الجسام، وكان مفزعا لأرباب القلوب والأحوال في مداواة عللها وحل مشكلها، فكان مقصودا لذلك من المريدين والمشايخ كل بحسبه. وكانت مشايخ تلك البلاد وما إليها يبالغون في تعظيمه ويعترفون بجلالة قدره، ويعدونه لحل المفقلات وبيان المشكلات، فكانوا يزدلفون إليه ويدينون بالتواضع بين يديه، منهم : سيدي محمد بن الزبير بن أبي عسرية المصباحي[160] وأخوه سيدي أبو القاسم[161] وسيدي محمد العفاني[162] وسيدي علي الشلي[163]

(157) زيادة في ك2.

(158) المقصود بهما علوم الدين : علم الظاهر الذي هو علم الحقيقة، وعلم الباطن الدي هو علم الأذواق، ويعني التصوف.

(159) يقصد بذلك أنه كان شيخ التعليم وشيخ التربية.

(160) ورد ذكره في **ممتع الأسماع**، ص. 101؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 19؛ **شجرة النور**، 296/1.

(161) أبو القاسم بن الزبير بن أبي عسرية المصباحي الزناتي الشاوي، ولد حوالي سنة 943هـ وتوفي بالقصر الكبير سنة 1018هـ (راجع **مرآة المحاسن**، ص. 214؛ **ممتع الأسماع**، ص. 134؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 57؛ **صفوة من انتشر**، ص. 64؛ **نشر المثاني**، 150/1).

(162) محمد بن علي العفاني نزيل القصر الكبير ودفينه. توفي حوالي سنة 1005هـ (راجع **مرآة المحاسن**، ص. 219؛ **ممتع الأسماع**، ص. 92؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 18؛ **صفوة من انتشر**، ص. 30).

(163) علي بن الحسن المعروف بالشلي الشدادي، نزيل جبل سريف، من مشايخ الصوفية، كان له أتباع كثيرون، توفي في نهاية القرن العاشر الهجري (راجع **دوحة الناشر**، ص. 86؛ **مرآة المحاسن**، ص. 222؛ **ممتع الأسماع**، ص. 140؛ **أهل الصديقية**، ص. 23).

وسيدي علي الحنشي(164) وسيدي محمد القجاج(165) وسيدي أحمد الردام(166) وسيدي إبراهيم أبو الخيرات(167) وسيدي كَدار وسيدي محمد أبو عبد الله المكناسي(168) وسيدي أحمد الدغوغي المكناسي(169) وسيدي علي أبو الشكاوي(170) وغيرهم ممن لا يحصى كثرة. وكانوا يقولون فيه إنه غريب في وقته لانفراده فيه. وهناك دل عليه سيدي محمد بن عمر المختاري(171) وهو من أحواز مكناسة، سيدي جابرا(172) كما تقدم. وكان سيدي عبد الله الدراوي، عرف بالحداد، رجل من أهل الإغاثة والخطوة ويمشي للبلاد البعيدة ويرجع في طرفة عين، وكان صاحب ملامة، فكان مع شيخه الأول سيدي علي الحداد بفاس ومنه اكتسب سيدي عبد الله الحداد التسمية بالحداد. فقال له يوما : يا عبد الله، إنا بايعنا، أو قال إن أهل الله بايعوا اليوم سيدي يوسف الفاسي، وهو إن وجدك ها هنا في هذا البلد لا تفلح معه، فاذهب إليه. فأتاه بالقصر، فلما سلم عليه ونظر إليه أخرج إليه فأسا وأمره بالخدمة في جنانه إلى أن أكمل أربعين يوما، فيما بقي على بالي، ثم قال له : إذهب حتى آتيك، فقال له : إلى أين يا سيدي ؟ فقال له : إلى فاس، فأتى فاس ومكث بها حتى أتاها صاحب الترجمة واستوطنها، فصحبه ولازمه إلى أن توفي الشيخ. وبقي، أعني صاحب الترجمة، على ما تقدم، بالقصر نحو الإحدى عشرة سنة، ثم حرك الله قلبه للاِنتقال

(164) دفين أبي جديان من بلاد سريف (راجع **تحفة أهل الصديقية**، ص. 60؛ **المقصد الأحمد**، ص. 295).

(165) محمد بن موسى السريفي المعروف بالقجاج، توفي حوالي سنة 1022هـ (راجع **مرآة المحاسن**، ص. 236؛ **ممتع الأسماع**، ص. 164؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 24).

(166) ورد ذكره في **مرآة المحاسن**، ص. 222؛ **ممتع الأسماع**، ص. 116؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 20.

(167) ورد ذكره أيضا في **مرآة المحاسن**، ص. 222.

(168) لعله محمد بن أبي عبد الله المكناسي الذي كان بمكناسة وكان يزور الشيخ أبا المحاسن، ورد ذكره في **تحفة أهل الصديقية**، ص. 22.

(169) لعله الفقيه أحمد بن عبد الله الدغوغي الذي تولى الحسبة بتارودانت أيام السعديين (راجع **الإستقصا**، 90/5).

(170) علي بن منصور البوزيدي، أخذ عن الشيخ المجذوب والشيخ أبي الرواين المحجوب، كانت سكناه بشالة وبها توفي سنة 1004هـ (راجع **الإستقصا**، ص. 146 و192).

(171) توفي في أواخر القرن العاشر الهجري (راجع **دوحة الناشر**، ص. 83؛ **ممتع الأسماع**، ص. 99؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 18).

(172) المقصود هو جابر بن مخلوف الرياحي الطليقي، شهد له صاحب «المرآة» بأنه من أهل الولاية والبركات. توفي حوالي سنة 1003هـ (راجع **تحفة أهل الصديقية**، ص. 20؛ **نشر المثاني**، 48/1).

إلى فاس، وكان عنده من ذلك ذكر من شيخه وغيره من المشايخ كسيدي علي الحنشي وسيدي كَدار ورأى، أعني الشيخ أبا المحاسن، أهل الله مجتمعين وهم يقولون : هذا الرجل لا يستقيم دينه إلا بالزاوية، يعنون فاس، وكان ذلك لكون القصر لا يسعه، ولا تسع عقول أهله علومه. ولذلك لما سأله القاضي أبو محمد عبد الواحد الحميدي : ما الذي جاء بك من بلدك ؟ قال له : كسدت، رجع الياقوت في أيدينا حجرا. ولما أنهم لم يقبلوا خير الله إذ جاءهم، فأنكروا على الشيخ أبي المحاسن وشيخه أبي محمد، فصرفه الله عنهم. ولكون فاس في احتياج إليه، كما قاله القاضي الحميدي في كتابه لأهل القصر، حسبما رأيته بخطه، وهي المناسبة لعلو شأنه وإمامته، ولما أن أصحابه الآخذين عنه بفاس.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي، رضي الله عنه : قيل لي انتقل إلى الديار المصرية تربي فيها أربعين صديقا. وقال سيدي علي الحنشي لبعض أصحاب الشيخ أبي المحاسن، وهو سيدي محمد العوفي[173] أخو سيدي عبد الرحمان القادم معه لفاس : سيدي يوسف أصحابه بفاس، فقال له : وهل بالقصر منهم أحد يا سيدي؟ فقال له : نعم، أنت منهم، فانتقل إلى فاس بعد أن بعث تلميذه سيدي إبراهيم الصياد إليها، فالتقى مع البهلول الذي كان بها، وهو سيدي الحاج محمد الرامي دفين خارج باب الجيسة، شيخ سيدي جلول دفين داخله، فذهب به إلى الشهود، فأشهد على نفسه بتمكين الشيخ أبي المحاسن من فاس بجميع منافعها ومرافقها، ثم احتملوه، وكان مقعدا، فأخرجوه من فاس، فكان يأوي تارة بناحية سبو، وتارة بفاس الجديد إلى أن توفي.

وعرضت له يوما حاجة أكيدة بقصبة فاس فما دخلها إلا متمسكا برجل من أصحاب الشيخ أبي المحاسن ولائذا به، فقضى حاجته وخرج سريعا.

ولما استقر الشيخ أبو المحاسن بفاس، أقبل الناس عليه، وكثر الجمع لديه، وسرت في الناس منه نفحة اهتزوا بها طربا، وكثر طلاب الدخول في الطريق، وترادف القاصدون من الجهات، وقال لهم يوما : والله لو أحببت لتعطلت الأسواق والطرازات[174] وصار الناس كلهم هنا يصيحون الله، الله، وأتاه الناس على طبقاتهم،

---

(173) الفقيه الأديب محمد بن عبد الرحمان العوفي توفي سنة 1068هـ (راجع **تحفة أهل الصديقية**، ص. 17؛ م القادري، **التقاط الدرر**، 140/1؛ **نشر المثاني**، 87/2).

(174) مفردها طراز ويسمى في اللهجة العامية بـ«الدراز»، وهو معمل يشتغل فيه بالحياكة.

علماء وعباد وزهاد ومريدون ومشايخ، واحتاج إليه الملوك والوزراء والقواد وغيرهم من أبناء الدنيا، وخدموه، ولم يستغن عنه أحد، وظهر بذلك مصداق قول شيخه أنه كالملح لا يستغني عنه أحد. وهناك بعث إليه الشيخ سيدي محمد الشرقي(175) معترفا بتقدمه عليه. ودل عليه سيدي أبو المكارم محمد البكري الصديقي المصري(176) من سأله من المغاربة عمن يقصد في الوقت لتعينه فيه. ودل سيدي الحاج محمد الرامي البهلول المتقدم صاحبا له عليه، وسماه بالبحر وبالسلطان. وكان سيدي أبو يحيى البهلول المعروف، المدفون مع سيدي رضوان بروضة واحدة، في جنازة، وكان فيها الشيخ أبو المحاسن، فجاء إنسان يسلم على سيدي أبي يحيى، فجعل يشير له إلى الشيخ أبي المحاسن، يدله عليه، فلما لم يفقه، سبه وطرده. وكان رجل من أهل الله بالشناكين(177) من فاس فمر به يوما الخضر، عليه السلام، فسأله إلى أين؟ فقال له : إني رسول من النبي، ﷺ، إلى جموع الفقراء الذين بفاس لأختبر حالهم وما هم عليه، وهو بجبل طغت(178)، فسأله أن يرجع إليه بما تفرقوا عنه، وكان هذا الولي من الأخفياء الذين لا تباعة لهم، فلما تفرقوا أتاه فأخبره بأن أعلامهم كلها رجعت منكسة إلا علم صاحب الترجمة، قال : لوقوفه مع السنة واستمساكه بها.

وتكلم الشيخ أبو المحاسن يوما بكلام في الطريق فقال له بعض الحاضرين : إن فلانا، أظنه ابن عطاء الله، لم يقل هكذا. فقال له الشيخ : لست مفاوض لأحد، فلان قال وأنا أقول، وفلان يقول وأنا أقول، حتى ذكر جماعة من أعيان مشايخ الطريق. ثم قال : ولا أحط هذه الرقبة إلا للجبل الراسخ سيدي عبد السلام بن مشيش، رضي الله عنه. وكان صاحب الترجمة يوسم بالقطبانية؛ فبقي بفاس خمسا وعشرين

---

(175) محمد بن أبي القاسم السُّميري، بالتصغير، نسبة لأولاد سمير وهم من ذرية عمر بن الخطاب، الزعري لقباً، المعروف بأبي عبيد الشرقي، من كبار شيوخ التصوف؛ مؤسس زاوية أبي الجعد وجد الأسرة الشرقاوية، توفي سنة 1010هـ ودفن بجعيدان من تادلة (انظر ترجمته في : **مرآة المحاسن**، ص. 226؛ **ممتع الأسماع**، ص. 110؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 19؛ **صفوة من انتشر**، ص. 25؛ **التقاط الدرر**، 37/1؛ **نشر المثاني**، 80/1).

(176) اشتهر بنسبه لأبي بكر الصديق، له ديوان أودع فيه بعض أسرار الطريق وله رسائل في التوحيد وفي الإسم الأعظم، ولد سنة 930هـ وتوفي حوالي سنة 994هـ (راجع : **درة الحجال**، 227/2؛ **لقط لفرائد**، ص. 320؛ **نشر المثاني**، 289/1؛ **الأعلام**، 289/7).

(177) في ك2 : الشماعين وهو حي حرفي بعدوة القرويين.

(178) وتنطق في الأصل تغاتْ (وتعني المِعْزَى بالبربرية)، وهو جبل يقع غرب مدينة فاس ويمتد شرقها إلى وادي مكس (وادي بونصر قديما) (راجع **وصف إفريقيا**، 231/1).

سنة كما حد له سيدي علي الحنشي، ثم نقله الحق إلى دار كرامته في آخر الثلث الأول من ليلة الأحد الثامن عشر من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وألف، ودفن بروضته الشهيرة به خارج باب الفتوح أحد أبواب فاس. وكان مولده ليلة الخميس لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبع وثلاثين أو ثمان وثلاثين وتسعمائة. وكان انتقاله إلى فاس، ودخول أهله ورحيله إليها ثامن عشر ربيع الأول عام ثمانية وثمانين وتسعمائة، رضي الله عنه ونفعنا ببركاته، آمين.

وقد ألف غير واحد في مناقبه وأجوبته وكلامه في مجالسه وأحواله منها : «**مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**» لولده أبي عبد الله العربي(179) رحمه الله. هذا كلام صاحب «**الممتع**» في سيدي يوسف الفاسي، نفعنا الله به. وقد ألف فيه صاحب «**الممتع**» أيضا تأليفا لطيفا حسنا سماه : «**الجواهر الصفية من المحاسن اليوسفية**». وألف فيه أيضا تأليفا آخر سماه : «**روضة المحاسن الزاهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن**»، وقد أردت أن أذكر بعض كراماته، رضي الله عنه، أختم بها هذه الترجمة المباركة منقولة من كتاب «**مرآة المحاسن**».

منها أن رجلا كان يعرف بمحمد الحصار وكان له ولد صغير قد أقعد، فأتى به يوما إلى الشيخ، والفقراء إذ ذاك ما زالوا يقرؤون حزب الغداة(180)، وبكى بين يديه وطلب بركته في شفائه، فأقعده عن يساره ساعة ثم قال له : قم، فقام معافى بإذن الله، وسار مع أبيه على قدميه، وكان وقتا طابت فيه قلوب الحاضرين وتجلت فيه الحقيقة لأعين الناظرين والحمد لله على ذلك حمد الشاكرين.

ومنها أن صاحب مدينة تازة كان له ولدان نسب أحدهما للآخر ما تقتضي الغيرة قتله بسببه، ففر المتهم إلى روضة الشيخ الولي الشهير أبي عبد الله محمد بن

---

(179) محمد العربي الفاسي، عالم مشارك، كان له اهتمام بعلوم الشريعة واللغة والأدب وله فيها تآليف عديدة، تلقى تعليمه عن أقاربه وعن جماعة من شيوخ فاس، وعنه أخذ جماعة، منهم بنوه، توفي بتطوان سنة 1052هـ (راجع ترجمته في **نشر المثاني**، 10/2؛ **الحركة الفكرية**، ص. 420).

(180) وهو الحزب الذي كان يقرأ بالزاوية الفاسية بعد صلاة الصبح، وقد رتب أبو المحاسن ما كان يذكر فيه من أذكار من حزب الشيخ محمد بن سليمان الجزولي والحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي والمسبعات العشر والمعشرات التسع ووظيفة الشيخ زروق (راجع **مرآة المحاسن**، ص. 54 وص. 58؛ **والمقصد الأحمد**، ص. 95).

عبد الرحيم بن يجبش[181]، رضي الله عنه ونفعنا ببركاته، فتبعه أخوه وأخرجه وقتله، فأقعد القاتل وتعذر برؤه[182]، فجيء به إلى فاس وحمل إلى الشيخ مقعدا لا يقدر على القيام، فأقام ساعة عند الشيخ وقال له : قم، فقام ومشى على رجليه، ولم يبق به شيء مما كان به، وحضر لذلك جمع كثير من الناس شاهدوا منه آية من آيات الله ظاهرة للعيان.

ومنها أن بعض من كان يخدمه من أهل الدولة، وكان إذ ذاك إلى نظره عمل جرس[183] سجن بعض أهل ذلك العمل في مال له بال، وكان ذلك في أيام المولد النبوي على المولود فيه أفضل الصلاة والسلام، سنة سبع وألف، فجاء نساء المسجون إلى دار الشيخ يطلبن الشفاعة فيه، فبعث الشيخ بعض أصحابه إليه[184] يكلمه في تسريحه، فلما كلمه في ذلك قال : أنا لا أطلقه، وإذا أحب الشيخ أن يطلقه فليطلقه. فرجع الفقير إلى الشيخ وأدى إليه ذلك كما سمعه، فلما كان من الغد خرج الشيخ إلى صلاة الصبح، وإذا بالمسجون وقع على رجليه يقبلهما ويثني عليه ويحمد الله تعالى على ما من به عليه من بركته، فسمعناه يحدث أنه كان في محبسه في برج له باب مقفل وعليه حراس ومن دونه أبواب مقفلة وأقوام هنالك، وإذا بالشيخ قد وقف عليه وقال له : قم، وإذا بالحديد قد سقط عن رجليه، فقام إلى الباب فوجده مفتوحا فتخطى الحراس إلى الباب الآخر فوجده كذلك إلى أن نفذ إلى الشارع، وقصد دار الشيخ حتى انتهى إليه، وخلصه الله تعالى وأحسن عاقبته. ثم بعد أيام قليلة جاء الأمر من مراكش بثقاف الذي سجنه وتثقيل الحديد عليه وإغرامه مائة ألف [دينار][185]، ولم يكن لذلك سبب ظاهر مع عظيم حظوته، فجاء أهل داره إلى الشيخ وطلبن منه السمح والإقالة، فوعدهن بخلاصه، فكان كما قال، وظهر اللطف الباهر، وانسدل الستر الجميل.

(181) المعروف بابن يجبش التازي، الأديب الصوفي والعالم المشارك في العلوم الدينية واللغوية والمبرز في النحو والفقه والعروض. توفي سنة 920هـ (راجع ترجمته في : **الحركة الفكرية**، ص. 434).

(182) في ك1 : برزه.

(183) في ك2 : نظر عمل حرس.

(184) في ك2 : إلى العامل.

(185) زيادة في **مرآة المحاسن**.

ومنها أن الشيخ كان مرة في زيارة سيدي أبي سلهام[186]، نفعنا الله ببركاته، وكان على عين تيسوت، فقدم زوار من الفاسيين، زهاء سبعين رجلا، زاروا سيدي أبا يعزى نفعنا الله ببركاته آمين، ثم الصالحين بسلا، وجاءوا على الساحل لزيارة سيدي أبي سلهام، وفيهم جماعة من الأعيان، منهم محتسب فاس الشيخ الفقيه الحسيب أبو عبد الله محمد العربي الماواسي، وكان من أصحاب الشيخ، فوافقوا قصعة من الطعام المألوف بالمغرب المعروف بالكسكسو وعليه مؤخر خروف مما يكفي عادة عشرة رجال أو ما يقرب منهم، فأمر الشيخ بتقديمها للواردين، فأكلوا منها بأجمعهم طائفة بعد طائفة حتى شبعوا، وبقي الطعام على حاله، وما من أحد منهم إلا ذكر عن نفسه أنه أكل من اللحم قطعتين[187] أو أكثر، ثم انكفأ أولئك القوم إلى فاس يحدثون بما شاهدوا من ذلك، وكنا نحن إذ ذاك بفاس، فسمعناه من كثير منهم، ثم سمعناه من كثير من أهل تلك البلاد، وقد ذكر بعض من قيدها، أن جملة الآكلين منهم ومن غيرهم أربعمائة، وأنهم كانوا يجلسون عشرة بعد عشرة.

ومنها أن بعض السادات الأشراف زوج ولده على صداق فيه مملوكتان، فتيسرت له واحدة وتعذرت الأخرى، فجاء إلى الشيخ وشكى إليه ذلك فقال له : إقض جميع مآربك واعرف المملوكة عندي إلى أن قرب وقت البناء. فبينما هم يهيئون أمورهم إذ دخلت عليهم أمة كَناوية في زي بلادها، فحضر من كلمها باللسان الكَناوي وقال لها : لمن أنت؟ فقالت : لا أدري، إلا أني كنت في بلادي فأخذني رجل من صفته كذا وكذا، تذكر صفات الشيخ، فجاء السيد الشريف من حينه إلى الشيخ [فذكر ذلك له][188] فقال له : أكتم ذلك حتى نموت وأخبر به من شئت، فكتم ذلك حتى توفي الشيخ بعد ذلك بنحو سبع سنين، فكان السيد الشريف يحدث بذلك بعده.

ومنها أن بعض أصحابه من عرب طليق[189] ذكروا له أنهم عملوا له زريبة

---

(186) يسمى أبا سعيد ويكنى بأبي سلهامة. أحد الأولياء المشاهير وقبره بجوار القصر الكبير يقصده الناس للتبرك به. توفي سنة 343هـ (راجع **مرآة المحاسن**، ص. 40).

(187) في ك2 : قطعة.

(188) زيادة في ك1.

(189) قبيلة عربية توجد في منطقة الغرب بجوار القصر الكبير، وهي تكون خليطاً مع قبيلة الخلط التي انتقلت إلى المنطقة من تامسنا واندمجت معها (راجع **قبائل المغرب**، ص. 420).

نحل، وما زالوا يذكرونها له إلى أن خرج في بعض زياراته إلى تلك البلاد، فقال : أين عسل هذه الزريبة؟ فقال بعضهم : ما فيها عسل، فقال : إن لم يكن بها عسل فالنار أولى بها، وأشار بأصبعه، فاحترقت من حينها والناس ينظرون إليها ويعجبون من أمر الله سبحانه وتسخيره ما شاء لمن شاء.

ومنها أنه كان في بعض زياراته أيضا، وكان في خبائه ليلا وعنده جماعة من أصحابه، فطفئ المصباح وكان بإزائه ألف نار، فجعل يده عليه فاشتعل من يده والحاضرون يشاهدون ذلك.

ومنها أن نهر القصر، وهو وادي لكس[190] جاء بسيل عظيم لم يعهدوا مثله، وطغا الماء فدخل المدينة دخولا منكرا وهو في زيادة والأمطار منسجمة، فجاء الناس إلى الشيخ مرتاعين واستغاثوا به. فقام الشيخ إلى أن وصل إلى الموضع الذي وصل إليه الماء، وهو في حال الزيادة وقوة الجرية وغزارة المادة، فركز هنالك عكازه وقال : إن كنت مأمورا فأنا مأمور. فما زاد الوادي على ذلك شيئا، وأخذ في الرجوع، وخبر ذلك شائع ذائع.

ومنها أن النصارى، دمرهم الله، لما استجاشهم[191] السلطان أبو عبد الله محمد المتوكل ابن السلطان أبي محمد عبد الله ابن السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الحسني على عمه السلطان أبي مروان عبد الملك المعتصم، خرجوا إلى بلاد المسلمين في ربيع الثاني سنة ست وثمانين وتسعمائة وعظيمهم سبستيان ملك برتغال، واحتشد أمما من النصرانية، يقال إن مجموعهم كان مائة ألف وعشرين ألفا، وأقل ما قيل في عددهم ثمانون ألف مقاتل، وضربوا محلاتهم بالفحص على أقل من مسيرة يوم من مدينة القصر. وكانت أصيلا[192] قد تصيرت إليهم قبل ذلك بأشهر، فعاين أهل

(190) واد يقع بظاهر قصر كتامة المعروف حاليا بالقصر الكبير، وهو ينبع من منطقة جبالة ويصب في البحر عند العرائش (راجع : **المسالك والممالك** لأبي عبيد البكري، ص. 110؛ **وقبائل المغرب**، ص. 69).

(191) لما تغلب عبد الملك المعتصم وأخوه أحمد على ابن أخيهما محمد المتوكل عقب توليه الملك، فر هذا الأخير لدى الملك البرتغالي طلبا لمساعدته على استرجاع ملكه فاستجابْ الملك البرتغالي لطلبه وقاد برفقته قواته في اتجاه المغرب فكانت معركة وادي المخازن التي انتصر فيها المغرب على البرتغاليين سنة 986هـ.

(192) استولى عليها البرتغاليون سنة 876هـ وأخذوا سكانها أسرى ومن بينهم محمد الوطاسي الذي لقب بمحمد البرتغالي، وتخلوا عنها بعد دخول محمد الشيخ السعدي لفاس سنة 951هـ وعادوا إليها قبيل معركة وادي المخازن بعد أن سلمها لهم صهر محمد المتوكل (راجع **وصف إفريقيا**، 242/1؛ **الإستقصا**، 4 ض 110 و116، 78/5).

القصر الهلكة لقرب العدو منهم وقوته التي لا طاقة لهم بها، وفشوا النفاق لأجل السلطان أبي عبد الله الذي معهم وبعد صريخ المسلمين، فإن السلطان أبا مروان كان إذ ذاك بمراكش، فاستبطأوا وصول الخبر إليه وحركته بعده، فلم يبق لهم تدبير إلا الفرار والتحصن بالجبال وغيرها. فقال الشيخ لرجل من أصحابه : ناد في الناس أن الزموا دوركم وبلادكم فإن عظيم النصارى مسجون حيث هو حتى يجيء السلطان من مراكش، والنصارى غنيمة المسلمين، ومن شاء فليعط خمسين أوقية للنصراني، يشير إلى مبلغ قيمة النصراني في الغنيمة. فما انتقل النصارى من مكانهم ذلك أزيد من شهر حتى قدم السلطان أبو مروان [من مراكش](193) وكان مريضا؛ فالتقى الجمعان يوم الإثنين مكمل جمادى الأولى سنة ست وثمانين وتسعمائة، فمنح الله المسلمين النصر، وقتل سبستيان في ذلك اليوم واستولى المسلمون على ما معه، فما نجا من النصارى إلا قليل، وفر مستصرخهم السلطان أبو عبد الله واضطر إلى عبور وادي المخازن، فوقع في غدير فمات غريقا فيها واستخرج منها. وحصل المسلمون على غنيمة لم يكن قط مثلها بالمغرب، إذ لم يتقدم للنصارى خروج به على هذه الصورة، إلا أن الغنيمة لم تقسم، إنما انتهبها الناس كما اتفق لهم بحسب القوة والبخت الدنيوي. وكان الناس يتوقعون مغبتها لاختلاط الأموال بالحرام، فظهر ذلك من غلاء وغيره، وكنا نسمع أن البركة رفعت من الأموال من يومئذ. وقد حضر الشيخ هذه الغزوة وأبلى فيها بلاءا حسنا وتورع عن الغنيمة فلم يتلبس بشيء منها. وبلغت قيمة النصراني ما ذكره الشيخ، رضي الله عنه. وكان سبب عدم ضبط أمر الغنيمة بجمعها وقسمها، موت السلطان أبي مروان، رحمه الله، قبل هزيمة النصارى، وكان مريضا في محفة، فأخفى أصحابه موته حتى أظهر الله المسلمين. فاشتغل أخوه السلطان أبو العباس أحمد المنصور بجمع الكلمة عليه ولم يشتغل بأمر الغنيمة، فتم له ما قصد، وعد من البخت له أن مات في يوم [واحد](194) ثلاثة من الملوك، وورث هو الملك ﴿وَاللهُ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ﴾(195).

ومنها أنه في سنة سبع وسبعين وتسعمائة، أو بعدها بيسير، خرج في جماعة من أصحابه، منهم السيد الولي الفاضل سيدي جابر بن مخلوف الرياحي، والفقيه

(193) زيادة في ك2.

(194) زيادة في م.

(195) ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الآية 89 من سورة **الأنبياء**).

سيدي محمد بن الحسن العريبي الشاوي[196] وغيرهما، قاصدا لزيارة أولياء الله تعالى، فبلغ مراكش وزار من بها، ولما كانوا في بلاد دكالة عند الجبل الأخضر[197]، رآهم قوم من قاطعي الطريق فقصدوهم، فلما وصلوا إليهم عموا عنهم إلا فرس الشيخ، وكانت أنثى، رأوها صخرة، فرأوا الحجر حجرا، فكان القطاع يتساءلون أين ذهبوا، فيقول بعضهم: كانوا عند هذا الحجر، يحسبون الفرس حجرا. فطمس الله على أعينهم فذهبوا وكفى الله أولياءه، انتهى.

ومنها ما حدثني به الثقة عن الشيخ الصالح المعمر أبي الحسن علي بن وافا[198]، وأظن أني سمعته منه قال : أعطاني الشيخ ثلاثين مدا من القمح، يعني المد الفاسي[199] وهو الصاع السني، وقال لي : اِجعلها في وعاء في بيتك وخذ من أعلاها ما تحتاج إليه لك ولعيالك، ولا تتطلع كم بقي منها. قال : فأكلنا منها العام كله والصيف القابل بعده، ومضت مدة من الخريف فقالت المرأة : هذا القمح لا يفرغ، وعمدت إلى الوعاء فأفرغته، ولم أحضر، فلما حضرت، كلته فوجدته ثلاثين مدا كما كان.

ومنها أن رجلا قبضه حرسي وسار به، فانفلت منه وفر أمامه إلى أن دخل دار الشيخ، وتبعه الحرسي حتى وقعت عينه على بعض من في الدار، وكان الشيخ غائبا، وحضر هنالك من جانب الشيخ من زجر الحرسي وطرده، فعمي الحرسي من يومه، فلما قدم الشيخ جيء به إليه يقاد وطلب السمح فقال : قد سمحت، وليس لي من الأمر شيء، وإنما للذي غار على عبده في غيبته.

ومنها ما ذكره رجل خير من أهل القصر يعرف بالحاج الصباغ، فإنه ذكر أنه حضر مع الشيخ أبي المحاسن في موقف الحج بعرفة، وإنه عهد إليه أن لا يحدث بذلك حياته، وأنذره بالعمى إن حدث به في حياته. فلما قدم إلى وطنه لم يتمالك أن حدث به فعمي، وقد رأيته ضريرا، وذلك يذكر حينئذ، إلا أني لم أضبطه عنه

(196) ورد ذكره في **الإعلام**، 153/2.

(197) جبل يمتد وسط منطقة دكالة لا يتعدى علوه 697م، كان يشكل مع جبال بني ماكر وجبل الحديد المجاورين له ملجأ لسكان المنطقة الفارين من الاِضطهاد البرتغالي ومقرا للزهاد (راجع : **وصف إفريقيا**، 126/1؛ أحمد بوشرب، **دكالة والاِستعمار البرتغالي في أماكن متفرقة**).

(198) توفي سنة 807هـ (راجع **مرآة المحاسن**، ص. 162).

(199) حول تحديد مقداره (راجع **فاس قبل الحماية**، ص. 405).

لصغري وسمعته مستفيضا من غيره، فحضر، على هذا، الشيخ بالموقف ولم يفقده أصحابه بفاس.

ومنها ما كان يحدث به الشيخ الفاضل المتبرك به، حامل علم الركب(200) المغربي إلى الحرمين الشريفين مرات عديدة، أبو عبد الله محمد بن الخطيب القصري، رحمه الله، أنه زار في بعض قدماته لمصر شيخ العارفين وإمام الواصلين الشيخ أبا المكارم محمد البكري الصديقي، وأظنه في السنة التي توفي فيها، فسأله عمن يقصد في الوقت لتعينه فيه فقال له : إنه بالمغرب، وأعطاه قطعة كبيرة من العود القماري وقال له : علامة الرجل الذي ذكرت لك أنه يعطيك أوقية وربعا وخبزا ورمانا، وأظنه قال خمس رمانات، وإذا أعطاك ذلك فإنه يأخذ بيدك ويقول لك : هات الأمانة التي عندك فاعطه هذا العود القماري. قال الشيخ الحاج أبو عبد الله : فما زلت من لدن توجهت إلى المغرب أقصد لقاء الأخيار، حتى وصلنا إلى فاس وكدت أيأس فقلت : لا ألقى أحدا حتى أزور الشيخ أبا المحاسن، فلما دخلت عليه أخرج لي الخبز والرمان وأعطاني أوقية وربعا وقبض على يدي وقال لي : أين الأمانة؟ فعلمت علما يقينا أنه مقصود الشيخ البكري، رضي الله عنه، فناولته الأمانة وقلت له : سيدي، مضى لي زمن طويل في محبتك وصحبتك وقد انتفع بصحبتك خلق كثير ولم أحصل على شيء، فقال لي : إن أردت أن أنفعك فقصر لحيتك، فقلت له : يا سيدي، إني أعيش بها بين الناس فلا قدرة لي على إزالتها، فقال الشيخ : وأنا لا لوم لك علي. فكان الحاج أبو عبد الله يحكي ذلك ويقول : لو وفقت لأزلتها، ويا ليتني قبلت شرط الشيخ. وكانت للحاج أبي عبد الله لحية طويلة على رسم المشايخ وأهل الرياسات الدينية، وكانت صحبته للشيخ على وجه التبرك لا على وجه الإرادة. والعود القماري المذكور ما زال بعضه عند أولاده إلى الآن.

وأخذ الشيخ أبو المحاسن، رضي الله عنه، كما تقدم عن الشيخ الولي الكامل العارف الواصل أبي محمد سيدي عبد الرحمان بن عياد المجذوب(201)، رضي الله عنه، دفين مكناسة الزيتون، لا ينتسب إلا إليه ولا يعول في شأنه إلا عليه، إليه سلب

(200) من بين الأشخاص الذين كانوا يرافقون ركب الحجاج إلى الحجاز حامل علم الركب ويسمى «العلام» (راجع **مذكرات من التراث المغربي**، 42/3).

(201) الصنهاجي الفرجي الدكالي، ولي مجذوب، كان مأوى سلفه بمدينة تيط بمنطقة دكالة حيث توفي سنة 976هـ. ومنها نقل إلى مكناسة حيث دفن (راجع عنه **مرآة المحاسن وابتهاج القلوب**).

الإرادة ولازم، وهو عن الشيخ المجذوب العظيم ذي المدد الجسيم أبي الحسن سيدي علي بن أحمد الصنهاجي المتقدم ذكره، وهو كما تقدم عن سيدي إبراهيم أفحام الزرهوني، عن الشيخ زروق بعد أن أخذ، أعني سيدي إبراهيم، عن النبي، ﷺ، بلا واسطة، وتقدم سند الشيخ زروق في ترجمة سيدي علي الصنهاجي، فراجعه إن شئت.

وأخذ الشيخ أبو المحاسن سيدي يوسف الفاسي أيضا تبركا واستفادة كما تقدم أيضا، عن الشيخ أبي العباس أحمد بن منصور دفين القصر وانتفع به، والشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الطالب دفين القليعة داخل باب الفتوح من فاس، والشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد الهبطي دفين معاتب(202) قرب شفشاون، والشيخ أبي محمد عبد الله بن ساسي دفين قرب مراكش، والشيخ أبي النجا سالم العماري، والشيخ أبي عبد الله محمد بن مخلوف الضريسي دفين بوشفان من عمل القصر، والشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر دفين خارج مكناسة الزيتون، والشيخ أبي محمد الحسن بن عيسى المصباحي دفين الدعداعة(203) على وادي مضى، والشيخ أبي عبد الله محمد كانون المطاعي دفين تساوت(204) من بلاد السراغنة والشيخ أبي سالم إبراهيم الزواري دفين خارج باب الجيسة. فأما الشيخ أبو العباس أحمد بن منصور والثلاثة بعده فعن الشيخ القطب سيدي عبد الله الغزواني دفين مراكش، وهو عن الشيخ القطب سيدي عبد العزيز التباع، وهو عن الشيخ القطب الشريف سيدي محمد بن سليمان الجزولي، صاحب دلائل الخيرات، رضي الله عنه. وأما الشيخ أبو النجا سالم، فعن الشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن عيسى الشهير بابن ريسون الشريف الحسني دفين تاصروت(205) قرب جبل العلم(206)، وهو عن الشيخ سيدي عبد الله الغزواني. وأما

---

(202) مدشر يقع في جبل الأشهب جنوب شرق مدينة شفشاون، شكل أيام السعديين مقرّاً لآل الهبطي الذين انتقلوا إليه من مدينة طنجة بعد أن احتلها البرتغاليون سنة 869هـ (راجع **الحركة الفكرية**، ص. 466).

(203) موقع بأرض البروزي من بلاد طليق في منطقة الغرب (راجع : **الإستقصا**، 111/4).

(204) وتنطق أيضا تستاوت.

(205) تنطق أيضا تازروت، وهو اللفظ الغالب في الإستعمال، ولعلها قبيلة بني فنزكار الواقعة في منطقة الهبط والتي تحتضن جبل بني فنزكار (راجع **وصف أفريقيا**، 248/1؛ **الإستقصا**، 144/4 و147؛ **الحركة الفكرية**، ص. 465).

(206) يقع وسط قبيلة بني عروس بين تطوان وشفشاون غير بعيد عن بني حسان حيث ضريح الولي الصالح عبد السلام بن مشيش، اشتهر مع ما يحيط به من مداشر بكونه مركزا للعلم والتصوف (راجع **الحركة الفكرية**، ص. 463).

الشيخ أبو عبد الله محمد بن مخلوف، فعن الشيخ أبي حفص عمر بن مبارك الحصيني دفين خارج مكناسة الزيتون، عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر الحارثي دفين خارج مكناسة الزيتون، عن الشيخ الجزولي. وأخذ سيدي عمر الحصيني أيضا عن الشيخ التباع. وأما الشيخ أبو عثمان سعيد بن أبي بكر[207] فعن الشيخ أبي عثمان سعيد الراعي دفين المقرمدة[208] حوز فاس وهو عن الشيخ التباع، وقيل عن الشيخ الجزولي بغير واسطة[209]. وأما الشيخ أبو محمد الحسن فعن قريبه في النسب الشيخ أبي عبد الله محمد المدعو بأبي عسرية المصباحي، وهو عن الشيخ التباع. وأما الشيخ أبو عبد الله كانون، فعن الشيخ التباع. وأما الشيخ سيدي إبراهيم الزواري فيأتي سنده في ترجمته.

وأخذ الشيخ سيدي عبد الرحمان المجذوب تبركا واستفادة وانتفاعا عن عدة من المشايخ وخدمهم وتربى بهم وتأدب وتهذب، منهم : الشيخ أبو حفص عمر الخطاب دفين جبل زرهون، وعليه اعتمد في التربية وسلوك الطريق، والشيخ أبو عثمان سعيد بن أبي بكر، وانتفع به، والشيخ أبو الروابن دفين خارج مكناسة الزيتون، والشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الواحد الشبيه الشريف الحسني الجوطي دفين خارج مكناسة الزيتون، والشيخ أبو محمد عبد الحق الزليجي دفين جبل زرهون، والشيخ أبو زكرياء يحيى بن علال البوخصيبي العمري دفين خارج باب الفتوح من فاس، وكان يطحن عنده الرحى، والشيخ أبو عبد الله محمد جعران السفياني. فأما الشيخ أبو حفص عمر الخطاب فعن الشيخ التباع. وأما الشيخ أبو عثمان سعيد بن أبي بكر فقد تقدم في مشيخة سيدي يوسف الفاسي. وأما الشيخ أبو الروابن فعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى الكبير الفهري السفياني الأصل ثم المختاري دفين خارج مكناسة الزيتون، وهو عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر الحارثي وعلى يديه كان فتحه، ثم أخذ بعده وعن إذنه عن الشيخ التباع وعلى يديه كان تكميله، ولقي أيضا الشيخ ابن عيسى الشيخ أبا عبد الله محمد الملقب من شيخه بالصغيّر العمري ثم السهلي وانتفع

---

(207) طرة من ح : وكان من أكابر الأولياء ومشاهير المشايخ وذوي الهمم العالية، دفين خارج باب المشاورية أحد أبواب مكناسة الزيتون وهو من أشياخ سيدي يوسف الفاسي حسبما ذكره في **مرآة المحاسن**.

(208) مدينة تقع شرق فاس، أنشأها ملوك زناتة، وخربت في الحروب التي وقعت أواخر أيام بني مرين (راجع : **وصف إفريقيا** 225/1).

(209) في **المقصد الأحمد**، ص. 296 نقلا عن **دوحة الناشر** أنه أخذ عن الشيخ الجزولي بالواسطة، ولعله أخذ عنهما معا.

به[210]. وأخذ سيدي الصغيّر السهلي عن الشيخ القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي الشريف الحسني.

وأما الشيخ أبو العباس أحمد الشبيه، فعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يجبش دفين تازة، وهو عن عمه الشيخ أبي الحسن علي بن يجبش، والشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزيتوني، والشيخ أبي سالم إبراهيم التازي، والشيخ أبي فارس عبد العزيز بن خليفة القسنطيني. وأخذ الشيخ عبد العزيز القسنطيني عن الشيخ أبي [محمد][211] عبد الله بن أبي القاسم الجزائري الشاذلي الطريقة، وهو عمدته. وأخذ أيضا سيدي عبد العزيز القسنطيني عن الشيخ سيدي أحمد زروق والشيخ سيدي محمد الزيتوني. وأما الشيخ أبو محمد عبد الحق الزليجي فعن الشيخ أبي عبد الله محمد الصغيّر السهلي عن الشيخ الجزولي. وأما الشيخ أبو زكرياء يحيى بن علال فعن الشيخ التباع كما تقدم في ترجمته. وأما الشيخ أبو عبد الله جعران فعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن منصور السفياني دفين البسابس[212] وهو عن الشيخ التباع. وأخذ الشيخ القطب الكبير الشريف الحسني سيدي محمد بن سليمان الجزولي دفين مراكش عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الشريف المعروف بأمغار الصغير، عن الشيخ أبي عثمان الهرتناني عن الشيخ أبي زيد عبد الرحمان الرجراجي دفين شفشاوة[213] عن الشيخ أبي الفضل الهندي عن الشيخ عنوس البدوي راعي الإبل عن الشيخ أبي العباس أحمد القرافي عن الشيخ أبي عبد الله المغربي عن شيخ الطريقة القطب الكبير والغوث الشهير سيدي أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي الحسني الإدريسي. وأخذ الشيخ الجزولي أيضا عن الشيخ أبي فارس عبد العزيز العجمي، لقيه بالجامع الأزهر من مصر وأخذ عنه، وصرح الشيخ الغزواني بأن الشيخ العجمي شاذلي، ولا نعرف اتصال سنده، رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين.

---

(210) ذكر صاحب **المقصد الأحمد** في ص. 300 أن أبا الروائن لقي الصغير السهلي مباشرة.

(211) سقط من م وك1 وك2.

(212) منطقة تقع شرق وادي سبو بين دائرتي القنيطرة وسوق أربعاء الغرب (راجع **الإستقصا**، 165/4؛ وم حجي، **الزاوية الدلائية**، ص. 154).

(213) في ك2 : شيشاوة وهي منطقة جبلية تجاور مدينة مراكش (راجع : **وصف إفريقيا**، 110/1؛ **موسوعة الأعلام البشرية والحضارية**، 241/2).

* عبد الرحمان بن محمد الفاسي

ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الرحمان بن محمد بن يوسف الفاسي دفين خارج باب الفتوح.

قال في «**ممتع الأسماع**» فيه : الولي العارف الكبير، الواصل المحقق الشهير، ولد، رضي الله عنه، في محرم سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة، ومات أبوه في جمادى الثانية من سنة أربع وسبعين(214) وتسعمائة، فربي في حجر أخيه الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد، ثم في حجور الفقراء من أصحابه وأصحاب شيخه المجذوب وغيرهم من المشايخ والمريدين والصالحين الذين كانوا يأتون دار أخيه، إذ كانت لهم مألفا؛ وبعثه أخوه مرة إلى الشيخ المجذوب، فأجلسه على فخذه لصغره وأعطاه قطعة لحم. ثم لما أراد الله أن يهيئه للإمامة والاِقتداء، كما قال الشيخ أبو العباس بن العريف : إذا أراد الله أن يهيء عبدا للإمامة والاِقتداء شغله في أيام غفلته بعلم الظاهر من القراءة والعربية والفقه والحديث، ثم ينقله إلى علم الأحوال والمقامات، فعند ذلك يستحق الإمامة والتقدم. فلم يتداركه الجذب من أول مرة، بل شغله بطلب العلم فطلبه عند مشيخة فاس وأئمتها حتى تضلع بالعلوم وحصل منها على ما يحصل عليه غيره من مشيخة وقته، وشهدوا له بالتقدم في جميعها، وأشاروا إليه بالتحقيق والتبريز في سائر أنواعها، ثم أنهض الله تعالى إليه همة أخيه الشيخ أبي المحاسن، رحمة منه سابقة، ومنة منه محققة، فتوجه إليه بعناية الله وبإذنه وإرادته، فأمده بمدد قوي، فتداركه الجذب وورد عليه وارد الحب، ونزل به من ذلك حال عظيم. وكان الشيخ أبو المحاسن قال لأصحابه : عبد الرحمان أخي أنا قطعت عليه الطريق، كان يكتب كتابا شريفا فقطعته عليه، فذكر ذلك للشيخ أبي محمد، وسئل عن الكتاب فقال : هو «**القاموس**»، وكان ينسخه لنفسه حتى بلغ مادة : مع، حيث قال : أو هي للمصاحبة؟ فكانت مناسبة للحال، ففجئه الجذب وورد عليه وارد قوي أزعجه وغلب عليه، فكان ذلك آخر العهد منه بالنسخ، ولازم الشيخ أبا المحاسن واختص به وانجمع عليه ورفض ما سواه، واستوحش من الناس وترك ملابسة العلوم الرسمية، وخرج عن

---

* ترجمته أيضا في : **ابتهاج القلوب**، ص. 123؛ **سلوة الأنفاس**، 302/2؛ **الفكر السامي**، 275/2؛ **الحركة الفكرية**، ص. 366.

(214) في ك2 : تسعين، والصواب ما ورد في ح وفي النسخ الأخرى اعتمادا على ما ذكر في **مرآة المحاسن** (ص. 146)، من أن صاحب الترجمة ولد سنة 972هـ وتوفي والده وهو في سن الفطام أو أزيد قليلا.

عوائده ومألوفاته ولم يبق فيه لغير محبوبه بقية. وكان مذ أول أمره يدخل الدار ويخرج، فلا يعرف ما ازداد فيها ولا ما نقص، ولا يشعر بشيء، إذ كان مأخوذا عن نفسه مقتطعا عن شاهده وحسه، إلا أن رسوم الشريعة محفوظة عليه. ثم لم يزل شيخه يحاذيه ويسايره في أحواله ومقاماته في سلوكه، ويستنزله ويرده إلى الوجود ليتكمل ويحصل به نفع العباد ويصلح لتربيتهم، فأمره مرة بإقراء ولده أبي عبد الله محمد العربي «**صغرى**» الشيخ السنوسي فقال له : إن ذلك يثقل علي، يعني لعدم مناسبته لحاله، لأنه رجوع من الشهود والعيان إلى تعاطي الدليل والبرهان، فقال له : سبحان الله، أرأيت الذي يخاطب الحمار أو غيره من الدواب بألفاظها المعهودة لها، إذا لك لغته إنما هو خطاب لها على قدرها؟ قال : ثم بعد أيام سألني وقال : كيف تجد ذلك؟ فقلت : إنه ثقيل علي، فقال : كيف تجد القرآن؟ فقلت : جمع على الله كله، فقال : والحديث؟ فقلت : إنه منور، قال : فرأيته قد سر واستنار وجهه، يعني لكونه اختبره فوجده سليم الفطرة جيد المذاق، وذلك مما يشهد بصدق حاله وسلامة طريقه وعدم الخلل في بصيرته. وهو وإن كان يعرف هذا منه لكنه لا يكتفي بالباطن ولا يهمل الظاهر، بل يعطيه حقه ويستظهر على ذلك بشهادة الخارج ويقيم عليه شاهدين. وأمره مرة أخرى بتدريس «**الرسالة**» في المسجد المعلق حول داره. وكان الشيخ أبو المحاسن يقول فيه : لولا أنه وجد الشيخ، أو قال المعلم، يعني نفسه، لكان ممن يبول على رجليه، يعني من قوة ما نزل به، يعني أنه يتوله ويكون من جملة المتولهين المغلوبين على أنفسهم، المقتطعين عن حسهم. وكان يقول فيه أيضا : عبد الرحمان أخي له يد مع الله أو عند الله، إلا أن الوقت غمنا وغمه، أجرنا وأجره على الله، وقال فيه : إنه حكيم. وكان هو يقول له : إنه هو وشيخه أبو المحاسن خلقا كرة واحدة من نور فقسمت بينهما. وسمعت سيدنا الإمام سيدي محمد بن عبد الله يقول : إن هذا شأن الوارث مع موروثه، فإذا غاب النصف ناب عنه النصف الآخر، ولأجل أنهما شيء واحد ما ورد على هذا شيء إلا ورد على الآخر، ولا أراد أن يتكلم هذا بكلام أو يفعل فعل إلا أراده الآخر وارتسم فيه. كما كان يقع له هو مع صاحب الترجمة في غير ما قضية كان يحكيها. وتذكر هنا الحديث (ما صب في صدري شيء إلا صببته أو صببت منه في صدر أبي بكر)[215].

(215) يوجد معناه في **سنن النسائي**، كتاب الإمامة، باب مواقف الإمام إذا كانوا ثلاثة والإختلاف في ذلك.

وكان سيدنا الإمام أيضا يقول : إنه كلما رأى سيدي يوسف في الغيب ظهر له في ثاني حال أنه سيدي عبد الرحمان، أو رأى سيدي عبد الرحمان عاد سيدي يوسف، لاتحادهما معنى. وتذكر قول سيدي محمد العفاني(216) له لما أمسك يده : هذه يد سيدي يوسف. ودخل يوما على الشيخ أبي المحاسن وهو جالس وحده فقال له : هكذا دخلت أنا يوما على سيدي عبد الرحمان، يعني المجذوب، فقال لي : أنت خملت بير حتى للقاع. ولما حضرت الوفاة الشيخ أبا المحاسن، كان معه أقرباؤه فصار يقول: أين فلان؟ فيقال هنا، أين فلان؟ حتى قال: أين عبد الرحمان أخي؟ فقالوا: هنا، فدعا له بالبركة. وكان الشيخ أبو محمد الغالب عليه الغيبة والاِستغراق في التوحيد. وكان يقول في شأن شيخه معه : هو أمكن مني، أنا شرولتني الحقيقة. وكان أبو محمد مع ذلك محفوظة عليه رسومه، وكان إذا تكلم في العلم كأنه حاضر كله لا يغادر شيئا مما تحتاج إليه المسألة المتكلم عليها، ويقتضيه المقام. وكان ربما يقول للحاضرين من الفقهاء وغيرهم : كيدوني جميعا ثم لا تنظرون، يعني في مسائل العلم. وكان بعض المقيدين عنه من الطلبة يوما فاته كلام قاله في حال تقييده لغيره، فطلب منه أن يعيده عليه فقال له : أقول كما قال الجنيد : لو كنت أجريه لكنت أمليه. وكان بعض الفقهاء يحضر مجلسه في «**البخاري**»، فطالع يوما ابن حجر في منزله وأتى فقال له في المجلس : هنا ما ليس عند ابن حجر، كأنه كاشفه بمطالعته. قال : فاستعظمت ذلك واستغربت أن يكون عند أحد ما ليس عند ابن حجر، قال : فما تم المجلس حتى اعترفت بصحة قوله وسلمت له.

وحضر مجلسه يوما بعض الفقهاء وكان ذا نبل وإدراك وفهم ومن شأنه أن يتكلم ويبحث، فلم يتكلم في ذلك المجلس بكلمة، فقيل له في ذلك، فقال : لا يتكلم في مجلس ذلك الرجل إلا مكروه، أي ثقيل. فقيل ذلك للشيخ أبي محمد فقال : ذلك الرجل يدرك الإعجاز. وكان من شأنه إذا كتب جوابا أو غيره، ولو طال ما عسى، لا يبيض له، بل يكتبه في محله بديهة من أول مرة. وله تآليف وأجوبة وتقاييد وطرر كثيرة في أنواع العلوم مفيدة جدا. ولما توفي شيخه تأهل للمشيخة وانتصب داعيا إلى الله. وانتفع به ناس كثيرون وظهر ظهورا عظيما، ولم يذكر أحد معه في علم الشريعة ولا في الطريقة. وظهرت له الخوارق العظيمة والكرامات

(216) الولي الصوفي محمد بن علي العفاني نزيل القصر الكبير ودفينه، توفي سنة 1005هـ (راجع : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 18؛ **نشر المثاني**، 61/1 وفيه أنه توفي قبل سنة 1005هـ).

الجسيمة. وفي صبيحة تسعة وعشرين من رمضان سنة خمس عشرة وألف، ابتدئ في قراءة الأحزاب عنده المرتبة مساء وصباحا بالمسجد المعلق حول داره. وفي سنة سبع وعشرين وألف بنى زاويته وانتقل إليها.

وتوفي، رضي الله عنه، في آخر ليلة الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ست وثلاثين وألف، ودفن في روضة أخيه الشيخ أبي المحاسن قريبا من القبة في شماليها، وبني عليه بناء حسن، رضي الله عنه ونفعنا به، آمين.

هذا آخر كلامه في «**ممتع الأسماع**» في سيدي عبد الرحمان نفعنا الله به.

وقال في «**مرآة المحاسن**» عندما عرف به : كان، رضي الله عنه، إماما عالما متبحرا نظارا جامعا لأدوات الإجتهاد مائلا إليه، محققا في جميع العلوم عارفا بالنحو واللغة والفقه والأصول والكلام والمنطق والبيان وغير ذلك، إماما في جميع ذلك، متوسعا في الأصلين، لا يدرك فيهما شأوه، جيد الفهم، مصيب السهم، شهد له بذلك شيوخه، واعترف له به أهل عصره، وأما معاني القرآن والحديث والتصوف المؤيد بالكتاب والسنة، فلا يجارى في شيء من ذلك، يورده استحضارا، مستحضرا لحديث «**الصحيحين**»، وأكثر «**مشارق**» القاضي عياض، وما عورض به بين الآيات أو بين الأحاديث، وما قيل في ذلك وما أجيب به، ويصحح ويرجح ويضعف ويزيف، متين الدين، صلبا في الحق، قوالا به، حسن الأخلاق، كريم النفس، عالي الهمة، ممتع المجالسة، طيب المؤانسة، حسن العبارة، سهل التعليم، زاهد في الدنيا، لم يتعاط قط أسبابها ولا رغب فيها، وإنما كان يتعاطى القيام بما في يده منها غيره، ثم مضى ذلك ولم يتأثر به، ميسر الرزق غير مهتم له، متوكلا على الله تعالى، حسن اللباس، لا يرى عليه أثر فاقة ولا حاجة، ظاهر الغنى، غنيا بالله تعالى؛ ثم ذكر ولادته، ثم قال : بعثه الشيخ أبو المحاسن إلى حضرة فاس سنة ست وثمانين بقصد القراءة، وكان إذ ذاك العلماء متوافرين بفاس : منهم الشيخ الإمام مفتي فاس وخطيب جامع القرويين بها، أبو زكرياء يحيى بن محمد السراج(217)، والشيخ الإمام قاضي الجماعة بفاس، وخطيب جامع السلطان بالمدينة البيضاء(218) أبو محمد عبد الواحد بن أحمد

(217) شيخ الجماعة بفاس وصاحب كراسي التفسير والفقه في جامعي القرويين والأندلس و مدرستي العطارين والحلفاويين، توفي سنة 1007هـ (راجع : **الحركة الفكرية** وما ذكر فيها من مصادر ترجمته).

(218) وهي المسماة أيضا بفاس الجديد، بناها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 674هـ (راجع : **وصف إفريقيا**، 218/1؛ **الإستقصا**، 44/3).

الحميدي(219) والشيخ الإمام المتفنن المرجوع إليه في الأصلين والبيان والمنطق أبو العباس أحمد بن علي المنجور(220) والشيخ الأستاذ شيخ النحاة والمقرئين أبو العباس أحمد بن قاسم القدومي(221) وغيرهم؛ فلازمهم وأخذ عنهم علوما جمة من الفنون المختلفة، وأخذ عن جماعة آخرين؛ ثم لازم الشيخ الإمام المتفنن المحقق النظار أبا عبد الله محمد بن قاسم القصار(222) وقرأ عليه وانتفع به كثيرا، وتضلع بالعلوم ودرس في أنواعها وأفاد وصنف وقيد، ولازم أخاه الشيخ أبا المحاسن سنين كثيرة، واقتصر بعد تضلعه في العلوم على الأخذ عنه والحضور لمجلسه والسلوك على يديه، فأخذ عنه كثيرا من التفسير والحديث والتصوف وغير ذلك، وفتح له على يديه، [فقطع](223) له فجر الحقيقة طلوع الفجر المبين، وتحقق بمقامات اليقين، وتفجرت ينابيع المعرفة من قلبه على لسانه تفجر الماء المعين. ومن تصانيفه : تفسير الفاتحة على طريق الإشارة، وحاشية في التفسير عظيمة الفائدة، وحاشية على «**صحيح البخاري**» كثيرة النكت والفوائد تداولها الناس وانتفعوا بها، وحاشية مفيدة على «**دلائل الخيرات**»، وحاشية على «**الحزب الكبير**« وحاشيتان على «**شرح الصغرى**» : إحداهما جمعها في أيام قراءته على مشايخه، ثم تصرف فيها في أيام قراءتنا عليه وهي حسنة بديعة، ثم غابت عنه فكتب حاشية أخرى جليلة أيضا، وهما موجودتان الآن والحمد لله. وحين قرأنا عليه «**شرح المحلى**» على «**جمع الجوامع**» وأكثر «**شرح العضد**» على «**أصلي**»ابن الحاجب، كان يكتب حاشية على «**المحلى**» رابطا لكلامه بكلام «**العضد**»، وغاب عني خبرها. وله أجوبة وتقاييد كثيرة في التفسير والحديث والأصلين والفقه والتصوف وغيرها، وعلى كتبه حواش كثيرة في فنون متعددة، إذا خرجت حصل بها نفع عظيم إن شاء الله. وانفرد في أواخر عمره بالإمامة في العلم والعرفان، وأذعنت له الكافة. ثم قال بعد كلام : وانقادت إليه الرياسة بحضرة فاس وانفرد بها، واحتاج إليه السلطان فمن دونه، ونفذت كلمته، مرجوعا إليه في كل مهم، متبوعا في كل ما يقصد إلى أن

(219) اشتغل لمدة ثلث قرن بتدريس التفسير والفقه والنحو في القرويين والمدرسة المصباحية، توفي سنة 1003هـ (راجع **الحركة الفكرية**، ص. 361 وما ذكر فيها من مصادر ترجمته).

(220) إمام فاس وعالمها، له إلى جانب اهتمامه بالفلسفة والرياضيات والقراءات معرفة بالحديث والفقه والعقائد، درس بالقرويين وبجامع المنصور بمراكش، توفي سنة 995هـ (**المرجع السابق**، ص. 360).

(221) توفي سنة 992هـ (**المرجع نفسه**، ص. 359).

(222) خلف يحيى السراج في الإفتاء والخطابة والكراسي العلمية، اشتهر بدقة التفكير والتعمق في البحث، توفي سنة 1012هـ (راجع **الحركة الفكرية**، ص. 363هـ).

(223) زيادة في م، ويناسب المعنى هنا كلمة «طلع».

توفي، رضي الله عنه. ثم ذكر وفاته مثل ما تقدم ثم قال : وقال صاحبنا الأديب البليغ أبو عبد الله المكلاتي[224] رحمه الله، [في تذييله لقصيدة صاحبنا الكاتب أبي عبد الله محمد بن علي الفشتالي[225] رحمه الله] :

أبو زيد الفاسي [شلو] معظم رثاه حديث المصطفى بمسلسل[226]

ودفن في روضة أخيه الشيخ أبي المحاسن قريبا من القبة في شماليها، وبني عليه بناء حسن في صورة البيت، رحمه الله ورضي عنه. هذا كلام صاحب «**المرآة**» في سيدي عبد الرحمان، رضي الله عنه ونفعنا به، آمين.

* محمد بن عبد الله معن الأندلسي

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله دفين خارج باب الفتوح، ذكره السيد الجليل العالم الصوفي أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي في «**تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية**» فقال فيه : سيدنا ومولانا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الإمام، الحبر الهمام، ذو الهمة العلية، والمفاخر السنية، العارف الكامل الراسخ الكبير، المحقق الواصل الصديق الخطير، الوارث الرباني، الدائم الشهود، المتحقق بالوجود، مقيم السنة ومجدد الدين، الناصح لعباد الله والدال على الله، أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن عبد الله بن معن الأندلسي.

(224) محمد بن أحمد الفاسي المكلاتي له تكميل (تذييل) لأرجوزة محمد بن علي الفشتالي التي نظم فيها وفيات ابن قنفد، ويعرف بالمكلاتي الأكبر تمييزا له عن المكلاتي الأصغر الذي توفي سنة 1159هـ والذي ذيل بدوره على وفيات الفشتالي، توفي سنة 1041هـ (انظر ترجمته في : **التقاط الدرر**، 58/1؛ **الحركة الفكرية**، ص. 309؛ **جامع القرويين**، 519/2).

(225) تقلد أعباء الوزارة والكتابة بديوان المنصور السعدي وقام بالسفارة عنه إلى تركيا أكثر من مرة، له عدة آثار نثرية وشعرية منها قصيدته التاريخية التي نظم فيها ما تضمنه تأليف ابن قنفذ من «**وفيات الأعيان من زمن النبوءة المحمدية إلى تمام المائة الثامنة**» وزاد عليها إلى تمام ألف سنة. توفي سنة 1021هـ (راجع **الحركة الفكرية**، ص. 399؛ **نشر المثاني**، 174/1).

(226) من الطويل.

* خصص له المهدي الفاسي كتيبا سماه : «**عوارف المنة في مناقب سيدي محمد بن عبد الله محيي السنة**». وتوجد ترجمته أيضا في : **التقاط الدرر**، 130/1؛ **سلوة الأنفاس**، 234/2؛ **شجرة النور**، 308/1.

وعرف به في كتابه «**ممتع الأسماع بمناقب الشيخ الجزولي ومن له من الأتباع**» فقال : ومنهم سيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الإمام، الحبر الهمام، العارف بالله، الدال على الله، والناصح لعباد الله، الدائم الشهود، المتحقق بالوجود، أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن عبد الله بن معن الأندلسي، يعرف قديما بمعن، وبعد ذلك إلى الآن بابن عبد الله. نشأ، رضي الله عنه، في عفاف وصيانة ومروءة وديانة، مقبلا على شأنه، آخذا في ما يعنيه، لا يشارك الصبيان في لعبهم وعبثهم، شديد الحياء والأدب، مؤثرا للعزلة من صغره، فكان يذكر أنه كان لا يقع بصره على بصر المؤدب قط، فوقع له ذلك يوما فذاب خجلا، قال : فجعل المؤدب يغطي وجهه بلوح كان في يده ويضحك تعجبا منه. وكان إذا حضر مع والده وغيره من أهل حومتهم في بستانهم بقصد التنزه، انحاز هو إلى شجرة وجعل يقرأ القرآن، لا يشاركهم فيما هم فيه. وكان والده يحمله على مكارم الأخلاق ومعالي الأمور وإباية النفس وصون العرض وحفظ المروءة وحسن الأدب وإحسان البرور، في حكايات متعددة كان يحكيها عنه. وكان شديد البرور بوالديه، حسن الأدب معهما، مبالغا في إرضائهما، وكان يقول : كل من يكون عاقا لوالديه لا يفلح ولا ينجح في هذه الطريق. وكان مع ذلك يقول : يطيع والديه في كل شيء إلا إذا نهياه عن الدخول في هذه الطريق وصحبة أهلها فلا يطعهما؛ ويذكر قول الله تعالى : ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[227]. وحفظ القرآن العزيز في صباه، وجود قراءته بحرف نافع على الشيخ الأستاذ أبي العباس أحمد بن عثمان اللمطي[228] والشيخ العالم الصالح المتفنن النفاع الأستاذ أبي محمد الحسن بن محمد الهداجي، المعروف بالدراوي، دفين دار ابن عمرو خارج باب الفتوح؛ وقرأ ما تيسر من الأمهات، وتصدى لطلب العلم، فرأيت بخطه نسخة من «**ألفية ابن مالك**»، ونسخة من «**المرادي والمحاذي**» عليها، ورأيت نسخة من «**الرسالة**» بغير خطه، مطررة بخطه غاية التطرير. ثم إنه اشتغل بالتكسب وأولع بالعبادة والتنفل، فكان يأوي هو وأخ له في الله إلى مسجد الحفارين من حومتهم، فيبيتان فيه يصليان، فنقم عليهما أهل الحومة صلاتهما النافلة في المسجد، وكتبوا في ذلك سؤالا لمفتي الوقت الشيخ الإمام أبي

---

(227) الآية 15 من سورة **لقمان**.

(228) أستاذ نحوي ولد بعد سنة 940هـ (راجع : **درة الحجال**، 1، 168؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 21).

عبد الله القصار فكتب عليه : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ! وكان يواضب على زيارة ضريح الولي الكبير الشيخ أبي عبد الله التاودي؛ وقال يوما إنه كان شيخه(229) قبل سيدي يوسف. وكان يتردد هو ووالده إلى شفشاون(230) في التجارة في الحرير الخم وفي شقق الكتان الخم، فكان يزور ضريح القطب الكبير سيدي عبد السلام(231) بن مشيش فأطلق الله لسانه في المرة الأخيرة التي منها صحب شيخه بأن سأل عنده أن يجمعه بشيخ يوصله إلى الله فكانت منه حالة صادقة، وصادف الإجابة؛ فلما رجع إلى فاس، عرض له بالقرب مشي إلى وادي الزيتون بعدوة الأندلس، وكان إذ ذاك هو ووالده يسكنان بالحفارين من باب الجيسة، فلما اجتاز بسقيف المخفية أحس بعقله وروحه وسائر عوالمه قد سارت نحو المخفية، ولم يملك عقله ولم يعرف لذلك سببا، فأتى والده فأخبره بذلك وقال له : إن لم نسكن المخفية فإني أخاف على عقلي أو نحو هذا، فلم يقدر له ذلك حينئذ. ثم إنه التقى ببعض أصحاب سيدي يوسف الفاسي ممن كان يعرفه، وكان في يد سيدنا «**تنبيه**» الشيخ ابن عباد، وكان له به ولوع، فقال له ذلك الصاحب : إن كنت تحب ذلك الطريق وأنت طالبها فعليك بسيدي يوسف الفاسي، رحمه الله ورضي عنه، فصب به من وقته وسار معه إليه، فكان يقول ما حاصله : إنه بنفس ما وقعت عينه على عينه غاب فيه وانجمع عليه، ويقول : بداية السادات العين في العين غابوا عن الصفات، فكيف بالكون، يعني، أنه غاب في شهود الذات واستوفاه فلم يبق فيه متسع لغيره. وكان نزل به جذب قوي وحال عظيم فلازم الشيخ وخدمه وكان لا يفارق الزاوية أكثر نهاره. وكان في وقت علوفة الحرير يخرج نصف رطل ونحوه من الزريعة ولا يجده الوقت إلا بالزاوية، فكان سيدي يوسف الفاسي يتعجب منه لذلك، وكان لا يألو من النظر في الشيخ وتتبع آثاره. وغلب عليه الوجد يوما فقال له : يا سيدي، إني أحبك، فقال له : أحبك الله ونورك أو كان لك.

(229) طرة من ح : المراد شيخه طريقة، وإلا فالشيخ أبو عبد الله التاودي كان في القرن الخامس حسبما يأتي في ترجمته بعد.

(230) مدينة جبلية أسسها الشرفاء الأدارسة (بنوراشد) أواخر القرن التاسع الهجري واتخذوها رباطاً لمحاربة المحتلين بسبتة وطنجة واتسع عمرانها خلال القرنين العاشر والحادي عشر فأصبحت مقرا لأسر كثيرة من شرفاء جبل العلم وغيرهم (راجع : **مرآة المحاسن**، ص. 168؛ **وصف إفريقيا**، 258/1؛ **الحركة الفكرية**، ص. 422).

(231) انظر هامش 614.

ومما وقع له في حال بدايته ما حدثني به بعض أصحابنا، أنه لما نزل به الجذب وأشرق باطنه بنور التوحيد واضمحلال ما سوى الله تعالى، جرى على لسانه [ذكر][232] اسم الجلالة مفردا، وامتنع في حاله من ذكر النفي والإثبات، فتشوش من ذلك، فأتى الشيخ فأخبره وشكا إليه حاله، فقال له الشيخ : لا تخف، واذكر ما شئت ما دمت لك حيا.

ومما وقع له في بدايته من قوته وغلبة حال المحبة عليه، أن طلب من الله الإبتلاء بالمرض وقال : يا رب، إذا سألتك الشفاء فلا تشفني، فمرض بالحمى الثلثية عاما ونصفا ثم رأى في يده آنية يسأل بها السؤال ببلده، ففهم عن الله السؤال، فسأل الله الشفاء فشفاه. ولما مرض مرة أخرى في حال كماله ورأى أمرا عظيما نازلا به قال : يا رب، إني ضعيف، فغاب عن عقله حتى نزل ما نزل وذهب، وحينئذ أفاق؛ ولما ولد في الطريق عند سيدي يوسف، جاء أهل الله لسيدي يوسف يهنئونه به. وكان الشيخ قد أسف لفقد سيدي إبراهيم الصياد وتألم لمصابه، فعوضه الله عنه سيدي محمدا. وكان يخف في حوائج الشيخ وتعجبه سخرته؛ ولما مات والده لم يترك وارثا إلا زوجته وولدهما صاحب الترجمة، فجعل ينفق ما ورثه منه ويفرقه في جانب الشيخ وفي الفقراء والمساكين حتى لم يبق بيده منه شيء، والشيخ في ذلك كله يربيه ويرقيه ويصرف عنان عنايته إليه. سمعته يقول إنه كان أول ما صحبه يفرح للوجد ويحزن للفقد، فذكر ذلك لبعض إخوانه فأنهى ذلك للشيخ، فلما حضر بين يديه قال على جهة الإنكار: طيب، أصبت قلبي، فقدت قلبي، لا كان قلبي فما بالي بعدها؛ وتحقق بالعبودية والرضى عن الله في جميع الأحوال. وسمعته يقول ما معناه : كان الشيخ عسى أن لا يذكر لنا من أمر الطريق إلا مرة واحدة فنقوم به ولا نحتاج إلى إعادته علينا مرة أخرى. وكان يذكر أن بعض الناس كان له بناء في داره، فكان إذا كان فيه وجد قلبه فعمد إليه فهدمه، فكنا نفهم أن المراد نفسه. وكان في صحبة الشيخ مؤاخيا للشيخ العارف أبي عبد الله محمد الأكحل، وكان سبقه لصحبة الشيخ، فكان صاحب الترجمة يجالسه ويستفيد منه، وكان يحكي عنه كلام غير واحد في الطريق، وكان مشربهما من الشيخ مشربا واحدا، فبقيا على ذلك ما شاء الله إلى أن قرب أجل الشيخ فقطعه عنه لأنه رأى أنه لا يقوم بأمره، وأن الوارث غيره وربطه في وارثه الشيخ أبي

(232) زيادة في ممتع الأسماع.

محمد عبد الرحمان، وذلك كله غيب يشاهدونه ببصائرهم، ويجدونه في أنفسهم ويخبروننا به. وسمعته يقول : إنه لما صحب سيدي يوسف كان في أول أمره يرى الخصوصية سارية في جميع من يدخل على باب الزاوية حتى القط إذا دخل، ثم جعلوا يغربلون من نظره حتى لم يبق إلا سيدي عبد الرحمان. ولما توفي الشيخ، وكانت مدة صحبته إياه نحو أربع سنين، صحب وارثه سيدي عبد الرحمان ولازمه واختص به مدة سنين، إذ لم يخرج معه من أول مرة من أصحاب شيخهما غيره، فكانا يجلسان بباب الرواح بجامع القرويين، فبقيا على ذلك سنين؛ ثم جعل أصحاب شيخهما يتلاحقون حتى اجتمع جماعة من المعتبرين منهم على الشيخ أبي محمد.

وذكر لي بعض أصحابنا ممن صحب الشيخ أبا محمد أن الشيخ أبا محمد قال لهم إنه لما كان هو والشيخ أبو عبد الله صاحب الترجمة يجلسان بباب الرواح، اختفى له يوما [بمسجد](233) بجامع الأندلس، وكأنه ليختبر بصيرته، فنفذ عليه؛ فذكروا ذلك لصاحب الترجمة فقال : نعم، كنت إذا بلغت الديوان استقبلتني رائحته فتبعتها، فلما كان يومئذ، أنكرت ذلك فتبعت الرائحة إلى [مسجد](234) جامع الأندلس. فبقي على خدمته من سنة ثلاث عشرة وألف إلى سنة ست وثلاثين وألف، ما بين موت الشيخين الأخوين، وهو يخدمه بنفسه وماله، والشيخ ينوه به ويجله ويعظم أمره؛ فبلغني عنه أنه قال : لا يوجد مثله في المشرق ولا في المغرب. وأنه قال أيضا : ليس تحت قرص السماء مثله، وأنه قال : هو كالشوكة في الطين. وكان بعضهم قد آذى ولد الشيخ أبي عبد الله، ثم جاء الشيخ أبا محمد يعتذر ويتنصل من ذلك، فعظم له شأن والد ذلك الولد وقال له : هب أني سمحت لك، كيف تصنع مع والده؟ إن والده رجل صالح، وهو كالشوكة في الطين.

وأخبرني بعض أصحابنا أنه قال للشيخ أبي محمد إن سيدي محمد بن عبد الله ليعجبني وإني لأحبه، فقال له : أحببه إنه من أرباب القلوب.

وأخبرني بعض أصحابنا أنهم كانوا مع الشيخ أبي محمد في زيارة سيدي عبد السلام بن مشيش، رضي الله عنه، فرأى صاحب الترجمة على بعد فسأل : من ذلك؟ قال : فقلت له : سيدي محمد بن عبد الله، فجعل يقول : سيدي محمد بن عبد الله

(233) زيادة في ك2.

(234) زيادة في ك2.

رزقنا الله ما نكافيه به، ويكرر ذلك. وكان ينتظر بالصلاة قدومه، فإذا أشرف على باب الزاوية أقاموا الصلاة. وورد عليه مرة كلام لبعض أهل الوقت في الطريق، فناوله إياه وشاركه فيه وقال له : ما يظهر لك في ذلك؟ وجاء يوما يوسف الحكيم فجعل يتكلم مع سيدي عبد الرحمان على الملائكة وتجريدهم، فشاركهما سيدي محمد في الكلام، وكان حول الشيخ، فأنف الحكيم من دخوله في ذلك، وكان لا يعرفه، فقال له سيدي عبد الرحمان : هذا يعرف العقول التي نتكلم عليها، فسكن لذلك. وكان يقول : سيدي محمد بن عبد الله هيوب لأنه ذاكر. وكان يحسب مال سيدي محمد ماله فلا يحتشم فيه حضرا ولا سفرا، فكان إذا احتاج إلى آنية أو غيرها ذكرها له لا لغيره فيأتيه بها. وإذا كانوا في زيارة لم يستصحب سيدي عبد الرحمان زادا، وإذا حضر وقت الأكل يقول له : يا سيدي محمد، هات الطعام نأكل، ويقول له : أعط فلانا وفلانا. وكان يقول : مال سيدي محمد بن عبد الله حلال لأنه لا وارث لوالديه غيره إذ لم يكن له أخ ولا أخت.

وكان سيدي عبد الرحمان يوما عند سيدي محمد بالعرصة المنسوبة إليه، فجعل ينظر في موضع الزاوية الآن، وكانت دارا لغيره، ويقول : الأطراف موضع الأشراف، فكأن سيدي محمد لم يكن، ثم من يسأله، يعني، ولو سئل، لأخبر بما كشف عنه الحال. وكان ربما يريد أن يتكلم بكلام أو يفعل فعلا فيرتسم في سيدي محمد فيسبقه إليه، ويقوم عنه بأمره، ويكفيه مؤونته. ولما توفي الشيخ أبو محمد قعد الشيخ أبو عبد الله، رضي الله عنه، في داره، فكان إخوانه يترددون إليه فرادى، كانوا يهابونه فيتلطفون له في قبوله إياهم فيقول لهم : الحقيقة ورثتها أو وردتها ولا إذن عندي؛ قال هذا لغير واحد تأنيسا لهم وإشفاقا عليهم. وقال لبعضهم زيادة على هذا : ولكن أحببني فإن المحبة تنفعك. وقال لبعضهم : عندما مات سيدي عبد الرحمان الأمانة حملها صاحبها، يشير إلى نفسه. وسمعته يقول : كان سيدي عبد الرحمان يقول : إذا مات الشيخ وخرجت روحه ذهب بحاله وحال وارثه وبقي الوارث بلا شيء، ثم يرجع إليه ما ذهب؛ وكنت لا أعرف ذلك، وكان هو سلك ذلك بموت الشيخ، يعني سيدي يوسف، ثم سلكته وعرفته، يعني بموت سيدي عبد الرحمان؛ فبقي كذلك ملازما لداره منفردا بنفسه نحو العامين، فلما أراد الله إظهاره وإخراجه للعباد للنفع به أزعجه إلى زيارة سيدي عبد السلام، فوقع له الإذن هناك.

أخبرني بعض أصحابنا، أنهم لما وصلوا عين الشاذلي، أمره فستره بثوبه، إذ

كانت إذ ذاك لا جدار عليها، واغتسل فيها ثم طلع للشيخ، فكان الإذن. وقال له بعض أصحابنا : شعرت بك يا سيدي لما أذن لك هنالك، وشعرت بنفسي كأن قائدا يقودني ويجرني إليك حتى قبلت يدك وبايعتك. فقال له : نعم، ولولا أن فيك حرنة[235] ما أتي بك مجرورا لتبايع. وكان يقول قول البهلول الذي قال لسيدي عبد الرحمان لما التقى به، بسيدي عبد السلام، هنا تركب العروس؛ صحيح هناك يكون الركوب وعنده يحصل الإذن. ولما انفصلوا في سيدي عبد السلام بقوا مدة من الزمان والمكان[236] وهم سائرون لا يكلمونه، ولا يكلم بعضهم بعضا لشدة الهيبة التي صدمتهم منه، والسكينة التي تنزلت. ولما وصل فاس، وقع بين أصحاب الشيخ أبي محمد بزاويته شنآن، فأتوا إليه وانجمعوا عليه وقال لهم : ذلك الشنآن الذي وقع بينكم من عندي جاءكم؛ فخرج إليهم وجلس معهم بزاوية شيخه سيدي يوسف لقربها منه قبل أن يبني هو زاويته. وكان ذلك سنة ثمان وثلاثين وألف، وكان سكناه بالمخفية سنة ثلاث وعشرين وألف، فأتاه الناس من كل جهة وقال لهم : اِركبوا هذه الرقبة، فقد هددت بالسلب إن لم أخرج إليكم.

وأخبرني بعض أصحابنا أنه لما خرج إليهم وقال لهم هذا الكلام، رآه قد تغرغرت الدموع في عينيه، ولما نزل به حال الإرث قال : صادفه ذلك وهو جنب، فأجرى الله على لسانه أن قال : اللهم اجعلني رحمة لعبادك، أو قال لعبادك المومنين. وكان يشير لخدمة الجن إياه وحضورهم مجلسه ويقول : أول ما يخدم المخصوص الجن، لكونه أكيس من الآدمي. وكانت زوجته يوما في صنع طعام له فقال لها : إني أرى امرأة تعينك على ذلك الطعام وتتصرف معك فيه كلما تصرفت. ثم بقي في زاوية شيخه نحو الستة أشهر، ثم بنى زاويته في السنة المذكورة. وبقي يدل على الله وينصح عباد الله إلى أن قبضه الله. وكان لا يحبس نصحه عن أحد، ينصح كل أحد حسب حاله وما يليق به من عامة وخاصة وفقهاء وفقراء ورؤساء وغيرهم، ويدل الجميع على الله وعلى ما فيه خلاصهم[237] دينا ودنيا، ويقول : الإنسان لا يكون إلا ناصحا، ويذكر الحديث، يكثر منه : (الدين النصيحة)[238].

(235) بمعنى رفض الاِنقياد.

(236) كذا في جميع النسخ.

(237) في ك1 : صلاحهم.

(238) في **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.

وقال له مرة أمير الوقت : يا سيدي، انصحني ولا ترايني. فقال له : إنما يرايبك من يخافك أو يرجوك، وهذا الذي تتكلم معه لا يخافك ولا يرجوك. ثم نصحه بما يليق بحاله، وكانت دلالته على الله وحده. ويكثر من قول الشاذلي، رضي الله عنه، من غير نسبة : من دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على العمل فقد أتعبك، ومن دلك على الله فقد نصحك. ويفسر العمل بالعمل بغير روح. ويجمع الخلق على الله ويدلهم كثيرا على شهود توحيده، وقيام الأشياء به وانفراده بالفعل والتصريف، وأن لا يرى لغيره فعل ولا جعل في خير ولا شر من نفس الإنسان أو غيره، ويقول : الشأن أن يعرف الإنسان من به، أي المتصرف فيه، وأن لا ينسب الفعل لغيره تعالى، ويذكر قول القائل :

مركب في بحر أسما ما فيه حي ... على المحرك لـو در يا أخـي[239]

وغير ذلك في هذا المعنى. ويدعو، يقول : الله يجمع النظرة.

والحاصل أن طريقه في ذلك طريق الشيخ ابن عباد، رضي الله عنه، في «**رسائلـ**»ـه من الدلالة على شهود التوحيد والجمع على الله. ويحبب الخلق في الله بذكر إحسانه وجماله، ويدلهم على حمده وشكره ويقول : إن الناس في مقام الشكر، وهم يظنون أنهم في مقام الصبر. ويدلهم كثيرا على رفع الهمة، وأن كل ما سوى الله باطل، ويقول: لا ينجح في هذه الطريق إلا صاحب الهمة العالية السماوية الذي لا يبدل الله بشيء سواه، ولا يرضى بشيء دونه؛ ويصرفهم عن الحظوظ واللحوظ، ويبسط القول في ذلك كله. وكان ملازما للعلم في أموره، شديد الاتباع للسنة والمحافظة عليها في نفسه وعياله وداره وزاويته، وفي عاداته وعباداته، بحاثا عما يحتاج إليه منها، شديد الإنكار للعوائد التي لا تجرى عليها أو التي تدعو إلى التعمق في الدنيا والتشتيت، والشغل عن الله، مقتصدا في أموره، معتدلا في لباسه، تاركا لما فيه الشهرة والتميز عن الخلق في اللباس وغيره، ويعيب على من يفعل ذلك من المنتسبين للفقر وغيرهم، فكان مع الخلق على ظاهر الأحكام، منفردا عنهم بالسر مع الحق، لا يخالف ظاهره ظاهرهم، بحيث يتميز عنهم، ولا يوافق باطنه باطنهم، فيشاركهم فيما هم فيه من العادات، لا يترسم برسم ولا يتقيد بهيئة إلا بما جاءت به السنة. وكان يكره أن يوطأ عقبه، وأن يمشي أصحابه معه. فكان لا يمشي إلا وحده أو مع

---

(239) من دق الناقوس والمدارك (مزج بين بحرين).

واحد فقط إن احتاج إليه، ولا يتخذ من المسجد الجامع مكانا معلوما، بل كل جمعة يصلي حيث اتفق له، وإن وجد سارية صلى إليها، وإلا صلى إلى الجالسين، خلفهم، ثم إن وجد سارية استند إليها وإلا لم يحب أن يقام له، وإن قام له أحد وترك له السارية لم يجلس هنالك، وكان يمشي مجتمعا ويسرع في مشيه، ويزول قلعا ويخطو تكفيئا، ويمشي هونا، ذريع المشية، وإذا التفت التفت جميعا، خافض الطرف، وثيابه إلى أنصاف ساقيه. وكان يغتسل للجمعة ولا يقتصر على الوضوء. وكان رابطا للشريعة بالحقيقة، معطيا لكل ذي حق حقه، محيلا للأشياء على المشيئة والقدرة، رابطا لها في الظاهر بمسبباتها على مقتضى الحكمة، لا يتقيد بحال ولا مقام حتى ينسب إليه أو يعرف به، بل هو في كل وقت وكل حال بصورة ما يقتضيه ذلك الوقت وذلك الحال، إذ الأحكام الإلاهية تختلف في كل زمان فيختلف باختلافها، فإنه سبحانه كل يوم هو في شأن. مواظبا على ما كان عليه في أيام البداية من الأوراد والأذكار وأنواع النوافل والتلاوة، ولو في حالة المرض، إلا أن يغلب على ذلك فيأتي بما أمكن. وكان يعيب كثيرا على من لا يقول بالنوافل والأوراد من الفقراء. وكان يحض على ذكر الله، ويعين لا إله إلا الله والصلاة على النبي، ﷺ، والاِستغفار، ويقول : أصحابي هم الملازمون للحزب، أي المواظبون على قراءة الأحزاب المرتبة لهم غدوة وعشيا. وينهى كثيرا عن ذكر الأسماء ويقول : أسماء الله منزهة مقدسة، ثم إنهم يذكرونها للدنيا القذرة، فهي تهلك صاحبها وتعود عليه بالخسار. وكانت سبحته لا تفارقه لا سيما في طرفي النهار، وكان له ورد من قراءة القرآن في المصحف، وورد منه صلاة بالليل، وربما قرأه في بعض السنين في اللوح، وكان له ورد من **دلائل الخيرات** والدعاء بالأسماء الحسنى للشيخ ابن عباد، وأذكار ودعوات بالليل والنهار، وفيما بين ركعتي الفجر والصبح، وفواتح لأناس كثيرين : لوالديه وأشياخه وإخوانه وأولاده وأصحابه وقرابته ومعارفه وغيرهم، كل واحد يخصه بفاتحته، وإذا مات أحد يعرفه، أثنى عليه بخير لا محالة، ونصب يديه وقرأ الفاتحة هو ومن حضر ودعا له بخير. وكان يقول كما أن الأم لها ثلاثة أرباع البر كذلك يقرأ لها ثلاث فواتح، وللأب واحدة. وكان يأمر بالدعاء لجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الجن والإنس، الأحياء منهم والأموات، ليعم المؤمنين كلهم من الجن والإنس. وكان يرجح في الاِستغفار: رب، اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم. لطلب التوبة من الله علي، أستغفر الله وأتوب إليه. وكان يقول : ينبغي الإكثار من الاِستغفار ولا سيما في هذا الزمان، يعني لكثرة الخطايا والفتن، ويحض على الورد من الصلاة على النبي، ﷺ، كالخمسمائة؛ ويحض على الإكثار من

لا إله إلا الله بغير عدد، بل قائما وقاعدا وراقدا. وأخبر قرب أجله. وهو صحيح أنه أكثر من الأوراد جدا وزاد فيها زيادة كثيرة. وأنه لا ينام من الليل إلا قليلا، فبقي على ذلك حتى قبض. وكان كثير المراعاة للحقوق؛ وكان يعلم أهله وعياله ويعظهم ويذكرهم ويحملهم على اتباع السنة، ويعلمهم ما يحتاجون إليه من ذلك بالقول والفعل، ويجعل لهم المجالس في ذلك، ويبحث عمن يجالس أولاده وبناته، ومن دخل داره ومن خرج منها، لا يغفل عن شيء؛ ويأمر أولاده بمجالسة خيار أصحابه، يسمي بعضهم، وينهاهم عن مجالسة غيرهم. وكان لا يثبت الصحبة لكل من بالزاوية، بل يقول دائما : لولا أربعة أو خمسة من الناس صحبونا على الله لم أخرج ولم أجلس هنا، ولا يعينهم؛ ويذكر غير مرة قول سيدي عبد الله الغزواني : يا فقراء، اختاروا الفقراء في الفقراء. وكان لا يثني على أحد من أصحابه، ولا يرفع له علما. هذا من حيث التعيين، وأما في الجملة فسمعته يقول : هؤلاء الناس الذين يأتوننا هم نخبة أهل هذه المدينة. وسمعته يقول : أصحابنا من رآهم قال : مْهَاتِفْ (كذا)[240]، وهم يعرفون الحق من الباطل. وقال فيهم في مكاتبة : إنهم طائفة قائمة بدين محمد، ﷺ، متبعون لسنته، دالون على محبته، محذرون من البدع كارهون لها. وكان يقول : الذي يخالطنا، إن لم يحصل له شيء من إرث الحقيقة، حصل له صلاح دينه وزوال الغرة منه. وكان لا يسامح أصحابه في التسمي باسم الفقراء، فكانوا لا يتسمون به، ولا يثني على من هو مع حسه في وجهه أو بحيث يعلم، ويذكر الحديث : (ويحكم ! قطعتم عنق صاحبكم أو ظهر صاحبكم)[241] ومن أذن أو أم عنده فأخطأ في شيء نبهه عليه، وإن لم يكن من يؤذن أذن هو. وكان شديد الإنكار على المدعين المبطلين، مبالغا في التحذير منهم، لقلة صدقهم في أحوالهم، ورفضهم الشريعة، وتعلقهم بالحقيقة من غير حالة غالبة، وتركهم الأسباب طمعا في الخلق، وادعائهم التصريف في الخلق من رفع وخفض وتولية وعزل وإحياء وإماتة ومرض وشفاء وفقر وغنى وغير ذلك بغير حالة، مع اجتماعهم على أنواع المناكر والخبائث وقلب الدين والطريق واعتقادهم مع ذلك أنهم على شيء. ويقول : ما بقي شيخ ولا شيوخة، ويسد ذلك الباب بالكلية حسما للذريعة. ويقول عن شيخه سيدي يوسف إنه قال : ما بالمغرب شيخ. ويقول

(240) ومعناه في العامية : أناس بدون وزن ولا قيمة.

(241) في **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح.

عنه إنه قال مرة أخرى : من هنا إلى تونس لا شيخ فيه، ويقول عنه في أهل الدائرة والعدد : خَفّوا وخفوا. ويقول : الفقر ليس هذا زمانه، ولكن عليكم بالكتاب والسنة. ويقول أيضا كثيرا : إذا كان الإنسان في هذا الزمان يصلي الصلوات الخمس في أوقاتها وفي الجماعة، ويتسبب تسببا حلالا ليس عليه فيه اعتراض من الشارع، بتحريم ولا بكراهة، ولا يخالط أحدا، ولا يضر أحدا، ويقول يا لله نموت مسلما، ولا سيما يكون ذاكرا لله، فهذا هو الفقير في هذا الزمان، وأما الفقر الذي تسمعون فليس هذا زمانه. كل ذلك مخافة الإغترار والدعوى، وجمعا لأصحابه عليه، وصرفا لهم عن الحظوظ. وكان يأتيه غير واحد من المنتسبين والمنتصبين، فيعظهم ويذكرهم وينهاهم عن التوثب عن المشيخة من غير إذن ولا بصيرة ولا حال صادقة مع الله، بل لمجرد حب الرياسة والطمع في الخلق. ويذكر قول سيدي أبي الرواين رحمه الله :

لا عناي لا سر جديد   بالهوى عملوا التلميذ
ويلهم غروا بهم   ما يروا إلا بالتمجيد

وإذا أتاه أحد منهم أحب أن يعلم به لينصحه ويعظه، وربما فشل الواحد منهم من ما هو فيه بنصيحته وموعظته، أو بتصريف همته، إما ثوبة ورجوعا إلى الحق، أو طردا أو إبعادا عن الخلق. وأعرف بعض من ثاب من ذلك على يده، ومن خرج من البلد وقد اهتم به. وكان ذا سمت حسن وأنس ظاهر وهيبة ظاهرة، يتكلم مع الناس فيما يتكلمون فيه، ويضحك مما يضحكون، ويتعجب مما يتعجبون منه، تخلقا بأخلاق السنة، وهو معتزل عن الجميع بسره، وكان جل ضحكه التبسم. وكان بهي الهيئة، منور الشيبة، عليه بهاء السؤدد، ورقراق النور، وسيم الدين وسامة الوقار والجلالة، تلحظه الأعين بالإجلال والتعظيم والمحبة والمهابة، ويزدحم الناس للتسليم عليه والتبرك به. وكان دائم العكوف على حضرة الحق، لا معول به إلا عليه، ولا استناد له إلا إليه، ولا محبة إلا فيه، ولا وقوف إلا ببابه، ولا رجاء إلا في جنابه، ولا يزيد فيه إقبال الخلق وتعظيمهم، ولا ينقص منه إدبارهم وتقصيرهم. وكان يحذر من الطمع كثيرا، ومن تأميل غير الله تعالى. ويدل على ترك التدبير والإختيار مع الله عز وجل، مع القيام بالسبب؛ فكان لا يحب المريد الذي لا سبب له، ويحذر من التغلغل في الأسباب والإكثار منها والمبالغة فيها، ومن الحرص في طلب الرزق، ويقرر أنه لا يزيد فيه حرص حريص، كما لا ينقص منه عجز عاجز. ويقول : لابد من الأسباب وجودا، ومن الغيبة عنها شهودا؛ ويدل على الفناء والخروج عن العلوم والرسوم وجميع ما

يقتضيه الوجود الحسي وعدم الِالتفات لما يفتح به من ذلك والوقوف معه، ويقول : طريقنا حلاجية[242]، وينشد :

إذا قلت ما أذنبت قالت مجيبـــة وجودك ذنب لا يقاس به ذنب[243]

وينشد :

دع العلـــوم ولا تبـــق الفهـــوم ولا تبق لأبيك لا عينـا ولا خبرا[244]

وكان يشير لانطواء الكون في قبضته في حالة الفناء ويذكر الآية : ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[245] ثم يقول : ومن سلك هذا يعرفه ويذكر في ذلك قول الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني :

وهي في قبضتي كفـرخ الحمـام[246]

وكان يشير كثيرا لمقام البقاء، ويذكر حالة أهل البقاء[247] ويقـول أيضا : الشريعة ظاهرا والحقيقة باطنا، ويقول : الشريعة حتى إلى الماء والرمل، والحقيقة حتى إلى الماء والرمل، يشير بذلك كله لنفسه، وأنه برزخ بين بحرين : بحر التشريع، وبحر التحقيق، لا يعدو أحدهما على الآخر، بل كل جار في طريقه ؛ الشريعة جارية على ظاهره، والحقيقة سارية في باطنه، [ويتمثل بقول القائل][248] :

تا الله ما نشكـــر خليـــع وإن تمل وإن صحـــــا
حتـــى يقطـــع في القطيـــع ويـــــدور بحال رحـــــا
إن ثبت سير سريـــــــع واشرب حتـــــى امتحـــــا

(242) نسبة للحسين بن منصور الحلاج وهو من كبار الزهاد، ظهر أمره بالمشرق سنة 299هـ واتهم بالإلحاد فحكم عليه بالقتل سنة 309هـ، ولم يعرف طريقه في المغرب إلا حوالي سنة 1072-1074هـ بفاس وبالجنوب المغربي في زاوية تاساوت

(راجع: Louis Massignon, **La passion de Hallaj**, Tome II, p.33).

(243) طرة من ح : من الطويل.

(244) من السريع.

(245) ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الآية 67 من سورة **الزمر**).

(246) من الخفيف.

(247) في ك1 : أهل الفناء.

(248) زيادة في م.

ويقول : الفقر هو الذي (كذا)، قال الشيخ أبو العباس المرسي، رضي الله عنه : لو حجبت عن الله طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين، ولو حجب عني النبي، ﷺ، طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين؛ كذا كان يذكره هو، فكنا نعرف أنها حالته. وكان لا يحكي من كلام غيره إلا ما وافق حالته، فيتستر بذلك، ولا يصرح بذكر نفسه، ويقول : العارف من شأنه كذا ومن حاله كذا ويفعل كذا وطريق الكبار كذا، فيخبر عن حال نفسه بطريق العموم. وكان من شأنه عدم النطق بلفظ أنا، فما سمعته قط صدر منه.

وسمعته يقول، أو قيل لي عنه : إن من الناس من حفظه الله من النطق بأنا، وتارة يقول : الفقر هو الذي (كذا)، قال سيدي أبو الحسن الشاذلي، رضي الله عنه : قال لي ربي، قلت لربي، يعني بذلك المكالمة التي تجري في كلام الشيخ أبي الحسن، رضي الله عنه. وسمعته يقول : قلت لسيدي عبد الرحمان إن النبي، ﷺ، لا يغيب عني إلى أين، فقال له سيدي عبد الرحمان : ما الذي تشهد، روحانيته أو جثمانيته؟ فقال له : بل روحانيته، فسكت عنه، ثم بعد أيام سأله هل ذلك باق معه، فقال له : نعم يا سيدي، الصفة لا تفارق الموصوف، فأظنه قال : فسر بذلك وظهر البشر في وجهه.

وذكر يوما، أو ذكر عنده، حكاية سيدي مسعود الدراوي في رؤية النبي، ﷺ، وإشارته إليه وهو يصيح ويجري حتى دخل دار سيدي يوسف وشكره بذلك فقال : قل له باق يخصه، يعني لم يكمل، أو لم يصل، ثم قال : العارف كذلك هو على الدوام. وكان يعطي كل ذي حق حقه من أهل الطريق، فيبين العارف من السالك من غيرهما، ومن يقتدى به منهم ومن لا يقتدى به، وكلام البداية من كلام النهاية. وإذا ذكر [بحضرته][249] كلام أو قضية عن صاحب مما يباين المهيع المورود والمنهج الواضح، قال : هذا حال، والحال يحفظ ولا يقاس عليه. ولا يذكر عنهم الكلام المشكل المباين فيما يبدو للعلم والطريقة الواضحة، وإذا ذكره أحد بيّنه وأخرجه على وجه صحيح. وزار مرة ضريح الشيخ سيدي أبي سلهام، الولي الشهير، فقال : هذا الرجل قوي في السلوك، أو ما أقوى هذا الرجل في السلوك. وأخبر أنه

(249) زيادة في ممتع الأسماع.

كوشف حينئذ فيما كوشف به بأناس أحياء يعرفهم، فرآهم في كهوف، فما حال الحول حتى مات الذين رآى كلهم.

ووقف على ضريح سيدي أبي شتاء[250] فقال : هو قوي في الحقيقة، أو ما أقواه فيها. ووقف بعد ذلك على ضريح سيدي عبد الرحمان الفاسي فاستعظم حالته وقال : هي كحالة سيدي أبي شتاء.

وقرأت عليه يوما بعض كلام الشيخ ابن عباد في «**رسائلـ[ـه] الصغرى**» فجعل يتعجب منه ثم قال : واحد أعطاه الله اللسان فيعبر به عما أراد، وآخر فيه ما ليس في أحد، ولكنه لا لسان له، وهذه حالة هذا المتكلم معكم، يعني نفسه. وكان كثيرا يشير لطريق الكبار فيقول : طريق الكبار كذا، وهذه طريق الكبار ونحو ذلك. وكان يقول : العارف إذا قيل له إنه محب أنف، وإنما هو محبوب. وسأله بعضهم، وأنا حاضر، عن تاريخ وفاة بعض الأكابر من أهل الطريق فقال : لا علم عندي، ثم سأله عن آخر مثله فلم يعرفه أيضا، ثم قال : إذا كنت أثبت على هذا كله، فأين يكون الله، لو كنت أثبت على ذلك كله لا نصدع قلبي، أو نحو هذا، إنما أثبت على الضروري الذي يلزمني في ديني فقط. وكان ربما يجري الكلام على وفاة شيخيه فيسأل الحاضرين عن تاريخ وفاتهما على حسب المجاراة في الكلام، ثم لا يثبت على ذلك بعد. وكان ينهى كثيرا، وهو معظم نصيحته ووصيته، عن مخالطة الخلق عموما، وعن متفقرة الزمان خصوصا، لقلة الصادقين الناصحين الدالين على الله بأقوالهم وأحوالهم، ويكثر من قوله : الخير بالخلطة، والشر بالخلطة. وكان ينهى عن مخالطة أبناء الدنيا والرؤساء. فتكلم يوما مع بعض الناس في ذلك، فكأنه فهم من ذلك الإنسان أنه يقول له : فما بالك أنت تجالسهم وتتكلم معهم إذا أتوك؟ فقال له : هذا الذي ترى ويتكلم معك كالحجر الأصم دردبه كيف شئت، يعمل في الأشياء ولا تعمل فيه، يعني، ولست في ذلك كغير الذي تعمل فيه الأشياء، فلا يخالطهم ولا تقسهم بي. وكان يقول : العارف يعمل في الأشياء ولا تعمل فيه.

وكان رضي الله عنه، عالي المقام، بالغ التمكين، واسع المعرفة، قوي السجية، لا يغلب عليه حال ولا يظهر عليه. وكان يقول : الذي تغلبه حالته كالذي تغلبه

(250) محمد بن موسى، ويعرف بالخمار، شاوي النسب، يكنى بأبي الشتاء، يحكى أن الناس قحطوا ولجأوا إليه فسقوا في الحين ولذلك سمي بهذا الإسم، توفي سنة 997هـ ودفن بجبل أمركو من بلاد فشتالة (راجع : **الاستقصا**، 192/5 **سلوة الأنفاس**، 145/1).

زوجته. أيحسن بالرجل أن تغلبه زوجته؟ ويقول عن شيخه سيدي يوسف، رضي الله عنه، أن النبي، ﷺ، لم يكن مغلوبا للحال، وعلى قدر قرب الإنسان من حالة النبي، ﷺ، يكون كماله، وعلى قدر بعده منه يكون نقصه. إلا أنه، رضي الله عنه، كانت تقع له سكتة في بعض أوقاته، يبقى كذلك مدة من النهار لا يتكلم ولا يتكلم أحد من جلسائه، مما يصدمهم من الهيبة، ويتجللهم من الوقار، ولا يقدم أحد على التسليم عليه حينئذ إلا بكلفة، وإن سلم عليه أحد أو كلمه، فبالأحرى أن يرد عليه السلام، أو يجاوبه بخفيف الكلام، بكلام فيه خفاء، يظهر معه عدم انجماع الفكر وانحصار البال، لما حازه واقتطعه، كالذي به ألم شديد وحمى قوية، إلا أنه يتكلف الكلام، ويظهر أثر ذلك في وجهه من حمرة بعينيه، وزيادة حمرة في وجهه ونحو ذلك. وكان يقول : أمر الله إذا نزل لا يطيقه أحد، يشير لذلك، وأنه لابد من ظهور الأثر لضعف البشرية. وكان كثير من أصحابه الملازمين له ليلا ونهارا لا يعرف أسماءهم، وإن سموا له غير مرة لا يثبت عليهم، ولا ينتبه لمن تخلف منهم عن زاويته أو انقطع عن ملازمته. ووجد مرة بداره بعض ولد ابنته الساكنة معه فقال له : من أنت؟ وما جاء بك؟ فقال له، أنا فلان ابن فلان وفلانة ابنتك، فقال له : لست بابنهما، فقال له : بلى ! إني ابنهما، فحبسه وذهب به إلى ابنته فسألها، فقالت : هو ابني فلان، فأطلقه؛ فأعطى الظاهر حقه في غيبته. وهذا كان شأنه، لا يضيع شيئا ولا تغلب عليه حالة حتى تحوزه عن الجهة الأخرى بالكلية، فكان يعطي كل ذي حق حقه، ويوفي كل ذي قسط قسطه؛ وكان إذا تكلم حسب كل من السامعين أن الكلام توجه له، وإنه المعني به، فيفهمون عنه معنى ما هم فيه، وتشرق به بواطنهم. وطريقته كتمان الأسرار، والفرار من الدعوى بغاية الإمكان؛ وإذا كوشف بأمر فأخبر بأنه يكون أو لا يكون، أعقبه بذكر علة شرعية أو عادية، فيقول مثلا : كذا وكذا لا يكون، ثم يقول : لأي شيء؟ لأجل كذا وكذا، فيحسب الحاسب أن مبنى أخباره أولا على تلك العلة، ولا يتفطن له إلا من له الإستعداد لذلك، هو الغالب من حاله، وقد يصدع بالأمر لا سيما إذا احتيج إليه في ذلك، فيغيث المضطر الملهوف. وأحفظ مما صدع به حكايات منها : أن سيدي عبد الرحمان الفاسي، رضي الله عنه، كان مرض مرة مرضا شديدا حتى أيسوا منه، فدخلت امرأة دار سيدي محمد وهو فيها فقالت : سيدي عبد الرحمان مات، فلم يملك نفسه أن قال لها : لم يمت، فكان الأمر كذلك، ولم يمت من ذلك المرض.

ودخل مرة على مريض وهم يبكون عليه وقد أيسوا منه، وهم في قبض روحه، فقال لولده : لا تجزع على والدك فإنه لا يموت [اليوم](251) يعني من ذلك المرض، فكان الأمر كذلك، وعاش سنين طويلة.

وكان مرة ولده الأكبر سيدي محمد، رحمه الله، اشترى شجر توت، أي ورقها، في شركة ناس بحوز نهر سبو، فصعد يوما شجرة فسقط منها، فتألم كثيرا، فقال لشركائه : ما بي إلا أن أبي يتشوش علي، فضحكوا من قوله واستغربوه، فلما انقلبوا إلى المدينة تلقاهم سيدي محمد في الطريق خارج المدينة عن غير عادة سبقت منه، فجعل يسألهم عن ولده كيف هو، وكان متأخرا عنهم، فعرفوا حينئذ صحة قول ولده.

وجاءه رجلان خائفين من سلطان ذي سطوة وبطش فقال لهما : لا تخافا، إن هذا السلطان كمطرة صيف ينقضي أمره سريعا، فكان كذلك، وسلم الرجلان.

وكان مرة بعض أبناء الملوك يريد بعض أهل فاس أن يبايعوه ويملكوه، وكان إذ ذاك عندهم(252) فقال سيدي محمد : لا يكون سلطانا؛ فطالما جال في وسط المغرب وأقصاه [وبقي](253) يدور على السلطنة، فما نالها قط، وغير هذا مما لا نطيل به.

ومما ينخرط هنا من أمر الكشف أني سمعته يوما يقول إنه رأى معدن الزواق، ووصفه، فنسيت ما قال فيه. وكان يخبر عن ثمار الجنة وأحوالها بما لم يكن يعرفه أحد، ومما كان يذكر من ذلك أن المقروض في الجنة [بالشجر](254)، وهو طعام معروف من لباب القمح والسمن والزيت والعسل.

وأخبر أنه كان مرة في بدايته مارا خلف شيخه سيدي يوسف الفاسي، فسمع ديكا يصرخ، فسمعه يقول في صراخه : سبحان الله وبحمده. وكان يأمر أصحابه دائما، يقول لهم : من كانت له حاجة أو أمر مهم وأراد أن يذكره له فلم يستطع فإذا جلس قدامه فليذكره في سره. وكان يمثل معرفة العارف، يشير إلى نفسه، لما عند

---

(251) زيادة في ك2.

(252) في ك2 : وكان قبل ذلك عند سيدي محمد ناسٌ فذكروا خبره فقال سيدي محمد لا يكون سلطانا، فكان الأمر كذلك.

(253) زيادة في ك2.

(254) كذا في جميع النسخ وسقط من ك1.

صاحبه أو غيره ممن يحضره، وما ازداد فيه وما نقص، بالطيب الماهر إذا نظر إلى الهراقة. وكان صارفا لهمته في مصالح الخلق ومنافعهم الحسية والمعنوية، وكانت له الهمة الخافضة الرافعة الجالبة الدافعة، فكان يمد الواحد من أصحابه ويستفه، يفعل به الأمرين في الساعة الواحدة. وكانت عادته في الكرامات، إذا طلب منه قضاء حاجة عند الله، أشار بالسبب المعتاد لتلك الحاجة، كذكر الدواء، أو الأمر بالمشي للطبيب، إن كانت الحاجة مرضا مثلا، فيظن الظان أنه لم يقض شيئا، وربما ألح عليه بعض من لم يعرف عادته، ولم يقنعه ما أشار به عليه، وهو قد قضى، وإنما أمر بالسبب تغطية للكرامة، وقياما بحق الحكمة. وكان يشير إلى أنه يخفي الكرامات سترا لحاله. وكذلك إذا اهتم بأمر من أمور المسلمين تعاطى أسباب ذلك. ثم كرامته في ذلك لا تخفى، وإن ذلك السبب لو تعاطاه غيره لا تكون عنه تلك النتيجة. وقد تصدر منه الكرامة صريحة.

ومنها القصة الشهيرة المتواترة : أن ولده سيدي محمدا، رحمه الله، جاءه فقال له : إن السراق سرقوا لنا ثلاثة أجباح، يعني أجباح النحل، فقال له : ثلاثة بثلاثة، فإذا بأولائك السراق تغادروا بينهم فقتل بعضهم بعضا، ثم قتل الحاكم القاتل منهم، فكان المجموع ثلاثة بثلاثة دفنوا في ساعة واحدة ونهبت دورهم، فخرجت الأجباح الثلاثة بعينها في النهب، وغير ذلك مما يطول.

ومما تذكرت الآن من كراماته الشائعة المستفيضة بين أصحابه : أنا إذا كنا جلوسا عنده بين المغرب والعشاء، وكان المطر ينزل عند العشاء وأردنا الإنصراف إلى أهالينا بعد الصلاة، أقلع المطر لا محالة، عادة جارية، حتى يصل جميعنا إلى منازلهم، ويعود لحاله. وكان يجلس إلى أصحابه فيما بين العشاءين دائما. وكان إذا تنكر لرئيس أو أمير عزل سريعا ونبذ، وإذا توجه له واهتم بأمره، قامت سوقه وركب وعلا في الناس، رأينا ذلك عيانا وتحققناه. وكان يقول ما معناه : إذا تكلمت بكلام فاسمعه وخذه، عرفته أو لم تعرفه، فعند الحاجة والتوقف عليه تجده، وينبعث معك وتعرفه. وكان لا يحسن إليه أحد إلا كافأه على إحسانه بأضعافه، ولا يسيء إليه أحد إلا ساقه الله إليه فيعامله بالإحسان الكلي، عادة أجراها الله معه. وكان يقول : كتب الله على النفس اللئيمة أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيء لمن أحسن إليها، وكتب الله على النفس الزكية الطيبة أن لا تخرج من الدنيا حتى تحسن لمن أساء إليها. ويكثر من ذكر الحديث : ومن مكارم الأخلاق أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل

من قطعك. ويدل كثيرا على مكارم الأخلاق، ويقول : إن الأخلاق تغلب الأعمال. ويقول : ما أثنى الله على نبيه، ﷺ، إلا بمكارم الأخلاق، قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(255)، ويقول : وفيها قراءة «لَعَلَى خُلُقِ عَظِيمٍ» بالإضافة. وكان لا يدخر ما يفتح الله عليه به من الدنيا، ويذكر الحديث كثيرا: أن النبي، ﷺ، أسرع الدخول إلى بيته لتبرٍ كان فيه خاف أن يبيت عنده، ويقول : إذا نموت ونترك دينارا لا يرحم علي أحد، ويحلف غير مرة : ما عندي أوقية لا حاضرة ولا ننتظرها. وكان شديد الورع فيما يستعمل في داره، لا يتلبس إلا بالحلال المحض الخالص له ولعياله وغير ذلك، وإن قبله وكافأ عليه أو لم يكافئ، فيصرفه في مصارفه؛ ولا يقبل من كل أحد بل يقبل من بعض ويرد على بعض، وينتفع بمتاع البعض، ويصرف متاع البعض مصارفه كما ذكرنا. وكان يقول عن شيخه سيدي يوسف : ما في أيدينا شيء، ما نرجو إلا رحمة الله وشفاعة رسول الله، ﷺ ؛ وكان يكثر من هذا الكلام ويجعله غاية الأمر وحاصله ويقول : إليه ترجعون، ويقول : حقه أن يكتب بماء الياقوت. وكان على حالة شيخه سيدي يوسف ونسخة منه، ومفصلا عليه في الكمال والتمكين، وما ذكر في «**مرآة المحاسن**» في الفصل الثالث والرابع (كذا)(256). ولذلك كان أكثر كلامه حكاية عنه لا يتكلم من عند نفسه إلا قليلا للتأدب معه. وسبقيته بالكلام الذي ينقله والإقتداء به، ولتجديد ذكره وإحيائه. وقد كان يبقي على من يشعر كلامه من أهل الطريقة بغيبته في شيخه [ويقول](257) باق بخطه، ويقول : الشأن ما قال سيدي أبو الشتاء لما سئل عن شيخه من هو فقال : كان عندي الغزواني. وكان يثني على سيدي يوسف بالشيوخة والتربية والحكم، ويقول غير ما مرة : آخر الشيوخ في المغرب سيدي يوسف. ولا يطلق لفظ الشيخ إلا عليه، فإذا قال : كان الشيخ يقول كذا ويعمل كذا أو قال كذا، فمراده سيدي يوسف، ويثني على سيدي عبد الرحمان بقوة التحقيق والغيبة والإستغراق في الحق والتضلع بالعلم الظاهر، مع اشتراكهما في العرفان وكبر الشأن. هذا ما تيسر مما يناسب المقام، وإلا فالكلام فيه طويل عريض لا حد له. وله كلام في الطريق، ومكاتبات متعددة، وكلامه في مجالسة وحكمه لا تنقضي.

(255) الآية 4 من سورة **القلم**.

(256) كذا في جميع النسخ.

(257) زيادة في د.

وتوفي، رضي الله عنه وعنابه، بعد طلوع الشمس بنحو ساعة من يوم الأحد الثالث من جمادى الثانية سنة اثنتين وستين وألف، ووافق اليوم الثاني من مايه. وكان ابتداء مرضه ولزومه للفراش، يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الأولى، وقد كانت تأخذه الحمى قبل بنحو يومين، فرقد الأحد والإثنين والثلاثاء، وخرج يوم الأربعاء لصلاة الظهر بزاويته على عادته؛ ونزل يومئذ مطر كان الناس فيه في الحاجة، ففرحوا بخروجه وبالمطر، وجلس بعد الصلاة لأصحابه للنصيحة والتذكير والدلالة على الله إلى قرب وقت العصر، ثم دخل وخرج لصلاة العصر، ثم لصلاة المغرب، وجلس بين المغرب والعشاء للكلام أيضا على عادته، إلى أن صلى العشاء، يدلهم على الله وينصحهم، ثم خرج من الغد لصلاة الصبح في موضعه الذي كان يصلي به تلك الصلاة في آخر أمره، ثم هبط للزاوية وهم يقرؤون الحزب، فجلس إلى قرب التمام، وعزموا على قراءة الفاتحة، فدخل الدار ولم يخرج بعد. وكان الغالب عليه في مرضه الإغماء والغيبة، وشدة المرض عليه وحوزه له إلا نحو اليومين كان فيهما على خير؛ فرأيته دخل عليه جماعة من العلماء، علماء الوقت وأعيانه وغيرهم من الناس، فجعل ينصحهم ويدلهم على الله ويزهدهم في الدنيا. ثم ذكر لي أنه دخل عليه ذلك اليوم أو من الغد بعض علماء الوقت فكان ينصحه أيضا. وكان في غيبته لا يفتر لسانه عن الذكر، يعرف ذلك منه ويشاهد. وكان يؤمه في مرضه صهره الخير الدين الفاضل، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم ين يحيى المقنا الأندلسي المري، وكان مرضه الحمى السخنة، وكان يشتكي عسر البول ووجعه في الخروج واحتباسه. وكان به إسهال في أيام متعددة، ولم تأخذه الحمى الباردة إلا يوم الجمعة الأولى[258] من جمادى الأخيرة، ثم أخذته السخنة، وبقيت به إلى أن توفي من بعد الغد، وصنع له مغسل ونعش جديدان، وغسلته زوجته، وابنته الساكنة معه تهرق عليها الماء بعد أن غطت وجهها بساتر، وذلك بإيصاء منه. ودفن عند الزوال وصلي عليه داخل قبة شيخه سيدي يوسف أمام قبره، أعني [قبر][259] الجنازة، والإمام ومن وسعه المكان وسائر الناس خلف القبر وخارج القبة والروضة، وكان الإمام شيخنا الإمام عمنا أبو محمد سيدي عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، أدام الله حفظه، ونزل المطر عند موته وعند دفنه أيضا إلا أنه خفيف لا يشوش على الحاضرين، وبقيت الدار مسدودة

(258) في ك2 : الأول.

(259) زيادة في ك1.

أياما حتى جازت أيام التعزية، لئلا يجتمع النساء، أو يبكي أحد بصوت، صنعوا كما كان يصنع. ولم يترك، رضي الله عنه، ما يورث عنه إلا بعض حوائجه التي كان يلبسها، وبعضها كفن فيه، وما فضل عن كفنه اقتسمه أولاده تبركا بآثاره، وبعض كفنه غير ملبوسه مزمزم. وترك مصحفه الذي كان يقرأ فيه، و«**دلائل الخيرات**» الذي كان يقرأ فيه أيضا، و«**الوجيز**» للواحدي، ومجموعا فيه «**لطائف المنن**»، و«**الرسائل الصغرى**»، وتأليفان[260] للسيوطي، و«**الوقف**» مسفرا مع الكراريس، و«**الرسالة**» لابن أبي زيد، وحاشية سيدي عبد الرحمان الفاسي على «**الحزب الكبير**»، وسبحة من عود القلنبق الأحمر فيها مائة حبة، وعكازه، وأرض جنانه بزواغة[261]. وكان مهملا، ولا أعلم غير هذا. وأما «**البخاري**» فقد حسبه على أصحابه حين اشتراه، وكان يقرأ بين يديه، ويبدأ في النصف من جمادى الأولى ويختم يوم ستة وعشرين من شهر رمضان. وكان الذي يقرأه، شيخنا أبو محمد عبد القادر الفاسي، وأما داره وعرصته الصغرى، فقد كان حبس كل موضع منهما على ساكنه من حفدته وصهره الذين لا يرثونه، وترك لولده سيدي أحمد[262] ما يسكن فيه معهم. وأما العرصة الكبرى فلم يملكها قط، وإنما هي لأولاده وبعض نساء داره، هم كانوا اشتروها. ويوم الثلاثاء السادس والعشرين من جمادى المذكورة شرع في بناء القبة، فحفرت أساساتها، وبني بعضها، ثم كمل بناؤها في أربعة وعشرين يوم، تسعة عشر يوما خدمة، ويومان استراح فيهما البناء، وثلاثة للجمع، إذ لم يكونوا يخدمون يوم الجمعة، وكان كمالها يوم الخميس الموفى عشرين من رجب. وحدثنا البناء الذي بنى القبة حين بنائه، عن السيد أبي العباس أحمد بن عمر البهلول المعروف بجرانة دفين داخل باب عجيسة، وكان إذ ذاك حيا، أنه قال له : يا فلان، ألا تبني لي قبة على مولاي عبد الله بباب الملقى ؟ فقال له : نعم يا سيدي، قال : فإذا سيدي محمد قد مات بقرب ذلك فبنى ذلك البناء قبته، ثم لم يكن لسيدي أحمد شيئا إلى أن مات،

(260) في ك1 : تأليفا.

(261) بسيط يقع جنوب مدينة فاس كانت تقطنه قديما قبيلة من زناتة.

(262) راجع ترجمته في **القرطاس**، ص. 31؛ **موسوعة الأعلام البشرية والحضارية**، 217/2. وألف في مناقبه كل من عبد السلام القادري كتابه المسمى : «**المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا بن عبد الله أحمد**»، والمهدي الفاسي كتابه المسمى : «**الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع**»؛ وألف أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني في فضائله كتابه المسمى : «**المقباس في فضائل أبي العباس وجلاء القلب القاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي**».

أياما حتى جازت أيام التعزية، لئلا يجتمع النساء، أو يبكي أحد بصوت، صنعوا كما كان يصنع. ولم يترك، رضي الله عنه، ما يورث عنه إلا بعض حوائجه التي كان يلبسها، وبعضها كفن فيه، وما فضل عن كفنه اقتسمه أولاده تبركا بآثاره، وبعض كفنه غير ملبوسه مزمزم. وترك مصحفه الذي كان يقرأ فيه، و«**دلائل الخيرات**» الذي كان يقرأ فيه أيضا، و«**الوجيز**» للواحدي، ومجموعا فيه «**لطائف المنن**»، و«**الرسائل الصغرى**»، وتأليفان[260] للسيوطي، و«**الوقف**» مسفرا مع الكراريس، و«**الرسالة**» لابن أبي زيد، وحاشية سيدي عبد الرحمان الفاسي على «**الحزب الكبير**»، وسبحة من عود القلنبق الأحمر فيها مائة حبة، وعكازه، وأرض جنانه بزواغة[261]. وكان مهملا، ولا أعلم غير هذا. وأما «**البخاري**» فقد حسبه على أصحابه حين اشتراه، وكان يقرأ بين يديه، ويبدأ في النصف من جمادى الأولى ويختم يوم ستة وعشرين من شهر رمضان. وكان الذي يقرأه، شيخنا أبو محمد عبد القادر الفاسي، وأما داره وعرصته الصغرى، فقد كان حبس كل موضع منهما على ساكنه من حفدته وصهره الذين لا يرثونه، وترك لولده سيدي أحمد[262] ما يسكن فيه معهم. وأما العرصة الكبرى فلم يملكها قط، وإنما هي لأولاده وبعض نساء داره، هم كانوا اشتروها. ويوم الثلاثاء السادس والعشرين من جمادى المذكورة شرع في بناء القبة، فحفرت أساساتها، وبني بعضها، ثم كمل بناؤها في أربعة وعشرين يوم، تسعة عشر يوما خدمة، ويومان استراح فيهما البناء، وثلاثة للجمع، إذ لم يكونوا يخدمون يوم الجمعة، وكان كمالها يوم الخميس الموفى عشرين من رجب. وحدثنا البناء الذي بنى القبة حين بنائه، عن السيد أبي العباس أحمد بن عمر البهلول المعروف بجرانة دفين داخل باب عجيسة، وكان إذ ذاك حيا، أنه قال له : يا فلان، ألا تبني لي قبة على مولاي عبد الله بباب الملقى ؟ فقال له : نعم يا سيدي، قال : فإذا سيدي محمد قد مات بقرب ذلك فبنى ذلك البناء قبته، ثم لم يكن لسيدي أحمد شيئا إلى أن مات،

---

(260) في ك1 : تأليفا.

(261) بسيط يقع جنوب مدينة فاس كانت تقطنه قديما قبيلة من زناتة.

(262) راجع ترجمته في **القرطاس**، ص. 31؛ **موسوعة الأعلام البشرية والحضارية**، 217/2. وألف في مناقبه كل من عبد السلام القادري كتابه المسمى : «**المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا بن عبد الله أحمد**»، والمهدي الفاسي كتابه المسمى : «**الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع**»؛ وألف أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني في فضائله كتابه المسمى : «**المقباس في فضائل أبي العباس وجلاء القلب القاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي**».

ولا كان مولاي عبد الله ولا باب الملقى إلا إشارة لبناء قبة سيدي محمد بن عبد الله، رضي الله عنه.

وأما مولده، رضي الله عنه، فسمعته أنه كان في غزوة النصارى، التي كانت سنة ست وثمانين وتسعمائة، في المكتب ابن نحو ثمان سنين، وسمعته يقول : مات فلان، لرجل سماه هو ونسيته أنا، عام ثمانين، يعني وتسعمائة، وكنت أنا حين موته ابن عامين.

وجدت بخط بعض من عرف[263] بالشيخ، رضي الله عنه، ما نصه : وأخبرني بعض قرابتنا في أيام موت صاحب الترجمة أنه رأى بعض معارفنا ممن مات ببلد آخر وهو مسرور فأخبره بأنه غفر في تلك الليلة لجميع المومنين ببركة الشيخ، رضي الله عنه. وسمعت من آخر نحو ذلك عن أحد أولاده ممن مات قبل ذلك، فأخبره بنحو ذلك، انتهى.

وكان، رضي الله عنه، إذا قال له أحد إني أحبك يقول له : أحمد الله، رضي الله عنه ونفعنا به وببركاته، آمين، آمين.

هذا آخر كلام صاحب «**ممتع الأسماع**» في سيدي محمد بن عبد الله، رضي الله عنه.

وقال في «**تحفه أهل الصديقية**» : أخذ عن الشيخ أبي المحاسن وعلى يديه فتح له ثم بعد موته تربى بوارثه أخيه أبي محمد عبد الرحمان، رضي الله عنهم أجمعين، آمين.

* إبراهيم بن علي الصياد

ومنهم الشيخ أبو سالم إبراهيم بن علي الصياد دفين خارج باب الفتوح بروضة شيخه سيدي يوسف الفاسي، رضي الله عنه.

قال في «**الممتع**» : كان، رضي الله عنه، من السباق، ومن أهل الإغاثة في البر والبحر، وذوي الأحوال العجيبة، والأسرار الغريبة، والجذب القائم، والقلب الهائم، والبركات الظاهرة، والكرامات الوافرة. وكان لما صحب شيخه بالقصر، وتداركه

---

(263) في ك2 : قرابتنا.

* ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 55؛ **نشر المثاني**، 73/1؛ **سلوة الأنفاس**، 325/2.

الجذب، [كانت][264] له زوجة ودار فقال له الشيخ يوما : ألا نطلق تلك المرأة ونبيع تلك الدار ؟ فتغافل عنه، ثم أعاد عليه كلامه، فقال له : سيدي، أغطس وأطلع الرمل، فإن كانت هذه السكرة تدوم لي فلا علي إذا طلقت المرأة وبعت الدار، وإن كانت لا تدوم، فاترك لي زوجتي ودار أبي[265]. فقال لهم الشيخ : أنظروا إبراهيم الذي تقولون إنه بهلول. ثم قال له : أعطاك الله حالة أهل الجنة : ثيابا لا تبلى وطعاما لا ينقطع، فبقي على سكرته السنين الطويلة إلى أن توفي. وكان الناس يزدحمون عليه للطعام دائما، وكانت الثياب عنده[266] موفرة زائدة على لباسه. وكان الناس يتعلقون به كثيرا في قضاء حوائجهم عند الله، وكان اشتهر بذلك. وكان شيخه إذا أتاه أحد لحاجة ربما دله عليه، وكان، أعني صاحب الترجمة، إذا طلب عنده أحد حاجة نظر، فإن كانت لا تقضى، صرفه عنه، وإن رآها تقضى قال له : أعط كيت وكيت، فيعطيه ذلك، فتقضى حاجته بإذن الله. وكان أهل دار الشيخ إذا طلبوا عنده حاجة يفعل معهم ما يفعل مع غيرهم. وكانت له عادة مع شيخه، إذا كان أمر ينزل أشار عليه الشيخ بالزيارة، فيزور الرواضي والمكاتب وغيرها. وكان الشيخ مرة في زيارة سيدي أبي سلهام، نازلا على مشرع الحضر، فكوشف بأمر مهم نزل بأخ له مسافر ببلاد نائية عنه، فقال لصاحب الترجمة : إذهب إلى سيدي أبي سلهام، فاذكر له مسألة فلان. فذهب قلقا، ثم أتى فقال له : إن سيدي أبي سلهام يقول لك إنه قد قضى الحاجة، ثم أتى الأخ الغائب، فأخبر بالأمر النازل به في ذلك الوقت الذي كوشف به الشيخ مع أحد من قبل المخزن، وبتفريجه سريعا.

وكان صاحب الترجمة أجهر العينين، ضعيف البصر بالنهار، فإذا كان الليل وكانوا في زيارة، غطى رأسه بجلابيته وقعد يحرس، فإذا أتى سارق من جهة، قال لهم إن السارق قد أتاكم من هاهنا، فيذهبون فيجدونه. ويفلي حوائجه بالليل. وكان مرة زوار بزاوية الشيخ، فسرق لهم تليس أو شبهه، فلم يعرفوا للسارق أثرا، فجعل الشيخ يعاتب صاحب الترجمة ويقول له : أتكون هنا ويأتي السارق فيسرق ويذهب بما سرق ثم لا يعرف مكانه؟ أو نحو هذا، فذهب من حينه مقلقا (كذا) إلى موضع خفي لا يتفطن له إلا من له به علم، فوجد السارق يغسله، فأخذه منه وقال له : أربابه

(264) زيادة في ك2.

(265) في ك1 وك2 : داري.

(266) في ك1 وك2 : عليه.

يحتاجونه بلا غسل. وسرق مرة أخرى للشيخ أبي المحاسن بالقصر بقرات، فقال لصاحب الترجمة ولسيدي علي بوحريرة : أخبراني، أين سارت البقرات؟ فأما سيدي علي فقال له : هي هكذا، وأشار إلى جهة لا أدري أي الجهات، وأما سيدي إبراهيم فقال : هي في العرائش، إحداهن ذبحت، والأخر باعهن السارق هنالك. والآن قبض دراهمهن. فأرسل بعض أصحابه إلى العرائش، وكانت إذ ذاك دار إسلام[267]، فوجد الأمر كما قال. وكان مرة مع الشيخ وأصحابه مسافرين إلى القصر، فأتوا على واد في الطريق فقال سيدي إبراهيم : إنه قد انتقص منا واحد، فشرعوا في العوم والسبأحة في الماء، فلما استووا في بطن الوادي غرق منهم واحد فمات. وكانوا مرة أخرى بالقصر فقال : إن أحدا منا قد انتقص، فمن الغد مات أحدهم. فلما أزمعوا الرحيل من القصر قال : يا أهل القصر، ودعوا سيدي يوسف فإنكم لا ترونه بعد هذه المرة. فلم يرجع الشيخ بعد لكبر سنه وكثرة علله. وزاروا مرة سيدي أبا سلهام، فلما أرادوا الإنصراف عن الروضة، ركب دابته جاعلا ظهره إلى جهة رأس الدابة ووجهه مما يلي ذنبها وجعل يمشي، فقال له بعضهم : ما هذا؟ فسكت عنه إلى أن بعد وحول وجهه إلى جهة رأسها، فقال له : ألا تسكت ! إن الشيخ سيدي أبا سلهام خرج يسافطنا[268] فكرهت أن أوليه ظهري إلى أن رجع عنا. ولما قرب أجله جعل يعلم به. فكان مرة بعض إخوانه ذاهبا إلى القصر فقال له : أقرئ أهل القصر السلام وقل لهم لا يروني أبدا. وكان مرة جالسا ورجلاه ممدودتان فقبضهما بمرة وقال : إن الأرض لتجبذني (كذا). وقال يوما آخر لإخوانه، وكأنه اليوم الذي قبل الليلة التي مات من آخرها : هذا آخر يومي معكم، فإني أرى الروح معلقة كالمصباح وكأنها خرجت، ولما كانت الليلة التي مات من آخرها جلس في فراشه عند النوم ونظر في يديه وجلده وقال : ما بقي في هذه الجثة إلا حظ التراب. وكان قد أصابته حكة، فجعل لها دواء، وقصد حمام القلعة من آخر الليل ليغتسل، فلقيه برأس العقبة الزرقاء لصوص، فاجتذبوا كساءه فاستنتره منهم، فضربه أحدهم بسيفه، فقطع أحد ودجيه، يقال إنه الأيمن، وسقط بإزاء حائط هنالك. ولما عرفه اللصوص تركوه بحوائجه، لم يأخذوا له

---

(267) احتل الإسبان العرائش سنة 1019هـ بعد أن تنازل لهم عنها محمد الشيخ المامون السعدي مقابل مساعدتهم له على استرجاع ملكه من يد أخيه زيدان الذي طرده من فاس، وقد استنكر العلماء هذا التنازل واضطر بعضهم للإختفاء هروبا من تبرير خيانته (أنظر **نشر المثاني**، 155/1؛ **الإستقصا**، 20/6؛ **الحركة الفكرية**، ص. 471).

(268) بمعنى يودعنا.

شيئا وذهبوا، فمر به إمام المسجد الذي هنالك لصلاة الصبح، وهو السيد أبو القاسم المشاط، فسمعه يقول : أنت قضيت وأنا رضيت، فسأله عن أمره حتى عرفه فقال له : أبلغ خبري إلى سيدي، فحمل إلى دار الشيخ، فتألم الشيخ عليه كثيرا وقال : ما أشد انقطاع ظهري فيك يا إبراهيم يا ولدي، ودخل عليه وهو ميت فبقي معه مدة ولم يدخل عليهما أحد. وذكر أهل الدار أنهم سمعوه يتكلم معه وهو ميت. ثم رفع الشيخ الحجاب فخرج وهو يضحك. ولما كفن، أمر بحل الكفن فقبله بين عينيه وقال : رحمك الله، هذا بعد صحبة عشرين سنة. وكان سيدي عبد الرحمان الفاسي إذا مر بذلك الموضع من العقبة الزرقاء، قال : هنا مات حبيبنا في الله سيدي إبراهيم الصياد، وأسرع في مشيه وظهرت منه كراهية لذلك. وكان عشيرا له، ومؤاخيا ومجالسا. وكان صاحب الترجمة قرب موته لقيه بعض المنتسبين للفقر فقال له يضحك منه : إذهب معي إلى إخواننا الفقراء يكحلون لك عينيك ليقوى بصرك، فذكر ذلك سيدي إبراهيم لإخوانه مازحا بذلك، فبلغه بعضهم للشيخ فقال : أيقول هذا لإبراهيم؟ والله إن إبراهيم ليأتيني بخبر السماء. ثم رأى أن قد شهره، فقال : ولكن كشفه، الله يكشفه، أي يزيل عنه ستره. فأما سيدي إبراهيم فمات بقرب ذلك، وأما الآخر فكان عاقبة أمره خسرا. وكان ذلك كله قدرا مقدورا من غير قصد من الشيخ ولا اختيار. وكان أول اتصال صاحب الترجمة بشيخه، أن جاء سارقا حلقة باب دار الشيخ بالقصر فعرف وقبض، فلما رآه الشيخ، سرقه لحضرة الله وصار من أولياء الله ﴿وَٱلْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(269) ولا حجر عليه في ملكه يفعل فيه ما يشاء، وهو العزيز الحكيم. وتوفي يوم الخميس ثالث عشر شوال سنة ثمان وألف، رضي الله عنه ونفعنا به، آمين.

هذا آخر كلام صاحب «**الممتع**» في سيدي إبراهيم، رضي الله عنه.

* محمد الأكحل

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد الأكحل دفين خارج باب الفتوح، العارف الموقن الصحيح الحال. والأكحل لقب له فقط، وليس بأكحل. وهو غير الشيخ أبي عبد الله محمد الأكحل الذي كان إذ ذاك بحومة العيون، ذاك أكحل، ويعرف بأقمقام بالقاف المعقودة. وكان صاحب حال، ولا نعرف له شيخا.

(269) ﴿وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، الآية 29 من سورة **الحديد**.

* ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 66؛ **التقاط الدرر**، 45/1؛ **سلوة الأنفاس**، 327/2.

كان صاحب الترجمة من جلة أصحاب سيدي يوسف الفاسي. وكان سيدنا الإمام سيدي محمد بن عبد الله ينقل من كلامه في الطريق ويحتج به. ومما كان يحكى عنه، أنه قال له : طريقنا هذه مالك شيء، مالك شيء، مالك شيء، (كذا) وطريق هؤلاء المبطلين لي، لي، لي، كأهل الزمن. يعني أن طريقهم مبنية على الفناء والغيبة عن الوجود الحسي، وطريق المبطلين على إثبات الوجود ورؤية النفس. وسئل هل يتحقق العبد صدقه مع مولاه، فعاب ذلك على السائل كثيرا وأنكره. وكان يقول عنه : الفقير كالذي ركله الجمل دائما منزو، أو كان يقول : الفقير كالمطلوب الذي يجرى عليه، إلا هنا يقبض، إلا هنا يقبض (كذا). كان يحكى أحد الكلامين عنه، والآخر عن سيدي يوسف، وطال عهدي بالنسبة. توفي، رضي الله عنه، في حدود سنة أربع عشرة وألف، ودفن بروضة شيخه، خلف ضريح سيدي إبراهيم الصياد، بينه وبينه قبران. هكذا ترجمه في «**الممتع**».

* علي بن يوسف الأندلسي

وقدام سيدي إبراهيم الصياد متصلا به، الشيخ الصالح البركة الصادق الراضي، الكثير الذكر الموالي للشيخ أبي المحاسن، المرافق له في ذهابه لصلاة الجمعة وغيرها، أبو الحسن علي بن يوسف الأندلسي المدجن المعروف بالبيطار، وتوفي ليلة الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة أربع عشرة وألف.

** حمادي

وقدامه رفيقه الشيخ الفاضل الخير، المعمر في طاعة الله، الكثير الفكرة، المتواصل الأحزان، الخامل المتواضع، الساكن بدار الشيخ أبي المحاسن : سيدي حمادي، بتشديد الميم وكسر الدال، وتوفي بعد عصر يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان سنة أربع عشرة وألف، نفعنا الله بهم أجمعين، آمين.

*** شقرون الفخار

ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد المدعو شقرون الفخار، دفين خارج باب الفتوح.

---

* ترجمته أيضا في : **مرآة المحاسن**، ص. 232؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 33؛ عبد الله الفاسي؛ **الإعلام بمن غبر**، ص. 327؛ **سلوة الأنفاس**، 329/2.

** ترجمته أيضا في : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 33؛ **صفوة من انتشر**، ص. 64.

*** ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 57؛ **التقاط الدرر**، 75/1؛ **نشر المثاني**، 228/1؛ **سلوة الأنفاس**، 330/1؛ **الإعلام**، 302/2.

وصفه في «**تحفة أهل الصديقية**» بالشيخ الصالح، المحب الصادق، ذي الحال الصحيح، والسيرة المرضية، والدين المتين، والغيبة في شيخه.

وفي «**الإلماع**» : بالرجل الصالح، ذي الحال والنور اللائح، والرحمة والحنان الواضح، المحب الصادق.

وقال صاحب «**المقصد**» : هو الشيخ الولي، المكين العلي، ذو النور اللائح، والجذب الواضح، والمحبة الصادقة، والهمة السابقة، والتوكل على الله، والرضى عن الله، والنهج القويم، والخلق الكريم، المعمر المبرور، الغزير البركة والحكمة والنور، أبو العباس أحمد المدعو شقرون الفخار، به عرف، الأندلسي الأصل، الفاسي المنشأ والفضل. كان رضي الله عنه، من جلة أصحاب الشيخ أبي المحاسن الفاسي ومشاهيرهم، وذوي الأحوال منهم. ومن فتح له على يديه، ثم استخلف بعده أخاه الشيخ أبا محمد عبد الرحمان، رضي الله عنه، وسلب له الإرادة ولازمه. قال له الشيخ أبو المحاسن يوما : يا ولدي أتصبر لله؟ فقال : نعم يا سيدي، فقال أتصبر في الله؟ فقال : نعم، فقال : أتصبر عن الله؟ فقال : لا، وصاح صيحة، فقال له : هنا صاح قبلك فلان وفلان، وسمى بعض الأكابر. وربما كان يظهر عليه الوجد، ويلوح عليه أثر الفيضان. وغلب عليه الوجد يوما وهو بمولاي إدريس، نفعنا الله به، آمين، فصعد الدرج التي بباب الودع وعكازه بيده، ثم توجه للزائرين المجتمعين خارج الباب وقال : أقول لكم؟ فقالوا له : تكلم يا سيدي، فقال : ما رأينا قط من كان صادقا مع الله وضيعه الله.

قال الشيخ سيدي محمد بن عبد الله، رضي الله عنه، لما حكي عنده هذا الكلام : إنما قال ذلك لأنه كان هنالك من هو محتاج إليه. وجاء يوما دار الشيخ سيدي محمد بن عبد الله لزيارة ابنته، فلما خرج من عندها رأى يهوديا مارا بالطريق فاعتراه حال، فوقف واستند إلى حائط وتعوذ بالله وغطى وجهه ثم جعل يقول : حسبي الله ونعم الوكيل، يكررها ويجهر بها حتى كاد يغشى عليه، ثم سري عنه. وورد عليه وارد آخر فجعل يقول : الحمد لله ويكررها مادا بها صوته، وظهر عليه أثر الوجد والطرب والفرح بالله عز وجل. وكان ذا رتبة عليا في الرضى والتوكل والزهد في الدنيا، وله في ذلك حكايات وبركات، ومآثر وآيات. وكان، رضي الله عنه، أول أمره قد لقي الشيخ الإمام العارف الكامل سيدي عبد الله بن حسين الشريف، وفد عليه هو ووالده بتامصلوحت وزاره بها، ولما جلس بين يديه نظر إليه الشيخ فدعا ببطيخ، وكان

سيدي شقرون لا يأكله ولا يقدر أن يشم رائحته، ويكرهه كراهية طبعية لا يستطيع الانفكاك عنها، فتحير إذ ذاك في أمره حيرة عظيمة مخافة أن يحمله على أكله، فلا تمكنه مخالفته، فعندما وضع البطيخ بين يديه، أمره بالأكل، فانفجر من أنفه دفعة واحدة دم قوي، فقال الشيخ : ذاك شيطانه انفقس، يعني انفطر قلبه وهلك، ثم أكل منه امتثالا لأمر الشيخ، فمن يومئذ أطلق عليه أكله ولم تبق معه تلك النفرة الطبعية البتة. ومثل هذا، والشيء يذكر بالشيء، ما وقع لرجل مع سيدي أحمد بن عبد الله. كان الرجل لا يستطيع أن يأكل الزيتون ولا يسيغه أصلا، فحضر الزيتون يوما للأكل عند سيدي أحمد ولم يحضر مع الخبز غيره، والرجل المذكور حاضر، فأمره بأكله، فلم يستطع خلافه، فأرسلت عيناه دموعا ثم أكل، وصار يأكله من يومئذ. ومثل هذا اتفق لآخر معه من أصحابه، كان لا يأكل القرع فوعده بأن يطلقه عليه فأطلقه عليه في مدينة الرسول، ﷺ لما حج معه؛ وآخر كان لا يأكل بعض الأطعمة فحضر ذلك الطعام فأمره بأكله وأطلق عليه.

وتوفي سيدي شقرون، رحمه الله، في حدود سنة ثمان وعشرين وألف، ولم يكن له عقب إلا من البنات، وقبره عند رأس قبر الشيخ سيدي محمد بن عبد الله خارج القبة، وكثيرا ما نسمع سيدنا أحمد بن عبد الله يذكره بما يقتضي الثناء عليه في خصوصيته، ويحكى عنه في الطريق حكايات وآدابا حسنة، وقد أخبر يوما عما هو حاله أو ناشئ عن حاله.

سمعت سيدي المهدي بن أحمد الفاسي، حفظه الله، يقول غير ما مرة : خرجت يوما مع سيدي أحمد بن عبد الله، رضي الله عنه، لزيارة روضة سيدي يوسف الفاسي فجعل يزور أولائك السادات الذين احتوت عليهم تلك الروضة المباركة، وبدأ بسيدي يوسف الفاسي، ثم بأخيه سيدي عبد الرحمان، ثم بسيدي محمد والده كفعله دائما، وكما كان يأمر بذلك سيدي قاسم، وانتهى في زيارته إلى جده لأمه سيدي شقرون الفخار، فنظر إليه سيدي أحمد فاستعظم أمره وقال : سبحان الله، ما أحن هذا الرجل ! يشير بذلك، رضي الله عنه، إلى وصف حاله، وما هو الغالب عليه، مخبرا عن كشفه وبصيرته، كما أخبر عن حالة كثير من الأولياء الأموات، رضي الله عنهم أجمعين.

هذا آخر كلامه في «**المقصد**» في سيدي شقرون، رضي الله عنه بمنه، آمين.

* عائشة بنت شقرون الفخار

ومنهم السيدة أم أحمد عائشة بنت سيدي شقرون الفخار المتقدم، دفينة خارج باب الفتوح، وهي زوجة السيد العارف الكامل، سيدي محمد بن عبد الله معن، رضي الله عنه، وأم ولده الولي الكامل، سيدي أحمد بن عبد الله، رضي الله عنه. عرف بها السيد العلامة أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني في كتابه «**المقصد**» فقال : هي السيدة الفاضلة، الزكية الكاملة، الطيبة المطهرة، الخيرة المنورة، ذات البركات الواضحة، والأنوار اللائحة، والأعمال الصالحة، والمتاجر الرابحة، والأخلاق الكريمة، والسيرة المستقيمة، أم أحمد عائشة بنت السيد الأثيل، الولي الجليل، ذي البركات الغزيرة والأنوار، سيدي شقرون الفخار، رحمه الرحمان ووالى عليه المنة والرضوان. كانت، رحمها الله، من الصالحات القانتات، القائمات الحازمات، المطيعات لله، المتابعات لسنة رسول الله، ﷺ، معتنية بأمر الدين، ماسكة بحبله المتين، مصروفة الوجهة إليه، مجموعة القلب عليه، لا تعرف منذ نشأت سواه، ولا تلتفت لما عداه، لها من الصلاح مكانة علية، ومرتبة سنية، وحظ عظيم من البر والإحسان، والتفضل والإمتنان. فكانت، رحمها الله، كثيرة الإرضاء والبرور لوالدها سيدي شقرون المذكور، بالغة في ذلك الغاية، وواصلة فيه حد النهاية، قائمة بأداء حقوق بعلها الشيخ سيدي محمد بن عبد الله، رضي الله عنه، مطيعة لأمره وكلامه، شديدة الإعتناء بشأنه ومرامه، تتحرى مراده وتهتم بما أراده، سالبة له الإرادة، وممتثلة له منقادة، تجل قدره، وتعظم أمره، وتراعي فيه حق مولاه، وما خوله وأولاه؛ كثيرة الصدقة من عمل يدها على الفقراء والمساكين والضعفاء من أصحاب الشيخ بعلها، المنتسبين إلى الله، والمجموعين به على الله؛ تواسي مديونهم وتعين محتاجهم بالهبة الكثيرة، والمنحة الغزيرة، بحيث لا يشعرون بما صرفت من ذلك عليهم لكونها تمكنه من يد بعلها الشيخ سيدي محمد بن عبد الله، رضي الله عنه، ليوصله إليهم؛ قوالة للحق، ناصحة للخلق، تحض على الدين وسنن المتقين، وتحمل أولادها وأقاربها عليه، وترشدهم بالتي هي أحسن إليه؛ كثيرة النصح لهم والرحمة بهم، حافظة للسانها عما لا يعني، آمرة بذلك، مجتنبة لكل ما يتقى هنالك، كثيرة الأذكار والصلاة على النبي المختار، مواظبة عليها آناء الليل وأطراف النهار. سمعت سيدي المهدي الفاسي، حفظه الله، يقول :

---

* ترجمتها أيضا في : **الإلماع**، ص. 192؛ **التقاط الدرر**، 123/1؛ **نشر المثاني**، 38/2؛ **سلوة الأنفاس**، 292/2.

سمعت الشيخ سيدي محمد بن عبد الله، رضي الله عنه، بعد موت زوجته هذه يقول: إنها كانت لا يفتر لها لسان عن الصلاة على النبي، ﷺ. وذكر لنا غيره من الأصحاب أنه سمع الشيخ سيدي محمد، رضي الله عنه، يقول فيها أيضا بعد موتها أنها من اللاتي يزرن. وكانت البركة مصحوبة معها في جميع أمورها، وكافة شؤونها. سمعت ولدها سيدنا أبو العباس، رضي الله عنه، يقول : إنها كانت لها برمة صغيرة تطبخ فيها دائما ويأكل منها أهل الدار والأضياف إن أتوا، لا تزيد على مقدارها ولا تنقص، الكل على مقدارها ولا تبدلها بغيرها، وتتناول ذلك بيدها لا تدع من يتناوله معها، فيكفيهم ذلك كائنين ما كانوا. وقال لها مرة زوجها الشيخ سيدي محمد: إني أرى امرأة تعينك وتصنع معك ما تصنعيه. وكانت لا تحتكر شيئا ولا تدخره، بل تصرف ما يأتي من فوره على العيال والأقارب. فلما ماتت وتزوج الشيخ سيدي محمد، رضي الله عنه، امرأة أخرى، لم يبق الأمر على ما كان عليه وظهر أثر ذلك. وسبب تزويج سيدي محمد إياها، كما هو معروف وذكره في «**الإلماع**» أيضا، أنه كان له قبلها زوجة وأولاد، فماتت تلك الزوجة في حياة سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي، رضي الله عنه، فمكث عزبا لا يذكر له شيئا لأنه سلب له الإرادة بعد وفاة أخيه الشيخ أبي المحاسن كما تقدم، ففكر في شأنه الشيخ سيدي عبد الرحمان ذات يوم، فإذا بالشيخ سيدي شقرون قادما فقال له : يا سيدي شقرون، ألا تعطينا ابنتك لسيدي محمد بن عبد الله؟ فقال : نعم يا سيدي، فقال الشيخ سيدي عبد الرحمان : كم الصداق ؟ فقال الشيخ سيدي شقرون : ربع دينار. فانعقد النكاح بينهما وكان الشيخ سيدي عبد الرحمان هو المتولي لخطبتها. ثم بقرب ذلك، بينما الشيخ سيدي محمد بن عبد الله بمنزله لم يستعد للزفاف ولا تواعدوا عليه، إذا بسيدي شقرون يدق الباب عليه وابنته معه، فمكنه منها وانصرف.

وأخبرني أخي، الفقيه المشارك، أبو عبد الله محمد العربي بن الطيب حفظه الله، أنه سمع سيدنا أبا العباس يقول في أثناء هذه الحكاية، إن سيدي شقرون قال للشيخ سيدي عبد الرحمان عند الخطبة المذكورة : يا سيدي، إن لي ابنتين، والصغرى أحسن من الكبرى، وهي التي أعطيها إياه. ثم لما بنى بها سيدي محمد قال له سيدي عبد الرحمان : كيف وجدت أهلك ؟ فقال له : كالمريد مع الشيخ.

توفيت، رضي الله عنها، في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وألف، ودفنت وراء بعلها سيدي محمد، رضي الله عنه، داخل القبة. هذا آخر كلام صاحب «**المقصد**» في السيدة عائشة.

وعرف بها أيضا سيدي المهدي بن أحمد الفاسي، حفظه الله، في كتابه «**الإلماع**» ببعض ما تقدم، رحمها الله، ونفعنا بها بمنه وكرمه، آمين.

* رقية بنت محمد بن عبد الله معن

ومنهم السيدة أم البنين رقية بنت الشيخ العارف الكبير سيدي محمد بن عبد الله معن دفينة خارج باب الفتوح.

قال في «**المقصد**» : هي السيدة الولية الكاملة العلية، الجليلة القدر، العظيمة الخطر، ذات الحال القوي، والمدد الروي، والنور السَّني، والسير السُّني، والهدي المبين، والحزم المثين، والبصيرة الصحيحة، والمكاشفات الصريحة، والمقام المكين، والمعرفة والتمكين، والهيبة والوقار، والإجلال والإكبار؛ الزاهدة الورعة، الناصحة المتبعة، السيدة المباركة الصفية، أم البنين رقية. وهي شقيقة سيدنا أحمد وأسن منه، وممن فتح له على يديها وعول في أخذ الطريق عليها. وكانت مقاسمته في خدمة شيخه سيدي قاسم الخصاصي، رحمه الله، فيما يرجع إلى أمور الدار، مساعدة له على ذلك آناء الليل وأطراف النهار. وكانت، رحمها الله، من السابقين وكمل الصادقين، منقطعة عن الدنيا كل الِانقطاع، ومتابعة للطريقة المحمدية كل الِاتباع، آية من آيات الله في رفع الهمة والزهد، والحزم في الطريق والجد، قوية اليقين، ذات رسوخ فيه وتمكين، منيرة الإشراق والأنوار، غزيرة الأذواق والأسرار، مغمورة القلب بالله، فارغة عن الشغل بسواه، في غاية من الإخمال والإهمال، والتقشف والإقلال، مستمرة مع ما هنالك، راضية عن الله في كل ذلك، لا تبالي بقلة، ولا بمسكنة وعيلة، ولا تكترث بلبس المهين من الثياب، ولا بالخشن من جبة أو جلباب، وكانت مع ذلك لا تقبل من أحد شيئا. وإذا أعطاها أخوها سيدنا أحمد، رضي الله، عنه شيئا مواساة لها ومعاونة، لا تأخذه إلا بعد التي واللتيا، وتلاطفه في رده وتقول : أعطه من هو أحوج مني له فإنه يكفيني ما أتسبب فيه أنا وأولادي. فكان يقول إنها لفارغة القلب من الدنيا، وإنها لفي غاية الِاحتياج وتؤثر مع ذلك غيرها. وكانت حازمة في أمور الدين، ماسكة منه بحبله المتين، قائمة بواجبه وسننه ورغائبه، لا تصلي إلا في الجماعة في صقلبية فوق باب الزاوية متصلة بالدار، تصلي بها سماعا لتكبير الإمام من وراء الجدار، تلازم بها أحزاب العشي والغداة وما معها من الأذكار. لا يشغلها في ذلك الوقت شيء

ترجمتها أيضا في : **التقاط الدرر**، 200/1؛ **نشر المثاني**، 220/2؛ **سلوة الأنفاس**، 293/2.

ولا وطر من الأوطار؛ آخذة بالأكمل والأحوط والأفضل على سنن أخيها في الورع والِاحتياط والتقيد بالسنة والِارتباط، واقفة مع السنة في كل شيء، ناصحة لأقاربها وذوي رحمها، زاجرة لنسائهم عما لا يعني، حاملة لهم على الجد والِاجتهاد في الدين، يهتدي النساء بكلامها، ويتأثرن به، مهابة معظمة جليلة، إذا حضرت مع النساء مجلسا لا يقدرن أن يخضن في لغو من الكلام وتصدمهن هيبتها. وكان محل سكناها متصلا بدار أخيها سيدي أحمد، ودار أولاد أخيها [الآخر][270] ودار الشيخ سيدي قاسم، رحمه الله، كلها مفتوحة الأبواب بعضها إلى بعض، فكان سائر نسائهم يهبنها أشد مهابة ويخفنها أشد مخافة، يتنزل حضورها، إذا غاب سيدنا أحمد، رضي الله عنه، في سفر، منزلة حضوره، حريصة على إصلاح الدين وصلاح أهله، كثيرة الحنان والشفقة على عباد الله، إذا وقع لأحد من أصحاب أخيها المنتسبين إليه معه شيء كانت هي المصلحة لشأنه معه غيبا وفيما بينه وبينه، تعرف ذلك ببصيرتها من دون إخبار مخبر، وقد يخبرها بذلك أخوها فتعتني بالأمر قلبا وقالبا، وتعطفه حتى يتعطف قلبه ببركتها وما لها من العناية عند الله، يظهر أثر حالها بالدار ويحس به أهل الزاوية ذووا الأحوال منهم. وكانت تعتريها أحوال لا تخرجها عن ظاهر حسها، وكان أخوها سيدنا أحمد بن عبد الله، رضي الله عنه، يحبها كثيرا ويعظمها ويذكر فضلها، ولقد أثنى عليها بعد وفاتها ثناءا جميلا وقال : كنت أتوسل بها إلى الله، كانت بيني وبينها أخوة في الله، يعني حيث كانت مستندة إليه، ومددها على يديه، وأثنى عليها بالرضى والِاستسلام والسكون تحت مجاري الأحكام وقال فيها : كانت تخبرني بأمور لا يجدها المنتصبون للمشيخة. وكان يحكي عنها في حياتها حكايات من المكاشفات وغيرها، يسندها تارة إلى مبهم سترا عليها، وتارة إليها تصريحا، إذا لم يحضره إلا خاصة الأصحاب. فحكى مرة عنها، أنها رأت يوما قطعة كبيرة من نور قدر جزة صوف نزلت من السماء بالزاوية على الناس، وهم يقرؤون حزب الغداة، فعندما وقع ذلك، ارتفعت أصواتهم بمرة وحموا حماية عظيمة، وتحرك من تحرك منهم، وتواجد من تواجد. وحكى أيضا عنها أنها قالت له : إني أرى في الصلاة نورا ينتشر في محل سجودي كلما سجدت، وأخاف أن يكون الشيطان يلعب بي، قال : فقلت لها : نعم، يخاف من ذلك، ثم قال للحاضرين : هكذا شأن الصادقين يخافون وإن كانوا محقين. وذكر عنها أنها أخبرته بأمور تقع فيما يستقبل بالنسبة لزمانها، منها إخبارها بالشيخ أبي

(270) زيادة في م.

العباس سيدي أحمد اليمني(271) نفعنا الله به، أخبرته به قبل إتيانه باثني عشر عاما، وذكرت له أنها كانت تراه بالزاوية ووصفته له، ثم إنه أتى من بلاده ووقعت المعرفة بينه وبين سيدنا أحمد رضي الله عنه. وبعد وفاتها بثلاث سنين، تزوج وسكن بالمخفية، وكان بالزاوية كما قالت، رضي الله عنها، يصلي بها ويجلس لسماع العلم بصقلبيتها هو وسيدنا أحمد، رضي الله عنهما. وكانت هذه السيدة، رحمها الله، عند الرجل الصالح أبي الحسن سيدي علي بن محمد المقنا(272)، دعي به، الأندلسي، المري، من جلة أصحاب والدها وخاصتهم، ولها منه أولاد. وكان خيرا صدوقا، صادق اللهجة، حسن الأخلاق، ذا دين متين، ونهج قويم، أمره كله جد. وكان مريضا عند شيخه، الشيخ سيدي محمد بن عبد الله، رضي الله عنه، ساكنا عنده بداره، ينفق عليه في جملة عياله إلى أن مات سنة أربع وستين وألف، فلم يتفق لهذه السيدة خروج من دار أبيها، ولا انتقال عنها حتى ليلة الزفاف. وما خرجت قط كما تخرج النساء مدة حياتها إلا [مرة أو](273) مرتين أو ثلاثا بعد كبرها، خرجت لبعض الدور القريبة لأمر مهم اقتضى ذلك. وقد اعتراها الحال يوما، فجعلت النقاب على وجهها وخرجت مغلوبا عليها، غلبة لم تخرجها عن دائرة حسها، إلى بعض ديار أصحاب أبيها القريبة الجوار، فدخلت على النساء بها وجعلت تقول لربة الدار : أخرجي من هنا، إلى متى أنت هنا ؟ فلم تنشب تلك المرأة المخاطبة أن توفيت بعد ذلك بقريب، فكان ذلك الخروج الطارئ لتنفيذ ما نزل من قدر الله الجاري، وكرامة صادرة، وآية ظاهرة، فسبحان من أكرم أولياءه بمثل ذلك وأهلهم لما هنالك. وكانت، رضي الله عنها، في المرض الذي توفيت فيه مسرورة بلقاء الله عز وجل، جميلة الرجاء فيه. وقد جلس قبل موتها بأيام بنوها يذكرون كلام الششتري أو غيره وهم يحسنون ذلك، وسيدنا أبو العباس حاضر هنالك، وكانت لا تستطيع التحرك لشدة ما بها من المرض، فتواجدت بمرة واضطربت بفراشها وتهلل وجهها وقالت لأخيها سيدنا أحمد : يا أخي، ما بقي ألم، وما بقي إلا الله. ولما قربت وفاتها جعلت تسأل عن وقت الظهر، فأخبرت بدخوله، فصلته وماتت.

(271) الولي الكبير وأحد الفقهاء المشاهير أحمد بن محمد اليمني، أصله من اليمن، ولد في حدود سنة 1040هـ قدم فاسا سنة 1079هـ وبها أقام حتى وفاته حوالي سنة 1114هـ (راجع **نشر المثاني**، 121/3؛ **سلوة الأنفاس**، 334/2).

(272) توفي سنة 1064هـ (راجع : **سلوة الأنفاس**، 300/2).

(273) زيادة في ك1.

وكانت وفاتها بعيد زوال يوم السبت حادي عشر ذي القعدة سنة سبع، بتقديم السين، وثمانين وألف. ودفنت بقبة أبيها عند رجلي أمها، ولها من العمر ست وخمسون سنة أو أقل منها بأشهر(274).

وأخبرني السيد الصالح الحاج الأبر، الخير الأنور، ذو الحال، أبو العباس سيدي أحمد بن قاسم بتير، دعي به، الأندلسي، وهو من جلة أصحاب سيدنا أحمد والشيخين قبله، أنه لما كان واقفا بإزاء قبرها عند دفنها شم رائحة طيبة خرجت من قبرها لا تشابهها روائح الطيب ولا تقاربها، وقد كنت بعد وفاتها بأيام قلائل قلت قصيدة من عروض الكامل مشتملة على ثمان وخمسين بيتا متضمنة لرثائها، وذكر المصاب بها، ووصف بعض حالتها وسيرتها، رضي الله عنها، ورمزت لتاريخ وفاتها بكلمة «أَفْشَوْا» من صدر المصراع الثاني من البيت الثالث منها، وهي :

خطب ألم فهاج لي أشجاني ... وأفاض در الدمع من أجفاني
وأفاد وارده الفؤاد كآبة ... وأثار منه بلابل الأحزان
فإذا به الناعون جاؤوا عندما ... أفشوا حديثا هائل الحدثان
راعوا القلوب وأوقدوا من حرها ... بين الضلوع لوافح النيران
قد حملوا ما لم تطق منا القوى ... وترحلوا بالصبر والسلوان
فلتندب الأحشاء آسفة على ... ما قد عرى أسف الكئيب العاني
ولتسكب العينان كل مدامع ... ولمثل ذا فلتسكب العينان
وله يباح الدمع شرعا إنه ... في الدين أدهى الرزء للإنسان
رجفت بنا هاذي المنون وأسرعت ... إن المنون كثيرة الرجفان
هجمت على كنز الهداية والتقى ... وترحلت بفريدة الأعيان
ووحيدة الدر الأنيق نظامه ... ويتيمة الدهر العديمة ثان
الدرة البيضا المُضيء سناؤها ... بلوامع الأسرار والعرفان
والدوحة العليا الممكن أصلها ... بقواعد التمكين والإيقان
ذات المواهب والمناقب والسنا ... ذات البهاء الباهر الرباني
أودى بها ريب المنون وغادرت ... تلك الربوع كئيبة الأوطان
أوحشت دار المكرمات وطال ما ... ألفيت فيها عمدة الأركان

(274) ورد في الإلماع، ص. 201، أنها ولدت سنة 1031هـ.

عمرت بكم وتلألأت أنوارها ... والسر منه أصالة العمران
وتضوعت بشذاكم أرجاؤها ... إذا كان سرك دائم السريان
من صون باطنها إلى بطن الثرى ... قد رحت في روح وفي ريحان
ما أبصرت عيناك يوما دُونها ... كلا ولا شنفت له الأذنان
بشراك يا أم البنين لذا اللقا ... بكرامة الإقبال والرضوان
من عالم الدنيا انتهيت لعالم ... فيه نعيم العالم الروحاني
في برزخ الأرواح حيث مقرها ... والعارفون لربهم بمكان
حيث المُحب مع الحبيب وصاله ... متأبد لا ينقضي لزمان
حيث الدنو ولا رقيب ولا سوى ... بهما يخاف عواقب العدوان
في أين لا أين ولا كيف به ... وشوائب الأكوان في فقدان
قد كنت في الباقي أشد موله ... حبا وأزهد من يرى في الفاني
قد كنت أرفع همة ومكانة ... عن كل ما للخلق كان يداني
قد كنت عاكفة بأنفذ عزمة ... حتى الممات على رضى الرحمان
مأخوذة لله عن كل السوى ... مشغوفة بالحب والهيمان
مجموعة الأهواء فيه منيبة ... أبدا له في السر والإعلان
أعرضت عن عرض الدنية رغبة ... في ذي البقاء الواحد المنان
شمرت مدة ما حييت إلى السرى ... فعل المجد الحازم اليقظان
والمرء مبعوث على ما عاشه ... وجزاؤه مع وصفه سيان
يا أخت أحمدنا، وبنت محمد ... العارفين الله عرف عيان
الواصلين الكاملين الأمكنين ... المطمئنين الجليلي شان
كمل الرجال وما تكامل نسوة ... إلا قليلا نادر الإتيان
ولقد تجمع فيك مفترق العلا ... وتكملت وصفا بلا نقصان
السير سير لا يجارى شأوه ... والسر سر واضح البرهان
أوتيت كشفا بالحقائق جهرة ... وأريت منه عجائب الأكوان
لك في الغيوب بصيرة مأثورة ... وفراسة بالناظر النوراني
لك في الديانة كان حزم كامل ... يهتز منه وغيرة الشجعان
لك في المهابة والجلالة سطوة ... منها يهد شوامخ العقبان
لك في الهداية كان بين أولي ... الهدى نور مبين ساطع اللمعان
من للقلوب لذا النوائب مفزع ... إن ما عراها عارض ظلماني

من للضعيف إذا أصابه هائل بنــظير بر منكــم وحنـــان
من منقذ الجاني لدى هفواتـه من مرشد اللهفـــان والحيران
من مشتكي أحزاني من في ديركم أو من يقاسم ما الفوائد يعاني
من منتهى آمالـــه وشؤونـــه وبمن تلـوذ الدهـر كل أمـاني
كم فرجت كرب بعز جنابكم وأغيث ملهـــوف بغير تواني
ولكم عهدت لدى الشدائد عدة بك تنجلي نوب الكئيب العاني
لو كان يعلم ما لديكم مجمع ضربت إليك سوائـق الأظعـان
يا آل عبد الله يا أهل التقى ومطالـــع العرفـــان والإيقـــان
أحسنتم والمرء مجبـــــول على حب الـذي حبـاه بالإحسان
إحسانكـــــم أسراركم لما تزل تحيي بواطن أهـل هذا الشان
لا زلتم في الله عمـدة واصل ومناهـــلا للـــوارد الظمـــآن
وَعليك يا أم البـــنين تحيـــة تغشى ضريحك ما أتى الملـوان
تهدي عبيق المسك فاق نسيمه عرق الـورود ونسمـة الـريحان

وقد رثاها بعض الأدباء من أصحاب أخيها بقصيدة طويلة تائية من عروض الكامل أيضا مطلعها :

ناحت وحق لها النياحة مقلتي ولفقدهم شرعا دموعـي حلت

وهذه قصيدة حسنة أنشأها بعد هذه، وفي قوله : شرعا، وقولي في القصيدة قبل.

ولـه يبـاح الدمع شرعـا إنـه في الدين أدهى الرزء للإنسان

إشارة إلى مشروعية ما قيل، وجواز سلوك ذلك السبيل، كما سلكه غير واحد من الأئمة المهتدين والأعلام المرضيين، ولا شك أن البكاء على أهل الله، الناصحين لعباد الله، المحبين لدين الله، بكاء على الدين وطريقه المبين، فلا فقدت تلك العبرات، ولا زالت تلك الحسرات، فلو كان لنا من ذلك النحيب بعض حظ ونصيب، لكنا من الفائزين، الظافرين بالمرام الحائزين، تداركنا الله بعنايته، ورزقنا محبة أهل ولايته آمين.

هذا آخر كلام صاحب «**المقصد**» في السيدة رقية، رضي الله عنها.

* عائشة بنت محمد بن عبد الله

ومنهم السيدة أم عبد الله عائشة بنت الشيخ العارف الكامل سيدي محمد بن عبد الله دفينة خارج باب الفتوح.

قال في «**المقصد**» : هي السيدة الفاضلة، الجليلة الكاملة، المباركة العلية، الصالحة الولية، المجذوبة القوية، المعمرة المروية، ذات الجذب القائم، والقلب الهائم، والوجد الدائم، والوله الملازم، والحالة السمية، والأنوار السنية، والسيرة السرية، والشيمة المرضية، والزهد التام، والإحسان العام، أم عبد الله عائشة، سمية أمها، وشقيقة أخيها سيدنا أحمد، رضي الله عنهم. كانت، رحمها الله، من أهل الهيام والجذبة، والحال القوي في المحبة، والنور الغزير، والزهد الكبير. فتح لها على يد أخيها سيدنا أحمد، رضي الله عنه، سنة ست وستين وألف، وهي أول من فتح له على يده، وبعد فتحها بشهرين أو ثلاثة، فتح لأختها السابق ذكرها، يعني السيدة رقية المذكورة قبل؛ نزل بها، أعني صاحبة الترجمة، من قبله جذب عظيم، ووارد جسيم، وحال قوي، أخذها عن نفسها، واقتطعها عن حسها، وغيبها عن بنات جنسها، وهيمها في بغيتها وأنسها، فلم يبق لها في الدنيا مراد، ولا وقوف مع مألوف ومعتاد، وتعطل فيها عند ذلك ما يكون من النساء مع أزواجهن، فأذنت رحمها الله لبعلها في أن يتزوج، وخيرته بين ذلك أو أن يصبر على حالها، وطلبت منه المعذرة، وخرجت من مالها كله وأنفقته في سبيل الله، فرقته في أقاربها وذوي رحمها ودار سيدي قاسم، ولم تبق منه قليلا ولا كثيرا. وكانت تبعث منه لأخيها سيدنا أحمد، رضي الله عنه، فإذا أراد أن يرده عليها على عادته، أرسلت إليه أن فرقه في المساكين أو إرمه في الوادي فإنه لا يرجع إلى ذمتي أبدا، فيفرقه أو يفعل به ما بدا له. وقد أتى بعلها يوما إلى الشيخ سيدي قاسم الخصاصي، رضي الله عنه، فأخبره بما فعلت من تفريق مالها كله لله، فقال له سيدي قاسم : أي شيء أصنع لها، إنها كمن اشتعلت فيه النار وعلقت بثيابه، فجعل يلقيها عنه من غير اختيار؛ يريد أن نار المحبة تحرق ما علق بالقلب من الدنيا كما تحرق النار الحسية ما تعلق بالبدن من الثياب، إذا مسته فلا يجد صاحبها بدا من نبذ ما بيده وتبديده، وذلك من غير اختيار منه. وكانت، رحمها الله، تميل إلى العزلة والاِنفراد عن الخلق، ولا تأنس بهم ولا تركن إليهم، ولا تعرف ما النساء عليه، ولا ما هن فيه.

* ترجمتها أيضا في : **الإلماع**، ص. 203؛ **نشر المثاني**، 105/2؛ **سلوة الأنفاس**، 294/2.

سمعت سيدنا أحمد، رضي الله عنه، يوما يقول في شأنها، وقد ذكرها في سياق ثناء عليها : إنها كانت إذا جلست مع النساء لا تشاركهن فيما يخضن فيه، ويلقي الله عليها النعاس حتى لا تدري ما تحدثن به. وكانت محبة لأخيها سيدنا أحمد، رضي الله عنه، غاية المحبة، شديدة الوله والهيمان به منذ نزل بها ما نزل من قبله، لا تقدر أن تحبس نفسها عن رؤيته وزيارته. فإذا قوي عليها الحال، لم تستطع الصبر عنه حتى تذهب إليه، مع أنها كانت لا تخرج على عادتهم. وكان بعلها يضيق ذرعا مما يرى من ولهها وزهدها فيه، وفي زينة الدنيا؛ فإذا به يوما فاجأه حال صعق منه، [وخرّبه][275] مغشيا عليه، فحمل كذلك بإذن سيدنا أحمد حتى أدخل عليها الدار، دار أخيها، وكانت إذ ذاك بها، فحمدت الله كثيرا إذ شاركها فيما هي فيه، واستراحت مما كانت تجد منه.

توفيت رضي الله عنها، بوجع النفاس ولم تلد حينئذ. وكانت وفاتها وقت صلاة الجمعة سابع رجب عام سبعين، بتقديم السين، وألف. ودفنت من ذلك اليوم بقبة أبيها وراء قبر أمها. وكان مولدها في حدود سنة سبع وثلاثين وألف، وكانت عند الرجل الصالح الخير المكين ذي الحال الصحيح، والهدي الواضح، والدين المتين، أبي عبد الله سيدي محمد بن الرجل الصالح أبي عبد الله سيدي محمد عاصم، دعي به، الأندلسي، من أصحاب أبيها الشيخ سيدي محمد بن عبد الله، رضي الله عنه، صحبه أولا، ثم صحب بعده خليفته [الشيخ سيدي قاسم الخصاصي، رضي الله عنه][276]، ثم سيدنا أبا العباس، رضي الله عنه، إلى أن مات في حجره وهو راض عنه. وربما كان يثني عليه أيام حياته بظهر الغيب منه ويصفه بالصلاح والدين. وكان، رحمه الله، مقبلا على شأنه، تاركا لما لا يعنيه، واقفا على حدود الله، متابعا للسنة، قوي الحال، كثير الذكر، يغلبه الوجد أحيانا، فيتحرك ويهيم، ويصيح صيحات. توفي، رحمه الله، سنة تسعين، بتقديم الفوقية، وألف، ودفن بالجنان الذي اتخذه سيدنا أبو العباس مدفنا لأصحابه زمن الوباء الواقع في هذه الأعوام[277]، وهو بأعلى موضع من روضة الشيخ سيدي يوسف الفاسي وسيدي محمد بن عبد الله، رضي الله عنهما. انتهى كلامه في «**المقصد**» في السيدة عائشة، رضي الله عنها ونفعنا بها.

---

(275) زيادة في م.

(276) زيادة في م.

(277) المقصود به داء الطاعون الذي انتشر بمدينة فاس سنة 1090هـ (راجع : **التقاط الدرر**، 217/1).

* قاسم بن قاسم الخصاصي

ومنهم الشيخ أبو الفضل سيدي قاسم بن الحاج قاسم بن قاسم الخصاصي، به عرف، دفين خارج باب الفتوح.

ذكره السيد الجليل العالم الصوفي أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي حفظه الله في «**تحفة أهل الصديقية**» فقال فيه : سيدنا الإمام العارف الكامل، الموحد المحقق المستغرق الملامتي، ذو الإشارات العلية، والحقائق السنية.

وقال في كتابه «**الإلماع**» : هو الشيخ الإمام العارف الهمام، بحر التوحيد ومعدن التجريد والتفريد، الواصل المحقق، المقرب المستغرق، أبو الفضل قاسم بن الحاج قاسم بن قاسم الخصاصي، رضي الله عنه ونفعنا به.

ثم قال في «**الإلماع**» المذكور: وكان في ابتداء أمره تقدمت له صبوة وخلطة مع أتراب له، ثم هبت عليه عواصف التوبة فألجأته إلى ضريح الشيخ أبي المحاسن الفاسي من غير قصد له بخصوصه، إذ لا يعرفه ولا يعرف إسمه، فناداه نداء المستغيث اللهفان : يا صاحب هذا القبر، إن كنت وليا لله حقا، فنطلب منك أن يجمعني الله بشيخ نخدمه لله لا يخدمه معي أحد غيري. ثم انقلب من عنده فسار إلى مسجد القرويين فدخله، لكونه قريبا من حانوته، فرأى رجلا كوشا مسنا جدا، فألقى الله عليه محبته، وحبب إليه خدمته، فقال في نفسه : مثلي من يخدم هذا الرجل لله، إذ هو رجل كبير، وأنا في شبابي وصحتي فما يمنعني من خدمته. [فأتاه فسلم عليه][278] وجلس بين يديه فقال له : أنا موصى برجل صبطري، لا أدري، من القراقين أو من العقبة، يعني عقبة الصبطريين. وكان سيدي قاسم قد خدم في الموضعين معا، فكان، أعني سيدي قاسم، يشير إلى أن الشيخ أبا المحاسن هو الذي أوصى شيخه به بفور زيارته إياه واستغاثته به، وأن وصيته إياه سبقت مجيء سيدي قاسم إلى شيخه، فخدمه سنين. وكان الشيخ يأوي إلى المدرسة المصباحية ويجلس بمسجد القرويين. ثم لما قرب حاله وحان انقضاء أجله قال له يوما : إني سائر إلى

---

* ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، 1/1؛ **التقاط الدرر**، 189/1؛ **نشر المثاني**، 199/2؛ **سلوة الأنفاس**، 282/2؛ **شجرة النور**، 312/1.

(278) زيادة في ك1.

البلاد الكبيرة، وأنت، الذين أتوابك قالوا هم أخبر بك. في أي موضع أحبوا أن ينزلوك أنزلوك، فبقي بعده نحو أربعة أيام، وإذا ببعض معارفه رآه مهموما على شيخه، فقال له : إذهب إلى سيدي عبد الرحمان الفاسي، فقال له : فأين هو؟ فقال له : بالقلقليين. فذهب إليه فصحبه، فكان يشير إلى أن سيدي يوسف اعتنى بشأنه وتولى أمره، إلا أنه لما طلب عليه شيخا يخدمه وحده، ساعفه بمطلوبه بإذن الله، ثم بعد ذلك رده لمآبه وطريقته. فصحب الشيخ أبا محمد عبد الرحمان من حدود عام خمسة وعشرين وألف إلى موته في آخر ليلة الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول عام ستة وثلاثين وألف، ثم بعد موته صحب خليفته سيدنا أبا عبد الله محمد بن عبد الله إلى وفاته. ثم جلس بالزاوية نحو أربع سنين. كان في أول الأمر يجلس في جملة الأصحاب، وفي آخره بدأ ظهور خصوصيته والإعتراف بمزيته. ثم حبس رجليه عن الزاوية واقتصر على داره وحانوته، فبقي كذلك إلى أن سكن بدار سيدنا محمد بن عبد الله، رضي الله عنه، حول الزاوية فعاد يجلس بالمعصرة، ويجلس معه من أصحابه من تيسر عليه، إذ الوقت وقت غلاء وشدة وشر وفتنة، اندهى الناس فيه عن دينهم، وحيل بينهم وبين قلوبهم وعقولهم إلا من عصمه الله وأيده. وإنما كان يجلس بالمعصرة لأن سيدي أحمد، يعني ابن عبد الله، كان مشغولا بها يباشر أمورها حينئذ بنفسه. وسيدي قاسم إنما جلس وتقيد له، وشيوخته إنما هي له، وغيره إنما هو بالتبع له، وإنما يستفيد ما يستفيد من ورائه وعلى يديه. ثم أمر أصحابه بحل (كذا) الزاوية، وكانت تعطلت في تلك السنين، فحلت في آخر يوم من جمادى الثانية سنة خمس وسبعين وألف، وقرؤوا فيها الأحزاب، وابتدؤوا قراءة «**البخاري**» تلك الليلة، وهي ليلة أول يوم من رجب، ثم خرج هو إلى الزاوية عشية يوم الجمعة عاشر رمضان من السنة المذكورة، وانجمع أصحابه عليه فيها، فبقي بها إلى أن مات وسط ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثمانين وألف[279] بموافقة ليلة التاسع والعشرين من دجنبر الأصم، عن نحو إحدى وثمانين سنة. ولم يكن يغيب عن الزاوية إلا أياما قلائل نحو الخمسة أيام، تعرض له في كل شهر غالبا، يجلس فيها بالدار لا يخرج. وكان شأنه الغالب عليه الغيبة في التوحيد والإستغراق في بحر التحقيق؛ وفي تلك الأيام تصحبه غيبة زائدة لا يعرف بها السماء من الأرض، ولا الليل من النهار، وربما يسأل عن العصر أو المغرب في أول النهار؛ ويذهب عنه النوم ولا يحتاج إلى أكل

(279) وفي **شجرة النور**، ص. 312، ورد أنه توفي سنة 1082هـ.

ولا يسأل عنه ولا يطلبه، فإذا أفاق من غمرة تلك الحال وأطلق من وثاق ذلك السكر خرج. ومن أجل قوته وغيبته كانت له ملامات وشطحات ينكر ظاهرها من لم يعرف حقيقتها ولم يشاركه في حاله : ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ﴾[280] وكانت له الإشارة العالية، والهمة السامية. وكان لقي ناسا كثيرين من أهل الكمال والبهاليل وأهل الأحوال وغيرهم، وأخذ عنهم ونال منهم. ويكفي في سموه وعلو قدره، تخرج سيدنا أحمد به، وتربيته وتهذيبه به. فلنقتصر من كراماته على تلك الكرامة العظيمة، فهي أعظم آية على طريقته المستقيمة. وكان يقول أنه لقي ستة وعشرين شيخا أو نحوهم، ثلاثة منهم صحبهم على سبيل التحكيم وسلب الإرادة، والآخرون لقيهم وتبرك بهم واستفاد منهم فقط؛ أما الثلاثة فهم : شيخه الأول، ثم سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي، ثم سيدي محمد بن عبد الله. وكان أكثر ذكره ولهجه منهم بسيدي عبد الرحمان، ثم بسيدي محمد. وقال له سيدي عبد الرحمان : أنت لي ولست لأحد غيري. كان يحكي ذلك عنه كثيرا. وأما الآخرون فمنهم الشيخ أبو عبد الله محمد الكَومي دفين القليعة من داخل باب الفتوح من أبواب فاس، ومنهم الشيخ أبو الحسن علي الهيري الواريثني دفين مسجد الفخارين[281] من داخل باب الفتوح بفاس، والشيخ أبو محمد عبد الله الدراوي، عرف بالحداد، دفين خارج باب الفتوح قرب روضة الشيخ سيدي علي حماوش، والشيخ أبو عبد الله محمد حكيم الأندلسي، دفين روضة أبي زيد الهزميري داخل باب الفتوح من فاس، وسيدي جلول البهلول دفين داخل باب الجيسة من فاس. وكان إذا جلس قدامه فصاح سيدي جلول، صاح هو وسيدي مسعود الشراط البهلول دفين خارج باب الجيسة، وقال له : قل لا إله إلا الله، فقالها، ثم أمره بها ثانية، ثم ثالثة؛ وسيدي علي بن داوود[282] نزيل مرنيسة[283] على نهر ورغة[284] ودفينها. ثم ذكر رفع أسانيدهم كلهم إلى النبي، ﷺ، فانظره إن شئت.

(280) ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ﴾، الآية 43 من سورة **العنكبوت**.

(281) يوجد بعدوة الأندلس، هدم وعوض سنة 1935 بجامع جديد يحمل نفس الإسم (راجع : **فاس قبل الحماية**، 208/1).

(282) الولي المجذوب علي بن داوود السوسي المرنيسي، توفي سنة 1022هـ (راجع **تحفة أهل الصديقية**، ص. 20؛ **نشر المثاني**، 177/1؛ **التقاط الدرر**، 60/1).

(283) منطقة تقع شرق مدينة فاس، تشكل أحد مراكز قبائل الحيانية (راجع : **قبائل المغرب**، ص. 306).

(284) واد يخترق منطقة ورغة الواقعة شمال مدينة فاس، وهي منطقة تسكنها قبائل من صنهاجة ومصمودة، ومن عرب الحياينة، انضاف لهم خلال العهد السعدي بعض عرب شراكَة المهاجرون من غرب الجزائر (راجع : **وصف إفريقيا**؛ **الحركة الفكرية**، ص. 485).

هذا آخر كلام صاحب «**الإلماع**» في سيدي قاسم، رضي الله عنه.

وقال الفقيه العلامة سيدي أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني حفظه الله في كتابه «**المقصد**» ما نصه : هو الشيخ الهمام، الفاضل، العارف الكبير، الواصل الموحد، المحقق المجذوب، المستغرق في بحر المعرفة، الغطم الزخار، وغيث المدد الوابل المدرار، منبع التوحيد، ومعدن التفريد، ذو المواجيد الربانية، والإشراقات العرفانية، والأحوال السامية، والإشارات العالية، أبو الفضل سيدي قاسم بن الخير الحسيب الزكي، الحاج المرضي أبي الفضل قاسم بن أبي الفضل قاسم الخصاصي، به عرف، نسبة إلى خصاصة، مدينة على شاطئ البحر بجبل القلعية ذات مياه وأجنة لا عمارة بها الآن، وهي قرب مدشر أبي جعفر. وبعد خلائها كان سلفه بالجبل المذكور ثم انتقلوا إلى فاس.

وحدثني بعض قدماء أصحابه المنتسبين إليه وإلى الشيخ سيدي محمد بن عبد الله قبله، أنه سمعه يقول : نحن من الأندلس، وإن سلفنا كانوا هنالك قبل ورودهم على القلعية. ولد رضي الله عنه، في حدود واحد وألف، وربي في حجر أمه يتيما، لأن والده، رحمه الله، توفي وتركه في بطن أمه، فربي كذلك إلى أن شب وبلغ الحلم. فكانت له خلطة وصحبة مع أقران له؛ كان هو يذكرها ويذكر ما صدر عنه من الأفاعيل بسببها. يعرف الناس بذلك فضل الله وإحسانه، وأنه لا يتقيد بعلة ولا بسبب، فبقي كذلك مدة، ثم ألقى الله عليه التوبة والإنابة إليه والأوبة، وهبت عليه رياحها، وأشرق بعد ظلمة الشباب عليه صباحها، فذهب لزيارة بعض الأولياء خارج باب الفتوح، وهو سيدي الحسن الجزولي من أصحاب الشيخ الغزواني، رضي الله عنهما، كانت أمه أرسلته لزيارته لأنه كان لهم استنادا إليه، فلم يعرفه، فجاء إلى ضريح الشيخ العارف الكبير سيدي أبي المحاسن يوسف الفاسي، رضي الله عنه، ووقف عليه وهو لا يعلم صاحبه، فقال : يا صاحب هذا القبر، إن كنت وليا لله حقا فنطلب منك أن يجمعني الله بشيخ أخدمه لله لا يشاركني أحد في خدمته. ثم رجع من عنده وذهب إلى جامع القرويين فدخله، فرأى فيه رجلا كوشا مسنا جدا[285]، فألقى الله في قلبه محبته وقال في نفسه : مثلي من يخدم هذا الرجل لله، فجاءه وسلم عليه وجلس إليه؛ فلما تكلم معه واطمأن بين يديه قال له الرجل

(285) الشخص المقصود هنا هو مبارك بن عباب الكوش.

المذكور: إني موصى برجل صبطري، أي ذو حرفة الخرازة من سوق القراقين أو من عقبة الصبطريين، وكان سيدي قاسم قد خدم تلك الحرفة، فيهما معا. فلازمه من حينئذ سيدي قاسم وصحبه واختص به وسلب له الإرادة. وجعل يجالسه ويخدمه فيما يحتاج إليه من غسل ثوب وإماطة أذى ونحو ذلك، واستفاد منه وانتفع به. وكان لما صحبه أقلع عن الخلطة وأهلها. فاتفق له يوما أن ذهب لبعض معارفه الذين كان يخالطهم، فلقيه، ثم انقلب من عنده إلى شيخه، فلما جلس بين يديه تنكر له مغضبا ثم قال له : يا بني، صاحبي الذي يعرفني لا يكون إلا في واحد من ثلاثة، إما في المسجد يصلي فيه، أو في داره يجلس بها، أو في موضع حرفته يخدم فيه. فنزع سيدي قاسم، رحمه الله، إذ ذاك عن الخلطة بمرة نزعا كليا، فما رئي بعد ذلك يفعل سوى ما قال له الشيخ كما أخبر بذلك، رضي الله عنه، وبقي في صحبته سنين لا أدري عددها، إلى أن توفي هذا الشيخ، رحمه الله. فبعد أربعة أيام من وفاته أو خمسة، رآه رجل من معارفه في غم وكرب مما نزل به من موت شيخه، فدله على الشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي، رضي الله عنه، فذهب إليه حينئذ، ولم يكن يعرفه قبل ذلك، فصحبه ولازمه وسلب له الإرادة، وفتح له يديه الفتح العظيم، وكان معه على طريقة مثلى من الحزم والجد في الدين والتحرز في أموره، مع ملازمة الأحزاب بزاويته، وكان إذ ذاك يعتريه الحال وتصدر منه صيحات، وربما صدرت منه بمحضر الشيخ سيدي عبد الرحمان. وقال له يوما وقد صاح قدامه : أي شيء تذكر؟ فقال : لا إله إلا الله محمد رسول الله. فقال له : لا أخاف عليك. ونزل يوما مطر شديد وحجر عظيم وهو مار بالطريق، فصاح صيحة حالية وقال : يكفي، أي : أكفف، فأقلع المطر والحجر إذذاك، فشكاه بعض الناس إلى الشيخ سيدي عبد الرحمان وأخبره بما صدر عنه، فقال له سيدي عبد الرحمان : أتقدر أنت أن تقولها؟ فقال : لا، فقال له الشيخ : هو قالها.

ومرة أضر بعض من له رياسة[286] في قومه بالإذاية اللسانية بالشيخ سيدي عبد الرحمان، وحلف ليلة ليهدمن زاويته من الغد، فصاح، أعني سيدي قاسما، من ذلك الغد وهو في حزب الغداة يقرأ قائلا: اليوم يقطع رأس فلان، يعني الرجل

(286) المعني هو محمد بن سليمان اللمطي الملقب بالأقرع حاكم فاس وأحد زعماء الثورة بها أثناء انقسام المدينة بعد ضعف أمر السعديين بها ، قتل سنة 1029هـ في مواجهة مع سكان فاس الجديد وسلطانهم عبد الله بن الشيخ المامون (راجع : **نشر المثاني**، 232/1؛ **التقاط الدرر**، 76/1).

صاحب الإذاية، فكان من قدر الله أن خرج الرجل ذلك اليوم إلى قتال أهل فاس الجديد وسلطانهم، وكان أهل فاس البالي قد ثاروا عليه ونبذوا طاعته[287]، فما رجع إلا مقطوع الرأس، ومات ميتة جاهلية، وظهر مصداق قوله، فكانت هذه والتي قبلها كرامة له بصدقهما وتصديق شيخه: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾[288] وقال له الشيخ سيدي عبد الرحمن : أنت لي ولست لأحد غيري، يشير بذلك، والله أعلم، إلى أن فتحه كان على يده دون غيره.

وقال له أيضا : أنت غريب ليس لك أخ، يريد والله أعلم، أنه غريب في طريقه وعرفانه وتحقيقه، وفيه مع ذلك إشارة إلى ما كان من أمره بعد مع بعض إخوانه من أصحاب الشيخ سيدي عبد الرحمان وأصحاب الشيخ سيدي محمد بن عبد الله ممن لم يحصل له ذوق من عدم إذعانهم له، واستنكافهم عن متابعته بعد أن استخلفه الله عز وجل، وربما صرح بالنكير عليه بعضهم بعد معرفة مكانه من الدين وحاله القوي فيه، ومعاشرته له على ذلك السنين، ومعرفة ما كان يقع له مع الشيخين سيدي عبد الرحمان الفاسي وسيدي محمد بن عبد الله بعده من الأمور الدالة على شفوف منزلته وأنافة رتبته، والأمر لله وحده. وكان، أعني سيدي قاسما، يلهج دائما بسيد عبد الرحمان ويذكره، ويذكر ما قال وما سمع منه مما حكينا بعضه آنفا، وبقي في صحبته إلى وفاته، أعني سيدي عبد الرحمان، ثم صحب بعده خليفته ووارث حاله، الشيخ سيدي محمد بن عبد الله معن والد سيدنا أحمد، رضي الله عنهما، فلازمه واختص به وسلب له الإرادة كما كان مع الشيخ سيدي عبد الرحمان، رضي الله عنه، وقام بالأدب معه كما قام به مع الأول مع ما سبق له معه من الأخوة فيه. وقال له يوما مشيرا إلى هذا المعنى : يا سيدي، أنا عاتق، أي بكر، يعني ليس كالثيب، تميل إلى الأول أكثر من الثاني. وكان سيدي محمد حنيئذ يتكلم في ذلك المعنى، وأن من سبقت له صحبة لأحد قليلا ما ينجمع على الثاني ويسلب له الإرادة بالكلية، وإنه بمثابة الثيب، يبقى بالها مع زوجها الأول، فأجابه بذلك، يعني أنه لا بال له مع غيره. ولا التفات

(287) عرفت فاس في عهد عبد الله بن الشيخ المامون السعدي عدة اضطرابات بسبب سوء سيرته وعيث أنصاره من عرب شراكَة، فانقسمت المدينة بسبب ذلك إلى فريقين : مؤيِّدين له، وهم أهل فاس الجديد؛ومعارضين، وهم أهل فاس القديم الذين استمر في محاربتهم من سنة 1020هـ إلى وفاته سنة 1033هـ (راجع **نزهة الحادي**، ص. 238).

(288) الآية 18 من سورة **هود**.

له إلى سواه. وأمر الشيخ سيدي محمد يوما بكتب تحبيس نسخة من «**البخاري**» له على زاويته، فقال للكاتب على سبيل التواضع : أكتب حبسا على أصحاب سيدي عبد الرحمان، فصاح سيدي قاسم صيحة حالية : لا، بل نحن من أصحابك، فلم ينكر عليه، فكتب ذلك الكاتب حبسا على أصحاب سيدي محمد بن عبد الله كما قال سيدي قاسم، وصادف مقاله الأدب ومقتضاه. وكان رضي الله عنه، شديد الأدب قويا في الله، يعرف منه الشيخ سيدي محمد بن عبد الله وأصحابه ذلك، ويشير أحيانا إلى مرتبته وتمييزه. وكان سيدي محمد لا يحب لأصحابه الِاجتماع بغير الزاوية، لمتنزه ولا لغيره، وإن صدر منهم ذلك يوما مّا، زجرهم ووبخهم عليه أشد توبيخ، لا يسامحهم في ذلك البتة. فإذا علم أن سيدي قاسما كان معهم لم يقل شيئا لما يعلم من شدة حزمه وضبطه وورعه؛ وأنه لا يحضر محفلا إلا كان بالجد موصوفا، وبالخير محفوفا. وجلس مرة أصحاب سيدي محمد بالزاوية يتحدثون وهو معهم، فلما دخل عليهم الشيخ سكتوا، فصاح بهم سيدي قاسم والشيخ حاضر: تكلموا وخوضوا فيما كنتم تخوضون فيه، إرشادا منه للصدق وإرادة له في كل شيء حتى لا يخفي أحد عن الشيخ شيئا. وكان، رحمه الله، منذ صحبه وقبله موثرا للعزلة، شديد الفرار من الخلق، مرفوع الهمة عنهم إلى الله تعالى، سباق غايات، وصاحب آيات، يسير مع المشايخ سير تارك الحظوظ، لا يعرج على طمع منهم في شيء. وكان من عادة سيدي محمد إذا قبل يده أو ركبته أحد من الأصحاب دعا له بقوله : الله يبارك فيك. فقبل ركبته سيدي قاسم يوما، وكان ذلك بعد صلاة الصبح، والشيخ مشتغل فيه بذكر الله، فدعا له بدعائه المذكور على عادته، فشق على سيدي قاسم أن يقطع على الشيخ ذكر الله، ويتكلف الدعاء له لأجل تقبيله ركبته فقال لـه : يا سيدي، لا تقل لي شيئا من ذلك، لا بارك الله في، يريحه من التكلف له، ويشير له إلى أن خلطته له ليست على حظ من الحظوظ، وإنما هي على الله. وقد قالوا في الصحبة على الله إنها مبنية على إسقاط الكلف، وهو وإن كان الشيخ لا يخفى عليه حاله لكن الظاهر لا يهمل، وفي التعبير استراحة.

وخرج مرة سيدي محمد لزيارة القطب سيدي عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به وببركاته، مع جماعة قليلة عينهم، وقال إنه عينهم ليصلي معهم جماعة، وقال لغيرهم : إن الذي يتبعني لا يربح، فتبعه سيدي قاسم من فوره إلى خارج باب الجيسة فقيل له : أما سمعت ما قاله سيدي محمد؟ فقال : لست أعرفه على الربح،

[إنما أعرفه على الخسارة][289]، يعني أنه لا يعرج على حظ ولا يلوي عليه كما قال القائل:

على البخل منها لا على الجود أتبع[290]

وتبعه على ذلك جماعة شجعهم، فلما أشرفوا على الشيخ سيدي محمد قال لهم : وفاز باللذات الجسور. وقال : كل من خطر ببالي جاء وقدمه أمامه وذهبوا، وإنما قال لهم سيدي محمد لا يتبعني أحد، لأن بعض من ينتسب إليه ممن بزاويته كانوا يذهبون للزيارة معه حياء وتكلفا، يظنون أنهم كمتفقرة الوقت الذين إذا ذهبوا إلى زيارة أو غيرها، لا يحبون أن يتخلف عنهم أحد من أصحابهم، يظهرون بذلك كثرة الأتباع والخدام، وهو حاشاه من ذلك، وبعضهم يذهب للزيارة من غير قصد صحيح، بل حظه ما ينال في الزيارة من طعام الناس من لحم وعنب. فقال لهم : ذلك إزالة للكلفة عنهم وتخفيفا منهم؛ ومن كان من أصحابه حقيقة وكان قصده صحيحا أحضرهم الله بقلبه فجذبهم إليه، وأخذهم منهم بهمته، والله الموفق سبحانه.

[ومن جملة كراماته : أن الشيخ][291] بنى مرة، يعني الشيخ سيدي محمد، باب زاويته، أي أغلقه بالبناء، لأمر اقتضى ذلك في الوقت، فبقي سائر الأصحاب يتعاهدون زاوية الشيخ وموضعه، يتسورون عليها بالسلم، وتخلف هو عن ذلك أياما، فأرسل إليه الشيخ سيدي محمد، رضي الله عنه، أن ائتنا، فأتاه فقال له : ما بالك أنت تخلفت عن الزاوية ولم نرك؟ فقال له : يا سيدي، لما أراد الله بنا خيرا فتحها لنا، وحين أراد بنا غير ذلك سدها في وجوهنا، والعيب منا، فإلى أين آتي؟ أو كلاما هذا معناه أو قريب منه، ثم بكى، فأمر إذ ذاك الشيخ سيدي محمد، رضي الله عنه، بهدم الباب المبني، ففتح ودخل الناس الزاوية. وكان ذلك الفتح من أجله ولصدقه مع الله في فعله وقوله، وهذا كله لا يحسن إلا من الأقوياء الصادقين أمثاله، لكونهم لا يفعلون مثل ذلك إلا لحال اقتضاه منهم. أما من كان مع نفسه وحسه، فحسبه ما يسعه مجهوده مما هو شأن أبناء جنسه. وقد كان سيدي قاسم، رحمه الله، تصحبه أحوال دائما، ولم تنقطع عنه زمن سيدي محمد تلك الصيحات التي كانت تصدر منه زمن سيدي عبد الرحمان، رضي الله عنه، وكانت صيحته أن ينطق باسم الجلالة مادا عليه.

(289) زيادة في م.

(290) من الطويل.

(291) زيادة في ك2.

وقال له مرة سيدي محمد، رضي الله عنه : لولا أنك حصلت في يد سيدي عبد الرحمان لكنت بالجلابية بالخمسة، يعني يكون من البهاليل المولهين، إذ ذاك لباسهم وشعارهم.

وقال يوما للشيخ سيدي محمد، رضي الله عنه : إنهم يقولون، يعني بعض أصحاب سيدي عبد الرحمان، إنك إذا مت فإنهم يذهبون إلى زاويتهم، يعني زاوية الشيخ سيدي عبد الرحمان الفاسي، رضي الله عنه، فقال له سيدي محمد : وأنت، هذه زاويتك. فكان إشارة إلى ما يؤول إليه الأمر من استخلاف الله له في ذلك الموضع، وإلى أنه يكون فيه طول حياته إلى مماته، فكان كذلك.

وقال شيخنا الإمام، العالم الكبير، أبو محمد سيدي عبد القادر بن علي ابن الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، رضي الله عنه، لسيدنا أحمد، رضي الله عنه، يوما وقد اجتمع معه : سمعت والدك سيدي محمد يقول في شأنك : رأيت أحمد يتبع الخصاصي، يعني سيدي قاسما، رحمه الله؛ فهذا تصريح من الشيخ بإمامة سيدي قاسم. وقد سمعت أنا سيدنا أحمد، رضي الله عنه، يقول يوما، إن سيدي قاسما هو الوارث لوالده الشيخ سيدي محمد بن عبد الله. وأوصى الشيخ سيدي محمد، رحمه الله، قرب موته وفي حال صحته أصحابه بعد أن جمعهم بالزاوية وقال لهم : إذا مت، فإياكم أن تغتروا بالتزويق الظاهر، يريد أهل الظواهر الخالية من الأحوال الربانية ضمائرهم، ويشير إلى أن الإرث في أصحابه بعده ليس في أهل الهيئات منهم؛ وكان أعظمهم خمولا سيدي قاسم، رحمه الله. وكان من عادته أنه إذا دخل الزاوية جلس منفردا يذكر الله تعالى وإذا اجتمع الناس مع الشيخ استفاد من وراء وراء حتى يحسب الناس في كثير من الأحيان أنه ليس هنالك كما كان قبله الشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي مع أخيه وشيخه سيدي يوسف الفاسي؛ كان يذكر ذلك عنه سيدي محمد بن عبد الله.

وقيل يوما للشيخ سيدي محمد بن عبد الله، رضي الله عنه : يا سيدي، إن بعض الناس قد قال إن سيدي عبد الرحمان المجذوب خلف سيدي يوسف الفاسي، وسيدي يوسف ترك أخاه سيدي عبد الرحمان، وأنت تترك فلانا وفلانا، يريد هذا القائل رجلين في عداد أصحابه ممن يكثر القيل والقال، فقال الشيخ سيدي محمد : سنموت وتظهر التركات، فظهرت [بزاويته][292] بعد موته تركته كما قال، واستمرت

(292) زيادة في ك2.

والحمد لله إلى الآن، ولم يكن ذلك غير سيدي قاسم رحمه الله، وفيه ظهر مصداق كل ما ذكر مما تقدم تصريحا وتلويحا؛ فإنه رحمه الله لم يزل ملازما للشيخ سيدي محمد، رحمه الله، حتى توفي وبقي بعده يتردد إلى زاويته مع من بقي بها، غير متميز عنهم بشيء نحو العامين، ثم لاحت لهم خصوصيته، وهبت عليهم نسمته، وجاء إبانه، وأظل زمانه على حين فترة ومضي حيرة، فكان كما قال سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي، رضي الله عنه : إن الشيخ إذا مات ذهب بحاله وحال وارثه، ثم يعود إليه ذلك بعد. قال سيدي محمد بن عبد الله : وكنت أنا لم أفهم هذا حتى سلكته بعد ذلك، يعني بعد موت الشيخ سيدي عبد الرحمان. وقال سيدي قاسم بعد موت سيدي محمد بنحو اليومين وهو عند قبره : هذا الشيخ إلى الآن لم يطلق متاعه، يعني حاله، لأحد. ثم بعد ذلك تبين أنه هو الذي أعطيه، فسلك من الفترة والإطلاع على كيفية الأمر ما سلك من قبله.

وجلس يوما أصحاب سيدي محمد بن عبد الله بعد موته يتحدثون متحيرين كيف السبيل إلى معرفة وارثه، وسيدي قاسم معهم، فقال لهم : ها هو السبع في وسطكم، ولكن أين من يستخرجه ويتفطن له. ولما وضح أمر سيدي قاسم وتبينت خلافته وظهرت رتبته ومكانته، تبعه جماعة من فضلاء أصحاب سيدي محمد وغيرهم ممن أراد الله توفيقه وأن يسلك به من الدين طريقه، فانحاشوا إليه، وأكبوا عليه، فمكن نفرا منهم فظهر عليهم الحال، أولهم سيدنا أبو العباس، رضي الله عنه. وحمي بالزاوية ذكر الجلالة بعد أحزاب الغداة، وتتابعت حمايته، فكان يطول بهم المقام في ذلك غلبة فلا يستطيع ذو الغلبة منهم أن يمسك نفسه عن الذكر إلا أن يقطع عليه، وربما يتمادى بهم الحال إلى الزوال أو قربه، وتصدر منهم صيحات. فنقم عليهم بعض من لا معرفة لهم بحالهم ممن شارك سيدي قاسما في معرفة [ظاهر][293] سيدي محمد بن عبد الله قائلا : لم يكن هذا الصياح زمن سيدي محمد جهلا منه بأن الزهر ألوان، وحصرا لأمر الألوهية فيما فهمه عقله. ثم قال بعضهم : إن رد سيدي أحمد للتماسك والتمكين فهو الشيخ حقيقة. فكان الأمر بعد كذلك، وبقوا يتكلمون في شأنه وشأن أصحابه، ليكون بقدرة الله ما تقدم لنا عن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي، رضي الله عنه، من قوله له : ليس لك أخ. فلزم حينئذ سيدي قاسم داره بدرب أبي بكر بن حمامة وحانوته، وكانت بسوق مولاي إدريس، نفعنا الله به، شفقة

(293) زيادة في ك1 وك2.

على أولائك المعترضين، إذ كانوا إخوانه، أن يصابوا في قلوبهم، أو ينال منهم أصحابه مكروه بسببه، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح؛ فكان لا يجالسهم بالزاوية ولا يأتي إليها [إلا أن يأتي لصلاة](294)، وهم على حالهم من ملازمة الأحزاب والذكر، مستمدين منه، ومقتبسين من أنواره.

سمعت الخير الصالح الثقة الصدوق سيدي الحاج أحمد بن قاسم بتير الأندلسي يقول : والله لولا الشفقة على هؤلاء المعترضين، لكانت الجلالة بالزاوية لا تنقطع أبدا. وصدق، رضي الله عنه، فقد كان ذا فيضان عظيم، ومدد جسيم، وقد كان بعض أولائك المعترضين يأتي الحزب لينظر أمر الأصحاب، فيقع فيما هم فيه، ويحترق بضرامهم، ويصيح ويمزق ثيابه. وقع ذلك لغير واحد منهم. وكان أصحابه أثناء تلك المدة التي حبس نفسه فيها عنهم، يترددون إليه في حانوته ينزلون به أمورهم وما أهمهم من أمر دينهم. ثم صرفهم عنه وقال لهم : فارقوني ولا تأتوني. ففارقوه بظواهرهم وانقطعوا عنه مدة لما رأوا منه الجد في ذلك، ولم يبق يأتيه غير سيدنا أحمد، رضي الله عنه، وبقوا على ذلك إلى أن كان وقت الغلاء(295) الشديد، والمسغبة العظيمة التي بعد عام سبعين بتقديم السين وألف، التي طال أمدها وبلغ المد في معظمها خمس أواق، فدهم الناس من أجلها أمر عظيم، واستقبلهم أمر هائم جسيم، وتفرقوا في البلاد وأفنوا الطريف والتلاد، وحيل بينهم وبين عقولهم، فتعطلت قراءة الحزب بالزاوية لذلك، ولعدم جلوس سيدي قاسم إذ ذاك بها، فلما بنى سيدنا أبو العباس معصرته التي بعرصته المجاورة للزاوية في تلك الأعوام عن إذن شيخه سيدي قاسم، رحمه الله، كان سيدي قاسم يأتي إليها بقصد سيدنا أحمد، إذ كان يكون بها ويلي عمل عصر الزيت بيده، فكان يجلس معهما من تيسر من الأصحاب، حن عليهم وسامحهم في مجالسته ومخالطته، لما دهاهم مما هم فيه من الشدة والفتنة. فبينما سيدي قاسم يوما جالس بها، وقد غلبت عليه الغيبة التي تعتاده، إذ ذهب سيدنا أحمد، رضي الله عنه، إلى رحيله وعياله، وأتى بهم إلى عرصة أبيه المعدة للسكنى، الملاصقة للزاوية، وأنزلهم بها، وهي التي وهب لولديه منها ما يسكنان فيه. ثم انقلب إلى سيدي قاسم وجعل يستعطفه

(294) زيادة في **المقصد الأحمد**.

(295) وهو غلاء سنة 1072هـ الذي بلغ فيه الصاع من القمح نحو درهمين ونصف أو أزيد (حسب ما ورد في **نشر المثاني**) وأكل فيه الناس الموتى والجيف واستمر هذا الغلاء إلى حدود سنة 1076هـ (راجع : **المقصد الأحمد**، ص. 266؛ **نشر المثاني**، 129/2).

ويلاطفه في قبول ذلك فقبله، وكان لا يقبل إلا منه. فسكن سيدي قاسم العرصة المذكورة، وذلك سنة ثلاث وسبعين وألف. ثم أمره بقراءة الأحزاب بالزاوية، وقراءة «**البخاري**». وجعل يجلس بها، وأتاه الأصحاب فأنسهم وسلاهم عن مكابدة الأوصاب، وتدارك أمرهم، وتلافى عمارة الزاوية.

أخبرني غير واحد من فضلائهم أن أحدهم كان وقتئذ إذا جلس مع سيدي قاسم واتفق أن كان جائعا، لم يجد ألم الجوع ولم يحس به، ما دام بين يديه طائلا ما طال، ولم يقم إلا فرحا مسرورا. وكان، رضي الله عنه، مصطلما في التوحيد، مستغرقا في التحقيق، غائبا في الله، فانيا به عما سواه، قوي الحال، فائض النور، فياض المدد، تغلب عليه الغيبة وتعتاده زيادتها في نحو خمسة أيام من كل شهر، فلا يعرف فيها الأرض من السماء، ويسأل عن أوقات الصلاة في كل ساعة، وقد يسأل عن صلاة نهارية في الليل. وكان إذا وقع له ذلك لا يخرج من داره، وربما تجلس قدامه ابنته فلا يعرفها، وكان ملامتيا.

قال في «**الإلماع**» : ومن أجل قوته وغيبته كانت له ملامات وشطحات ينكر ظاهرها من لم يعرف حقيقتها ولم يشاركه في حاله : ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ﴾(296)، انتهى.

وكان طريقه المحبوبية والفناء في التوحيد، لا يشير في كلامه إلا إليهما، ولا يعرج إلا عليهما، وينهض بالناس إلى الله من طريقهما، ولا يلوي على طريق الخوف ولا يشير إليه، ولا يحب من يقف مع الخوف وشهود مساوئه، مخافة أن يقصر به ذلك عن النهوض إلى الله، ويدل على شهود الفعل من الله والتحقق بفضله وإحسانه، ويحض على ترك التدبير والاختيار ويقول : من كان لك بك وأنت في بطن أمك ؟ ومن كان يدبر عليك هناك. ويقول : أكان لك تدبير واختيار حين خلقك مسلما؟ أو لما جعل الله لك هذه القدرة الاكتسابية غلطت وصرت تدعي وتتكلف ما ليس لك؟ ونحو هذا من العبارات والمعاني المتنوعة، الدالة على ترك التدبير والاختيار. ويقول : كان سيدي عبد الرحمان يقول : لا يكون الفقير فقيرا حتى يرجع إلى بطن أمه، يعني يتصف بتلك الحالة من عدم التدبير والاختيار، ويقرر أن الجسد لله خلقه وملكه يفعل فيه ما يشاء، فما للإنسان والتدبير على ما ليس له

(296) الآية 43 من سورة **العنكبوت**.

والمنازعة لله في ملكه؛ ويذكر سعة رحمة الله ويبينها برحمة الوالد لولده ويقول : أتغلب رحمة المخلوق رحمة الخالق؟ ويلمح في كلامه بحقائق ويستشهد عليها بآيات قرآنية وهو لا يحفظها، لكونه أميا، لكنه يشير بكلمة إلى ما يريد منها، فيكمل له الآية من يحضره ممن يحفظها.

وقد جئت لزيارته يوما، وهي زيارتي له الثانية أو الثالثة، ولم أكن زرته أنا وأخي أبو عبد الله محمد العربي إلا نحو أربع مرات فيما قرب من وفاته، فدخلت عليه الدار بعد أن أذن لي، ولم يكن يخرج تلك الأيام منها، فجرى كلامه في الدلالة على ترك الإختيار، وأن المدبر مخاصم مع الله، واستشهد عليه بقوله تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَرَ ٱلْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ، فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[297]، ذكر بعضها وأكملت له أنا باقي الآية.

ومما اتفق لي معه في ذلك اليوم، أني لما دخلت الزاوية وسألت عنه ولم يبادرني أحد من أصحابه للدلالة عليه، فقلت في نفسي : إن في هؤلاء العوام جفاءا، فلما دخلت عليه كان أول ما قال لي : يا بنـي، كان يقول سيدي عبد الرحمان الفاسي لبعض الطلبة : إن تحقر العامة أحقرك، فعلمت أنه يريدني، واستغفرت الله تعالى مما قلت في نفسي. وقيل له يوما : إن فلانا مسكين، فقال : المسكين هو الذي لا يدبر مع الله، وقال له بعض الناس يوما : يا سيدي، إن الصبيان لما علمنا أن عقولهم ناقصة عذرناهم ولم نؤاخذهم بشيء، والله تعالى عالم بأن عقولنا قاصرة، فهلا كان غير مؤاخذ لنا؟ فقال، رضي الله عنه : كن أنت معه كما هو الصبي مع أبيه لا يبدله بسواه، وحينئذ يكون لك كذلك.

وذكر عنده يوما بكاء آدم بعد نزوله من الجنة فقال : ليس على هبوطه منها بكاؤه. وإنما بكى على ما صدر منه من المخالفة لمولاه، لأنه تعالى ليس أهلا لأن يعصى.

ودخل يوما على بعض الفقهاء من علماء الوقت يعوده من مرضه فقال له : كيف أنت؟ فقال : أشهدك أني راض بما قدر الله علي، فقال له سيدي قاسم : أأتكلم؟ فقال : تكلم، فقال له : الرضى عند الناس نقص، فتعجب الفقيه من قوله وقال له : الرضى أعلا المقامات، فكيف يكون نقصا؟ فقال له سيدي قاسم : لمن

---

(297) الآية 77 من سورة يس.

جسدك هذا؟ ومن صوره؟ فقال له : الله، فقال له : أنظر لعله لك، أو لعلك صنعت فيه شيئا؟ فقال : هذا شيء لا يمكن، فقال له سيدي قاسم : إذا كان الجسد ملكا لله والفعل فعله، ففي أي شيء ترضى؟ أيتصرف غيرك في ملكه فترضى له أنت؟ فسكت الفقيه وعرف صحة الكلام وأعجبه، وجعل يستحسنه ويذكره بعد لمن يعوده، إلى غير ذلك من كلامه وحكمه. وقوله الرضى نقص : معناه شهوده ورؤيته من نفسه، بل شهود الإنسان وجود نفسه حتى يرى أن لها رضى هو النقص الذي قرره سيدي قاسم، وذلك بالنسبة لمقام أمثاله أهل الفناء في التوحيد. وله، رضي الله عنه، كلام عال في الطريق وإشارة سامية. وعلى كلامه من قوة الحال سطوة وصولة لا تخفى على ذي قلب سليم، يتأثر به كل من سمعه، لا ينسى كلامه إذا سمعته. وكان يحركه السماع، وينهض قائما يتواجد من غير رقص، ولكن يقف ويقرب من أهل السماع، ويذكر الكلام الذي أثر فيه، يأمرهم بإعادته المرة بعد المرة، وهو يشير بيده مع ذلك، ويقول لأصحابه في تلك الحالة غير ما مرة، ويحلف بالله، أن رسول الله، ﷺ، معكم. وقال لهم أيضا مرة وقد تواجد عند السماع : إن رسول الله ﷺ معكم، وكل أحد يرجع إلى أيديكم. وقال مرة وهو في حالة فيض أيضا : والله ما يسبق المدد لموضع قبل هذا الموضع. وكان يعجبه من السماع قول القائل :

فما قط حبيبي هجرني أنا ... ولا جار علي ولا قط جنا

يعمل إيش ما يعمل هو عندي المنا

أو ما كان بمعناه. وكان مع هذا كله شديد الحزم في الدين واتباع السنة، رفيع الهمة جدا، منقطعا عن الدنيا وأهلها، في غاية من الزهد والورع وقلة ذات اليد، يأكل من عمل يده ويتسبب (كذا) في حانوته، ولا يقبل من أحد شيئا ولو من أصحابه ما عدا سيدنا أحمد، رضي الله عنهما.

وجاءه مرة بعض أصحابه بظرف كبير مملوء تمرا فرده عليه وتلا قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾(298). ولم يكن أحد منهم يأتيه بشيء، لما علموا من حاله. وكان يأمر أصحابه بتصفية اللقمة والتسبب فيها،، ورفع الهمة عما في أيدي الناس، ويقول لهم : كد اليمين وعرق الجبين والله المعين. ويحضهم على ترك الخلطة، ويوصيهم بمجانبة اللهو وأهله، ويحذر من ذلك غاية

(298) الآية 9 من سورة الإنسان.

التحذير، وإذا رأى أحدا منهم تلبس بهزل أو عبث هجره حتى يثوب، هذه حاله، رضي الله عنه، إلى أن مات. وكان رحمه الله محبا لآل البيت ومعظما لهم جدا. وقع لنا ولغيرنا من الشرفاء معه في ذلك حكايات وآيات. وله، رضي الله عنه، كرامات كبيرة ومكاشفات غزيرة وتصرفات كبيرة منع من التعرض لها خشية الإطالة. وكان يشم رائحة الفجر فيخبر به فيؤذن المؤذنون إثر ذلك. ورأى الخضر عليه السلام وأخبر به. وناهيك بهديه والاهتداء به كرامة، فليس من تنفتح به الدروب والأبواب كمن تنفتح على يديه القلوب والألباب، كما قال ابن عطاء الله، رضي الله عنه. وكفاك في ذلك، هدي سيدنا أحمد وتربيته وتخرجه به وفتح بصيرته على يديه، رضي الله عنهما. وقد شرعت لهذا العهد في تأليف مستقل في أخباره من كرامات وغيرها، نويت تسميته عند إتمامه إن شاء الله بـ«**الزهر الباسم في أخبار الشيخ سيدي قاسم**» يسر الله في إكماله بمنه وأفضاله.

وكانت وفاته، رحمه الله تعالى ونفعنا به، في وسط ليلة الأحد التاسع[299] عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وألف. وقد رمزت لها بتفجرت من قولي :

وإن الخصاصي الــولي تفجـــرت ينابيـع سر منـــه من خير منهل[300]

ودفن، رضي الله عنه، خارج باب الفتوح بروضة أشياخه إزاء قبة الشيخ سيدي محمد بن عبد الله، رضي الله عنه، وراءه، وقبره هنالك معروف رحمه الله ونفعنا به، آمين.

انتهى كلام صاحب «**المقصد**» في سيدي قاسم، رضي الله عنه ونفعنا به.

قال صاحب «**تحفة أهل الصديقية**» لما ذكر صاحب الترجمة : وعنه أخذ سيدنا الإمام الحبر الهمام، بحر التحقيق والعرفان، ومعدن الكمال والتمكين والإيقان، ومنبع الفضل والإحسان، وعين الوقت ومصباح الزمان، ذو التعريف والتصريف، والكرامات الكثيرة التي لا تحصى ولا تعد، والكشف الصريح، والبصيرة النافذة التي لا تنتهي ولا تحد، والهمة الخافضة الرافعة، والقوة الجالبة الدافعة، المربي النفاع، الكريم الأخلاق والطباع، ذو الطريقة المستقيمة المرضية، والسيرة السنية السرية؛ صدر الصدور، الظاهر البركة والحكمة والنور، العلم الأوحد، الحجة القدوة الأعمد، أبو

(299) في ك1 : السابع عشر.

(300) من الطويل.

العباس سيدي أحمد بن سيدنا الإمام أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن معن. أخذ عن الشيخ المذكور واعتمده وسلب له الإرادة ولازمه من سنة أربع وستين وألف إلى موته، وخدمه خدمة لم نسمع بمثلها، وذلك بعد أن أخذ عن والده تبركا وتأدبا واستفادة. وقد ولد أواخر سنة اثنين أو أول سنة ثلاث وأربعين وألف، أدام الله حفظه والنفع به، آمين، انتهى.

* الحسن بن عيسى الجزولي

ومنهم الشيخ أبو محمد الحسن بن عيسى الجزولي، رحمه الله، دفين خارج باب الفتوح.

ذكره ابن عسكر في «**الدوحة**» فقال فيه : الفاضل الزاهد المنقطع إلى جانب الله، المتجرد عن الدنيا إلى عبادة الله. ثم قال : من أصحاب الشيخ أبي فارس عبد العزيز التباع، ولقي عدة من المشايخ. وكان رجلا صالحا من أهل الصلاح والولاية الخاصة، لقيته بفاس غير ما مرة وانتفعت به، وكان متخليا عن الدنيا وصحبة أهلها. توفي في العشرة السادسة، يعني من القرن العاشر بفاس، رحمة الله عليه. انتهى كلام صاحب «**الدوحة**».

وقال أبو العباس أحمد بن موسى المرابي في «**تحفة الإخوان**»، لما عد أصحاب الشيخ الغزواني : ومنهم الشيخ المعاصر لنا، المقيم بين أظهرنا، سيدنا الحسن بن عيسى الجزولي، رضي الله عنه، كان راعي دواب الشيخ، يعني الغزواني، فيما أخبرنا بنفسه، انتهى.

والتحقيق في وفاته، أنه توفي سنة اثنين وتسعين وتسعمائة، وقد نيّف على المائة سنة، فيحتمل أن يكون أخذ عن الشيخين معا، التباع والغزواني، رضي الله عنهما ونفعنا بهما، آمين.

** رضوان بن عبد الله الجنوي

ومنهم الشيخ أبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي دفين خارج باب الفتوح.

---

* ترجمته أيضا في : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 16؛ **ممتع الأسماع**، ص. 73؛ **سلوة الأنفاس**، 279/2.

** ترجمته أيضا في : **الإعلام بمن غبر**، ص. 9؛ **سلوة الأنفاس**، 257/2؛ **الفكر السامي**، 260/2؛ **شجرة النور**، 286/1.

قال الفاضل الخير أبو العباس أحمد بن موسى المرابي في «**تحفة الإخوان ومواهب الإمتنان في مناقب سيدي رضوان**» : هو الشيخ الإمام، علم الأعلام، حسنة الليالي والأيام، حامل لواء المحبة والمراقبة والشهود والعيان، القائم في مقاماتها بميزان القسط على ما عرف من أكابر هذا الشأن، محيي رسوم الطريقة الشاذلية[301] بعد اندراس آثارها، مطلع شموسها وبدورها في آفاق الحنيفية السمحة بعد خبو أنوارها، ذو النصح العام لجميع الأنام، والشفقة التامة التي صار بها كهف المساكين في وقته، وملاذ الأرامل والأيتام، القائم لله بحجته في عباده وبلاده، البالغ من النصح للشريعة المحمدية، غير خائف في الله لومة لائم أقصى مراده، السيد الولي الصالح، الإمام القدوة الحجة الناصح، الورع الزاهد، العالم العامل، الوارث الكامل، الواصل الموصل، السالك المسلك الرباني، سيدنا أبو النعيم وأبو الرضى رضوان بن عبد الله الجنوي أسكنه الله فسيح الجنان، وألبسه ملابس الأنس وألحقه مطارف الرضوان. أصله من جنوة، قدم منها والده. وهي مدينة من مدن العجم بأقصى المشرق، مجاورة البحر، فيما حدثني به بعض معارفي ممن أقام نحو أربعة عشر عاما بها، نزعها الله من أيدي الكفرة الفجرة، وأقرها بأيدي الكرام البررة، بجاه النبي وأصحابه العشرة. وكان وقت قدومه منها في حدود التسعين وثمانمائة أو ما يقرب من ذلك. ولإسلامه وقدومه قصة تدل على عناية الله السابقة للشيخ ولوالديه في الأزل، وتشهد لبلوغه في رياض العرفان غاية السؤل والأمل، لما أسفر عن غيبة شاهد العيان، وهي ما حدثنا به، رضي الله عنه، وتلقيته أيضا من بعض أصحابنا، قال : كان والده ذا عقل وافر، وصدق وصيانة ودين. وأمانة وحسن حال. وكان سبب إسلامه أنه ألقي في قلبه، لما سبق في سابق علم الله تعالى من سعادته، تفكر في أمر الدين واهتمام بشأنه، وتطلب الحق فيه، فخرج ذات ليلة وقد جعل الله لكل شيء سببا، يظن أن الصبح قد أصبح، وذهب إلى الكنيسة، فإذا الليل باق؛ فلما دخل الكنيسة وجد بها فرسا يعرف صاحبه، فأخرجه ورجع وجلس ينتظر الصبح، فجاء القسيس ومعه ضوء، فوجد بالكنيسة بول الفرس وروثه، فجمع ذلك ورفعه (كذا)، فلما جاء النصارى وجدوه مسرورا فسألوه عن سروره، فزعم أن عيسى، صلوات الله وسلامه عليه، نزل بالليل إلى الكنيسة، وأن ذلك روث فرسه، فأخذوا يشترون ذلك منه بأغلى ثمن، ويتمسحون به تبركا، وهو في أثناء ذلك

(301) نسبة لأبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي المتوفى سنة 656هـ، انتقلت من المشرق إلى المغرب على يد أتباعه واعتمدت في تعاليمها على الطريقة القادرية وعنها انبثقت الطريقة الجزولية (راجع : **دائرة المعارف الإسلامية**، ج 13، ص. 212؛ Michaux Bellaire, «Essai sur l'histoire des confréries Marocaines», **Hespéris**, année 1921, T.1, 2e trim.).

كله ينظر إليهم نظر ازدراء واحتقار، ويعطي القضية حقها من واجب التفكر والاِعتبار، فقال عند ذلك : لقد غرنا هؤلاء الكلاب في الدين؛ وعلم علم حال أنهم كما قال الله تعالى : ﴿وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ الآية(302) فازداد إذذاك للنصرانية بغضا، واعتقد لدينها إطراحا ورفضا، فما زال يتطلب الخلاص في أمره، وحادي الهداية يحدوه بمطايا سره، ولسان الحق تعالى يتلو بدراسة اليقين. ﴿وَالَّذِين جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية(303) إلى أن اتفق أن تاجرا من النصارى قال له : أريد أن أذهب لتجارة لي إلى بلد المسلمين، وأود مرافقتك لتخلفني في متجري إذا غبت عنه لثقتي بأمانتك، فانتهز الفرصة بالبشرى، وابتدر متاجر الغنيمة الكبرى فرافقه، فركبا البحر فأرسيا بثغر تطاون(304)، فنزل النصراني وقضى بعض أوطاره بالبلد، ثم عاد إلى السفينة فقال له : إن شئت أن تدخل إلى البلد فافعل، فدخل وبقلبه من الاِهتمام بشأن الإسلام ما صار لأجله ينظر بعيني خائف. فجعل يتصفح الوجوه ليرى من هو أهل لبث سره، وكان يتخوف إذا أسلم أن يرد إلى النصارى ويمكنوا من حمله، فوقع بصره أثناء ذلك على رجل صالح من الأكابر من حسباء الأندلس، ففطن لما به، فسأله عن حاله فقال له : إن كنت تكتم علي، أعلمتك بشأني. فقال : نعم، وذهب به إلى منزله، فقص عليه خبره وقال : أخاف إذا أسلمت أن أرد إلى رفقتي، فقال له : لا تخف، لا سبيل إلى ذلك. فقال: علمني الدخول في الإسلام، فعلمه الشهادة فأسلم، وجعل يعلمه الدين حتى تمكن من قلبه أي تمكين، فبلغ النصارى خبره، وشق ذلك عليهم لمكانته فيهم وزيادة أمانته لديهم، خصوصا الذي استصحبه. فلما رأى أن لابد من مفارقته، أخذ ثلاثين أوقية ودفعها إليه وقال له : إنك دخلت هذا الدين، فاستعن بها في شأنك، فسبحان من

(302) الآية 18 من سورة **المجادلة**.

(303) الآية 69 من سورة **العنكبوت**.

(304) مدينة قديمة وجدت قبل الإسلام، عرفت عدة تقلبات سياسية أيام الأدارسة والموحدين والمرينيين، وخربها الإسبان في نهاية القرن الثامن الهجري (14م)، وبقيت مهجورة لمدة قرن إلى أن جدد بناءها أبو الحسن المنظري سنة 888هـ وعمرها عدد من المهاجرين الأندلسيين من غرناطة ومن سكان القبائل الريفية.

ومعنى تطوان «العين الواحدة» إذ يقال إن المسلمين لما أخذوها من القوط سلموا حكمها لأميرة عوراء فسميت بها، ويقال أيضا إن كلمة تطاون تجمع على «تيط» وتعني العين الجارية (راجع : **وصف إفريقيا**، 247/1؛ **الحركة الفكرية**، ص. 417).

يرزق بعض أوليائه على يد أعدائه. ومات، رحمه الله، بالبلاد المشرقية؛ ذهب للحج فغاب خبره ولم نقف على حقيقته.

وأما والدته، فكانت أيضا صالحة من نساء أمثاله في الِاهتداء بهديه، والنسج على منواله. وقد أسلمت من يهود جاؤوا من بر النصارى وحسن إسلامها، فالتقيا على قدر، وتزوجها لما قضاه الله وسطره، فأولدها عدة أولاد غير الشيخ. وكان شديد الغيرة عليها بإفراط. ومن كثرة ما بلغ في الِاجتهاد، أنه كان في بعض الأسفار في أيام البرد يراه الناس يكسر الثلج ويتوضأ بمائه ولا يترك الصلاة تحفظا عليها. والحاصل أنه كان من عباد الله الصالحين.

وسمعنا من الشيخ، رضي الله عنه، غير ما مرة يتحدث عن والدته، ويثني عليها الثناء الحسن، ويعظم أمرها، ويجل قدرها، وأنها كانت من الصالحات القانتات، ذات عفاف وصيانة، واجتهاد وديانة، كانت كثيرة الصلاة، وكان لها حظ من قيام الليل. سمعته يقول : كان لا يأتي عليها الثلث الأخير [من الليل](305) إلا وجدها منتبهة، فتتوضأ وتصلي فيه ما شاء الله، وتجلس في مصلاها حتى يطلع الفجر، هذا كان دأبها حتى توفيت، رحمة الله عليها، انتهى الغرض من الكتاب المذكور.

وفي «**ممتع الأسماع**» : الشيخ أبو النعيم وأبو الرضى رضوان بن عبد الله الجنوي، إمام أهل الزهد والورع والعلم والعمل على سنن السلف الصالح، وحفظ الحديث وروايته في وقته. ولم يشتهر من أصحاب الشيخ الغزواني من الفاسيين غيره. وكان، رضي الله عنه، شديد الخشوع والخشية، كثير البكاء، فكان شيخه أبو محمد عبد الرحمان سقين(306) يسميه رضوان البكاء. وكانت تصدر منه في بعض الأوقات، إذا كان في القراءة أو غيرها، صيحة تكاد القلوب تنفطر من عظمها، لغلبة الوجد عليه، وصفتها : ءاه ! ثم لا يرى بعدها تغير في بشرته كأنه على حاله. وكان إذا رأيته في مجلسه قلت إنه شبه النائم مما هو فيه من السكينة والوقار والهيبة، ومع ذلك لا ترقد منه شعرة حتى أنه لو غير أحد من أصحابه حرفا أو حركة تفطن له من حينه وتكلم عليه؛ متيقظا في دينه، لا يغفل ولا يفتر، مراعيا لأوقاته، شديد الِاتباع للسنة والمحافظة

(305) زيادة في م.

(306) عبد الرحمان بن علي سقين القصري ثم الفاسي، أستاذ وفقيه ومحدث، أخذ عن ابن غازي وغيره ممن عاصره مثل أحمد زروق، وعن علماء في الشرق حيث تكون تكوينا متينا في الحديث. توفي بفاس سنة 956هـ (راجع : **فهرس بن غازي**، ص. 59؛ **الحركة الفكرية**، ص. 349).

على آدابها، واستعمال أذكارها ودعواتها المختلفة باختلاف الأحوال، معمور الأوقات بالذكر والتلاوة والصلاة والمطالعة، ويقول : أوقاتنا والحمد لله كلها عامرة، لو قيل لي غدا تموت لم أجد مستزادا؛ على ما بقي على بالي من «**التحفة**». شديد الورع في تصرفاته وأحواله، كثير التحرز من الغيبة، ويقول : أرجو الله أن صحيفتنا إن شاء الله خالية من الغيبة؛ على ما في حفظي من «**التحفة**». لا يذكر غائبا ولا يذكر بحضرته إلا بما اقتضاه العلم، بعيدا من الرخص، مقبلا على الجد، مدبرا عن الدنيا وأهلها، زاهدا فيها، متزويا عنها، غير متوسع فيها، ظاهر الهداية، مقبول الولاية، بريئا من الدعوى، لا يترك أحدا يقبل يـده، ويقول : ما جزاء من يمد الركبة إلا قطع الرقبة. ويقول : ما يمد يده إلى التقبيل إلا أحد ثلاثة : مأذون، أو مجنون، أو طرمون، ولست بواحد منهم. ويتبرأ من دعوى الشيوخة ويقول لأصحابه المجتمعين عليه : إنما نتعاون على الدين فقط، ولست لكم بشيخ. ويخاطبهم : يا أصحاب، ويا إخوان، صادقا في أحواله كلها، إذا فعل فعلا أو قال قولا فلا يظهر لأصحابه وجهه. سألوه فأخبرهم لعلمهم أنه لا يتحرك ولا يسكن إلا بوجه صحيح.

وبالجملة، فأوصافه الحميدة لا تحصى، وسيرته السديدة لا تستقصى، وصدق الشيخ أبو عبد الله القصار، رحمه الله، حيث قال : سيدي رضوان الرجل الصالح، لو أدركه أبو نعيم لجعله في صدر حليته، أو قال مع أويس القرني. لقي الشيخ أبا محمد الغزواني في صغره، فرشه بغرفة من ماء فزرعت فيه الخير، وأنبتت فيه خصال البر، وكان ذلك بزاويته بباب القليعة. ثم إنه انتقل إلى مراكش فبقي صاحب الترجمة متشوقا إلى رؤيته، متطلعا إلى صحبته، متشوفا إلى زيارته، فلما كبر تهيأ له ذلك في رفقة من زواره، فذهب إليه، وانجمع بهمته عليه، وكان لا يرى غيره، ولا يؤمل إلا خيره، خالي السر من كل شيء سواه، مشغوفا بمحبته وهواه. وقدمه الشيخ للصلاة به، وبقي معه على ذلك نحو الأربعة أشهر، ثم قضى الشيخ نحبه، وبلغ أجله، فبقي بعده بمراكش نحو العام، يقرأ ويطلب العلم، ثم عاد إلى فاس، فوجد الشيخ أبا عبد الله الطالب قد اجتمع عليه الفقراء بزاوية شيخه بباب القليعة على مقربة من ضريح سيدي أبي غالب، فصحبه ولازمه وأقامه في الصحبة مقام شيخه زمانا طويلا. وفي ملازمته إياه كانت شدة مجاهدته وخدمته. ثم اشتغل بالقراءة وطلب العلم على شيخه سقين وغيره، وزار في خلال ذلك الشيخ الحاج أبا عبد الله محمد بن علي

الشطيبي[307] بموضعه بتازغدرة[308] وأخذ عنه؛ وكان إذا ذكره يعظم أمره، ويجل قدره، ويكتب فيه شيخنا. وطلبه في النصيحة عند إرادة الِانصراف عنه فقال له : الله، الله في الله. وأخذ أيضا عن الشيخ أبي عبد الله الخروبي الجزائري[309] وكان يكاتبه بأسئلة في التصوف فيجيبه عليها. وزار الشيخ الفقيه الصالح أبا عبد الله محمد ابن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن محمد بن بكار المعروف بالكبير، أعني الشيخ أبا عبد الله، بموضعه بالجبل الذي يسمى به[310].

توفي الشيخ صاحب الترجمة بمنزله من زنقة العنوز من عدوة الأندلس من فاس عند العشاء الأخيرة أو قربها من ليلة الخميس الثالث عشر أو الرابع عشر من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، وصلي عليه من الغد صلاة الظهر بجامع الأندلس، صلى عليه الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد[311] بن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن جلال التلمساني[312] ودفن خارج باب الفتوح بأعلى مطرح الجنة[313]، وحضر أهل فاس البالي والجديد، رجالا ونساء، وأمير الدولة

---

(307) ولد سنة 882هـ، من أصل أندلسي، له رحلة إلى بلاد المشرق عاد بعدها إلى المغرب حيث استقر في تزغدرة واشتغل بمسجدها إماما ومدرسا للعلوم الشرعية. له تآليف جمع في بعضها فتاوى المتأخرين من علماء الأندلس، توفي سنة 963هـ (راجع : **الحركة الفكرية**، ص. 482).

(308) مدشر جبلي يقع في منطقة بني زروال، يطل على نهر أولاي الذي يخترق هذه المنطقة (راجع : **الحركة الفكرية**، ص. 475 وص. 482).

(309) الفقيه الصوفي محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، نزيل الجزائر ودفين خارجها، قدم إلى المغرب مرتين في سبيل السفارة من قبل الأتراك لدى السلطان محمد الشيخ السعدي فأخذ عن علمائه وعنه أخذ جماعة منهم. توفي بالجزائر سنة 963هـ (راجع : **جذوة الإقتباس**، ص. 322؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 67؛ **نشر المثاني**، 90/1؛ **الإعلام**، 150/4).

(310) وهو جبل وبلان (بويبلان) ويقع بموضع يقال له العرى بجوار مدينة فاس (راجع : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 16؛ **سلوة الأنفاس**، 266/2).

(311) الملقب بالمرابط المغراوي التلمساني، ولي الخطابة بعد أبيه، ثم الإمامة بجامع القرويين وبجامع الأندلس، توفي سنة 1008هـ (راجع : **سلوة الأنفاس**، 28/2؛ **نشر المثاني**، 75/1).

(312) نال حظوة عند السعديين فولوه الفتوى والإمامة والخطابة والتدريس بجامع القرويين وتصدر للإقراء بالجامع الكبير في المحمدية، توفي سنة 981هـ (راجع **دوحة الناشر**، ص. 123؛ **الحركة الفكرية**، ص. 357).

(313) روضة تعرف أيضا بمطرح الجلة، وهي تضم أضرحة العلماء والصلحاء الغرباء الذين توفوا بمدينة فاس (راجع : **نشر المثاني**، 121/1).

جنازته، [ولم يدفن إلا بعد ما صلي العصر بعد مشقة عظيمة من الإزدحام، ولم يرجع جل الناس من جنازته][314] إلى أن غاب القرص، رحم الله الجميع بمنه وكرمه.

[ومن كراماته، رضي الله عنه، أنهم كانوا، أهل فاس، مستحضرين في الشتاء وقلة المطر، حتى عدمت الماشية والزرع، فاجتمعت كلمتهم على أن يستغيثوا بالشيخ صاحب الترجمة، فمضوا إليه، فوجدوه بداره فنقروا عليه الباب، فخرج إليهم، فطاحوا (كذا) بين يديه وهم يستغيثون به، فامتنع إليهم وقال لهم : عليكم بسادتنا الشرفاء الطالبيين، فوجد صبي من أبناء الشرفاء يلعب بالباب فقبضه وحمله إليه وسار معهم إلى المصلى، فإذا بالسحاب قد طلع وتحركت الرياح؛ فما رجع الناس إلى منازلهم حتى أعطاهم الله المطر الذي لم يروا مثله، وهذا كله من بركاته، رضي الله عنه][315]. وكانت ولادته سنة اثنتي عشرة وتسعمائة. وقد ألف فيه تلميذه أبو العباس المرابي[316] : «**تحفة الإخوان ومواهب الإمتنان في مناقب سيدي رضوان**». انتهى كلام صاحب «**الممتع**» بحروفه.

* أبو يحيى الدخيسي

ومنهم الشيخ أبو يحيى الدخيسي دفين خارج باب الفتوح. كان رجلا بهلولا غائبا في التوحيد، ساقط التكليف، وروضته ملاصقة لروضة سيدي رضوان يدور بهما حوش واحد. مر على ضريحهما يوما بعض العلماء ممن له بعض معرفة بطريق القوم ومخالطة أهلها[317] فقال : إن هذين الرجلين لو اجتمعا في رجل واحد لكانا شيخا كاملا، يعني وليا جامعا لشروط المشيخة، لأن هذا يريد سيدي أبا يحيى حقيقة كله، وهذا يريد سيدي رضوان شريعة كله، والكامل هو الجامع بينهما. ثم مر أيضا يوما على ضريحهما الشيخ العالم الولي الكبير أبو محمد سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي، رضي الله عنه، فتذكر قول ذلك العالم فيهما، وقد كان بلغه قبل، فقال :

(314) زيادة في و.

(315) زيادة في ك2.

(316) أحمد بن عبد الله بن محمد المرابي الأندلسي، شاعر وزجال، صحب الشيخ أبا المحاسن، وبعد وفاته صحب شيخه رضوان الجنوي، توفي سنة 1034هـ (راجع : **صفوة من انتشر**، ص. 125؛ **نشر المثاني**، 263/1؛ **الإعلام**، 231/3).

* ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 42؛ **التقاط الدرر**، 38/1؛ **نشر المثاني**، 38/1.

(317) المعني، هو أحمد بن أبي المحاسن الفاسي كما ورد عند الأفراني في **صفوتــه**.

صدق فلان في قوله ذلك فيهما. فهذه شهادة من هذا العارف الكبير لهذا السيد الجليل بالغيبة في الحقيقة والتمكن فيها، وكفى بذلك شرفا له وفخرا.

وظهرت له، رضي الله عنه، كرامات ومكاشفات منها : أنه كان رجل ممن له به معرفة يبيع اللبن بأعلى الصفاح إزاء جامع الأندلس، فجاءه يوما في وقت القيلولة يسرع في مشيته إسراعا كثيرا، فوجد حانوته مفتوحة ليس فيها أحد، فرفع حجرا أو جاء به في يده، ورمى به خابية كبيرة هنالك فيها لبن، فكسرها وأريق اللبن، فجاء رب الحانوت وجعل يتعجب من فعله ذلك وينظر إلى اللبن بالأرض، وإذا بحية عظيمة كانت سقطت في اللبن وماتت ولم يشعر بها رب اللبن، فعند ذلك استراحت نفسه وعلم حكمة فعله ذلك، ووقى الله الناس شر ذلك البلاء العظيم بسبب ما فعله، رضي الله عنه ونفعنا به وببركاته، آمين. وهي قضية معلومة شهيرة.

وحدثني بعض الثقات عن رجل فاضل خير يقال له ابن الحاج، قال : كنت يوما ماشيا بسوق عين علون، فلقيت سيدي أبا يحيى وقد اشترى لحما مطبوخا وخبزا، ثم ذهب وذهبت في أثره أتبعه، طمعا أن يعطيني شيئا من ذلك، وكان الوقت إذا ذاك وقت غلاء وشدة، إلى أن وصل إلى جامع الفحامين ودخلها، وليس بها أحد، وجلس وركز خنجرا مجردا من غمده بالأرض، ثم جعل يأخذ قطعة من اللحم وقطعتين مع شيء من الخبز ويمد يده، وإذا بيد تخرج من الأرض فتأخذها، ثم كذلك حتى فرغ من ذلك، وأنا مختف أنظر إليه لا أستطيع أن أقدم عليه، ثم ذهب وذهبت، انتهى.

وتوفي سنة عشر وألف، وكان معاصرا للشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي، رضي الله عنه، وقضيته في شأن الشيخ أبي المحاسن معلومة شهيرة، من أنه كان في جنازة، فجاء رجل يسلم عليه والشيخ أبو المحاسن إذ ذاك حاضر، فأشار إلى الرجل أن يسلم على الشيخ أبي المحاسن، وحثه على ذلك، وأكد عليه فعله، فلما لم يفقه، طرده وسبه، رحمه الله ونفعنا به، آمين.

* عمر الرجراجي

ومنهم الشيخ أبو حفص عمر الرجراجي، الفقيه الخطيب بجامع الأندلس من

* ترجمته أيضا في : **الديباج المذهب**، ص. 195؛ **شرف الطالب**، ص. 136؛ **سلوة الأنفاس**، 62/3؛ **شجرة النور**، 250/1.

فاس، وكان من عباد الله الصالحين زاهدا ورعا، قوالا بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، خيرا فاضلا، عالما عاملا.

قال صاحب «**السلسل العذب والمنهل الأحلى**»، وكان [معاصرا له][318] : حج على قدم التجريد، ولقي الأكابر في وجهته تلك، ورأى العلماء واقتبس من أنوارهم واستفاد من فوائدهم. وعرضت عليه أمور من الدنيا كثيرة، فتورع عنها وأبى أن يقبلها، واقتنع بالكفاف، وآثر الخمول، واختار الفقر، وتدرع بالسلامة، وسلك سبيل العافية. وله حالات مشهورة، وأفعال مرضية، وورع محمود. سمعت عنه من ورعه وتحفظه وتوقيه أنه اكترى في وجهته للمشرق جملا يرفع عليه ما يضطر إليه وقت دخوله البرية، فبعد أن حمله ما احتاج بمرة، نزع سرواله وغسله وجعله ينشف على كتفه فقيل له : يا سيدي، ألا تجعله على الجمل ؟ قال : لم أشترطه في الكراء. ولم تكن له حالة تغلب عليه إلا الأخذ في قراءة العلم، انتهى.

وقال غيره : أخذ عن الشيخ أبي مهدي عيسى بن علال المصمودي، وغيره، وتوفي بمدينة فاس سادس ذي قعدة عام عشرة وثمانمائة، ودفن بمطرح الجنة خارج باب الفتوح، والدعاء عنده مستجاب، رحمه الله ورضي عنه.

ووجدت بخط الشيخ أبي الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي[319]، رحمه الله، وقد ذكر سيدي عمر الرجراجي فقال : وسيدي عمر هذا، هو من أصحاب الرجراجي المدفون خارج باب الفتوح من فاس، انتهى.

فجعل دفين خارج باب الفتوح غير سيدي عمر، ولم يذكر مدفن سيدي عمر، ولا أدري ما مستنده في ذلك فالله أعلم.

ثم وجدت في «**درة الحجال في أسماء الرجال**» لابن القاضي : عمر الرجراجي الفقيه الخطيب بجامع الأندلس أبو حفص، كان عارفا بالحساب والفرائض؛ وكان زاهدا، ورعا قوالا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم. أخذ عنه سيدي

---

(318) زيادة في م.

(319) الفقيه الصوفي، المدرس، ولد ببني زيات في أقصى غرب منطقة غمارة سنة 964هـ. تخرج بفاس ودرّس بها وبمسقط رأسه، وشملت دروسه القراءات والحديث والأصلين والفقه، له تآليف معظمها حواش كتبها على ما كان يدرس من علوم، تزوج بفاس من إحدى بنات أبي المحاسن الفاسي واستقر بها إلى أن توفي سنة 1023هـ (راجع : **الحركة الفكرية**، ص. 458).

عيسى بن علال المصمودي وغيره؛ وكان مشهورا بالصلاح والزهد. توفي بمدينة فاس في سادس القعدة الحرام سنة عشرة وثمانمائة ودفن بمطرح الجنة خارج باب الفتوح.

ثم ذكر ترجمة أخرى إثر هذه فيها عمر الرجراجي الشهير بالدكالي، الرجل الصالح، هو الذي اتفق له مع ابن عرفة ما تقدم في ترجمة ابن عرفة، وعنه وقع جواب عمر البلقيني لابن عرفة. كان حيا بعد الستين وسبعمائة، انتهى.

* علي بن محمد صالح الأندلسي

ومنهم الشيخ أبو الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي، دفين روضة الأنوار خارج باب الفتوح.

قال في «**المرآة**» : وهو من أهل غرناطة، وكان يطلب شيخا يلقي إليه قيادة، فكان يقال له : شيخك في العدوة. فانتقل إلى فاس وفتح بها حانوتا في القيسارية(320)، ثم قدم إليها من مراكش شيخ المشايخ أبو محمد عبد العزيز بن عبد الحق الحرار، الشهير بالتباع، ونزل بمدرسة العطارين(321) وقعد في وسط قبتها وانحشر أهل فاس للتبرك به، وجاء الشيخ أبو الحسن في آخرهم، فحين قرب من الفصيل الذي ينفذ منه إلى الصحن، قام إليه الشيخ عبد العزيز يتخطى الناس، فتلقاه وأخذ بيده وصعدا في درج المدرسة، فمكثا هنيهة ونزلا. وطلب الشيخ سيدي عبد العزيز فرسه للركوب، فطلب منه الناس الإقامة فامتنع وقال : إنما جئت لأداء أمانة كانت عندي لربها، فقد أديتها إليه، وانصرف، رضي الله عنه. وكان الشيخ أبو الحسن حين جاءه نزل من حانوته ورفع المغلاق الأسفل فقط على نية الرجوع قريبا، فلما لقي شيخه كان ذلك آخر عهده بالحانوت، فلم يعد إليه، وتأهل من حينه للمشيخة، واتخذ زاوية للفقراء في وادي الزيتون من عدوة الأندلس من فاس حرسها الله، وهي

ترجمته أيضا في : **ممتع الأسماع**، ص. 45؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 12؛ **سلوة الأنفاس**، 208/2.

(320) وتكتب أيضا بالصاد، نسبة لقيصر، أحد أباطرة الروم، وهي سوق شبيهة بمدينة صغيرة مسورة وبأبواب متعددة وأحياء تجارية تباع فيها مواد مختلفة، وقد شكلت عند تأسيس مدينة فاس مع ضريح مولاي إدريس وجامع القرويين الخلية الأم لعدوة القرويين (راجع : **وصف إفريقيا**، 190/1؛ **دائرة المعارف الإسلامية**، 700/2).

(321) بناها أبو سعيد عثمان المريني سنة 723هـ بجانب جامع القرويين في مدخل سوق العطارين فسميت به (راجع : **الإستقصا**، 112/3؛ **فاس قبل الحماية**، 106/1).

معروفة إلى الآن إلى نظر حفدة الشيخ سيدي محمد الصغير السهلي. وتوفي في حياة شيخه أبي محمد عبد العزيز التباع. وصحبه خلق كثير ظهرت عليهم آثار الخصوصية، وتأهل كثير منهم للمشيخـة، وأكثرهم أندلسيون. ودفن كثير منهم ومن تلامذتهم معه في روضة واحدة تعرف بروضة الأنوار خارج باب الفتوح من أبواب فاس، وبمقربة منها إلى جهة المدينة روضة الشيخ أبي ميمونة دراس بن إسماعيل، رحمهم الله ورضي عنهم ونفعنا ببركاتهم، آمين.

وناهيك بشيخ حصل في شبكة الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد الغزواني، فإنه على يده كان فتحه في خبر يحسن ذكره. وهو أن الشيخ أبا محمد الغزواني كان يقرأ في مدرسة الوادي(322) بعدوة الأندلس من فاس، وكانت جماعة من الفقراء تجتاز في عشية الخميس بباب المدرسة، فتساءل الطلبة فيما بينهم : إلى أين يجتازون ؟ فقال بعضهم : لزاوية قريبة هنا، فقالوا : هل لكم في المبيت معهم فنتفرج في حضرتهم، أي السماع، ونشبع من الكسكسو عندهم، فساروا إلى الزاوية بهذا القصد، وفيهم الشيخ سيدي عبد الله. فلما أخذ الفقراء في الذكر دخل معهم فيه، فأدركه في باطنه أمر عظيم، قال إنه كشف له فيه من العرش إلى الفرش، ويقال إنه غسل أيدي الفقراء بعد الطعام وشرب الماء الذي غسلوا فيه أيديهم. فلما نزل به ما نزل جلس بين يدي شيخ أولائك الفقراء، وهو الشيخ أبو الحسن علي صالح، وقص عليه قصته وطلب منه أن يقبله مريدا، فقال له الفقراء : يا سيدي، أقبله، فقال لهم : هذا عربي قوي، بالقاف القريبة من الكاف، كما ينطق به أهل الأندلس، بل أبعثه للشيخ، فبعثه لمراكش للشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع، فصحبه وخدمه وكان من أمره ما هو مشهور.

هذا آخر كلام صاحب «**المرآة**» في سيدي علي صالح. وتوفي، رضي الله عنه، في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعمائة.

---

(322) أسسها أبو الحسن علي بن أبي سعيد المريني ثم هدمها المولى سليمان فيما بعد وأعاد بناءها على شكل مسجد، وسميت كذلك لأنها بنيت على ضفة وادي مصمودة (راجع : **الإستقصا**، 172/7؛ **فاس قبل الحماية**، 208/1).

ومن أهل روضة الأنوار المشار إليهم في كلام صاحب «**المرآة**» : الشيخ أبو العباس أحمد بن قاسم الشرفي(323) الأندلسي، والشيخ أبو العباس أحمد الحساني(324) وسيدي جناح(325)؛ هؤلاء من أصحاب سيدي علي صالح. ومن أصحابهم سيدي عبد الحق(326)، أحد عقب سيدي الصغيرّ السهلي، وكان على كل واحد من هؤلاء ومن معهم من إخوانهم في الشيخ وأتباعهم قوس مبني، فسقط ذلك في هذه السنين القريبة؛ كان عام كثير السيل فهدم ذلك، انتهى.

* مسعود بن محمد الدراوي

ومنهم الشيخ أبو سرحان مسعود بن محمد الدراوي دفين خارج باب الفتوح.

قال في «**الممتع**» : كان ذا حال عظيم، وكانت غيبته في النبي، ﷺ، وكان لا يفتر عن الصلاة عليه، ﷺ، ولا يقنع بذلك حتى يستأجر الأجراء يجلسون يصلون على النبي، ﷺ، وهو يشاهد ذلك ويسمعه. وذكر أنه كان إذا جنه الليل، قعد على حائط لئلا يسترقه النوم فيفتر عن الصلاة على رسول الله، ﷺ.

قال في «**المرآة**» : وكان بادنا، ولم يكن أكولا، فسمعته يقول : إنما بدنت بالصلاة على النبي، ﷺ، فهي لي طعام وشراب، أو كلاما هذا معناه، انتهى.

وكان يوما في عنقه سبحة، فإذا بها قد تقطعت وحدها بمرة، من شدة امتلائه في الحين.

قال في «**المرآة**» إثر ما تقدم : وكان في أول أمره فتح له على يد الشيخ أبي المحاسن، وكان قد بوده مذ أول الأمر بحال عظيم، وكان ذلك في القصر، وفي حياة الشيخ المجذوب. وأوصله الشيخ أبو المحاسن إلى الشيخ أبي زيد قبل وفاته بنحو

---

(323) شيخ صوفي، أخذ عنه والد أبي المحاسن الفاسي، توفي بصفرو سنة 953هـ (راجع : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 18؛ أحمد الفاسي، **المنح الصفية**، ص. 17؛ **سلوة الأنفاس**، 213/2).

(324) شيخ صوفي أصله من الأندلس توفي سنة 950هـ (راجع : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 18؛ **سلوة الأنفاس**، 213/2).

(325) علي جناح، أخذ عن أحمد الحساني، ووفاته، على ما يرجح، كانت بعد وفاة شيخه علي صالح (راجع : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 18؛ **سلوة الأنفاس**، 212/2).

(326) عبد الحق السهلي، إليه تنسب زاوية السهلي التي بحي الزيتون في فاس (راجع : **سلوة الأنفاس**، 213/2).

* ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، 84/1؛ **التقاط الدرر**، 39/1؛ **سلوة الأنفاس**، 235/2.

شهر[327] أو أكثر بيسير، فلازمه إلى موته وأدرك منه ما لم يدركه من لازمه سنين طويلة. ﴿وَٱلْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[328]، انتهى.

ويذكر أنه ضربه يوما بعصى فشجه، فكلمته ابنته في ذلك فقال لها : فعل الله وفعل بمن يضرب أولاد الرجال بيده فارغة. وكان يوما في حال عظيم وهو يقول : ها رسول الله ! ها رسول الله ! ﷺ، وهو يجري ويصيح، إلى أن دخل دار الشيخ أبي المحاسن، وكان مع أهله وأولاده،فلم يأمرهم أن يحتجبوا، ولم يزل على حالته يصيح ويجري ويقول قوله، وقد وجد هنالك، ثريا فخار، فأخذها بيده وجعل يعبث بها ويدور ويقول ذلك، والشيخ جالس يسبغ الوضوء لا يزيد على أن يقول له : إن كسرتها ضمنتها، يرده بذلك لوجوده ويوقظه من غيبته ويستخرجه من غمرة الحال، فلم يزل كذلك وهو يكلمه إلى أن سقط للأرض وأخذ يبكي. فلما أخذ في البكاء قال الشيخ لأهله : إذهبي، وأمرهن بالإحتجاب. فقيل له في ذلك، فقال : كان مقتطعا عن حسه، وما أخذ في البكاء إلا حين رجع للحس والشعور. وله بركات وكرامات، وأتباع كثيرة متفرقة في البلاد ظهرت عليهم بركته.

قال في «**المرآة**» : وتوفي بفاس سنة إحدى عشرة وألف، وحضر جنازته خلق عظيم، ودفن خارج باب الفتوح في سفح المصلى حيث سيدي علي حماموش وسيدي علي الصنهاجي، وغيرهما. وبنوا عليه [قبة][329]، انتهى.

* محمد الخلطي

ومنهم الشيخ سيدي محمد الخلطي دفين روضة سيدي مسعود الدراوي، كان بهلولا مجذوبا مشهورا في وقت سيدي مسعود وسيدي عبد المجيد والطبقة. وظهرت له كرامات وبركات ومكاشفات، وتوفي يوم الأحد الموفى ثلاثين من المحرم من عام ستة عشر وألف، رضي الله عنه ونفع به.

---

(327) في ك2 : شهرين.

(328) ﴿وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفضْلِ العَظِيمِ﴾، الآية 29 من سورة **الحديد**.

(329) زيادة في ك2.

* ترجمته أيضا في : **التقاط الدرر**، 38/1؛ **نشر المثاني**، 139/1؛ **سلوة الأنفاس**، 238/2؛ وفيها ورد أنه توفي سنة 1016هـ.

* محمد بن أحمد العايدي السكَيري

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد العايدي السكَيري دفين خارج باب الفتوح.

وصفه في «**الممتع**» : بالعظيم القدر، الكبير الخطر، وقال : من أصحاب سيدي عبد الله الخياط الزرهوني[330]. وذكروا عنه أنه قال : تركوها حتى كان المطر والريح والظلام وقالوا إرعها يا عايدي. يشير إلى أنه راعي وقته مع فساد الوقت وشدة ظلامه. وتوفي في شهر رمضان عام أربعة وثمانين وتسعمائة، رضي الله عنه ونفعنا به آمين، انتهى.

وأخذ شيخه سيدي عبد الله الخياط عن شيخين أحدهما : الشيخ أبو محمد الحسن أجانا[331] دفين ضفة وادي اللبن قرب هوارة، وليس هو دفين بورمان من بلاد بني ومود كما توهم. صحبه اثنتي عشرة سنة، وهو أخذ عن القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي. وثانيهما، الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الملياني، وهو عن الشيخ سيدي أحمد، رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم، آمين. وإلى سيدي أحمد بن يوسف اشتهرت نسبته.

** أحمد الأندلسي

ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد الأندلسي دفين خارج باب الفتوح قرب روضة الأنوار.

ترجمته أيضا في : **لقط الفرائد**، ص. 313؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 28، وفيها ورد أنه من عرب أولاد سكَير؛ **سلوة الأنفاس**، 251/3.

(330) عبد الله بن إبراهيم الخياط المعروف بالزرهوني، تلقى تعليمه بفاس وعاد لبلده زرهون حيث اشتغل بالتدريس بزاويته التي كان يلقن بها أيضا أوراد الشاذلية، توفي مسموما بزرهون سنة 939هـ (راجع : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 28؛ **الحركة الفكرية**، ص. 494).

(331) الحسن بن عمر أجانا دفين تاجملت الواقعة على ضفة وادي اللبن بجوار منطقة هوارة، وأما الشخص المدفون ببورمان، وهو جبل يجاور مدينة فاس، فهو حفيده (راجع : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 11؛ **وصف إفريقيا**، 264/1).

ترجمته أيضا في : **سلوة الأنفاس**، 215/2 وفيها رجح الكتاني أن يكون صاحب الترجمة من أهل القرن العاشر الهجري.

قال أبو العباس المرابي، أحد أصحاب سيدي رضوان، في كتابه «**تحفة الإخوان**» : كان رجلا ملامتيا من أهل الله، يقال إن له كرامات كثيرة، قال : وكان يسكن بباب النقبة[332]، وقد أدركته ورأيته. وحكى أن رجلا دخل عليه فقال له : يا سيدي، أردت الحج وأردت أن يكون معك، قال : فحرك رأسه وأطرق به إلى الأرض، وكان من عادته إذا فعل ذلك أن يقول شيئا، قال : فرفع رأسه وقال مغنيا.

مر أنت للحج والزيارة ودعني في سكري نهمل[333]
كم من حجة مشت خسارة النبيّ أبلغ من العمل

قال : وسكت ولم يقل بعد شيئا، رضي الله عنه ونفعنا به. انتهى كلام المرابي مع تقديم وتأخير.

* عبد الله الدراوي الحداد

ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله الدراوي المعروف بالحداد دفين [خارج][334] باب الفتوح قرب روضة سيدي علي حماموش.

ذكر في «**الممتع**» كما تقدم في ترجمة سيدي يوسف الفاسي، أنه رجل من أهل الإغاثة والخطوة يمشي للبلاد البعيدة ويرجع في طرفة عين، قال : وكان صاحب ملامة.

ووصفه في «**المقصد**» بالشيخ الولي الخطير، ثم قال : كان، رحمه الله، قوي الحال غزيره، ملامتيا تصدر منه أمور لا يفهم ظاهرها، وكان من أهل الخطوة والطيران في الهواء، وله كرامات ومكاشفات. لقيه سيدي قاسم الخصاصي مرارا وتبرك به. وكان يوما، أعني سيدي قاسما، جالسا بحانوته بالقراقين المقابلة لباب القرويين فرأى سيدي عبد الله مارا بجامع القرويين فجعل ينظر إليه ويستحسنه ويقول في نفسه : لا إله إلا الله، ذلك رجل ولي الله، أو كلمة نحوها. فكاشفه بذلك وأتى من القرويين

---

(332) يسمى قديما بباب الفصيل، ومنه كان يتم الخروج إلى قنطرة بين المدن (راجع : **جذوة الإقتباس**، ص. 33).

(333) مجزوء البسيط.

* ترجمته أيضا في : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 34؛ **صفوة من انتشر**، ص. 55؛ **التقاط الدرر**، 92/1؛ نشر المثاني، 28/2؛ **سلوة الأنفاس**، 232/2.

(334) زيادة في م.

مسرعا حتى وقف عليه بباب الحانوت وقال له : إيه يا أخي، قلبك مرآك، كيف تراني أراك. توفي، رحمه الله، في أواخر العشرة الرابعة من هذا القرن، يعني الحادي عشر، انتهى.

وقبره إزاء قبر شيخه الأول سيدي علي الحداد وشيخه الثاني هو الشيخ أبو المحاسن سيدي يوسف الفاسي، رضي الله عنه، صحبه بإذن شيخه الأول كما تقدم ذلك في ترجمة الشيخ أبي المحاسن.

* محمد بن عبد الله أمغار

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله أمغار دفين خارج باب الفتوح قرب روضة الأنوار، من أصحاب الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، أحد أكابر أصحاب الشيخ أبي العباس سيدي أحمد زروق، رضي الله عنه، وكان من الأكابر، حسبما شهد له بذلك بعض أرباب البصائر(335) لما مر بقبره وكوشف بأمره، رحمه الله ونفعنا به بمنه وكرمه، آمين.

** الزبير بن محمد المحمدي

ومنهم الشيخ أبو محمد الزبير بن محمد المحمدي دفين خارج باب الفتوح أمامها بالقرب منها. ويقال فيه أيضا : سيدي الزبير بن الكبير، ولعل والده كان يلقب بالكبير. وهو من أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني(336). ومن أصحاب سيدي الزبير هذا، الشيخ أبو عبد الله محمد المطرفي شيخ الشيخ الولي الكبير أبي العباس أحمد ين يحيى، شيخ الشيخ سيدي أحمد الشاوي دفين الجرف من

---

* ترجمته أيضا في : **سلوة الأنفاس**، 218/2، ويرجح الكتاني أن تكون وفاته في أواسط القرن العاشر الهجري.

(335) ذكر الكتاني في «**السلوة**» نقلا عن «**المقصد الأحمد**» أن المعني ربما هو أحمد بن عبد الله معن الأندلسي الذي زار مرة ضريحه وسأل عن آسمه.

** ترجمته أيضا في : **سلوة الأنفاس**، 174/3، وقد نسبه الكتاني لأهل القرن العاشر الهجري؛ **شجرة النور**، 212/1.

(336) نزيل مليانة بالجزائر، من أكابر مشايخ الصوفية، إليه تنسب الطائفة اليوسفية المعروفة، وهي طائفة اتهمت بالإباحية وبمخالفتها للسنة والجماعة، توفي حوالي سنة 929هـ (راجع : **دوحة الناشر**، ص. 124؛ **درة الحجال**، 165/1؛ **سلوة الأنفاس**، 11/2؛ **شجرة النور**، 189/1؛ **الحركة الفكرية**، ص. 237).

فاس، رضي الله عنهم ونفعنا بهم، آمين. فهو من الأولياء الأبرار ومن أكابر الفضلاء الأخيار، رضي الله عنهم ونفعنا بهم، آمين.

* علي السدراتي

ومنهم الشيخ أبو الحسن سيدي علي السدراتي دفين خارج باب الفتوح أمامها بالقرب منها.

قال المرابي في «**التحفة**» : ودخلت على الشيخ أبي النعيم رضي الله عنه، صبيحة يوم جمعة بعد أن كنت حضرت وفاة الشيخ سيدي علي السدراتي في تلك الصبيحة، فوجدته واقفا وعصاه بيده، فسلمت عليه وقلت له : يا سيدي، قد توفي في هذه الساعة سيدي علي، فقال لي : كذا أحتسبه عند الله، إنا لله وإنا إليه راجعون. وتغير لذلك ثم قال لي : يا ترى ! كيف كانت وفاته ؟ قلت له : أحسن ما يكون، بقي يتشهد حتى خرجت نفسه، فقال : الحمد لله، إمش هنيئا لك يا سيدي، قد أفلت من هذه الغيسة، وتركت هذه الشيبة بعدك لا يدري بماذا يختم له، ثم بكى وصعد المنزل، انتهى.

ثم وجدت رسالة أظنها لصاحب الترجمة كتبها لبعض أصحابه بسلا، فرأيت أن أذكرها كلها بنصها لما اشتملت عليه من عظيم الفائدة أولها : الحمد لله العزيز، ذي الجلال القديم الأزلي، الذي لا يوصف بالحركة والاِنتقال، المنزه عن الكيفية والنظير والمثال، والمقدس عن النقائص والخلل، جل ثناؤه الكبير المتعال، الذي خلص قلوب أوليائه من الخبائث والعلائل، وأيدها بالمعرفة والإجلال، وأطلع فيها شموس المواهب، فذهب الليل وخمدت الضلال، فانتشر نورها على الأوطان السهلة والجبال، وتنعمت بمحاسن بهائها السادات الرجال، العاشقين، الشائقين، الذائقين، المغترفين من بحر الجود والأفضال، فلا يزالون ظاهرين على الحق حتى يقتلوا المسيح الدجال، وحجبت عن المنكرين المزلزلين الذين سقوا من طينة الخبال، ألا لعنة الله على كل مفتر منهمك بطال، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي لبس رداء الكبرياء والعزة والكمال. ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله، أفضل من صمت وقال، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه السادات الأبدال، الذين

* ترجمته أيضا في : **سلوة الأنفاس**، 174/3.

قاتلوا أهل الشرك أشد القتال، صلاة وتسليما يترادفان إلى يوم يجمع فيه النساء والرجال.

أما بعد : كتابنا إلى السيد الزكي، الأبرع التقي، سيدي إبراهيم بن زكري، وكافة أصحابنا من فقراء سلا، حفظ الله ودادكم، وتولى بمنه سعيكم، وسلام كريم عميم يعتمدكم، ورحمة الله تعالى وبركاته.

من عبد الله تعالى الفقير إلى الله، الغني به عن كل ما سواه، أبو الحسن علي بن أبي علي الحسن، السدراتي النسب. فكيف أنتم يا إخواننا ؟ وكيف هي المرضية أحوالكم ؟ أجراها الله تعالى على وفق مرادكم، جعلكم الله تعالى بخير وعافية.

أما بعد : إخواني، أوصيكم بتقوى الله وسنة رسول الله، ﷺ. قال مولانا العظيم : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(337) وقال تعالى : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾(338) لأن من ورائكم يوم عظيم، وخطر جسيم، يوم يشيب فيه الصغير، ويذهل فيه الكبير. فعليكم بتقوى الله في السر والعلانية، ولا تكونوا ممن وعد الله فأخلف وعده. فإذا وعدتم فأوفوا. قال مولانا العظيم : ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسُ، أولَائِكَ الّذِين صَدَقُوا، وَأُولَائِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(339).

وقال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾(340) وإذا حدثتم فأصدقوا، وإذا قلتم فأعدلوا، وإذا غلبتم فعفوا، وإذا حرمتم فأعطوا، وإذا غضبتم فاصفحوا، وكونوا عباد الله إخوانا، وعلى دين الله أعوانا، وكونوا كسحاب المطر يصلح ولا يفسد، ولا تكونوا كسحاب الحجر يفسد ولا يصلح، لأن من عرف الله اتقاه، وإذا عاهده صدقه. قال مولانا العظيم : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾(341)، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها. وقال مولانا العظيم : ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللّهَ فَسَنُؤْتِيَهُ أَجْراً عَظِيماً﴾(342). وقال تعالى : ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّهَ

(337) الآية 13 من سورة **الحجرات**.

(338) الآية 197 من سورة **البقرة**.

(339) الآية 177 من سورة **البقرة**.

(340) الآية 34 من سورة **الإسراء**.

(341) الآية 91 من سورة **النحل**.

(342) الآية 10 من سورة **الفتح**.

عَلَيْهِ﴾[343]. وقال مولانا رسول الله، ﷺ : (من علامة المومن إذا وعد أوفى وإذا حدث صدق وإذا أؤتمن لم يخن. ومن علامة المنافق إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان)[344]. فكونوا مومنين ولا تكونوا منافقين، إخواني يعنيكم الجواب، فافهموا الخطاب، لا يسأل أحدكم عما عنه غاب، ولكن يسأل عما إذا جاب، الدنيا سوق الآخرة، فمن نظرها بعين يمينه التجأ إلى مولاه من حينه، سارعوا إلى ركب العزائم من قبل أن تقطع الطريق على المسافر، فلا رجوع عند ذلك للبطالين، ولا ندامة للعاصين، ولا توبة للمصرين، ولا يقظة للغافلين، ولا تقبل معذرة الكافرين، فيشتد عند ذلك ألم الحساب، وتخمد النفوس وتذل الرقاب، فلا ناهيا بالعتاب ولا آمرا بالصواب، ويرجع الأمر كله للملك الوهاب، فيختم على الأفواه، ويوتى كل واحد كتابا يلقاه منشورا. ﴿إِقْرَأْ كِتَابَكَ، كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾، ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾[345].

إخواني : عليكم بطاعة الله في السر والعلانية، وأقبلوا على الله من قبل ليلة الوحدانية، يوم تترك الأجساد رهنا في التراب، وتقدم الأرواح على من لا يحجبه حجاب، فويل للمجرمين من شدة العذاب، وطوبى للمتقين وزلفى وحسن مآب.

إخواني : وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وجعلنا وإياكم في كفالة أنبيائه وأوليائه إلى يوم لقاه، ولا يطردنا بمنه عن بابه، ولا يمنعنا بفضله رضاه وكافة المومنين، اللهم آمين يا رب العالمين.

وعليكم إخواننا بمحبة أهل بيت مولانا رسول الله، ﷺ، الذين قال فيهم مولانا رسول الله، ﷺ : (فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم)[346].

واعلموا رحمكم الله، أن طريقة السادات الأبرار، الساطعة الأنوار، التي هي مطلع شموس المواهب والأسرار، فإنها لا يسلكونها إلا السادات الأبدال، الذين سبقت لهم من الله سابقة التخصيص والأفضال، وقوى قلوبهم على موارد الأحوال، والأحوال

(343) الآية 23 من سورة **الأحزاب**.

(344) في **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق.

(345) الآية 14 من سورة **الإسراء** والآية 40 من سورة **النبأ**.

(346) في ص. 57 من ج 5 لمسند بن حنبل.

لا تنال إلا بعد إقامة حدود الأمر والنهي والإمتثال، وهذا عند شهودهم إلى أفعاله، وهو مقام بدايتهم، وهذا مقام التخلي، ثم ينبئ المقال عن حقيقة باطن الحال، وهذا عند سكرهم واصطلامهم بشهود الجلال، وذلك مقام التجلي. ثم يحقق الحال المقال، وهذا عند صحوهم ورسوخ أقدامهم بشهود الجمال، وذالكم مقام التحلي. ثم يحقق المقال الحال، وهذا عند حياتهم وبقائهم بشهود الكمال، وذلكم مقام التسلي. ثم يحقق الحال، حال هو أجل وأدق وأرق من ذلك الحال، وهذا عند فنائهم وشهودهم إلى أسمائه الزكية، وذلكم مقام الترقي، ثم يحقق فناءهم بقاء يفني بقاءهم وهذا عند شهودهم إلى صفاته الجميلة القدسية، وذلكم مقام التدني. ثم يحقق بقاءهم بقاء يفني بقاءهم، وذلك عند شهودهم إلى ذاته الكاملة العلية المنزهة عن الشبه والمماثلة والكيفية، وذلكم مقام التدلي. ثم يحقق شهودهم شهود المشهود القديم الدائم، الذي لم يكن معه في قدمه شاهد ولا مشهود، وهو الحق المالك المعبود، الذي أوجد بوجوده كل موجود، وذلكم مقام جمع الجمع، الذي لا يعقب بعده فرق. ثم يجمعهم الحق تعالى بجميع الموجودات، ويخلصهم من رق المذمومات، ويغيبهم عن جميع المشهودات، فلا يبقى مع القديم من كان أوله عدم وآخره معدوم، ويبقى الباقي الواحد القيوم. قال مولانا العظيم ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾(347).

واعلموا رحمكم الله أن هذه الطريقة وأهلها، فإنهم فيها على ثلاثة أقسام : فمنهم من يجمع الخلق على المائدة وإطعام الطعام، ولم يكن له فوق ذلك رتبة ولا مقام، وهؤلاء مثلهم كمثل الأفراخ في أعشاشها، فإذا هلك الأب ماتت الأفراخ من حينها، ولم تكس بأرياشها، ولم يرج طيرانها. ومنهم من يربيهم بتلقين الأسماء بلسان المقال، ولم تكن له همة مستغرقة في مراتب الأحوال، ولم يسلك ما سلكت السادات الرجال، الذين أفنتهم تجلية الجلال، وأحيتهم تجلية الجمال، وأبقتهم رؤية الكمال، إلا من تجلى له الحق تعالى بجلاله، أفناه عما يشهده من رؤية أفعاله، ويخلصه من دسائس أحواله، ومن تجلى له بهاء جماله، أحيا قلبه بالمواهب والأنوار، وروحه بشموس المعارف والأسرار، فهو مشاهد ذات الكمال، المنزهة عن النقص والخلل، والشبه والمثال، والمزاج والإنفصال، هو القريب بعلمه، المتصرف في جميع الموجودات بقدرته، على ما سبقت به إرادته. فهؤلاء هم الربانيون المتولهون الراسخون في بحر العرفان، المعرضون عن جميع الأكوان، ولم يشهدوا مع إحسان محبوبهم إليهم

(347) الآية 91 من سورة **الأنعام**.

إحسان. فإذا لم يكن صاحب الأسماء على هذا المنهاج القويم الذي خص الله تعالى به أولياءه العارفين، فهو في تربيته لهم مثله كمثل الحمام، فإذا اشتغل بلقط قوته، فسد بيضه. وكذلك من يأخذ عنه هذا الإسم من خاصة المريدين وعامة المجتهدين. فإذا اشتغلوا بأسبابهم وطلب معاشهم فيتكدر من ذلك سيرهم، ويرتدوا على أعقابهم، فيقطع عليهم ليل الهوى، وتعلق بهم ظلمات الدعوى، فهم مأسورون لأنفسهم، واقفون مع رؤية أعمالهم. ولم يكن لشيخهم نفوذ إلى سر أرواحهم، ولا سبيل له للأخذ بأيديهم. ومنهم من يربيهم بالهمة، فمثله كمثل السلحفاة يدفن أولاده في تراب الخمول، ويقول لهم تهيئوا بإذن الله للوصول من غير فعل ولا أسباب. فيناديهم لا بلسان مقاله، بل بلسان حاله، الذي هو أعرف بالصواب، ويقول لهم في ندائه : أستودعكم إلى رب الأرباب. وكان جمعنا إن شاء الله في بساط الوهاب. فأنظروا يا أصحاب، كيف فهموا عنه هذا الخطاب، وهم أرواح من قبل أن يكونوا لحما ولا أعصاب، رجال حطوا رحائلهم على الأبواب حتى رفعت لهم أستار الحجاب، فيالهم من زلفى وحسن مئاب، فشتان بين من يطعم النفوس بشهواتها ويزيد الحطب على نيرانها، وبين من يطعم القلوب من لبها، والأرواح في أجسادها. وفي معنى ذلك أنشدوا.

فليس المَطلُوب إطعـــام الطعـــام	ولـو عملتم ما عسى أن تعملـوا[348]
لأن ذلك أدنى كل مقـــــــــام	والكافــــر بكفـــــره سبلــــــوا
جمعتم المال من حل ومـــــن حرام	ولم تبالـــــوا ما كان أولــــــوا
مثـــل الأعمـــى في بيت الظـــلام	وكل من جاه يألـــــــــــف لوا
عمـلتم النقـــار كصيـــاد الحمـــام	وتـر أن الخديعـة لأي شيء ينزلـوا
تقـــوصوا الحرام وتصوبـــوا الكـــلام	وأنتم كالذيـــــــاب تتختلـــــــوا
فيـا من هو جاهـل بهذا المَقـــام	أعـــرضه على الطبـــيب يتأملُـــوا
والصلاة والسلام على خير الأنـــام	حبـــيب القلُـــوب ما أفضلــــوا
ورضي الله عن السادات الكــــرام	الذين هم على الدوام مشاهدون لوا
رفعهـم السلام إلى أعلى كل مقـام	فنعـــم الرجـــال فهـــم أهلـــوا

(348) طرة من ح : ليس هذا من أوزان الشعر المألوفة ولا من أوزان الملحون المعروفة، وإنما هو من كلام أهل الله الذين لم يتقيدوا بقوانين أهل الظاهر من أرباب البطالة أمثالنا أذاقنا الله من صافي مشروبهم، انتهى.

واعلموا علمكم الله الخير كله. ووقاكم الشر وأهله، أن الخلق في العلم على ثلاثة أقسام : فمنهم عالمون عاملون، ومنهم عالمون غير عاملين، ومنهم جاهلون غير عاملين. فالقسم الأول : لما علموا انتهوا، ثم عملوا، ثم امتثلوا، ثم اتبعوا، ثم أخلصوا، ثم استخلصوا، ثم تخلصوا ثم قالوا. فهؤلاء يقرأ عليهم قوله تبارك وتعالى : ﴿إِلَّا الَّذِين تَابُوا وأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ، فَأُولَائِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(349)، والقسم الثاني : لما علموا قالوا ولم يعملوا، ولم ينتهوا، ولم يمتثلوا، ولم يتبعوا، ولم يخلصوا، ولا تخلصوا، وهؤلاء يقرأ عليهم قوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(350)، فإذا كان العالم يحفظ الأقوال، هو مخالف في الأفعال، فلا يسمى عند المحققين عالما، وإنما يسمى جاهلا، إنما العالم عندهم الذي تصير أحواله موافقة لجميع العلوم، وباطنه محتوي على دقائق الفهوم، وسره مشاهد للواحد القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. والقسم الثالث : لم يعلموا ولم يعملوا ولم يقولوا ولم يشهدوا، ولم يمتثلوا، ولم يتبعوا، ولم يخلصوا، ولا تخلصوا، وهؤلاء يقرأ عليهم قوله تعالى : ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهُمُ الأَمَلُ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(351).

قال أبو عثمان : أسوأ الناس حالا من كان شغله ببطنه وفرجه وتنفيذ شهواته، حينئذ لا تلحقه أنوار العصمة ولا يصل أبدا إلى مقام التوبة، وقال أبو سعيد القرشي : من شغله ترفيه نفسه وطلب مرادها والتمتع بهذه الفانية عن الإقبال علينا فاعرض عنهم ولا تقبل عليهم وذرهم وما هم فيه فلن يصل إلينا إلا من كان لنا، ولم يكن لسوانا عنده قدر ولا خطر. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

فعليكم يا إخواننا بلزوم طاعة الله، والإكثار من ذكر لا إله إلا الله، فإنها مبدأ الخير كله، ومنتهاه بأسره، لأن مولانا العظيم يقول في بعض الكتب المنزلة : «يا عبدي قل لا إله إلا الله، إجعلها لك نورا، أصلها في قبرك، وفرعها إلى الجنة، يهديك أصلها إلى فرعها».

(349) الآية 146 من سورة **النساء**.

(350) الآية 2 من سورة **الصف**.

(351) الآية 3 من سورة **الحجر**.

وقال مولانا العظيم في القرآن الحكيم : ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ، وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُوتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾(352).

قال ابن عطاء الله : الكلمة الطيبة قول لا إله إلا الله على التحقيق، والشجرة الطيبة هي التي تطهر أسرار الموجودين من دنس الأطماع بالثقة بالله تعالى والانقطاع إليه عما سواه. وقال محمد بن علي رضي الله عنه : الشجرة الطيبة الإيمان أنبتها الله تعالى في قلوب أوِدَّائِهِ، وجعل أرضها التوفيق، وسماءها الصيانة، وماءها الرعاية، وأغصانها الكفاية، وأوراقها الولاية، وثمارها الوصلة، وظلها الأنس، وأصلها ثابت في قلب الولي، وفرعها في السماء ثابت بالمزيد من عند الجبار، والأصل يربي الفروع بدوام الإشفاق والمراقبة، والفرع يهدي إلى الأصل ما عاينه من محل المشاهدة والقرب. هكذا قلب المومن وفؤاده. ونخبركم يا إخواننا السلاويين، والخطاب لعامة المومنين، أن من كان ينطق بهذا السر المبين، ولم يسلك ما نطق به لسانه كما سلكته أولياء الله العارفين، ولم يكن فيه حالا مطبوعا بطابع الحق القوي المعين، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وإنما يجب علينا التنبيه التام، والتبليغ العام.

قال بارئ الآنام : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(353)، والسلام، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين والحمد لله رب العالمين. هذا آخر الرسالة.

ووجدت على ظهر الورقات المكتوب منها كلاما من هذا المعنى، وأظنه لصاحب الترجمة أيضا، فألحقته هنا، ونصه :

الحمد لله وحده، واعلموا رحمكم الله أنه لا يذوق من طيب مطيب الوداد، ويتوصل إلى حقيقة غاية المراد، يفهم عنه من رق مزيد الأمداد، وما ينقص منه وما يزداد، ويسلك على سبيل الرشاد، إلا من كان بتوفيق الله عن أوصافه تخلى وحاد. وبمحاسن الأخيار تحلى وساد، وبمحبة سيدي الأبرار تملى وزاد، وبمشاهدة الواحد القهار تسلى ولاذ، فحينئذ يصير لجميع المحمودات أهلا، وأخبار محاسنه في السموات تتلى، فيكون هنالك من الآدميين بجسده، ومع أهل الغيب بروحه، ومع من لا تخفى عليه

(352) الآية 24 من سورة إبراهيم. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾؛ ﴿تُوتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ الآية 25 من السورة نفسها.

(353) الآية 29 من سورة **الكهف**.

خافية بسره. لأن الجسد يكون مشغولا بخدمته، والروح مشغولة بمحبته، والسر مشغول بشهوده عن غيره، لأن الجسد قائم بحقوق الواجبات، والروح قائمة بجميع المحمودات، والسر متهيء للتجليات، ومرفوع الحجب لشهود الذات، فسبحان من رفع الحجب عن قلوب أوليائه المحبين فشاهدوه، وحجب قلوب أعدائه المنكرين فأنكروه. فأما أهل وداده فهم في بحر جوده وإحسانه متنعمين. وأما أهل عدله فهم في بحر الشك والترديد منهمكين، انتهى.

* علي المرابط

ومنهم الشيخ السيد أبو الحسن علي المرابط دفين خارج باب الفتوح إزاء السدرة التي أمام الباب، من أصحاب سيدي علي ورزق دفين خارج باب الشريعة، كان أولا بقرية صفرو، ثم انتقل إلى فاس واستوطنها وتزوج بها، وولد له أولاد، وكان يخدم الأجنة، ويقبض الربع على عادة أهل الأجنة في ذلك؛ ويسمى فاعل ذلك عند الناس رباعا.

كان، رحمه الله، فاضلا خيرا دينا مشتغلا بالجد والإجتهاد وأنواع من العبادات، وكان لهجا بذكر الله عز وجل لا يفتر عنه قائما وقاعدا، ملازما للصلوات الخمس جدا، لا يتوانى في ذلك أبدا. وكان مرة ذاهبا بجبانة(354) صفرو خارجه، بموضع يقال له المقام، وهو يذكر الله على عادته، فسمع قائلا من قبر يقول له : أكملها بمحمد رسول الله، ﷺ، فأكملها إذ ذاك وجمع بين ذكر الله والصلاة على رسوله، ﷺ، فكان بعد لا يذكر الله إلا مقرنا بذكر رسول الله، ﷺ. وكان رحمه الله يتحرك وتعتريه أحوال تخرجه عن دائرة حسه، فينطق إذ ذاك بمغيبات وظهرت له كرامات ومكاشفات.

كان مرة بجامع الشباك من صفرو في جماعة من الناس، فأتى بعضهم بمخفية من الكسكسو، فلما رآها سيدي علي قام مسرعا هو ورجل آخر كوش كان هنالك، فاختطفاها ورميا بها بمرة، فانكسرت وانتشر الطعام على الأرض فجعل الناس يعجبون من فعله ذلك. ثم أتى بعض الحاضرين لرب الطعام وسأله عن قضيته، فأخبرهم بأن ذلك الطعام كان حراما.

---

* ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 80، وفيها ورد أنه توفي سنة 1050هـ؛ **سلوة الأنفاس**، 175/3.

(354) وفي ك1 ورد محلها : جنان بصفرو.

وكان رجل بصفرو ممن يحبه، قد هيأ له ثوبا حسنا، وهو المعروف عند الناس بالحائك، ليهديه إليه، فقدم بعض من ينتمي للفقر، فأتى أهل البلد يسلمون عليه، فذهب معهم إليه بالحائك وأعطاه [إياه][355] ثم بعد ذلك غضب حاكم البلد على ذلك الرجل المعطي للحائك وضربه ونهب ماله وأثاثه، وقاسى من ذلك شدة. ويوم وقع له ذلك بصفرو تحرك سيدي علي وهو بداره بفاس، واعتراه حال، وكوشف بما فعل الرجل أولا. وبما فعل به ثانيا، وجعل يصيح عليه ويقول : يا فلان، يريد الرجل المضروب، قل لفلان، الرجل المعطى له الحائك، يفكك، ويكررها، ويشير إلى أنه هو الذي فعل به ما فعل بسبب فعلته، ولم يعلم أهل داره معنى كلامه إذ ذاك. ثم جاء الخبر بعد ذلك بأن الرجل المذكور وقع به ما وقع في ذلك الوقت الذي كان يصيح عليه سيدي علي، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

هكذا أخبرني بهذه الترجمة بعض الفضلاء الثقات من أهل صفرو ممن كان يعرف سيدي علي معرفة تامة، ويواليه ويتردد إلى فاس لزيارته، رضي الله عنه.

* الحسن بن محمد الهداجي الدروي

ومنهم الشيخ أبو محمد الحسن بن محمد[356] الهداجي المعروف بالدروي دفين خارج باب الفتوح بدار ابن عمرو، شرقي روضة سيدي علي بن حرزهم[357]. وقبره شهير معروف هنالك يزار ويتبرك به.

ذكره الشيخ العلامة أبو عبد الله العربي الفاسي، رحمه الله، في كتابه «**مرآة المحاسن**»، ووصفه بالشيخ العالم الصالح المتفنن النفاع الأستاذ. ثم ذكر أنه لما انتقل الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي، رضي الله عنه، من القصر إلى فاس كان سيدي الحسن هذا يعتاد زيارته فقال له يوما : يا سيدي، اِقبلني لله، فقال له الشيخ أبو المحاسن : أو استحسنت ما نحن فيه من طريقة الفقراء؟ فقال الشيخ : من لم

---

(355) زيادة في م.

* ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 8؛ **التقاط الدرر**، 29/1؛ **نشر المثاني**، 63/1؛ **سلوة الأنفاس**، 83/3. وفيها ورد أنه ولد سنة 950هـ.

(356) نزيل مدينة فاس، والهداجي نسبة إلى عرب هداج، ولعل منطقة «درا» التي نسب لها فسمي بالدروي هي منطقة درعة وتنطق عند بعضهم كذلك (راجع : **سلوة الأنفاس**، 83/3).

(357) في ك2 : فوق روضة سيدي علي بن حرزهم يقابل روضة بن عمرو.

يستحسن ما أنتم فيه، فما الذي يستحسن ؟ فقال له الشيخ أبو المحاسن : تعالى إلي أمر لي فيه قصد ولا يفوتك معه ثمرة قصدك. وهو أن نعقد الأخوة في الله تعالى ونتشاطر أعمالنا. فقال له الشيخ أبو محمد : يا سيدي، لك الفضل [علينا][358] فيما تفعله، وأكب عليه فتعاقدا على ذلك.

فلقد رأيته عند الشيخ أبي المحاسن وهو يباسطه ويقول له : مرحبا بشريكي. وكان الشيخ أبو محمد من أهل العلم والتفنن فيه، والعمل الصالح والنية الصالحة والزهد، نفع الله به خلقا كثيرا من طلبة العلم، وكان رفيقا بهم حريصا على نفعهم، ميسرا عليهم، دؤوبا في جميع نهاره على التجريد بالأفراد والجمع، وتدريس أنواع العلوم حتى توفي بالطاعون، وصلي عليه في صلاة الجمعة الخامس عشر من شعبان سنة ست وألف، ودفن خارج باب الفتوح وبنيت عليه هنالك قبة، [وهي الآن حوش][359] وقبره مشهور يزار ويتبرك به، انتهى.

وبعد موت صاحب الترجمة سمعوا الشيخ أبا المحاسن يقول : سيدي الحسن مات، وبقيت أنا كل ما أعمله بعده أقسمه معهم، رحمهم الله ورضي عنهم، آمين.

وذكروا عنه أيضا أنه كان إذا أتى لزيارة الشيخ أبي المحاسن الفاسي، رضي الله عنه، خلع نعليه عندما أراد الدخول للمخفية ثم يتأبطهما ويذهب خاضعا متأدبا ويقول : نتأدب مع الشيخ، ثم يزوره؛ ويرجع يفعل ذلك كلما ذهب لزيارته.

وذكروا عنه أيضا أنه قال : وجدت يوما بباب داري رجلا حسن الصورة فقلت له : ما أتى بك هاهنا وأنت هكذا، يعني حسن الصورة ؟ فقال لي : أنا الخضر، جئت أبشرك بأنك رجل صالح. وتذكر ما قاله الشعراني عن بعض المشايخ، أنه لا يجتمع بالخضر إلا من كانت فيه ثلاثة شروط : كونه على السنة في أحواله كلها، وعدم الحرص على الدنيا، وسلامة الصدر على المسلمين.

---

(358) زيادة في ك2.

(359) زيادة في ك2.

* عثمان بن عبد الله السلاجي

ومنهم الشيخ أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلاجي(360) دفين خارج باب الفتوح ملاصقا لروضة سيدي، دراس بن إسماعيل.

عرف به الشيخ أبو يعقوب التادلي في كتابه «**التشوف**»، وذكره في عداد الصالحين، ووصفه بالأصولي، وإمام أهل المغرب في الاِعتقاد، ثم قال : قدم مراكش، واستوطن مدينة فاس، ومات بها في جمادى الثانية عام أربعة وستين وخمسمائة.

حدثني أحمد بن عيسى الأنصاري قال : سمعت أبا عمرو يقول : كنت أقرأ **مختصر** ابن أبي زيد على أبي عبد الله محمد بن عيسى التادلي فسلمت عليه ذات يوم، فلم يرد علي السلام، فسألته عن ذلك فقال لي : إنك لا تقصد وجه الله تعالى بالعلم، فلذلك ينبغي أن لا يرد عليك السلام، فانصرفت عنه مهموما، فلقيت فتى من أصحابي، فبت عنده، وكان الفتى بطالا وأبوه من طلبة العلم، فجعلت أنظر في كتبه، فوقع بيدي من علوم الاِقتداء : «**التقريب**» و«**الإرشاد**». فأعجباني، فقال لي صاحبهما : هذا «**الإرشاد**» هو المدخل إلى هذا العلم. فحملته إلى ابن حرزهم وابن الرمامة واستشرتهما في قراءته، فاستحسناه وأشارا علي بالنظر فيه، فقلت لابن حرزهم : أتأذن لي في قراءته عليك ؟ فقال لي : لا أجيده، فإن قنعت مني بتعليم ما أعلمه فانظره؛ فأخذته عليه فكان يبصرني في مواضع منه، فما أكملته بالنظر عليه حتى استظهرته حفظا؛ فنمت في المسجد الجامع، فرأيت في النوم شخصين قصدا إلي، فدفع أحدهما بيده في صدري فانفتح، وكان الآخر يصب الملح في صدري وهو يلتحم إلى أن التحم الشق كله. قال : فانتبهت من نومي وأنا أجد الألم في صدري،

ترجمته أيضا في : **القرطاس**، ص. 266؛ **شرف الطالب**، ص. 64؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 458؛ **سلوة الأنفاس**، 182/2؛ **الإعلام**، 6/9؛ **شجرة النور**، 163/1.

(360) سمي بالسلاجي نسبة لجبل «سليلجو» أو «سليلكو» وهو جبل يجاور مدينة فاس حيث كانت له أملاك كان يتردد إليها، وبيته بفاس يعرف ببيت بني السلاجي وهو بيت علم وثروة (راجع : **جذوة الإقتباس**، ص. 458 ؛ عبد الرحمان الفاسي، **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس**، ص. 7 ؛ **وصف إفريقيا**، 280/1).

فقمت إلى مهدي[361]، الخطيب بالجامع، فقصصت عليه الرؤيا فقال لي: ما هذا العلم الذي تنظر فيه الآن؟ فقلت له : أنظر في علم الِاعتقاد في كتاب «**الإرشاد**»، فقال لي : إلزمه فإنه سيفتح لك فيه. فأشكلت علي منه جملة مسائل لم أجد من يشفي صدري منها، فعزمت على الرحلة إلى بلد المشرق في فهم الكتاب، فسافرت إلى مدينة بجاية، وعزمت على دخول البحر في جمع كثير، فسجن الوالي كل من عزم على الوجهة إلى المشرق، فهربت أنا وصاحب لي في الليل من السجن فخرجت إلى فاس، وبلغني أنه قتل جميع المسجونين معي ببجاية. فطلب بعض الرؤساء من أرباب الدولة أستاذا لبنيه يقرؤهم النحو ويحمله معه إلى حضرة مراكش، فدله المستشار في ذلك علي، فلما وصلت معه مراكش أنزلني في دار خالية، فقمت لأتوضأ بالليل، فرأيت بوسط الدار جنيا، فشجعت نفسي وأتيت إلى البئر، فأرسلت فيها الدلو فأدخل يده في البير يخوّض الماء ويلعب به، فأفرغت الدلو في الإناء فجعل يلعب فيه بيديه، فلما توضأت قلت في نفسي : أتقدمه إلى البيت فأغلقه على نفسي لأن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، فسبقني هو إلى البيت، فاستقبلت القبلة لأصلي، فأمسك بذقني فبقي فمي مفتوحا لا أقدر على سده ولا على الحركة إلى أن طلع النهار، فانصرف عني، فتركت الأبواب من الليلة المقبلة مفتوحة فما ظهر لي. ثم ذكر لي قصة أخرى طويلة انتهى فيها إلى أنه لقي أبا الحسن علي بن أحمد اللخمي[362] المعروف بابن الإشبيلي، وكان له بصر بكتاب «**الإرشاد**» فلازمه مدة يسيرة حصل فيها فهم «**الإرشاد**» وفتح عليه كل ما انغلق عليه من معانيه فعاد إلى مدينة فاس، فزهد في الدنيا وأهلها وانتصب لتعليم العلم محتسبا لله إلى أن لحق بالله عز وجل فنفع الله به.

سمعت أبا الحجاج يوسف بن موسى[363] يقول : رأيت أبا عمرو يحمل خبزه إلى الفرن، فيريد تلامذته أن يكفوه حمله فيأبى من ذلك، إلى أن قال لهم : ما

---

(361) مهدي بن عيسى، كان خطيبا بجامع القرويين في نهاية حكم دولة المرابطين، وعندما دخل الموحدون مدينة فاس صرفوه عن الخطبة واشترطوا أن لا يؤم ويخطب إلا من يحفظ التوحيد باللسان البربري (راجع : **القرطاس**، ص. 62 ؛ **زهرة الآس**، ص. 56).

(362) الأصولي، الخطيب، أصله من الأندلس، قدم إلى المغرب أيام الموحدين واستقر بفاس. ومات بمراكش سنة 567هـ (راجع : **التشوف**، ص. 200 ؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 479).

(363) يوسف بن موسى الكلبي الضرير، آخر أئمة المغرب فيما أخذه عن محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي من علوم الإعتقادات، أصله من سرقسطة، سكن مراكش وبها توفي سنة 520هـ (راجع : **التشوف**، ص. 105).

انتصبت للتعليم إلا لوجه الله تعالى. فإذا لقيني منكم أحد فلا يعرض لخدمتي بشيء فإني أخاف أن تفسدوا علي نيتي. وكان يمر بالأبواب فيجد النساء قد أخرجن الخبز لمن يحمله لهن إلى الفرن، فيحمله بنفسه لهن إلى الفرن.

وحدثني أحمد بن عيسى الأنصاري، حدثني علي البرزالي، خديم أبي عمرو، قال : استدعيت أبا عمرو إلى منزلي وصنعت له طعاما، فقدمت له طبق عنب فأخذ منه حبة ووضعها في فمه ساعة، ثم أخرجها وردها إلى الطبق، قلت له : كل، فأبى، فأقسمت عليه، فقال لي : لا تقسم؛ فلما رآني متغيرا، قال لي : من أين جاءك هذا العنب ؟ فقلت له : أهداه لي بعض إخواني، فقال لي : ما حرفته ؟ فقلت له : هو خمار يشتري العنب فيعصره ويبيعه مسكرا، لم سألتني عن هذا ؟ فقال لي : لما أخذت حبة من هذا العنب ووضعتها بين أسناني وجدتها أشد من الحجر فأخرجتها من فمي ورددتها إلى الطبق. انتهى كلام التادلي في أبي عمرو السلاجي، رحمه الله، ونفعنا به، آمين.

وبباب الفتوح روضة عند قوس الباب عن يسار الخارج [من المدينة](364) كانت بها شجرة عناب فقطعها سيد أحمد بن عمر البهلول الذي بباب الجيسة في آخر أمره، وبقيت خشبتها مطروحة هناك، ويقال إن صاحب الروضة المذكورة اسمه سعيد بن هبيرة، وأنه كان يحمل راية مولانا إدريس باني فاس، رضي الله عنهما.

* محمد بن إبراهيم بن عباد

ومنهم الشيخ الإمام، القدوة الهمام، الولي الكبير، العارف الخطير، أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم بن عبد الله من مالك بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النفزي نسبا، الشهير بابن عباد، الفقيه الصوفي الزاهد الولي العارف بالله تعالى.

قال الشيخ ابن الخطيب القسنطيني في كتابه «**أنس الفقير**» : هو الولي الخطيب الشهير، الصالح الكبير. وكان والده من الخطباء، الفصحاء النجباء، ولأبي عبد الله هذا عقل وسكون، وزهد بالصلاح مقرون. وكان يحضر معنا مجلس شيخنا

---

(364) في ك2 : من الباب القديمة.

* ترجمته أيضا في : **جذوة الإقتباس**، ص. 315 ؛ المقري، **نفح الطيب**، 341/5 ؛ **سلوة الأنفاس**، 133/2 ؛ **الإستقصا**، 84/4 ؛ **الفكر السامي**، 248/2.

الفقيه أبي عمران العبدوسي[365] رحمه الله، وهو من أكابر أصحاب ابن عاشر ومن خيار تلامذته، وله كلام عجيب في التصوف، وصنف فيه ما هو الآن يقرأ على الناس مع كتب التذكير. وله في ذلك قلم انفرد به وسلم له فيه بسببه. ومن تصانيفه العجيبة : شرح كتاب «**الحكم**» لابن عطاء الله في سفر رأيته، وعلى ظهر نسخة منه مكتوب :

لا يبلـــغ المرء في أوطانـــه شرفـــا حتى يكيل تراب الأرض بالقـدم[366]

ومن كلامه فيه : الِاستيناس بالناس من علامة الإفلاس. وفتح باب الأنس بالله تعالى، الِاستيحاش من الناس.

ومن كلامه فيه : من لازم الكون وبقي معه، وقصر همته عليه ولم تنفتح له طريق الغيوب الملكوتية ولا خلص بسره إلى قضاء مشاهدة الوحدانية، فهو مسجون بمحيطاته، ومحصور في هيكل ذاته، إلى غير ذلك من كلامه. وكان يحضر السماع ليلة المولد عند السلطان وهو لا يريد ذلك، وما رأيته قط في غير مجلس جالسا مع أحد، وإنما حظ من يراه الوقوف معه خاصة. وكنت إذا طلبته في الدعاء احمر وجهه واستحيا كثيرا، ثم يدعو إلي، وأكثر تمتعه من الدنيا بالطيب والبخور الكثير، ويتولى أمر خدمته بنفسه. ولم يتزوج، ولم يملك أمة، ولباسه في داره مرقعة، فإذا خرج سترها بثوب أخضر وأبيض؛ وله تلامذة كلهم أخيار مباركون. وبلغني عن بعضهم أنه تصدق، حين تاب على يده، بعشرة آلاف دينار ذهبا. وهو الآن إمام جامع القرويين بفاس وخطيبه؛ وأكثر قراءته في صلاة الجمعة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾[367] وأكثر خطبته وعظ، ومثله من يعظ الناس لأنه اتعظ في نفسه. وقد أوحى الله إلى عيسى عليه السلام : يا عيسى عظ نفسك، فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستح مني. ذكره الغزالي. وعهدي به أنه على صفة البدلاء الصادقين النبلاء، كثر الله مثله في الإسلام، انتهى كلام ابن الخطيب.

---

(365) موسى بن محمد بن معطي الشهير بالعبدوسي، عالم فاس ومفتيها، له تقييد على «**مدونة**» سحنون وتقييد على **رسالة** ابن أبي زيد، توفي بمكناس سنة 776هـ (راجع : **أنس الفقير**، ص. 25 ؛ **لقط الفرائد**، ص. 216 ؛ **وفيات الونشريسي**، ص. 127 ؛ **درة الحجال**، 5/3 ؛ **شجرة النور**، 235/1).

(366) من البسيط.

(367) الآية 1 من سورة **النصر**.

وقال سيدي أحمد زروق : ولد برندة، وبها نشأ في عفاف وصيانة، مولده سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، جمع القرآن وهو ابن سبع سنين، ثم رحل لفاس وتلمسان، فقرأ بهما الفقه والأصول والعربية، ثم عاد فصحب بمدينة سلا أفضل أهل زمانه علما وعبادة، سيدي أحمد بن عاشر(368) نفعنا الله به، فأظهر الله عليه من بركته ما لا يخفى على متأمل. ثم نقل بعد وفاة الشيخ، فجعل خطيبا بجامع القرويين من مدينة فاس وبقي بها خمس عشرة سنة خطيبا. فتوفاه الله تعالى بها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة رابع رجب سنة اثنين وتسعين وسبعمائة، ودفن بكدية البراطل من داخل باب الفتوح. وكان، رضي الله عنه، ذا صمت وسمت وتجمل وزهد، معظما عند الكافة، معولا في حل المشكلات على فتح الفتاح العليم.

ومن علمه أن ليس يدعى بعالم ومن فقره أن لا يرى يدعي الفقرا
ومن حاله أن عاب شاهد حاله فلا يدعي وصلا ولا يشتكي هجرا(369)

كذا رأيت بخط من أثق به(370) في تعريفه ونقلته باختصار مع زيادة ما تحققت. وكتبه شاهدة بكماله علما وعقلا، فهي كافية في تعريفه. وكان الذي طلبه في وضع الشرح على «**الحكم**» سيدي أبو زكرياء السراج الذي أكثر رسائله له، وسيدي أبو الربيع سليمان بن عمر، انتهى.

هكذا عرف به في شرحه الخامس عشر على «**الحكم**»، وزاد في شرحه السابع عشر عليها : هو سيدنا الشيخ الفقيه، العارف المحقق، الخطيب البليغ، نسيج وحده، ومقدم من أتى من بعده، أبو عبد الله محمد بن عباد. قرأ بفاس وتلمسان العربية والأصول والفقه: ككتاب «**الإرشاد**»، و«**مختصر**»ي ابن الحاجب الأصلي والفرعي

---

(368) أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري المعروف بابن عاشر الأندلسي، شيخ صوفي زاهد، أصله من شمينة بالأندلس، رحل منها إلى المغرب حيث أقام مدة بمدينة فاس ثم رحل منها لمدينة سلا، واستقر بها إلى وفاته سنة 765هـ (راجع : **جذوة الإقتباس**، ص. 153 ؛ **سلوة الأنفاس**، 138/2 ؛ **شجرة النور**، 233/1).

(369) من الطويل.

(370) طرة من ح : هو سيدي عيسى بن أحمد السراج.

و«**تسهيل**» ابن مالك. ومن مشايخه : الآبلي[371] والشريف التلمساني[372] والأستاذ المجاصي. وتوفي بفاس، وقبره بها مشهور، ومزيته معروفة شرقا وغربا. وقد كتب رسائل معروفة، أكثرها لسيدي يحيى السراج؛ وله كتب الشرح مع سيدي سليمان بن عمر الذي قال فيه : إنه ولي الله بلا شك بطلبهما لذلك. ورأيت كتابا في الإمامة سماه : «**تحقيق العلامة في أحكام الإمامة**»، فذكرته لشيخنا القوري، رحمه الله، وكان معتنيا بكتبه، معولا عليها في حاله، فقال : أظنه لوالده سيدي إبراهيم. وقد كان خطيبا بالقصبة إذ كانت عامرة، وله خطب عظيمة الفصاحة، حسنة الموقع، انتهى.

وسيدي سليمان الذي هو من أصحاب الشيخ ابن عباد وشهد له بالولاية والإيقان وصحة الحال، هو سيدي سليمان اليازغي، وكان يسكن بحومة العيون وينسب إليها، ولعل إسم والده عمر. وليس هو سيدي سليمان ولد سيدي يوسف بن عمر الأنفاسي، رحم الله جميعهم ورضي الله عنهم.

وقال الشيخ أبو يحيى بن السكاك[373] : أما شيخي وبركتي أبو عبد الله بن عباد، رضي الله عنه، فإنه شرح «**الحكم**» وعقد درر منثورها في نظم بديع؛ وجمعت من إنشائه رسائل مدارها على الإرشاد إلى البراءة من الحول والقوة فيها نبذ كأنفاس الأكابر مع حسن التصرف في طريق الشاذلي، وجودة تنزيله على الصور الجزئية، وبسط التعبير، مع إنهاء البيان إلى أقصى غاياته، والتفنن في تقريب الغامض إلى الأذهان بالأمثلة الوضعية، فقرب بها حقائق الشاذلية تقريبا لم يسبق إليه، كما قرب الإمام ابن رشد مذهب مالك تقريبا لم يسبق إليه. وكان مع ذلك آية في التحقق بالعبودية والبراءة من الحول والقوة وعدم المبالاة بالمدح والذم، بل له مقاصد نفيسة في الإعراض عن الخلق وعدم المبالاة بهم؛ وأعظم أحزانه التي لا يصبر عليها ويضطرب

(371) الفقيه محمد بن إبراهيم العبدري التلمساني الشهير بالآبلي، شيخ الجماعة بفاس، وعالم عصره بالفنون المعقولية، ولد بتلمسان سنة 681هـ وتوفي بفاس سنة 757هـ (راجع : **جذوة الإقتباس**، ص. 304 ؛ **درة الحجال**، 265/2 ؛ **لقط الفرائد**، ص. 208 ؛ **الفكر السامي**، 242/2).

(372) محمد بن أحمد العلويني، شارح الجمل للخونجي، ولد سنة 710هـ ونشأ بتلمسان، حيث أخذ العلم عن مشايخها ولازم منهم محمد الآبلي، توفي سنة 771هـ (راجع : **شرف الطالب**، ص. 84 ؛ **درة الحجال**، 269/2 ؛ أحمد بابا، **نيل الإبتهاج**، ص. 135 ؛ **شجرة النور**، 234/1 ؛ **الفكر السامي**، 246/2).

(373) الإمام المفسر، قاضي الجماعة بفاس، محمد بن أبي غالب بن علي المكناسي العياضي، عرف بابن السكاك، توفي عام 818هـ (راجع : **درة الحجال**، 284/2؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 238 ؛ **إتحاف أعلام الناس**، 588/3 ؛ **شجرة النور**، 251/1).

لها غاية الإِضطراب، أن يحضر حيث ينسى فيه الحق، لا سيما إن كان نسيان الحق بالنسبة إليه، فهو الذي يقلقه ويضيق صدره على اتساعه ووفور انشراحه عن ذلك. ولقد ذكر بعض من كان من أخص الناس به، ومنقطعا إليه، أحوال رجال «**الرسالة القشيرية**» و«**الحلية**»، وما منحوا من المواهب، قال : فلما مات الشيخ واستبصرت منه ما أشاهده من أفعال تدل على القطع بصديقيته، فلاح لي أن تلك الصفات التي يذكر فيها مشخصة فيه، نشاهدها عيانا. ولو لم أر الشيخ لقلت إني لم أر كالا. وعلى الجملة فهو واحد عصره بالغرب.

ذكر لي عن قطب المعقول بالغرب والشرق، الآبلي، أنه كان يشير إليه في حال قراءته عليه، أعني الشيخ ابن عباد، ويقول : إن هنالك علما جما لا يوجد عند مشاهير أهل ذلك الوقت. إلا أنه كان لا يتكلم، رضي الله عنه. وشهد له المقطوع بولايتهم بالتقدم، وأقروا له بالشيوخة والتبرك به، كسيدي سليمان اليازغي، وسيدي محمد المصمودي(374)، وسيدي سليمان بن يوسف بن عمر الأنفاسي، وأمثالهم. وكان شيخه الحجة الورع، أحمد بن عاشر يشيد بذكره، ويقدمه على سائر أصحابه ويأمرهم بالأخذ عنه والإِنتفاع به والتسليم له. ويقول : ابن عباد أمة واحدة [في رجل وحده](375)، ولا شك أنه كان كذلك، فإن العارف غريب الهمة بعيد القصد، لا يجد مساعدا على قصده. وكان الغالب عليه الحياء من الله تعالى والتنزل بين يدي عظمته، وتنزيله نفسه منزلة أقل الحشرات، لا يرى لنفسه مزية على مخلوق لما غلب عليه من هيبة الجلال، وعظمة الملك المتعال، وشهود المنة. نظار إلى جميع عباد الله بعين الرحمة والشفقة والنصيحة العامة، مع توفية المراتب حقها، والوقوف مع الحدود الشرعية، واعتبارهم من حيث مراد الله بهم. هذا دأبه مع الطائع والعاصي ما لم يظهر له من أحد مخايل حب التعظيم والمدح والتجبر على المساكين، ورؤية الحق والمزية عليهم واقتضاء خدمتهم؛ فالإصرار على هذا من المهالك التي يغلب فيها اليأس من الفلاح أدهى دعوى لا تليق بالعبد، ومن كانت هذه صفته فقد وصل حد الخذلان، بل هو علامة تقارب القطع، على أنه شقي، مسلم إلى غضب الله ومقته، أعاذنا الله تعالى

---

(374) الفقيه، قاضي فاس محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي ينتسب لمصمودة كتامة الواقعة بمنطقة الهبط. توفي بفاس سنة 885هـ (راجع : ترجمته في **جذوة الإقتباس**، ص. 241 ؛ **درة الحجال**، 137/2 ؛ **سلوة الأنفاس**، 190/2).

(375) زيادة في ك1.

منه. وكان من حال هذا السيد تألف قلوب الأولاد الصغار، فهم يحبونه محبة تفوق محبتهم لآبائهم وأمهاتهم فينتظرون خروجه للصلاة وهم عدد كثير يأتون من كل أوب ومن المكاتب البعيدة، فإذا رأوه ازدحموا على تقبيل يده. وكذا كان ملوك زمانه يزدحمون عليه ويتذللون بين يديه فلا يحفل بذلك.

وذكر لي بعض تلامذته أن أقواله لا تشابه أفعاله لما منحه الله تعالى من فنون الاستقامة مع ما في كلامه من النور والحلاوة التي استفزت ألباب المشارقة، بحيث صار لهم بحث عريض على تآليفه.

انتهى كلام ابن السكاك ملخصا، وجدته في بعض الجوامع بخزانة جامع الشرفاء(376) بمراكش المصونة.

قلت : وقد وقفت على «**رسائلـه الكبرى والصغرى**» وعلى شرح «**الحكم**» له وعلى نظمه أيضا في ثمانمائة بيت مرجزا.

انتهى من «**نيل الإبتهاج**» للشيخ أبي العباس أحمد بابا بن أحمد السوداني، رحمه الله تعالى.

وقال الشيخ زروق في شرحه الحادي عشر في شأن الشيخ ابن عباد : وكان ذا سمت وصمت وزهد وعفاف وتجمل، معظما عند الكافة، ليس في عصره قرين.

وحدثني من أثق بقوله : إن سيدي أبا عبد الله العكرمي(377) أحد مشاهير الفقهاء في وقته، كان يقول متى ما ذكره : سيد العارفين بالله في زمانه، ثم قال : له من التآليف التي رأيتها سبعة، أولها : «**رسائلـه الكبرى**»، وفيها من الفوائد ما لا يحصى، مع وفور أنوارها وعظيم أسرارها. ذكر لي بمصر أنها لما بلغت سيدي أبا عبد الله البلالي صاحب «**اختصار الأحياء**» وغيره، جعلها على رأسه وصار يقول : أنا عبد لابن عباد، رضي الله عنهما. الثاني : «**رسائلـه الصغرى**»، وهي أوفر علما وأوضح، وإن كانت «**الكبرى**» أعظم نورا وإفادة. الثالث : **الخطب** المعلومة في

(376) أنشأه الغالب بالله بحومة المواسين من مراكش سنة 970هـ (راجع : **الإستقصا**، 39/5 ؛ **الحركة الفكرية**، ص. 376).

(377) أبو عبد الله محمد العكرمي، أحد فقهاء مدينة فاس وأحد شيوخ الإمام بن غازي، ولد بمكناسة سنة 804هـ وتوفي سنة 842هـ (راجع : **درة الحجال**، 287/2 ؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 239 ؛ **سلوة الأنفاس**، 122/2).

المواسم، والقصد بها : تنبيه الغفلة وإفادة العوام اتباعا لأبي طالب وأبي حامد، رحمهما الله، وإلا ففي الرسائل ما يدل على نقيض ذلك. الرابع : كتاب «**تحقيق العلامة في أحكام الإمامة**» رأيته بخطه، سفر ضخم جمع فيه ما يحتاجه الإمام، فذكرته لشيخنا القوري، رحمه الله، فقال : أظنه لأبيه. الخامس : «**الأدعية**» المرتبة على الأسماء الحسنى، وأظنها والله أعلم رسالة من «**الصغرى**»، وقد رأيتها ملحقة بها في بعض النسخ. السادس : «**ترجيز الحكم**» في ثمانمائة بيت وبيت نبه فيه على بعض معانيه باختصار، وهو مقيد في بابه. السابع : «**التنبيه**»، المعروف بالشرح، والذي أقول فيه : بستان الفن وخزانة أحكامه، وجامع لبه، لا يكفي غيره عنه، ويكفي هو عن غيره. انتهى الغرض منه.

وقال بعض من عرف بالشيخ ابن عباد، رضي الله عنه، أيضا في شأنه : هو الشيخ الفقيه الخطيب البليغ، الخاشع الخاشي، الإمام العالم، المصنف السالك، العارف المحقق الرباني، ذو العلوم الباهرة، والمحاسن الظاهرة، سليل الخطباء، ونتيجة العلماء، أبو عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه، الواعظ الخطيب البليغ، العلم الحظي الوجيه، الحسيب الأصيل، أبي إسحاق إبراهيم بن عباد؛ ثم قال : كان، رحمه الله، حسن السمت، طويل الصمت، كثير الوقار والحياء، جميل اللقاء، حسن الخلق والخلق، عالي الهمة، متواضعا معظما عند الخاصة والعامة، ونشأ ببلد رندة على أكمل طهارة وعفاف وصيانة، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ثم تشاغل بعد ذلك بطلب العلوم النحوية والأدبية والأصولية والفروعية حتى رأس فيها، وحصل معانيها، ثم أخذ في سلوك طريق الصوفية والمباحثة عن الأسرار الإلاهية حتى صار يشار إليه في ذلك ويدل فيه عليه، وتكلم في علوم الأحوال والمقامات وما يدخلها من العلل والآفات، وألف في ذلك التآليف العجيبة والتصانيف البديعة، وله أجوبة كثيرة في مسائل من العلوم حتى جمعت منها نحو مجلدين، ودرس كتبا كثيرة، وحفظها، أو جلها : كـ«**الشهاب**» للقاضي أبي عبد الله القضاعي، و«**الرسالة**» لأبي محمد بن أبي زيد، وكتابي الإمام أبي عمرو بن الحاجب، وكتاب «**التسهيل**» لأبي عبد الله بن مالك، و«**مقامات الحريري**»، وكتاب «**الفصيح**» لأبي العباس ثعلب، وغير ذلك. وأما كتب القوم فكتاب أبي طالب المكي(378).

---

(378) المقصود به كتاب «**قوت القلوب**».

وأخذ رحمه الله برندة عن والده؛ قرأ عليه القرآن العظيم وغيره، وعن خاله الشيخ الفقيه القاضي أبي عبد الله القريشي[379] قرأ عليه القرآن والعربية وغير ذلك، وعن الشيخ الفقيه الخطيب أبي الحسن علي بن أبي الحسن الرندي، وقرأ عليه القرآن بحرف نافع[380] بروايتيه المشهورتين عنه من طريق الحافظ أبي عمرو الداني[381] وعرض وأخذ بتلمسان عن الشيخ السيد الشريف الإمام العالم، العلامة المحقق، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي الحسني التلمساني «**الجمل**» للخونجي تفهما، وغير ذلك. وأخذ عنه بمدينة فاس أيضا وعن الشيخ الفقيه القاضي العالم أبي عبد الله المقري «**فصيح**» ثعلب تفقها، وعن الشيخ الإمام أبي عبد الله الآبلي «**جميع الإرشاد**» لأبي المعالي، و«**جميع** ابن الحاجب **الأصلي**»، و«**جميع عقيدة**» ابن الحاجب؛ وتفقه في ذلك كله عليه وفي غيره، وعن الشيخ الفقيه الحافظ أبي الحسن علي الصرصري[382] بعض مختصر «**المدونة**» للبراذغي تفقها، وعن الشيخ المقرئ الصالح أبي العباس أحمد بن عبد الرحمان المجاصي الشهير بالمكناسي[383]، قرأ عليه **القرآن العظيم** بحرف نافع، وتفقه عليه في كثير من **الجمل** لأبي القاسم الزجاجي، وفي كتاب «**التسهيل**» لابن مالك وغير ذلك. وعن الشيخ الفقيه الصالح المقرئ بجامع القرويين أبي مهدي عيسى بن علال المصمودي، **جميع** كتابي الإمام أبي عمرو بن الحاجب و«**الحاجبية**» تفقها في الجميع، وعن الشيخ الفقيه العالم أبي محمد عبد الله

---

(379) محمد بن محمد بن أحمد القريشي المعروف بالمقري، قاضي الجماعة بفاس وتلمسان، له مشاركة في الأصلين والجدل والمنطق واهتمام بعلوم مختلفة. اشتغل مدرسا بالمدرسة البوعنانية بفاس بتكليف من السلطان المريني أبي عنان، توفي حوالي سنة 759هـبفاس ومنها نقل جثمانه إلى تلمسان حيث دفن (راجع **جذوة الإقتباس**، ص. 298 ؛ **الإستقصا**، 207/3 ؛ **جامع القرويين**، 493/2).

(380) انتقلت قراءة نافع بن أبي نعيم من المشرق إلى المغرب على يد محمد بن خيرون الأندلسي القيرواني. رحل إلى المشرق في صدر المائة الرابعة فأخذ عن علمائه وقرائه وعاد بقراءة نافع لإفريقية. وكان الغالب على أهلها القراءة بحرف حمزة، فشاع حرف نافع من يومئذ في أقطار المغرب بعد أن كان لا يقرأه إلا الخواص (راجع : **الإستقصا**، 139/1).

(381) عثمان بن سعيد الداني أحد الأئمة في علم القراءات وروايته وتفسيره. توفي بدانية بالأندلس سنة 443هـ (راجع : **شرف الطالب**، ص. 55 ؛ **فهرس ابن غازي**، ص. 40 ؛ **الحركة الفكرية**، ص. 66).

(382) علي بن أحمد، دفين مدشر المغاص بجبل صرصر من بلاد مصمودة، شيخ صوفي أخذ عن يوسف الفاسي وكانت له زاوية وأتباع، توفي حوالي سنة 1030هـ (راجع : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 23 ؛ **صفوة من انتشر**، ص. 103 ؛ **التقاط الدرر**، 78/1 ؛ **نشر المثاني**، 237/1).

(383) الأستاذ المقرئ، كان فقيها وأديبا ونحويا (راجع : **إتحاف أعلام الناس**، 345/1).

الوانغلي[384]، قرأ عليه القرآن العظيم بقراءة نافع وتفقه عليه في كثير من ابن الحاجب الفقهي وغير ذلك، وعن قاضي الجماعة وخطيب الحضرة أبي عبد الله محمد[385] بن أحمد الفشتالي حظا وافرا من مختصر «**المدونة**» للبراذعي تفقها، وعن الشيخ الفقيه الصالح المدرس بمدرسة الحلفاويين[386] أبي محمد الفشتالي[387] حظا وافرا من مختصر **المدونة**، وعن الأستاذ الحافظ أبي عبد الله المجكسي[388]، قرأ عليه العربية وحضر فيها عن الأستاذ الماشادي وغيرهم، رحم الله جميعهم. ولقي بمدينة سلا، حرسها الله تعالى، الشيخ الصالح السني الزاهد الورع، أبا العباس أحمد بن عمر بن عاشر، رحمه الله، وأقام بها معه ومع أصحابه سنين.

قال، رحمه الله تعالى : قصدتهم لوجدان السلامة معهم. ثم رحل إلى مدينة طنجة أعادها الله للإسلام[389] فلقي بها الشيخ الصوفي المحقق، أبا مروان عبد الملك[390] (...)[391]. لازمته كثيرا وقرأت عليه وسمعت منه وأنشدني من شعره ومن شعر غيره، وترددت بيني وبينه أيام كونه مقيما بسلا، وانتفعت به منفعة عظيمة في الطريقة الصوفية وغيرها والحمد لله، وأجازني إجازة عامة في جميع ما صدر عنه من تأليف وتقييد ونظم ونثر وكتب لي بذلك خطه، رحمه الله تعالى ورضي عنه، انتهى.

(384) الفقيه المفتي القاضي بمدينة فاس، انفرد في وقته بمعرفة كتابي ابن الحاجب، توفي عام 779هـ (ترجمته في : **شرف الطالب**، ص. 85 ؛ **وفيات الونشريسي**، ص. 128 ؛ **درة الحجال**، 52/3 ؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 424 ؛ **سلوة الأنفاس**، 301/3).

(385) الفقيه محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي، قدمه السلطان أبو عنان للقضاء بفاس وتردد إلى الأندلس في سبيل السفارة عنه، له تآليف وكلام في الدعاء بعد الصلوات توفي سنة 777هـ (راجع : **جذوة الإقتباس**، ص. 234؛ **درة الحجال**، 270/2؛ **الإستقصا**، 207/3؛ **شجرة النور**، 235/1).

(386) أسسها أبو يوسف يعقوب المريني، حوالي سنة 675هـ، فسميت بالمدرسة اليعقوبية وأصبحت تعرف فيما بعد بمدرسة الصفارين (راجع : **زهرة الآس**، ص. 81؛ **فاس قبل الحماية**، 105/1 ؛ **جامع القرويين**، 357/2).

(387) ذكر الكتاني في **السلوة**، 45/2، شخصا يحمل اسم أبو محمد عبد الله الفشتالي وذكر أن السراج عده في **فهرسه** من شيوخ ابن عباد وأنه كان يحضر مجلس شيخه عبد الرحمان الجزولي (ت 741هـ) ونفى الكتاني أن يكون شيخا لابن عباد أو تلميذا للجزولي.

(388) لعله أبو يوسف يعقوب القصري المجكسي العارف بالقراءات السبع، والمدرس بمسجد القفال، توفي عام 812هـ (راجع ترجمته عند محمد بن تاويت : **تاريخ سبتة**، ص. 162).

(389) استولى البرتغاليون على طنجة سنة 869هـ واستمرت بأيديهم أكثر من 205 سنة ثم بذلوها لملك الإنجليز سنة 1074هـ على سبيل المهاداة والصهر الذي انعقد بينهما (راجع : **الإستقصا**، 95/4).

(390) لعله الوهاسي دفين بلاد الرمل من حوز سلا (انظر : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 28).

(391) بياض في جميع النسخ، وأشار الناسخ في ك1 إلى أنه بياض الأصل.

وطريقته، رضي الله عنه ونفعنا به، شاذلية، صرح بذلك تلميذه الشيخ أبو عبد الله السكاك، رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به في الدارين، آمين يا رب العالمين.

* يخلف بن خزر الأوربي

ومنهم الشيخ أبو خزر يخلف بن خزر الأوربي[392] دفين خارج باب الفتوح.

قال الشيخ أبو عبد الله التميمي في «**المستفاد**» : كان خيرا فاضلا تقيا صواما قواما متواضعا منقطع القرين في عصره، منفردا عن النظير في عصره[393]، الغالب عليه الفقه في المسائل، صاحب كرامات، مشتغلا بوقته لا يعرف ما الناس فيه.

أخبرني الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن خزر وهو ابن أخيه، قال : كان يوما على باب منزله، إذ مر عليه بعض جيرانه بقلة من شراب مسكر، فقال له : ما هذه القلة ؟ أسمن هي ؟ فقال : نعم، فقال : بارك الله لك فيها. قال الرجل : فأقامت عندي مدة حتى شممتها فأرقتها.

وأخبرني أبو العباس أحمد المذكور أنه جاء للشيخ ضيف، قال : فبعثني وأعطاني قطعة وقال لي : اشتر لي بها لحما لعشاء الضيف، قال : فاشتريت له ذلك، فلما وصلت به إليه قال لي : هذا الضيف ممن يحب اللبن، فقلت له : ما هذا وقت اللبن، وكان في غير وقت اللبن، قال : فانصرفت عنه؛ فلما كان العشاء، دخلت عليه في البيت، فوجدت عنده إناء كبيرا ملئان لبنا بعث به إليه من غير طلب ولا تعرض. وما كان ذلك إلا كرامة أكرم الله بها هذا الشيخ.

وقال لي أبو العباس المذكور : وكان من عادة الشيخ إذا خرج من المسجد الجامع، وتوارى عن الماشي خلفه بحائط [أورابغة][394] لا يقدر على أن يدركه إلا في

---

* ترجمته أيضا في : **التشوف**، ص. 177؛ **القرطاس**، ص. 268 وفيه ورد أنه توفي سنة 578هـ وهو خطأ اعتمادا على ما ورد في مصادر ترجمته، (**الآلئ السندسية**، ص. 133؛ **الإستقصا**، 189/2؛ **سلوة الأنفاس**، 49/3).

(392) من بيت بني الأوربيين، وأصلهم من قبيلة أوربة البربرية، كان مقر سلف صاحب الترجمة بجبل زرهون ومنه انتقلوا إلى فاس حيث بيتهم بيت علم وثروة (راجع : **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس**، ص. 42، وفيه ورد أن قبره يوجد داخل باب الفتوح).

(393) ك2 : مصره.

(394) بياض في ح وسقط من ك1 وك2.

موضع مستقره، ولو جرى خلفه، وكان الشيخ لا يزيد على عادته في المشي.

أخبرني الفقيه أبو عبد الله صديقنا عمن حدثه من الثقات : أن الشيخ رحمه الله، كان يحرث ببلده بزوج، فإذا كان وقت دفع الخراج الذي على الأرض يقول أهل بلده بعضهم لبعض : تخرج زوج الشيخ من الزمام، فيقول لهم : لا تفعلوا ذلك، لأنكم إذا أسقطتموها عني رجعت على الباقي من الحرّاثين، فهذا لا يمكنني فعله، ولو سقطت من الأصل ولا يرجع بكرائها على أحد، لقبلت منكم. فوصل ذلك للناظر في أمر الخراج، فأخذ له ظهيرا ممن له الأمر بإسقاط ذلك عنه، ولا يرجع بما ينوبه على أحد، فرضي بذلك، رحمه الله. هذا كلام الشيخ التميمي، رحمه الله، تعالى.

وقد عرف به أيضا الشيخ التادلي، رحمه الله، فقال: كان عبدا صالحا حافظا للمسائل، ورعا متواضعا مجاب الدعوة. حدثني أبو إسحاق إبراهيم ابن أبي بكر عن أبي العباس أحمد بن معتمر : أن رجلا جاء إلى أبي الحسن بن حرزهم فقال له : رأيت في النوم شمعتين، إحداهما بعدوة الأندلسيين، والأخرى بعدوة القرويين. فقال له أبو الحسن : وكانت التي بعدوة الأندلسيين أكثر ضوءا؟ فقال له : نعم، فقال له أبو الحسن : هذه الرؤيا مفسرة، أبو خزر هو الشمعة التي كانت بعدوة الأندلسيين، وأنا التي رأيت بعدوة القرويين، وقل ضوءها لما أنا عليه من المزاح مع الناس.

حدثني محمد بن الحسن قال : حدثني أحمد بن محمد البكري(395) قال : كنت بفاس أروي الحديث عن أبي عبد الله بن الرمامة(396)، والفقه على أبي خزر، فرأيت أني أخذت على كل واحد منهما ما يكفيني، فقلت : أنظر على أبي عمرو الأصولي علم الكلام، فاشتريت كتاب «**الإرشاد**» لأبي المعالي(397) وصليت الصبح بالجامع، ومررت إلى أبي عمرو، فلقيني شخص طويل في الظلام وعليه ثياب بيض وأخذ بيدي وقال : رد هذا الكتاب إلى صاحبه، وعد إلى ما كنت بسبيله.

(395) سكن مدينة سلا وولي بها القضاء وبمدينة مكناسة، توفي سنة 611هـ (راجع : **التكملة**، 105/1؛ **الإعلام**، 125/2).

(396) محمد بن علي القلعي (نسبة لقلعة بني حماد) ويعرف بابن الرمامة، ولد سنة 478هـ، ذكر عنه أنه كان متضلعا في مذهبي مالك والشافعي؛ واشتغل قاضيا ومفتيا بمدينة فاس. توفي سنة 567هـ (راجع : **سلوة الأنفاس**، 120/2).

(397) عبد الملك بن عبد الله الجويني الملقب بإمام الحرمين، من أعلم متأخري الشافعية، ولد سنة 419هـ جاور بمكة والمدينة وأفتى ودرس بالمدينة، توفي بنيسابور سنة 478هـ (راجع عنه : **طبقات الشافعية**؛ **الأعلام**، 306/4).

فرددت كتاب «**الإرشاد**» إلى صاحبه وعدت إلى رواية الحديث على ابن الرمامة، ودرس الفقه على أبي خزر، رحمه الله، ونفعنا به وبأمثاله، آمين.

هذا آخر كلام التادلي فيه، ولم يذكر تاريخ وفاته لا هو ولا التميمي. [توفي عام اثنتين وسبعين وخمسمائة.

ومما يروى من بركته أنه قعد بموضع عين أبي خزر(398) من مدينة فاس وليس هناك ماء، فاستقى ماء لوضوئه فلم يجده، فركز عكازه بالأرض وجذبه فخرجت هناك عين عذبة سميت بكنيته](399).

* عبد الرحمان بن عبد الكريم الهزميري

ومنهم الشيخ أبو زيد عبد الرحمان الهزميري دفين روضة الأنوار داخل باب الفتوح.

قال فيه بعض تلامذته : هو الشيخ العارف، الصديق المكاشف، أبو زيد عبد الرحمان ابن الشيخ الفاضل، الصالح الناسك، الجملة الفاضلة، أبي محمد عبد الكريم بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الله الهزميري، انتهى.

وقال الشيخ أبو العباس بن الخطيب القسنطيني في «**أنس الفقير**»: أدركت كثيرا ممن أدركه. أخبرني بعض شيوخ عدول مراكش أنه رآه على ظهر بهيمة وهو على جنبه وقد شد عليها بشريط لضعفه وكبر سنه، والناس يتزاحمون عليه، ويمسحون وجوههم بطرف ثوبه، ويجذبه كل واحد منهم إليه والخديم يقود به.

وكان أعجوبة زمانه، يتحدث دائما على ما في ضمائر الناس، ولا يعين أحدا بالفضيحة ويقول : مثل رجل فعل كذا في موضع كذا. وأخبرت أن شيخ أشياخنا في المعالم السماوية والمسائل الحسابية، الشيخ الإمام الصالح أبو العباس أحمد بن محمد بن البنا المراكشي(400)، وكانت وفاته في عام إحدى وعشرين وسبعمائة، أنه ما زال

---

(398) تقع هذه العين بحومة روس الرحى، وكان ماؤها يصل إلى زاوية سيدي عبد القادر الفاسي بمدخل حومة القلقليين (راجع : **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس**، ص. 42؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 561).

(399) زيادة في م.

ترجمته أيضا في : **لقط الفرائد**، ص. 166؛ أحمد بَبَ السوداني، **كفاية المحتاج**، ص. 214؛ **سلوة الأنفاس**، 52/2؛ **الإعلام**، 92/8.

(400) العالم الرياضي محمد بن عثمان الأزدي العدوي المعروف بابن البناء المراكشي، كان والده بناءً فنسب لهذه =

يقصده في حل المسائل العلمية التي تشكل عليه من هندسة وغيرها، قال : وما زلت أمضي إليه فأجد الزحام، فنسمع جوابي من طرف الحلقة وننصرف من غير سؤال.

حدثني غير واحد ممن لقيت من الأعلام أن انتفاع ابن البنا في علومه ومنزلته الدينية والدنياوية إنما كان من بركة الهزميري لأنه بلغ في دينه النهاية، وفي دنياه الغاية.

حدثني قاضي الجماعة بمراكش الشيخ الفاضل المتخلق، الحافظ لسير رسول الله، ﷺ، أبو زيد سيدي عبد الرحمان القيسي(401)، ويعرف بطالب عافية، أنه أراد أن يقرأ عليه علم العروض، قال لي : ولا دريت هل له معرفة به أم لا، وفكرت في نفسي كيف يكون سؤالي عن ذلك، فدخلت عليه وهو في حلقة العلم وأنا في قلق من ذلك، فجلست، فسمعته وقد رفع صوته وهو يقول : مثل ما يقول العروضيون كذا، وتكلم في علم العروض، فقلت : إنه معي. وما زال، رحمه الله، يحدثني بهذه الحكاية وتدمع عيناه في انتهائها. وكان يقول : نشفع في كل شيء إلا الموت. وقد تنازع فقهاء مراكش في الحوض والصراط أيهما يسبق، فجاء أحدهم إلى الشيخ أبي زيد، قال : فلما سألته نظر إلى السماء واتسعت عيناه اتساعا عظيما ثم قال : الجسر، الميزان، الحوض، ويشير بأصبعه إلى السماء، فأعلمت بعض الفقهاء بذلك، فبكى وقال لي : ليس الخبر كالمعاينة. وكانت له أحوال عجيبة.

قال بعض الصالحين : ما أظن أن أحدا يكون بعده مثله في طريقه وعجائبه. وسبب ذهابه من بلده أغمات(402) لقضاء حاجة من أمير المسلمين أبي يعقوب بن أبي يوسف، وهو في حصاره العظيم لتلمسان(403) مدة سبع سنين، في ظاهر أمره، وفي الباطن نيته أن يصرفه عن ذلك الحصار ويكفه عما انتهى إليه المحاصرون من

= الحرفة، ولد سنة 654هـ وتلقى تعليمه على يد علماء من مراكش وفاس في مسائل مختلفة، وقيل في وفاته أيضا أنها كانت حوالي سنة 726هـ (راجع ترجمته في : **جذوة الإقتباس**، ص. 148؛ **الأعلام**، 213/1؛ **شجرة النور**، 216/1؛ **الفكر السامي**، 238/2).

(401) عبد الرحمان بن علي القيسي ذكره المراكشي في **الإعلام**، ج 8، ص. 104.

(402) تحدث صاحب كتاب **الإستبصار** (ص. 207)، عن مدينتين تحمل كل منهما اسم أغمات، الأولى تدعى أغمات وريكة، والثانية تدعى أغمات هيلانة، وذكر أن الأولى كانت تبعد عن الثانية بثمانية أميال وكانت مقرا للأعيان ومحطة للتجار لأنها كانت دار التجهز للصحراء (راجع أيضا : **وصف إفريقيا**، 107/1).

(403) تم هذا الحصار سنة 698هـ بسبب العداوة التي كانت قائمة بين بني مرين وبني عبد الواد والتي نتج عنها اندلاع الصراع بين الجانبين وكان من عواقبه أن عاشت المدينة فترة من القهر والجوع، ولم يفرج عنها إلا بوفاة أبي يعقوب المذكور سنة 706هـ (راجع : **الإستقصا**، 79/3).

الشدة؛ لأنه بلغ ثمن الدجاجة عشرة دنانير ذهبا للقوت لا للدواء، وللفأر ثمن معتبر لا أذكره الآن، فلم يقبل منه، فرجع إلى فاس ونزل بجامع الصابرين[404]، وهو موضع مبارك يأوي إليه أهل الفضل والصلاح، فبعد أيام قتل السلطان أبو يعقوب، فقال له خديمه ظنا منه أنه ما قام إلا ليرغب الله في الفرج : مات السلطان أبو يعقوب ففرج الله عن تلمسان، فباسم الله نأخذ في الحركة، فقال له : وعبد الرحمان يمّوت، بتشديد الميم، يعني بعبد الرحمان نفسه؛ فمات بعد أيام يسيرة، ودفن هنالك، رحمه الله.

وكانت وفاة الشيخ أبي زيد الهزميري، نفع الله به، في حدود سنة ست وسبعمائة. والدعاء عند قبره مستجاب، وإلى الوسيلة بقبره يلجأ من حدث به كرب هنالك. وسميت روضة الأنوار لأنها جمعت من أولياء الله كثيرا، وهو في وسطهم.

هذا الذي ذكر ابن الخطيب في شأنه، رضي الله عنه، قال : وقد ألف بعض فقهاء مراكش، وهو الفقيه المقرئ، أبو عبد الله بن تيجلات[405]، رحمه الله، كتابا حسنا في فضله وفي فضل أبي عبد الله أخيه، وإسم التأليف المذكور : «**إثمد العينين في مناقب الأخوين**». وقد ذكر فيه مؤلفه لسيدي أبي زيد كرامات عديدة ومآثر حميدة. قال فيه : حدثني الشيخ الأجل المنقطع إلى الله تعالى، أبو عبد الله السلاوي رحمه الله، قال : حدثني شيخي العالم العلم القدوة، أبو العباس الشهير بابن البنا قال : كنت إذا أشكل علي شيء ركبت دابتي وانصرفت إلى أغمات وريكة فأجتمع بسيدي أبي زيد، فيشرح لي ما انبهم علي من المسائل، ثم أعود إلى منزلي. ولقد كنت أسير إليه بعض الأحيان فأجد الناس قد أحدقوا به، فلا أجد كيف أجتمع به، فأقعد خلف السارية التي كان يستند إليها، فيتكلم على المسائل التي جئت أستفتيه فيها مسألة بعد مسألة، حتى يأتي عن آخر المسائل، فأخرج وأركب دابتي وأرجع إلى مراكش من يومي.

---

(404) يوجد برأس القليعة، قيل إنه كان في الأصل مدرسة مرابطية عرفت بمدرسة الصابرين. ويوجد مكانه اليوم روضة أبي زيد الهزميري (راجع : **جامع القرويين**، 684/3).

(405) محمد بن عبد الله المراكشي، المعروف بابن تيجلات الأغماتي، كان حيا بعد سنة 720هـ وتوفي بأغمات (راجع : **أنس الفقير**، ص. 69؛ **الإعلام**، 291/8؛ **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، 180/1).

وحدثني الفقيه العدل الأرضى، أبو الفضل، الشهير بالبحيري، قال : حدثني أبي، رحمه الله، قال : سمعت عن الشيخ أبي زيد، رحمه الله، من الكرامات ما وقع عندي موقع العيان، فقلت : إن كان وليا كما يزعم الناس، فالولي لله لا يكون إلا عالما ولا يكون جاهلا. فانتقيت سبع عشرة مسألة من الأصول والفقه والفرائض وغير ذلك، وقلت أختبره بها، فإن أجاب عنها فهو ولي كما زعموا. فسرت من أزمور إلى مراكش، ونزلت على الشيخ الأجل الفقيه أبي العباس، الشهير بابن البنا، فتذاكرنا أمره، فبث لي من حاله ما أزال عني اللبس. ثم إني طلبت من أبي العباس أن يرافقني إلى زيارته فأجابني إلى ذلك، فسرنا إلى أغمات، ودخلنا المسجد وصلينا، فكانت صلاة أبي العباس أخف من صلاتي، فرأيته حين صلى قعد بين يديه قعود المتعلم بين يدي الأستاذ، فلم أشك أنه هو الرجل؛ وقد كنت حين عولت على المسير إليه، سقطت مني خرقة فيها خمسة دنانير من الذهب بأزمور[406]، فلما جلست بين يديه وسلمت عليه، فأول ما قال : واعجبا ! يكون الإنسان فقيها يعلم ما له وما عليه ويأثم بسبب جماعة، يغير المرأة والأولاد، ويضرب الخادم وهم برءاء، ولا يعلم أن هذا الجرد، يعني الفأر، جر هذه الخرقة وأدخلها في جحره، ولو طلع هذا المذكور إلى الغرفة ونظر عن يمينه، أو قال عن شماله، لرأى طرفها يظهر من الجحر. ثم قال : واعجبا كل العجب لهذين الجحرين الذي كل من رآهما أحبهما ! ويأخذ هذا الإنسان سبع عشرة مسألة ويقول أختبر بها عبد الرحمان، فإن كان عالما بها فهو ولي؛ لكن يحسن الله عون عبد الرحمان عليها. أما مسائل الأصول فقال فلان كذا، وقال فلان كذا، وأما مسائل الفقه، فقال فلان كذا، وقال فلان كذا، والأوجه ما قال فلان. فما زال يذكر المسائل واحدة بعد واحدة حتى أتى عن آخر المسائل كلها.

وحدثني أستاذي أبو عمرو بن ميمون المدعو بعياد، قدس الله روحه، قال : تاقت نفسي إلى زيارة سيدي أبي زيد، فقلت لبعض الأصحاب : تعالوا بنا نزور الشيخ، فقالوا كلهم : إن لنا غرضا في الفرجة بأغمات، فسرنا ودخلنا المدينة عند الزوال، فدخلوا المسجد وكان ذلك زمن الصيف، وتوسد كل واحد منهم حصيرا في الصحن، وخرجت أنا إلى قبر الشيخ، يعني أبا عبد الله، فقرأت ما تيسر ودعوت الله

---

(406) أصل الكلمة أمازيغي، ومعناها زيتونة برية، وهي مدينة عتيقة على ساحل البحر الأطلنتي استولى عليها البرتغاليون سنة 919هـ، وتخلوا عنها سنة 948هـ، وقد اشتهرت بنشاطها العلمي والديني والتجاري، وأنجبت عددا من العلماء والصلحاء وتحتضن اليوم أضرحة عدد منهم.

وانصرفت، فوجدت أصحابي نياما كما تركتهم، فأيقظتهم وتوضؤوا وصلينا الظهر ونظرنا الشيخ فلم نجده. فرجعوا إلى نومهم، وخرجت أيضا إلى التربة فأقمت بها إلى العصر، ثم أتيت المسجد أيضا فأيقظتهم، فقاموا وتوضؤوا وصلينا العصر ونظرنا الشيخ فلم نجده، وكنا ندور بالسارية من أربعة أوجه، وبحثنا عنه بحثا حثيثا فلم نستطع أن نجده، فلما يئسنا من طلبه قال بعضهم : نقيم هاهنا غدا نلقاه، فقلت في نفسي، لا يمكنني القعود غداً هاهنا فإني مطلوب بوظيفتين : وظيفة الحضار، ووظيفة الإمامة، فقالوا : سر معنا نتفرج هذه العشية في المدينة وندخل غدا إن شاء الله تعالى، فقلت لهم : إنما أتيت برسم زيارة هذا الشيخ ولم آت برسم الفرجة. فخرجوا من المسجد من أحد الأبواب الشرقية وأنا أنظر إليهم واحدا بعد واحد، فآخر ثوب توارى عني منهم التفت، فإذا الشيخ مستندا إلى السارية التي تقابلني وهو ينظر إلي ويضحك، فقمت وسلمت عليه، فرحب بي وسألني عن الأهل والقرابة، ورأيت منه قبولا وبشاشة لم أرها منه قبل ذلك، وأنا في أثناء ذلك كله أنظر إلى الباب الذي خرج منه أصحابي وأقول في نفسي : يا ليتهم يعلمون أني قاعد بين يدي هذا الشيخ ! فلما رأى آلتفاتي إلى الباب المرة بعد المرة جذب ثوبي وقال لي : أين عقلك؟ فقلت : حاضر يا سيدي، ثم قال : إنما مثلك كمثل رجل له صاحب وهو من جلة أصحابه فقال له : إني أريد أن أقيم عرسا تكون يدي ويدك فيه واحدة، غير أني اشترطت عليك شرطا واحدا، والشرط أن لا تدعو لهذا العرس طفيليا. فقال له صاحبه : نعم. فلم يكن عاجزا ولا بطيا قبل أن عرض على جملة من الطفيليين، فلما شعر صاحب العرس بذلك أوقف على الباب بوابا وقال له : لا تدخل علي إلا من عرضته من أصحابي، وإياك وإياك والطفيليين، فإذا بصاحبه لم يترك طفيليا إلا عرضه، فتقدم هذا المذكور بهم وقرع الباب فقال البواب : من أنت؟ قال : فلان الفلاني، قال : وهؤلاء الذين معك؟ قال : أصحابي، قال إرجع أنت وأصحابك. فلما رأوا أن الباب أغلق في وجوههم وتوقف هذا، قال أصحابه : سر معنا، فقال لهم : إني أريد منكم التسليم حتى أجتمع بصاحب هذا العرس، فقالوا : قد سلمنا، وانصرفوا، فلما رأى البواب انصرافهم ولم يبق إلا هذا المذكور قال له : أدخل الآن أنت، فدخل، فلقيه صاحب العرس بالرحب والإكرام، وأقعده مقعدا يليق به، وأحضر بين يديه الطعام، فلما رأى الطعام تنغص من أصحابه إذ لم يأكلوا معه وخاطره متعلق بهم، وأكل الرفيق عن الرفيق حرام. فما كانت تصلح حال هذا الشخص إلا لو أكل مع أصحابه. فما استتم والله هذا الكلام إلا وأصحابه عن

آخرهم قد دخلوا من الباب الذي كانوا قد خرجوا منه، ولم يكن بين خروجهم إلا بخلال ما تكلم بهذا الكلام. فلما رأوه أسرعوا وسلموا عليه، فجعل يحدثهم ويباسطهم؛ وأما أنا فكساني حالٍ عظيم. فما زال يحدثهم حتى أذن المؤذنون لصلاة المغرب، فالتفت إلي وقال لي : عش ما شئت فإنك ميت.

قال مؤلف «**إثمد العينين**»، رحمه الله : زرت الشيخ، يعني، سيدي أبا زيد بأغمات أنا ووالدي، رحمه الله وكافة المسلمين، وأنا إذ ذاك شاب حدث، فصلينا الظهر معه بجامع واطاس[407]، وقعدنا بين يديه وسلمنا عليه فجعل يقول لنا : كيف حالكما؟ فنقول : في عافية، فقلنا له : وأنت يا سيدي كيف حالك؟ فقال : حال من يرى وجوه أهل الجنة، ففرحت بقوله وقلت في نفسي : هذا الرجل على جلالة قدره يشهد أنا من أهل الجنة، اللهم صدق قوله، فنظر إلينا وقال : نعم، أنتما من أهل الجنة، ثم نظر إلى أبيه وقال له : ولدك هذا؟ قال : نعم، قال له : أيقرأ شيئا؟ قال : نعم، قال : زاده الله من فضله. فأخذ الشيخ يحقق نظره فيّ، فاستحييت وأطرقت ببصري إلى الأرض، ثم بعد ساعة رفعت رأسي فوجدته قد زاد نظره إلي وهو كأنه يفلي الثوب الذي علي، وينظر من رأسي إلى قدمي وهو لا يطرق بعينيه، فلما رأيته كذلك ارتعدت فرائصي، وامتقع لوني، وارفض جسمي عرقا، وتمنيت الموت لما كنت فيه من الدهش والخوف وقلت في نفسي : هذا الرجل يكاشف الناس، والآن يفضحني بين يدي أبي، فأخذت أحاسب نفسي وأتذكر أي شيء فعلت، ثم قلت في نفسي : لا أرفع رأسي حتى يفرج الله عني، ثم قلت في نفسي : هذا الرجل يتفرج في الملكوت ويتكشف على أسرار القلوب، يا ليتني كنت مثله. فما استتممت هذا الخاطر إلا وقد رفعت رأسي، وأنا لم أقصد رفعه، فتبسم في وجهي وسكن نظره وقال لي : ما يطالبك مولاك إلا بشيئين : إذا أقامك مولاك في الطاعة فاحمد واشكر، وإذا أقامك في المعصية فتب واستغفر، الله، الله، الوالدين؛ حرام على من أطاع الله وعصى والديه أن يدخل الجنة، وحرام على من عصى الله وأطاع والديه أن يدخل النار، والله الله؛ صل واقفا، صل جالسا، صل بالوضوء، صل بغير وضوء، صل قط[408].

---

(407) في إحدى نسخ «**إثمد العينين**» : علي بن وطاس، وهو من المساجد العتيقة بمنطقة أغمات بناه واطاس بن كردوس (من بني أمية) سنه 245هـ (راجع : عبد الحليم الأيلاني المصمودي، **تأليف في أدلة القبلة لأهل المغرب الأقصى**، ص. 442.

(408) طرة من ح : يعني بالتيمم.

وحدثني شيخي وأستاذي أبو هلال قال : سرت مع أخي أحمد إلى زيارة الشيخ أبي زيد فقال لي : من هذا الذي معك؟ فقلت : أخي : فقال لي : هذا يخلفك شاء من شاء أو أبى من أبى، فعجبت من قول الشيخ إذا لم تتقدم له دراية ولا معرفة، وكان إذ ذاك يحترف بحرف شتى، فلما سمعت ذلك من قول الشيخ طمعت في فلاحه بعد أن كنت أيست منه، فلم يكن إلا يسيرا، وترك السبب وأقبل على القراءة والدرس حتى حفظ القرآن، فكنت أستخلفه للصلاة بالناس.

قال المؤلف : ومات أخوه، رحمه الله، وخلفه في أهله خلافة حسنة وقام بأهله وبالمسجد وبالمحضر خير قيام، ولم يمت حتى انتدب للخطابة فخطب. وهذا من بركة الشيخ، رحمه الله ونفع به.

وحدثني الفقيه العدل الأرضى أبو عبد الله المحصي قال : قعد أبي مع سيدي أبي زيد في دارنا في البيت الذي كان ينزل فيه إذا وصل من أغمات، وكان ذلك عند غروب الشمس، ثم نهض ليقوم فقال له الشيخ : إلى أين؟ فقال : إني أريد أن أنظر الهلال إن كان الليلة من الشهر، فقال له : أقعد مكانك أريك الهلال، فلما غربت الشمس أشار الشيخ بيده إلى جهة وقال له : أنظر إلى ذلك الموضع، فرأى الهلال وهو قاعد معه في البيت، فوالله، يقول : إني لا أدري هل البيت ارتفع حتى رأيت الهلال أم الهلال ارتفع[409] [حتى رأيته][410] ولا رأيته قط من هنالك حتى أصعد على السطح.

وحدثني المعلم لكتاب الله تعالى أبو العباس الدقاق[411]، رحمه الله تعالى، قال: أراد أبي زيارة الشيخ مع بعض أصحابه، فلما خرجوا من المدينة ووصلوا إلى الحاريين قال بعضهم : ليذكر كل واحد منا حاجته. فقال أحدهم : أما أنا فحاجتي أن يدعو لي أن يخلصني الله من هذه المرأة، فإني تزوجت مولاة لها واشترطت عليها أن ما يكون بيني وبين المملوكة من أولاد فهم أحرار وليس عليهم حكم رق بوجه، فنكثت وأرادت أن تستعبد أولادي. وقال الآخر: أريد أن يرزقني الله مولودا ذكرا. وقال الآخر: إن أمي وأختي في الأسر فعسى أن يدعو لهما بالسراح. وقد كان حملني أبي معه وأنا

(409) كذا في جميع النسخ، وفي إحدى نسخ «**إثمد العينين**» : انخفض.

(410) زيادة في ك1.

(411) في «**إثمد العينين**» : الزقاق.

صغير، فقالوا لأبي : وأنت ما طلبتك؟ فقال : طلبتي له أن يدعو الله لهذا الولد أن يجعله من أهل القرآن. فانطلقوا إلى أن بلغوا مدينة أغمات واجتمعوا بالشيخ، فعند جلوسهم بين يديه نظر فيهم واحد بعد واحد ثم قال : ارتقب عاقبة تلك المرأة وما يؤول إليه أمرها، وأما أولادك فهم أحرار، فطب نفسا ولا تحزن عليهم. ثم قال : ولابد لك أنت من ولد إلا أنه تكون مدته قصيرة، وأنا لا أشفع في الموت. ثم قال : وأنت يا هذا، قد وصلت أختك إلى الدار، والذي أطلق الأخت قادر على أن يطلق الأم.

قال أبو العباس : فعجل أبي في الكلام وقال للشيخ : يا سيدي، ما طلبتك شيئا أنا إلا هذا الولد أن يجعله الله من حملة كتابه، وإذا بالشيخ قد قعد، وكان مستلقيا على ظهره كما كانت عادته، وقرن أصابعه ومد يده، وأشار إلى أبي ثم قال له : ما طلبت أنت شيئا ؟ أنت الذي ما تركت لأحد ما يطلب، جعلت الدنيا والآخرة في قبضتك وتقول ما طلبت شيئا؟ وأخذ يكرر عليه مرارا، فقال له : يا سيدي، أنا تائب إلى الله تعالى، فقال له : يكون هذا يقرأ القرآن ثم آخر ثم آخر، ولم يكن عند أبي إذ ذاك ذكر غيري، فحفظت القرآن ثم حفظه أخي ثم حفظه ابني، وذلك من بركة دعائه ونظره، رحمه الله.

وحدثني الشيخ الثقة العدل أبو عبد الله بن أبي بكر قال : كنت أقعد مع سيدي أبي زيد وأتبرك به، فقال يوما لي ولمن حضر: أقول لكم شيئا لكن لا تتكلموا به إلا بعد موتي، قلنا : نعم، قال : سرت مرة إلى مراكش، فنزلت عند أبي إسحاق المحصي، فأخذتني علة البطن، فلجأت إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع وقلت : يا رب، شيخ كبير غريب في بلد الناس. فبينما أنا أتضرع، إذ غلبتني عيني فرأيت في نومي رسول الله، ﷺ، وهو عن يميني، وأبو بكر وعمر عن شمالي، فقال النبي، ﷺ، لأبي بكر: يا أبا بكر، هذا عبد الرحمان حبيبنا، إمسح بيدك على جسده، فأمرَّ أبو بكر، رضي الله عنه، يده على بطني وجسدي إلى أن مسح أطراف بناني، فأفقت والله ولم أجد ألما ببركة رسول الله، ﷺ، وبركة أصحابه.

وحدثني أبو العباس المذكور قال : تعاهد أبي مع بعض أصحابه أن يزور الشيخ، رحمه الله، كل يوم خميس، فلما جاء يوم الخميس تعذر عليهم الطلوع إليه لسبب، فلما كان من الغد قال : سيروا بنا نصلي الجمعة في أغمات ونزور الشيخ على العادة، فانصرفوا وصلوا الجمعة مع الشيخ، فلما صلى، خرج فتبعوه وكلموه، ففر

منهم ولم يكلمهم(412) إلى أن بلغ إلى مصريته، فرآهم رجل وهم قد ألحوا عليه بالكلام فقال لهم : إنه لا يكلم أحدا يوم الجمعة، وهذه عادته، فرجعوا عنه وقالوا : ننصرف إلى الخميس الآتي، فبينما هم كذلك يتفاوضون إذ لقيهم رجل، فطلب منهم أن يبيتوا عنده فاعتذروا له وقالوا : إن هذا الرجل مؤدب الأولاد، والسبت غدا، ولا استناب من يقوم مقامه، فلم يوسعهم عذر، وحلف بالطلاق ليبيتن عنده، فتبرم المعلم ليمينه وضجر، فأخذوا يستعطفونه وقالوا : إن له أولاد، فإن حنثته تأثم بسببه، فلم يزالوا يسكنونه حتى سكن. وباتوا عند الرجل. فلما كان من الغد، صلوا الصبح وقعدوا بين يدي الشيخ، فقال : يقول ذلك الواحد نصلي الجمعة ونبيت في الطريق فندخل المدينة بكرة، وقال الآخر، بل نبيت في أغمات، وهذا الإنسان قد تعلق خاطره بأولاده وهو الحق : (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته)(413) إلى أن جاء من عجز الكل، نرجو الله أن يعطي لكل ذي أمل أمله وتطوى الأرض، فدعا لهم وانصرفوا؛ فلم تكن إلا برهة من الزمان ونحن عند بحيرة الصالحة(414) فلقينا الناس قد خرجوا من البلد فقالوا لنا، من أين قمتم اليوم؟ فقلنا لهم : من أغمات، فأنكروا ذلك كل الإنكار؛ فدخلنا المدينة بكرة، ووصل المعلم إلى الحضار، فوجد الأولاد مجتمعين، فكتبوا [ألواحهم](415)، وأطلقهم، فأفطروا ثم رجعوا إلى مكتبهم، نفع الله به.

وحدثني شيخي أبو هلال، رحمه الله، قال : توحشت زيارة سيدي أبي زيد، وكان زمن شدة، فدخلت الطريق وليس معي أحد إلا الله عز وجل، فسرت إلى أن بلغت آخر حائط البحيرة، وإذا بأسود قد خرج من وراء الحائط المذكور كالنخلة السحوق وبيده هراوة، فلما رآني جعل يلتفت يمينا وشمالا ثم أتى يهرول، فلما رأيته [قصد نحوي قلت : خاطرك معي يا سيدي أبا زيد، ثم رأيته قد وقف كأنما سمرت قدماه بالأرض، فحركت الدابة التي كنت عليها فنهضت بي حتى أبعدت عنه، وأنا مع ذلك ألتفت خلفي، ثم لحقت بالناس وكفاني الله شره. فلما وصلت المدينة

---

(412) في ك1 : فتبعه واحد منهم ففر منه ولم يكلمه.

(413) في **صحيح البخاري**، كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن.

(414) تجمع على «بحيرات» وهي الحقول المزروعة والبساتين المخصصة لإنتاج الخضر والفواكه، أنشأ العديد منها في نهاية الدولة المرابطية، ولعل من جملتها هذه البحيرة التي تعرف بضاحية مراكش بجنان الصالحة (راجع : ابن صاحب الصلاة، **تاريخ المن بالإمامة**، ص. 433؛ **موسوعة الأعلام البشرية والحضارية**، 291/2).

(415) زيادة في «**إثمد العينين**».

وقعدت بين يديه قال لي : ذلك الأسود إنما وقف هنالك ليقطع الطريق، وقد مات وأراح الله المسلمين منه، ثم رجعت إلى مراكش من الغد، فوجدته على الطريق منجدلا وهو كالجذع.

وحدثني أبو الحسن الكواب قال : زرت الشيخ مرة بأغمات، فقعدت بين يديه بجامع واطاس، وكان ممن حضر رجل غريب الدار فقال : يا سيدي، أدع الله لي فلعل أن يصرف عني هذه الحمى، فقد آذتني، فقال له الشيخ، رحمه الله : تطمع أن تزول عنك الحمى وأمك تركتها ببجاية تبكي عليك الليل والنهار، فقال له الرجل : إني تائب إلى الله عز وجل، وأنا أنصرف إلى أمي، فقال له الشيخ : وأنت لا تعود لك الحمى بعد اليوم، فودعه وودع من حضر ودعا له ثم انصرف.

وحدثني من أثق به قال : مرض الفقيه أبو القاسم بن أبي طلاق، وهو الآن من كتاب الخلافة العلية، مرضا، وهو ابن عشر سنين أو نحوها، بعلة الماء، وانتفخ جلده حتى كاد أن ينشق، ولجلده بريق كالسجنجل، فأشار الناس كلهم على أبيه بجه (كذا)[416]، ثم ألهم الله أباه أن حمله إلى الشيخ أبي زيد حين نزل بدار أبي إسحاق المحصي، وقال له أبوه أثناء الطريق : إذا حصلت بين يدي هذا الشيخ فابك عليه، فلما أدخل عليه وحصل بين يديه، بكى، فكشف له عن بطنه، فأخذ الشيخ يشير بسبابته إلى بطنه، ويحرك شفتيه، فما يسمع منه إلا رب، [رب][417]، فشفاه الله تعالى ببركاته، رضي الله عنه.

حدثني من أثق به قال : سار رجل من مراكش، لا أسميه، إلى زيارة الشيخ، وكان ممن يتردد إلى زيارته، فلما وصل، ولم يبق بينه وبين المدينة إلا القليل، رأى امرأة أمامه وهي راكبة على مطية وعبد يقود بها المطية، فطمحت نفسه لرؤيتها، فأخذ يجهد نفسه ويعنف على الدابة بالضرب، فإذا قرب منها، وكان محاديا لها، حركت الدابة فتفوته، فيجهد نفسه أيضا للحاق بها، فإذا كاد أن يلحقها فعلت كفعلها الأول، فلم يزل كذلك دأبه، فما أدركها إلا في باب المدينة، فلما رفع رأسه ونظر إليها وجدها عجوزا مسنة فرماء حاكلة السواد، مشوهة الخلق، فسقط في يده، فلما اجتمع بالشيخ وقعد بين يديه قال : كذلك هي الدنيا، تغر ولا تسر، يقول الإنسان أزور

---

(416) صوابها «ببجه» وسقطت الباء من جميع النسخ، والبج هو شق البطن، ومعناه إجراء عملية جراحية له.

(417) زيادة في ك2.

عبد الرحمان في الله، وإنما خرج لهوى النفس، كذلك الدنيا كالسراب حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

وحدثني أبو النجاة سالم، وهو من سكان أغمات، قال : حدثني يحيى بن زكرياء قال : تحركت في قلبي زيارة الشيخ واشتقت إلى ذلك شوقا شديدا، وكان ذلك اليوم الثالث من عيد الفطر فقلت : إن دخلت الطريق وحدي غررت بنفسي، فندبت رجلا يعرف بالوراد فأبى علي وقال لي : إن المرأة ولدت ولا عندي ما أقيم به أودها، ولولا ذلك لانصرفت معك، فأعطيته ثلاثة دراهم وقلت له : اشتر بهذا دقيقا، وبهذا لحما، واصرف عليها هذا، ففعل، وانصرفنا إلى أن وصلنا المدينة، فقعدنا بين يدي الشيخ وسألني عن حالي، كما كانت عادته، ثم التفت إلى الوراد، ولم يكن الوراد قبل ذلك يعرفه، فقال له : أمغار، معناه بالبربرية الشيخ، تزايد (كذا) عندك مولود، وأنت فقير ولا عندك شيء، فقال : نعم يا سيدي، فقال الشيخ : يفتح الله. ثم دعا لنا وانصرفنا، ثم نادى الشيخ بالوراد فأشار إليه أن أقعد، فقعد، فقال له : إذا خرجت من هاهنا فامض إلى موضع الدباغين فإنك تجد هناك كلبا أسود، ''يلاتاهيدورت''، معناه : عليه صوف كثير، فقل له : يقول لك عبد الرحمان هات الأمانة التي عندك، فإذا أعطاك شيئا فأنفقه لذلك الولد. فلما خرجنا من المسجد قلت له : ما كان الشيخ يقول لك ؟ فقال لي : إنك سقتني لمن ينبسط علي، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : قال تذهب إلى موضع الدباغين فإنك تجد هناك كلبا أسود فاطلب منه الأمانة التي عنده واستنفقها لذلك الولد، فقلت له : الرجل ولي، وما يقوله حق، فقال لي : لا أفعل شيئا من ذلك، أتريد أن يضحك مني أهل أغمات، فما زلت أستعطفه إلى أن بلغت معه إلى موضع الدباغين، فوجدنا الكلب على الصفة التي وصف، كالمنتظر إلينا، فدنا منه وقال له : يقول لك سيدي أبو زيد هات الأمانة التي عندك. فمضى بين أيدينا مسرعا إلى أن وصل معدة الماء التي بقرب باب وترورين فحفر بكلتا يديه في ركن البرج، فسقطت من الحائط خرقة كالكرة وسخة مزيتة فأخذها بخرطومه، ورمى بها إليه، فأخذها، وخرجت معه على باب المدينة، فحل الخرقة، فوجد فيها عشرة دنانير، فرأيت الرجل كاد أن يفارق عقله من شدة الفرح ثم قال : والله لا أنصرف من هاهنا حتى أعرف حقيقة هذا، فغاب عني ساعة، ثم أقبل فقلت له : أين كنت؟ فقال لي : نظرت الشيخ في المسجد فلم أجده، فسألت عن منزله فدللت عليه، فهبت أن أضرب عليه، وإذا به قد أقبل وقال لي : أمغار، أخذت

الأمانة؟ فقلت : نعم يا سيدي، قال لي : وما جاء بك؟ جئت لتقف على حقيقة ذلك الشيء؟ هو الذي يسرقه الباعة للناس يكون عند الجن، فإذا جاء من يستحقه مثلك دفع إليه، وقد وقفت على الحقيقة، فانصرف.

وحدثني الشيخ الأجل الفقير إلى الله تعالى أبو عبد الله محمد بن أبي بكر قال : تزوجت امرأة فأقمت معها مدة، ثم فارقتها [لأمر][418] أوجب الفراق، فعلق خاطري بها، فما قدرت أن أصبر عنها، ولا أمكنني ردها، فكنت إذا حضرت مجلس وعظ وبكى الناس على ذنوبهم بكيت أنا على فراقها، فلما فطن بي أبي قال لي يوما : إنطلق إلى زيارة الشيخ، فوافق قوله غرضي، وقلت : أمضي إلى زيارة هذا الشيخ، ولعل الله أن يجعل على يده فرجا، فانطلقت إليه إلى أن وصلت، وقعدت بين يديه، فسألني عن حالتي ثم قال لي : أتريد أن أزوجك ؟ فقلت : لمن ؟ قال لي : لصبية هنا بأغمات، فقلت : لا أتزوج من هذه البلدة، قال لي : ولم ؟ قلت لأنهم يبغضونك، فضحك وقال : ليست من القوم الذين يبغضونني، وليست من هذه البلدة، إنما أصلها من الأندلس، وقد زوجتك إياها، فدعا لي وانصرف. فحدثت أبي بما وعدني به الشيخ، وبقيت منتظرا، أنتظر ما وعدني به الشيخ. فلما كان يوم من الأيام، اجتمعت جدتي بامرأة فقالت لها المرأة : إني غريبة في هذه البلدة وأصلي من الأندلس، وقدر الله بوصولي إلى هذه البلدة، واستوطنت أغمات مدة، ولي ابنة فأشار علي بعض الناس بتزويجها في مراكش، وأنا لا أعرف أحد، فلما سمعت مقالتها الجدة قالت لها : هي امرأة حفيدي ورب الكعبة، قالت لها : وكيف ذلك؟ فأخبرتها بالقصة، وأعطتها دراهم نقدا، وتزوجتها، وكانت أم الأولاد.

وحدثني الفقيه الأجل العدل الأرضى، أبو عبد الله بن قشاش، قال : كان رجل من أهل فاس، وكانت له جملة من البنات قد ضاق بهن ذرعا ولم يجد ما يجهزهن به، فسمع بذكر سيدي أبي زيد وما انتشر عند الناس من حاله وأمره فقال : والله لأمضين إلى هذا الرجل في حق بناتي، فلعل أن يكون سبب وصولي إليه خيرا. مع ما كان عليه من ضيق الحال، وأن كل من وصل إليه لابد أن يرجع بزيادة دنيوية أو أخروية. فتاقت نفسه إلى لقائه، فما زال يجتهد إلى أن وصل أغمات، فبات تلك الليلة يتضرع ويرغب الله تعالى ويقول : يا رب بناتي، يا رب بناتي، حتى أصبح، فلما قعد بين يدي الشيخ قال له : يا هذا الإنسان، أتعبت نفسك أرح باطنك، تقول

(418) زيادة في ك1.

بناتي، بناتي، لعمر الله ما يكون في فاس أكثر دنيا منهن، فهون عليك وارجع إلى أهلك في كنف السلامة. فقضى الرجل زيارته وانصرف إلى فاس، فوجد نقد كل واحدة منهن في داره، والخطاب يردن(419) كل يوم، وكان من حالهن كما وصف الشيخ، رضي الله عنه.

ومما نقل عن أبي العباس الغماري(420)، عن أبي عمران موسى الدغوغي، عن محمد بن ويحلان الخديم، قال : كنت أقرأ على الشيخ بتيرجاجت وكانت مجاعة شديدة سنة ثلاث وسبعين وستمائة، فأتيت بحمل(421) من دقيق القمح من دار الشيخ في شهر رجب، فقال لي : إجعله في خابية، ففعلت كما أمرني، فأدخل يده في الدقيق ثم أخرجها وقال لي : إياك أن يراه أحد غيرك، أو يأخذ منه شيئا، فكان الناس يأتون بالجموع الكثيرة من المائة إلى الخمسين ونحو ذلك، فما زلت أنفق منه رغدا إلى أن دخل المحرم، فانتقل الشيخ إلى أغمات، وكان ذلك قبل خروجه منها.

حدثني الشيخ الأجل أبو الحسن الكواب قال : حدثني الشيخ الذاكر أبو عبد الله الصدفي(422)، قال : حدثني أَجُّ أَيْحْلَا نّ(423) خديم الشيخ، رحمه الله، قال : رأيت تلامذة الشيخ قد شمروا للعبادة وشمروا على ساعد الجد إلى الله تعالى، وكل واحد أخذ خلوته، فتاقت نفسي أن أكون مثلهم، فاستشرت الشيخ وقلت له : يا سيدي إني أريد دخول الخلوة كما فعل الإخوان، فقال لي : يا محمد، أقم على حالك ولك من الأجر مثل ما لهم. وكان الشيخ أعطاني أربعة عشر درهما وقال لي : إذا احتاج الفقراء إلى شيء فاستنفق منها. فجعلتها في جيبي وأنفقت منها نحوا من ستة أشهر، فتاقت نفسي أيضا إلى الخلوة وأنا قاعد على الوادي، فقلت في نفسي : إنما عوقني على الخلوة هذه الدراهم، فأخذتها ورميت بها في الوادي، وعولت أن أستأذن الشيخ أيضا في دخول الخلوة، فلما دخلت عليه قال لي : ابتداء يا محمد، ولأي شيء رميت بالدراهم ؟ إرجع حتى تأتيني بها، فرجعت فوجدت الصرة على شفير

---

(419) في ك1 : يزدن.

(420) قاضي بجاية في عهد السلطان الواثق بن المستنصر الحفصي، كان حيا سنة 677هـ (راجع : **الإستقصا**، 29/3).

(421) في ك2 : حملين.

(422) في ك1 : الصوفي.

(423) في «**إثمد العينين**» : أَخُ.

[الوادي][424] قد تعلقت بخيط كأنه خيط عنكبوت، فأخذتها وجئت بها إليه، فأخذها مني وأمرني بدخول الخلوة.

وحدثني أبو عبد الله الزيادي قال : حدثني الشيخ الصالح المسن، المعلم لكتاب الله تعالى، الشهير بابن عبد الله، وكان شيخنا أبو عبد الله وأخوه أبو زيد ممن قرأ على أبيه، قال : لما أخرج الملياني[425] الشيخ أبا عبد الله من أغمات، قلت للمعلم لكتاب الله تعالى الشهير بالشدور : سر بنا نزور الشيخ أبا عبد الله، وكان إذ ذاك بالموضع المعروف بأمغيور، فسرنا إليه، فرحب بنا وأحضر بين أيدينا طبقا فيه رغيف صغير على قدر ما يغطى به الكوز، وقد نقصت منه حاشية وعشر ثمرات، سبع بلحمها، وثلاثة أعظم ليس عليها لحم، فقال لنا : كلا بقية عبد الرحمان فإنه أكل الحاشية التي نقصت من الرغيف والثلاث ثمرات في ستة أشهر، فاقتسمت معه الثمر والرغيف، وحملناه على وجه التبرك. والشدور وابن عبد الله والزيادي مشاهير ثقات.

وحدثني الشيخ الأجل المعلم لكتاب الله تعالى بأزمور، الشهير بالمسطاسي[426] قال : حدثني رجل من أصحاب سيدي أبي عبد الله الهزميري قال : جلست معه يوما على شاطئ بحر ماسة[427]، فبينما أنا أتحدث معه، إذ رأيت رجلا في البحر نائما قد توسد كتبا، والأمواج ترفعه وتضعه، فقلت لأبي عبد الله : يا أبا عبد الله، أنظر إلى ما بلغ الرجال. فالتفت إليه ثم أعرض عنه، فأعدت عليه القول وقلت له : ألا ترى هذا الرجل كيف ترفعه الأمواج وتضعه ؟ فأعرض عني.

(424) زيادة في ك1.

(425) أحمد بن علي الملياني، من أهل مراكش، شاعر وله معرفة بالطب، عينه السلطان يوسف بن يعقوب المريني في كتابته بعد أن قتل عمه أبا علي بن أحمد الملياني لوشاية قبائل مصمودة به ونقمتها عليه إخراجه وعبثه بأشلاء الموحدين بعد انهزام من تبقى منهم أمام يعقوب المريني، فقام أحمد الملياني هذا بالإنتقام من المصامدة بقتل شيوخهم، وفر إلى تلمسان، ومنها إلى الأندلس حيث توفي بغرناطة سنة 715هـ (راجع : **جذوة الإقتباس**، ص. 146؛ **درة الحجال**، 14/1؛ **الإستقصا**، 42/3 و77).

(426) منصور بن إبراهيم المسطاسي من أهل العلم، أحد شيوخ أبي شعيب السارية دفين أزمور، توفي بأزمور، سنة 540هـ (راجع : **التشوف**، ص. 144؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 173).

(427) اسم لنهر ينبع من الأطلس الصغير ويصب شمالي مدينة تزنيت، قامت على مجراه الأسفل قرى عديدة أشهرها رباط ماسة الذي لعب إلى جانب مصب الوادي أدوارا تاريخية هامة (راجع عنه : **المغرب**، ص. 161؛ الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص. 49؛ **وصف إفريقيا**، ص. 90؛ **الحركة الفكرية**، ص. 574).

فلما كان في الثالثة قلت : سألتك بالله، ألا ما أخبرتني إن كنت تعرف هذا الرجل ؟ فنظر إلي وقال لي : هو أخي عبد الرحمان.

هذا آخر ما ذكرته من كتاب «**إثمد العينين في مناقب الأخوين**».

وذكر مؤلفه أيضا فيه أن الشيخ أبا زيد نال من المجاهدة في حال البداية طوراً صعب المرتقى بعيد المرمى، تعذر على كثير من السالكين سلوكه، قال : وكان الشيخ، يعني شيخه وأخاه، أبا عبد الله ينوه بذكره ويثني عليه كثيرا، وإذا قرئت عليه «**رسالة القشيري**» يقول : جاز عبد الرحمان هذه المقامات كلها.

وذكر التنسي(428)، رحمه الله في «**نظم الدرر والعقيان**»، لما ذكر أبا محمد عبد الله السائح ابن زيان، قال : هو من صالحي قومنا، وهو أول من قدم لسيدي أبا زيد من تلمسان إلى مدينة أغمات ليقدم معه في أمر الصلح، يستشفعون به إلى السلطان أبي يعقوب ليرتحل عنهم. فلما وصل إلى تلمسان سيدي أبو زيد، خرج مع أعيان قومها وأشرافها، ولما أقبلوا على الأمير أبي يعقوب، نظر في سيدي أبي زيد فأخذته رعدة حتى كاد أن تزهق نفسه، فقام من حينه مع وزرائه ودخل إلى المنصورة(429)، ولما عاين ذلك سيدي أبو زيد، رجع على أثره ونزل بين تلمسان ومحلته في ذلك اليوم، وكتب لأهل تلمسان : السلام على الحامدين التائبين الراكعين الساجدين، ثم قال لهم : ليس فينا أوصاف الشيخ المتحقق عند أئمة العلماء، وإن هذه المسألة يقضيها سعادة(430). فقال له الملياني : وابن سعادة يا سيدي ؟ فقال : أتى له عبد خصي من فتيان الأمير أبي يعقوب، فوكزه ذلك العبد غيلة في بطنه وهو نائم، فمات في عصر ذلك اليوم، وفرج الله عن تلمسان، والبقاء لله وحده. وانظر الحكاية بتمامها في الكتاب المذكور فإنه لم يحضرني الآن حالة الكتب، وإنما نقلته بواسطة.

---

(428) محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، مؤرخ وفقيه وأديب، من أهل تلمسان، توفي سنة 899هـ (راجع : **درة الحجال**، 143/2؛ **لقط الفرائد**، ص. 274؛ **شجرة النور**، 267/1).

(429) مدينة تقع بضاحية تلمسان بناها يوسف بن عبد الحق المريني أثناء حصاره الطويل لمدينة تلمسان، وذلك سنة 698هـ وهدمها بنو عبد الواد فيما بعد، فأصبحت عبارة عن قرية متواضعة (راجع : **الإستقصا**، 80/3).

(430) أحد مماليك يوسف بن عبد الحق المريني، انتقل إليه من عند أبي علي الملياني أيام كان عاملا له على مراكش (راجع : **الإستقصا**، 85/3).

وقال الشيخ أبو العباس بابا في «**نيل الإبتهاج**» : قال الشريف التلمساني : أخبرني الآبلي قال : أخبرنا أبو عبد الله بن الحداد(431)، قال : لما ورد علينا [بمدينة فاس](432) الشيخ العارف أبو زيد الهزميري، رضي الله عنه، كنت أنتابه بالزيارة وكنت أتردد إلى الشيخ أبي محمد الفشتالي، رضي الله عنه، فكان يسألني عن الشيخ أبي زيد، إلى أن قال لي في يوم جمعة : ترى الشيخ أبا زيد أين يصلي الجمعة ؟ فقلت : لا أدري، فخرجت من عنده إلى الشيخ أبي زيد، فلما سلمت عليه قال لي : سألك الشيخ أبو محمد أين أصلي الجمعة، لقد حجبته تلك الركيعات أن يعلم أين أصلي الجمعة، فعجبت من مكاشفته. ثم انصرفت راجعا إلى الشيخ أبي محمد، فلما سلمت عليه قال لي : قال لك الشيخ أبو زيد حجبتني تلك الركيعات قل له لا قطع الله عني تلك الركيعات. صح ببعض اختصار.

وفي بعض الكتب أنه توفي عام سبعة، وفي بعضها ستة وسبعمائة، وتوفي أخوه وشيخه سيدي أبو عبد الله الهزميري دفين أغمات عند عصر يوم السبت آخر يوم من شوال سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وهو ابن ستين سنة، انتهى.

* محمد بن حكيم الأندلسي

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن حكيم الأندلسي، دفين داخل باب الفتوح.

قال في «**ممتع الأسماع**» : كان صاحب حال وفيض، صحب سيدي رضوان فيما يقال فنزعه. عرف فيض سيدي عبد الله الغزواني لصدق حال سيدي رضوان وصحة نسبته إلى الشيخ الغزواني واتصاله به. وقيل إنه ليس له شيخ، وإنما كان مدده من تلاوة القرآن، وكان مقيما لرسومه محافظا على السنة، مراعيا للأوقات، وكان كثير تلاوة القرآن، ويقرأه باللوح. وقد رأيت لوحه مكتوبا فيه بخطه : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ

---

(431) الفقيه الصوفي، الشاعر والمحدث، محمد بن عبد الرحمان بن أحمد الصنهاجي المعروف بابن الحداد، ولد بفاس ورحل لتونس حيث أخذ الفقه عن شيوخها، توفي سنة 723هـ (راجع : **درة الحجال**، 109/2).

(432) زيادة في **نيل الإبتهاج**.

* ترجمته أيضا في : **المقصد الأحمد**، ص. 286؛ **صفوة من انتشر**، ص. 65؛ **التقاط الدرر**، 73/1؛ **نشر المثاني**، 223/1؛ **سلوة الأنفاس**، 58/2.

﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[433]. فيه نحو ثمن الحزب. وكان إذا ورد عليه الحال أزعجه وأخرجه عن شاهده، وتكلم بأمور من المغيبات. وقد جاء مرة إلى بعض أفران فاس، وجعل يقول لصاحب الفرن : أغلق فرنك، أغلق فرنك، ويصيح عليه، وإذا بغلاء عظيم في القرب، وهو غلاء سنة أربع عشرة وألف، فتعطل منه ذلك الفرن وكثير من أفران المدينة. وكان يمر بالطرق ويقول : الناس يأكلون عن أولادهم، يكرر ذلك على جهة الإنكار، فجاء الغلاء المذكور، فكان الناس يأكلون في الأسواق عن أولادهم، ولم يكن يعهد قبل ذلك بفاس الأكل بالأسواق. وكان يخرج من داره فيمر في حومته، وهي حومة العيون، ويقول : هاهنا من أين أجوز، فإذا بالمدينة انقسمت[434] ووقع فيها الأشبار، ولا يجد أحد من أين يجوز. وكان قبل وقوع زلزلة[435] سنة ثلاث وثلاثين وألف يصيح : الردومات، فإذا بالزلزلة المذكورة، فما بقيت دار غالبا بفاس إلا دخلتها الفؤوس. وكان يكاشف كثيرا بما فعلوا من فواحش وغيرها. وكان بعضهم يسكر كثيرا بقرب روضة سيدي علي أبي الذياب ويسرق ورق التوت القريبة منه، فلقيه مرة بحومة العيون، فأخذ بتلابيبه، وذهب به إلى روضة سيدي أبي الذياب، وجعل يقول له : يا سيدي أبا الذياب، فلان يقول لك هو تائب إلى الله، ويكرر ذلك، والرجل محبوس في يده، متقلدا سيفه لا يستطيع خلافه، فتاب الله عليه بقرب ذلك، ولازمه إلى أن مات. ثم صحب سيدي عبد الرحمان الفاسي، ثم سيدي محمد بن عبد الله إلى أن مات في حياته. وحضر الشيخ سيدي محمد جنازته. وكان يدعو على إنسان بالموت ببر النصارى لإضراره به، فما مات إلا ببر النصارى. ومآثره كثيرة لا تحصى. وكان يتعاهد المجيء لسيدي عبد الرحمان الفاسي، فسمعه بعض الناس مرة وهو ذاهب وحده يخاطب نفسه يقول لها : [لهذا][436] أردت سكون سيدي عبد الرحمان الفاسي وتؤدته، ما أهون ذلك عليك !.

---

(433) الآية 32 من سورة **فاطر**.

(434) حدث هذا الإنقسام سنة 1032هـ وسببه الصراع الذي اندلع بين سكان مدينة فاس (اللمطيين والأندلسيين) حول مقتل القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم، الذي قتله اللمطيون بسبب ميله لعبد الله بن محمد الشيخ المامون وموافقته له على تسليم العرائش للإسبانيين (راجع : **نشر المثاني**، 259/1؛ **الإستقصا**، 56/6؛ **جامع القرويين**، 519/2).

(435) وقعت هذه الزلزلة أيضا بمدينة مكناسة وتازة وببني ورياغل وبني زروال، ومات وجرح بسببها خلق كثير، وتهدم من جرائها عدد من منازل فاس (راجع : **نشر المثاني**، 261/1).

(436) زيادة في ك2.

ووجده إنسان مرة بمياضي حومة العيون وهو قد صحبه حال، ينظر في الماء ويقول : من أين جاء ؟ وإلى أين هو ماش ؟

وجاء مرة سيدي عبد الرحمان الفاسي وهو في وجد عظيم يعض يده ويصيح : الله، الله، فقال له سيدي عبد الرحمان : أين لوحك يا سيدي حكيم ؟ فلما قال له ذلك سري عنه ورجع إلى حسه وقال له : نعم يا سيدي، نذهب نأتي باللوح. فذهب وجاء به سريعا، وأخذ يعرض عليه. ولما ذهب ليأتي به، قال سيدي عبد الرحمان لأصحابه : قد أطرتها له، يعني السكرة، أطارها له بكلامه على اللوح.

ولقيه مرة فقال له : يا سيدي عبد الرحمان، إن زوجتي لتكلفني ما ليس عندي، فقال له : فولدكما يعمل لها ما تحب. فقال له : ولدي يحب ما يزداد له، فقال له : فخيرها كما أمر الله سبحانه نبيه، ﷺ، فقال له : إني أحبها. فقال له : فاصبر إذا. وكان ولده يشكو إليه الفاقة فيقول له : ها فلانة ابنتك، ويشير إليها، فلا يفقه، فإذا بها تزوجت أزواجا ذوي أموال عريضة، وورثتهم واحدا بعد واحد، وأتت والدها بأموالهم. وكان إذا استسلف من أحد فلوسا أو نحوها كتب له بخطه، رحمه الله، استسلف فلان من فلان كذا [وكذا في اليوم الفلاني][437]، واليوم الفلاني يأتيه به، فإذا حضر اليوم المذكور أتاه به حتما مقضيا، وإن لم يتيسر له استسلفه من آخر، وكتب له كذلك. وكتب لبعضهم حرزا طلبه منه ثم قال له : أقرأه عليك ؟ فقال : نعم يا سيدي، فقرأ عليه : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ إلى قوله : ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ﴾[438]، ثم قال له : إسمع ما يقول لك : ما بيدي شيء. توفي، رضي الله عنه، في إحدى الجمادين سنة سبع وعشرين وألف ودفن بداخل روضة[439] سيدي أبي زيد الهزميري، نفعنا الله به، آمين، انتهى.

* الحصار

ومنهم ولي الله تعالى سيدي الحصار، وكان رجلا بهلولًا لا ينطق بمغيبات، وتوفي يوم الأحد تاسع جمادى الأولى عام خمسة وألف. وقيل إنه مات سنة عشرة وألف

(437) زيادة في نشر المثاني.

(438) الآية 1 من سورة الإنفطار؛ والآية 19 من نفس السورة.

(439) في ك2 : قبة.

* ترجمته أيضا في : الإعلام بمن غبر، ص. 336 وفيه ورد أنه توفي سنة 1016هـ؛ نشر المثاني، 81/1؛ سلوة الأنفاس، 70/2.

ودفن قريبا من روضة سيدي أبي زيد الهزميري وبني عليه بيت، رحمه الله ونفع به.

* محمد بن غازي العثماني

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي، العثماني النسب، [أصله][440] من عرب بحوز مكناسة الزيتون يقال لهم بنو عثمان[441]، المكناسي المولد والمنشأ، الفاسي الإستيطان والوفاة. كان إماما عاملا، عالما مشاركا، متفننا محققا متقنا، مرجوعا إليه في سائر العلوم، خصوصا القراءات والفقه والعربية والحساب، وإليه ينتهي اليوم سندها بفاس، وهو شيخ الجماعة بها، وتخرج به كثير، وانتفع به جم غفير[442]، واستوطن فاس سنة إحدى وتسعين وثمانمائة فجعل خطيبا وإماما بجامع القرويين بها إلى أن مات. وكان دينا خيرا فاضلا ورعا زاهدا. توفي، رضي الله عنه، عشية يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة تسع عشرة وتسعمائة، ودفن قرب وادي الزيتون ومقابر الشرفاء الجوطيين[443]، وكانت ولادته في حدود أربعين وثمانمائة، رحمه الله ورضي عنه.

** أحمد بن علي السوسي البوسعيدي

ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن محمد السوسي البوسعيدي[444]،

---

* ترجمته أيضا في : **دوحة الناشر**، ص. 45؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 320؛ **درة الحجال**، 147/2؛ **كفاية المحتاج**، ص. 421؛ **سلوة الأنفاس**، 73/2؛ **الفكر السامي**، 266/2.

(440) زيادة في ك1.

(441) بطن من بطون قبيلة كتامة الهبطية، انتقلوا إلى جوار مكناسة حيث استقروا منذ أجيال عديدة (راجع : لفي بروفنصال، **مؤرخو الشرفاء**، ص. 156).

(442) خلف ابن غازي تأليفين نال بهما شهرة كبيرة هما فهرسته : «**التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد**» الذي خصصه لذكر من أخذ عنهم من الشيوخ خاصة من فاس، وكتاب «**الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**» الذي خصصه للحديث عن تاريخ مدينة مكناس.

(443) ينتمي الجوطيون لأدارسة فاس، وينتسبون لجوطة، وهي قرية كانت تقع على نهر سبو، حيث مقر سلفهم، وأول من استقر منهم بها يحيى الجوطي الملقب بالعدام، الذي تنتسب إليه فرق الجوطيين المشهورة بفاس وهم : الطالبيون والفرجيون والشبيهيون والعمرانيون والطاهريون (راجع : **الإشراف**، ص. 38).

** ترجمته أيضا في **التقاط الدرر**، 105/1؛ **سلوة الأنفاس**، 85/2؛ **الإعلام**، 314/2؛ **فهرس الفهارس**، 179/1.

(444) المشتوكي، الصنهاجي، من بني أبي سعيد الذين ينتمون لقبيلة هشتوكة السوسية، والصنهاجي وصفه به عبد الله بن علي السجلماسي الحسني في إجازة كتبها له (راجع : **نشر المثاني**، 356/1).

كان من عباد الله الصالحين وحزبه المتقين، فقيها ورعا زاهدا متقشفا، قانعا من الدنيا بالدون من المأكل والملبس، منزها عنها، منقبضا عن أهلها، لا يألف مخلوقا ولا يرتفق به ولا يقبل من أحد شيئا، ويأنف من أن يتبرك به أو تنسب له خصوصية. صحب الشيخ أبا محمد عبد الله ابن الشيخ أبي عثمان سعيد بن عبد المنعم الحاحي فانتفع به، ثم نزل فاساً، فكان يأوي بالمدرسة المصباحية(445) منها إلى أن توفي. وكانت وفاته آخر ليلة الجمعة رابع عشر ذي القعدة عام ستة وأربعين وألف، ودفن بمقابر الشرفاء الطاهرين(446)، رحمه الله ورضي عنه ونفعنا ببركاته، آمين.

* علي الصاريوي

ومنهم الشيخ [الكامل الواصل سيدي علي](447) أبو غالب دفين صاريوة(448) من داخل باب الفتوح.

ولم نلف له ذكرا إلا في قول صاحب «**المعيار**» [قال : هو الشيخ الولي الكامل](449) سيدي علي بوغالب الصاريوي، وأظنه قال إن كراماته ميتا أكثر منها حيا فراجعه. ولا شك أن كراماته كثيرة على الدوام واضحة، وبراهينه لا تزال قاطعة لائحة، ما قصده ذو عاهة أو جرح أو مرض معي إلا برئ غالبا، وكثيرا ما ظهر في ذلك من الآيات والعبر، ولا تزال تظهر على الدوام والإستمرار، وهو مقصود لذلك كثيرا، ويأتيه الناس لذلك من سائر البلاد، ولو ذكرنا بعض ما نعرف من ذلك وما سمعنا تحقيقا، لكان فيه طول [الكلام](450)، وجميع أهل فاس يعرفون هذا، فلا يحتاج إلى تعريف، وبرهانه قاطع، وليس الخبر كالعيان.

(445) شيدها أبو الحسن المريني سنة 747هـ قرب جامع القرويين، وسميت بالمصباحية نسبة لمصباح بن عبد الله الياصلوتي المتوفى سنة 705هـ لأنه أول من درس بها بعد بنائها، وتسمى أيضا مدرسة الخصة، ومدرسة الرخام، لأن بيلة من المرمر المجلوب من الأندلس كانت تحتل وسط فنائها (راجع : **جذوة الإقتباس**، ص. 336؛ **الإستقصا**، 176/3؛ **Hesperis, Année 1925, T. 5, 1er tr., page 68**).

(446) إحدى فرق الجوطيين المذكورة في **الإشراف**، ص. 38.

* ترجمته أيضا في : **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس**، ص. 43؛ **سلوة الأنفاس**، 17/2، ونفى الكتاني ما أورده البعض من صحبة الهيري له وأخذه عن محمد الكَومي لتأخرهما عنه في الوفاة بمائتي عام، وذكر أنه توفي أواسط المائة الثامنة.

(447) زيادة في ك2.

(448) حومة بفاس استقر بها بنو صاريوة الذين نزحوا إليها من مدشرهم (صاريوة) الواقع بمنطقة بني يازغة بجوار فاس فنسبت إليهم (راجع : **سلوة الأنفاس**، 21/2).

(449) زيادة في ك2.

(450) زيادة في ك2.

* محمد بن علي الطالب

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بالطالب دفين القليعة من داخل باب الفتوح.

وصفه في «**الدوحة**» بالشيخ العارف بالله تعالى، ثم قال : من أصحاب الشيخ سيدي أبي محمد الغزواني وكبار تلامذته، كان، رحمه الله، عبدا صالحا وسيما، ذا سمة حسنة، وهمة عالية، يتكلم بالمواهب اللدنية؛ وكان يدعي رؤية الله تعالى بالبصيرة، لكنه يجعلها كرؤية البصر. ووقعت بينه وبين سيدي أبي محمد الهبطي مراجعات في ذلك. ولما ارتحل الشيخ سيدي أبو محمد الغزواني إلى حضرة مراكش تركه بزاويته الكائنة بباب الفتوح من مدينة فاس وبها استقر إلى أن توفي سنة أربع وستين ودفن بها. وله أتباع يهتدون بهديه على سنن أشياخه، ويشهدون له بأنواع من الكرامات. لقيته مرارا عديدة في سنين متعددة وانتفعت به وبعلومه. كان، رحمه الله، على سبيل الإستقامة. وفدت على فاس سنة وفاته وعدته في مرضه الذي مات منه مع جماعة من الفقهاء، فلما نهضنا للقيام عنه قال لي : إجلسوا حتى أودعكم، فلعل هذا آخر العهد بكم. فجلسنا وقلنا له : لا بأس عليك، إن شاء الله طهورا، فقال : إجعلوني في حل[451]، فإني أرى أني راحل عنكم، فطلبنا منه الدعاء بالخير، فدعا لنا وانصرفنا عنه، فما أتى ثالث ذلك اليوم حتى نعي إلينا، رحمة الله عليه.

هذا كلام صاحب «**الدوحة**» في سيدي محمد الطالب، رضي الله عنه.

وقال في «**الممتع**» : ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن مهدي بن عيسى بن أحمد الهراوي[452] الزمراني المعروف بالطالب، العالم العارف الكبير الشأن، ذو المشاهدة والرؤية الروحانية والعيان، ورفعة القدر الواضحة البرهان. ثم ساق كلام صاحب «**الدوحة**» فيه، ثم قال : وفي «**المرآة**» أنه توفي سنة خمس وستين وتسعمائة.

---

* ترجمته أيضا في : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 35؛ **سلوة الأنفاس**، 31/2؛ **شجرة النور**، 284/1.

(451) في ك2 : حال.

(452) في ك2 : الهواري.

* محمد بن سعيد الكَومي

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد الكَومي دفين القليعة من داخل باب الفتوح.

قال في «**المقصد**» : ومنهم الشيخ، الولي الجليل، أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد الكَومي دفين القليعة داخل باب الفتوح، من بني كَومي(453). كان كوشا، عمي آخر عمره. له أصحاب وأتباع، وكان ذا سمت ووقار، وقبول واشتهار، وظهرت له كرامات وخوارق وعادات، ومكاشفات وأخبار بالمغيبات، ويوثر عنه كلام وحكم. يستعمل أصحابه السماع كل جمعة ويتحركون وتظهر عليهم أحوال. وكان متمسكا بالشريعة، عاملا بالسنة، لقيه سيدي قاسم الخصاصي غير ما مرة وتبرك به وزاره يوما بعد قدومه من عند سيدي علي بن داوود المتقدم، يعني دفين مرنيسة، فلما دخل عليه وجلس عنده، ولم يره لكونه ضريرا، قال : هذه رائحة سيدي علي بن داوود، ثم قال : أفيكم من أتى من عنده ؟ فسكت سيدي قاسم، ثم أعادها ثانيا، فسكت أيضا، ثم ثالثا، فقال له : أنا يا سيدي. توفي، رضي الله عنه، سنة ست وعشرين وألف، انتهى.

وأخذ، رضي الله عنه، طريق القوم عن الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد الفلالي دفين بني بوزرا من بلاد غمارة، عن الشيخ أبي القاسم الغازي بن أحمد دفين تافلالت، عن الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله دفينها أيضا، عن الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني، عن الشيخ أبي العباس سيدي أحمد زروق، رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم، آمين.

** علي الهيري

ومنهم الشيخ أبو الحسن علي الهيري دفين داخل باب الفتوح.

* ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 64؛ **التقاط الدرر**، 71/1؛ **نشر المثاني**، 27/1؛ **سلوة الأنفاس**، 48/2.

(453) مجموعة من القصور والقرى، وكانت تقع جنوب شرق منطقة تافيلالت، وذكر الوزان (**وصف إفريقيا**، 130/2) أن سكانها كانوا فقراء وكانت مدينة فاس تستقطب عددا منهم حيث كانوا يزاولون كل أنواع المهن الحقيرة (راجع أيضا : **الحركة الفكرية**، ص. 626).

** ترجمته أيضا في : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 20؛ **نشر المثاني**، 225/1؛ **التقاط الدرر**، 73/1؛ **سلوة الأنفاس**، 5/2.

قال في «**الممتع**» : من أصحاب سيدي الحسن الجزولي دفين خارج باب الفتوح. وكان صاحب حال وكشف وإخبار بالمغيبات، وأثر الخير عليه لائح، وسرور المحبة وبهجتها منه واضح، توفي فيما أظن سنة سبع وعشرين وألف أو ما يقرب منها، انتهى.

وفي «**المقصد**» للعلامة أبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني : ومنهم الشيخ الولي الجليل الشهير، أبو الحسن سيدي علي الهيري الوارثني[454] دفين مسجد الفخارين داخل باب الفتوح، كان، رضي الله عنه، قوي الحال فائض النور، مترسما بالشريعة [عاملا بالسنة][455] حافظا لها، ذا هيبة وجلالة. وتعتريه أحيانا غيبة حتى يسأل عن داره أين هي. له أتباع وتلامذة، وله مكاشفات وأخبار بالمغيبات وكرامات. لقيه سيدي قاسم الخصاصي مرارا وانتفع به وكان يثني عليه. توفي، رحمه الله، في حدود سنة سبع وعشرين وألف، وله عقب، انتهى كلام صاحب «**المقصد**».

* علي بن أحمد الكناني

ومنهم الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني يعرف بابن حنين بالتصغير[456]، أصله من طليطلة[457] وولد بقرطبة[458] ونشأ بها، ولقي الشيوخ بقرطبة وجيان[459] وأخذ عنهم وسمع منهم. ومما أخذ عنهم : القراءات السبع، وسمع **موطأ** مالك والسير؛ ثم رحل حاجا فأدى الفريضة في سنة خمسمائة، ثم حج بعدها مرتين ولقي الشيوخ. وكان ممن لقي الإمام أبو حامد الغزالي وصحبه، وسمع منه أكثر «**الموطأ**» رواية ابن بكير وجملة من وعظه وكلامه وفوائده، ولم يستجزه. ويحكى عنه أنه

---

(454) في ك2 : الواريثني.

(455) زيادة في ك2.

* ترجمته أيضا في : **التكملة**، 670/2؛ **جذوة الإقتباس**، 480/2؛ **سلوة الأنفاس**، 349/1.

(456) ينتسب لبيت بني حنين، وهم من عرب كنانة، وبيتهم بفاس بيت علم وثروة (أنظر : **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس**).

(457) إحدى أعظم مدن الأندلس، وتقع على ضفة النهر الكبير (أنظر عنها : **نزهة المشتاق**، ص. 551؛ **الروض المعطار**، ص. 393).

(458) قاعدة بلاد الأندلس وأم مدنها ودار الخلافة بها. حول هذه المدينة (راجع : **نزهة المشتاق**، ص. 574؛ ابن خلدون، **العبر**، 314/1).

(459) إحدى أهم مدن الأندلس أيضا اشتهرت بطبيعتها وقصبتها ومسجدها الجامع (راجع : **نزهة المشتاق**، ص. 568؛ **الروض المعطار**، ص. 183).

دعا له أن يمتعه الله، فكان كذالك. وأقام ببيت المقدس يعلم القرآن نحوا من تسعة أشهر، ثم انصرف إلى المغرب واستوطن مدينة فاس قديما، في سنة ثلاث وخمسمائة أو نحوها، واشترى بها دارا وبنى بها مسجدا وتزوج، وذلك كله عام قدومه فاس، والتزم الإمامة بمسجده وتصدر للإقراء والتدريس فيه ستا وستين سنة[460] إلى أن توفي. وكان مقرءا للقرآن العظيم، كثير الاِعتناء برواياته مجودا متقنا، وحدث وأخذ عنه الناس، وعمر وأسن. وممن روى عنه : الشيخ أبو محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري الأوسي، يعرف بالقصري، مؤلف «**شعب الإيمان**» وغيره.

وكان صاحب الترجمة، أبو الحسن، فاضلا صالحا، مشهورا بإجابة الدعوة، كريم المجالسة، وتوفي بفاس سنة تسع، بمثناة فسين، وستين وخمسمائة، واحتفل الناس لشهود جنازته، وأثنوا عليه ثناء حسنا وذكرا جميلا، وتهافتت العامة على نعشه وقبره متبركين بهما. ومولده بقرطبة في رجب سنة ست وقيل سبع، بسين فموحدة، وسبعين [بسين][461] فموحدة كذلك، وأربعمائة. انتهى مختصرا من كلام أبي الحسن بن مومن، وابن الأبار[462] في «**صلت**»ـه[463].

قال بعضهم هذا والله أعلم : هو المدفون بالدار التي بابها هو الثاني عن يسار المار من رحبة الزرع من عدوة الأندلس بعد انعطافه لناحية الأرحى التي بقرب مدرسة الوادي [والبلاعة][464]، والعامة تعرفه بسيدي حنين، وكذلك المسجد، وهو قريب من الدار المذكورة، يعرف بمسجد سيدي حنين أيضا، والله أعلم، انتهى. قلت : وميازيب الأرحى التي هناك تعرف بميازيب ابن حنين[465] بزيادة لفظ ابن على الأصل، إلا أن العامة يقولون : حنين، بفتح الحاء وكسر النون في الجميع، وابن ليون نص في «**اختصار شعب**» سيدي عبد الجليل على أنه بالتصغير، والله أعلم.

---

(460) في ك2 : إلى سنة ست وستين.

(461) زيادة في م.

(462) الفقيه المحدث، محمد بن أبي بكر البلنسي، ولد سنة 595هـ ببلنسية وتوفي بتونس حوالي سنة 659هـ (راجع مقدمة كتاب **التكملة**).

(463) المقصود به كتاب «**التكملة**»، الذي ذيل به ابن الآبار «**كتاب الصلة**» لابن بشكوال.

(464) زيادة في م.

(465) زقاق يوجد بحومة الصفاح من عدوة الأندلس أقام به بنو حنين أرحى فنسبت لهم.

[وكان سيدي عبد الرحمان الفاسي إذا زاره يشهد له بقوة الحال، وكذالك سيدي الخياط ويقول : هاذين الوليين لهما قوة عظيمة أجدها في نفسي إذا زرتهما][466].

* عزوز

ومنهم الشيخ سيدي عزوز[467] دفين رأس الجنان من عدوة القرويين. كان، رحمه الله، رجلا بهلولا مولها، غائبا في التوحيد، ساقط التكليف، ملامتيا. وكان من عادته، رضي الله عنه، أنه إذا كان زمن المصيف والحر اصطلى بالنار، وإذا كان زمن الشتاء والبرد تبرد بالماء، وربما نام فيه. قال سيدنا الإمام العارف الهمام سيدي أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن عبد الله، حفظه الله : إنما كان يفعل ذلك مبالغة في موافقة القدر وجريانا مع مراد الله سبحانه، فحيث كان زمن المصيف أحب الحرارة لأنها مراد الله في ذلك الوقت فاصطلى بالنار، وحيث كان الشتاء أحب البرد لأنه مراد الله حينئذ في ذلك الوقت فتبرد بالماء. فهو تابع لمراد الله أبدا، انتهى. وكان من أهل الخطوة والإغاثة، وله كرامات ومكاشفات.

حدثني بعض الفضلاء من أصحاب الشيخ الولي الكبير، سيدي محمد بن عبد الله معن، رضي الله عنه، أنه ذهب مرة إلى بلاد تطاون بقصد التجارة، فنزل بها دارا مع أناس بها، فلما حضر وقت الأكل، قدم إليهم بعض الفاسيين، كان هنالك مسافرا، صحنا من الكسكسو، وجعل يتحدث معهم، ثم قال لهم : أقص عليكم خبر هذا الدقيق الذي صنع منه هذا الكسكسو، إنه من بلاد العناب[468] فقالوا له : وكيف ذلك ؟ فقال : قدمنا من مدينة الجزائر في سفينة في البحر نريد تطاون، فلما أشرفنا عليها هبت علينا ريح عاصف أزالتنا عن مكاننا، وردتنا إلى الموضع الذي منه أتينا، وضرب البحر علينا بالأمواج حتى أشرفنا على الغرق، وقاسينا من ذلك

---

(466) زيادة في م.

* ترجمة أيضا في : **المقصد الأحمد**، ص. 278؛ **صفوة من انتشر**، ص. 36؛ **نشر المثاني**، 240/1؛ **التقاط الدرر**، 79/1؛ **سلوة الأنفاس**، 290/1.

(467) اسمه عبد العزيز ويدعى عزوز دّا الله، بتشديد الدال، كما ينطقها العامة، ومعناه، الذي لله (انظر : **نشر المثاني**، 240/1).

(468) المقصود بها مدينة عنابة الجزائرية. وهي مدينة عتيقة على ساحل البحر المتوسط (راجع : **وصف إفريقيا**، 60/2).

مقاساة عظيمة، فجعل كل من في السفينة ينادي بصالحي بلده، وجعلت أنا أقول : يا سيدي عزوز، يا سيدي عزوز، وأكررها. وكان إذ ذاك حيا. قال : فإذا به أتى على الهيئة التي أعرفه عليها بجلابة في يده، وتاكَرة مقلوبة على رأسه، وكانت عادته أن يفعل ذلك. حتى وصل إلى السفينة، وردها بيده، فسكنت إذ ذاك، وزال ما بنا، ومررنا ببلاد العناب حيث ألقانا البحر، فاشترينا منه هذا الدقيق الذي صنع منه هذا الكسكسو. قال لي المحدث المذكور : فلما سمعت هذه القصة أضمرت في نفسي أني إذا وصلت إلى فاس أعطيته موزونة، فلما وصلت إليها بينما أنا ذاهب بالبردعيين من باب السلسلة(469)، إذ أتاني وقال لي : أعطني موزونتي، وكاشفني بما أضمرت في نفسي. ولم يكن اطلع على ذلك أحد إلا الله تعالى، فأعطيته إياها ومضيت، انتهى.
ومات رضي الله عنه شهيدا، أصابته رصاصة مدفع في الشرور التي كانت بين أهل فاس في وقته(470)، وكانت وفاته، رحمه الله، في شهر ربيع الثاني إحدى وثلاثين وألف. وقبره، رضي الله عنه، مجرب لقضاء الحوائج، ولم يتزوج قط، فلم يكن له عقب، رحمه الله ونفعنا به، آمين.

* أبو عبد الله الخياط

ومنهم الشيخ أبو عبد الله الخياط، قال في «**المستفاد**» : كان عالما، فاضلا صواما قواما كثير البكاء.

أخبرني الفقيه أبو محمد قاسم بن علي الشريف صديقنا، عن الفقيه أبي الفضل جعفر بن هارون، أن والدته أخبرته أنها كانت ترى الفقيه ابن الخياط حين يمشي إلى الجامع يوم الجمعة، وكانت طريقه على باب دارها، فترى على خديه من أثر الدموع طريقا.

أخبرني بعض من أثق به من أصحابنا، عن الفقيه أبي الحسن بن حرازم قال : بعثني والدي للشيخ أبي عبد الله الخياط للتبرك بدعائه، وكنت إذ ذاك صغيرا، قال : فمشيت إليه في آخر النهار، فوجدته في المسجد ينتظر صلاة المغرب، فأعلمته بسلام

---

(469) كان يدعى من قبل بباب الفرج (راجع : **جذوة الإقتباس**، ص. 33).

(470) حدثت تلك الشرور أيام حكم عبد الله بن الشيخ المامون السعدي بسبب نزاعه مع أخيه محمد الملقب بزغودة حول السلطة، فانقسمت المدينة على أثر ذلك إلى قسمين متناحرين ولم ينته النزاع إلا بوفاة عبد الله المذكور سنة 1032هـ (راجع : **الإستقصا**، 58/6).

* ترجمته أيضا في : **سلوة الأنفاس**، 269/1، وفيها ورد أن وفاته كانت في أواخر القرن السادس الهجري.

والدي عليه، ودعا لي، وحانت الصلاة، فلما وقف لتكبيرة الإحرام سمعت لأعضائه خشخشة كالثوب الجديد المكمود إذا تفرقع، انتهى.

ولعل هذا المذكور في «**المستفاد**» هو أحد الذين بالدوح من طالعة فاس، ولا ندري أيهما فربهم أعلم بهم.

* أحمد بن يحيى اللمطي

ومنهم الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن يحيى اللمطي، نفعنا الله به، دفين زاويته التي بدرب ابن زمازم من ناحية داخل باب الجيسة[471]، شيخ شهير، وولي كبير، من أهل العرفان والرسوخ والإيقان، مرب نفاع، ذو تلامذة وأتباع، كانت له، رضي الله عنه، دار بفاس بإزاء زاويته التي دفن بها، ودار بلمطة يتناوبهما، يذهب لهذه أحيانا، ولهذه أخرى، يتبعه الأصحاب إليهما ويقرؤون الأحزاب، ويستعملون السماع في بعض الأحيان. وكان صدرا من الصدور، شهير البركة والحكمة والنور، ذا سيرة حسنة، وطريقة مستحسنة، ينتفع به القاصد والناهج، وتقضى على يده المطالب والحوائج، له بركات غزيرة، وكرامات كثيرة، وقع منها في حياته، وظهر منها الكثير بعد مماته. ضريحه مزارة ينتفع به من قصده وزاره. حرمة من حرم فاس، يتقى به كل ضرر وباس. إن استجار به مستجير ترك وأجير، لا يستطيع أحد التسور عليه ولا يخاف من لاذ به ولجأ إليه، يظهر عليه أثر العناية الربانية، وتلوح عليه المهابة الإلاهية. وقد رام مرة بعض الرؤساء من أهل الفتك أن يخرج من حرمه بعض من استجار به، فعندما قرب من حرمه أخذه داء في بطنه فأحس بمصارينه كأنها تقطع، فرجع عما أراد، وبقي يتوجع إلى أن مات.

وهو رضي الله عنه، من أهل القرن العاشر وطريقه زروقية[472]. أخذ عن الشيخ الولي الشهير سيدي محمد المطرفي دفين بلاد أولاد عيسى[473] على نهر

---

* ترجمته أيضا في : **سلوة الأنفاس**، 191/1.

(471) وتنطق أيضا عجيسة، نسبة لعجيسة بن دوناس بن المعز بن عطية المغراوي الذي حصن بعد وفاة والده عدوة القرويين وبنى بها قصبة لسكناه بعقبة الصعتر وفتح بها بابا سماه باسمه، وقد تم إسقاط العين من الكلمة وأصبحت تنطق الجيسة بدل عجيسة، وذلك برغبة من الفتوح، أخو عجيسة المذكور لعداوة كانت بينهما ولم يرغب بعد قتله لأخيه في أن تظل هذه الباب تحمل اسمه ولذلك عُوضت العين بالألف واللام (راجع : **جذوة الإقتباس**، ص. 49).

(472) نسبة لأحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزورق دفين مسراتة (راجع هامش 102).

(473) قبيلة عربية كانت تقطن شمال مدينة فاس (راجع : **العزو الصولة**، 152/1).

مكس[474]، عن الشيخ الولي الجليل سيدي الزبير بن الكبير دفين مطرح الجنة خارج باب الفتوح أحد أبواب فاس، عن الشيخ الفياض، الولي الكبير، الصديق الخطير، سيدي أحمد بن يوسف الملياني، عن الشيخ القطب سيدي أحمد زروق، نفعنا الله بهم آمين. ولم أقف على وفاة صاحب الترجمة؛ لكنه حسبما أخذ من بعض الرسوم كان حيا عام ثمانين وتسعمائة، ثم كان في ذي القعدة من عام خمسة وثمانين وتسعمائة ميتا، رضي الله عنه ونفعنا به. وعنه أخذ وبه تخرج الشيخ أبو العباس سيدي أحمد الشاوي، نفعنا الله به، إليه ينتسب وله سلب الإرادة، وإياه خدم وبه انتفع وتربى؛ ويكفي في سمو رتبته وعلو قدره تخرج هذا الشيخ به، وكونه أثرا من آثاره، رضي الله عنهما ونفعنا بهما، آمين أجمعين داخلين وخارجين.

* أحمد بن محمد الشاوي

ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الشاوي دفين الجرف داخل فاس. ألف فيه السيد الجليل، الفاضل النبيل، العالم العلم، أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني حفظه الله تأليفا حسنا سماه : «**معتمد الراوي في أخبار سيدي أحمد الشاوي**»، قال فيه : هو الشيخ الإمام، القدوة الهمام، الوالي الكبير، المجذوب الخطير، الفائض الأنوار، الغزير الأسرار، ذو الحال القوي، والمدد الروي، المتمكن في الحال، العظيم البركة والنور، المربي النفاع، الكثير الأتباع والأشياع، ذو الكرامات الكثيرة، والآيات المنيرة، أحد مشايخ زمانه، ومشاهير أوانه، المبرز بوقته لتربية المريدين وهداية المقتدين، الشهير الذكر بآياته الظاهرة وفضله التام، المطبق على خصوصيته في وقته وبعد وقته الخاص والعام، الآخذ عن شيخه وراثة، والمخصص بحال الإغاثة، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد الشاوي، رضي الله عنه وعنا به، ورزقنا بركته ونفعنا به.

أصله من عرب الشاوية أهل بلاد تامسنا[475] وإليهم نسبه الذي به يدعى،

(474) أحد روافد نهر سبو ويقع شمال غرب مدينة فاس. كان يسمى من قبل نهر بونصر (راجع : **وصف إفريقيا، 231/1**).

* ترجمته أيضا في : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 31؛ **صفوة من انتشر**، ص. 36؛ **التقاط الدرر**، 1 /4؛ **نشر المثاني**،132/1؛ **إتحاف أعلام الناس**، 341/1؛ **الإعلام**، 206/2.

(475) يطلق هذا الإسم على البسيط الممتد ما بين وادي الشراط شمالا ووادي أم الربيع جنوبا، وقبيلة الشاوية التي نسبت لها المنطقة قبيلة عربية من بني صبيح الهلاليين، انتقلت إلى المنطقة في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني واندمجت مع قبائل أخرى من زناتة ومديونة وكونت خليطا بالمنطقة (راجع : **وصف إفريقيا**، 153/1؛ **العز والصولة**، 156/1).

وكان فيما ذكر لي هو القادم على فاس بعد أن بلغ الحلم، فلم ينشب أن اتصل فيها بالشيخ الولي الشهير، العارف الخطير، أبي العباس سيدي أحمد بن يحيى اللمطي دفين النواعريين من فاس، فصحبه وأكب عليه وانضم له بكليته وانضاف إليه، وسلب له الإرادة، وألقى إليه قياده، وكان يلازم باب دار شيخه بقصد قضاء حوائجه : من إيصال عجين أو طحين لمحلهما وردهما، وشراء ما يحتاج إليه من أمور النفقة وغيرها، ويعلف له فرسه ويوردها الماء ويربطها، لا شغل له سوى ذلك، وربما يفتل العسف بباب الدار، ويلبس المهين من الثياب، فيلبس الجبة المسماة بالجلابية مكسوة بكساء أو مجردة بادية. وكان إخوانه يستعملون السماع بالزاوية أحيانا. وهو على حاله من ملازمة الخدمة، كأنه ليس من سربهم، ولا من ذوي حزبهم. ثم بدا لشيخه أن يزوجه، فزوجه امرأة خيرة كانت عنده في الدار في عداد عياله ينفق عليها، وبنى له بها في داره، وأسكنه ببيت أروى، لهذه الأروى باب نافذ لباب الدار على مسلك لا يظهر منه وسطها، كأنه لم يشارك الشيخ في سكنى تلك الدار. ومكث هو وزوجته ساكنين بها يتولى هو ما يتعلق بخارج الدار، وتتولى هي ما يتعلق بداخلها. بقي هنالك مدة طويلة، ثم سكن عن إذن الشيخ دارا أخرى بقرب دار الشيخ، وبقي هنالك إلى أن انتقل بعد وفاة الشيخ إلى داره المعلومة المجاورة لروضته. وكان رضي الله عنه، زمن شيخه يظهر عليه أثر الحال الرباني، والفيض النوراني، فكان يطلب من شيخه أمورا يصرح بها جهارا من غير تردد ولا احتشام، يزعجه إلى طلبها باعث الحال، وما لاح له من حصولها في المثال. فكان كثيرا ما يقول له : يا سيدي، أعطني الدنيا والآخرة؛ يا سيدي، أعطني أربع نساء؛ يا سيدي، أعطني من يخدمني، وكذا وكذا مما لا اختيار له فيه، وإنما مقتضاه وارد رباني، وباعث وجداني. وكان كثير من إخوانه ممن لم يشاركه في حاله يضحكون منه ويعجبون لشأنه.

ومما كان يطلبه على هذا النمط حيث يكون في سجوده، ربعة مملوءة بمثاقيل الذهب. وهذا الطلب الواقع في السجود، يحتمل أن يكون وقع له قبل وفاة شيخه أو بعدها. وأيا كان، فهو طلب حالي ليس عن اختيار كما تقدم، وإنما هو جار على مراد الله، فهو محض قدر، وقلبه مظهر له إذ كانت له يد مع الله مذ كان في خدمة شيخه. فما وقع له وقتئذ وبعد ذلك فهو من هذا المعنى، وإلا فهو، رضي الله عنه، ليس ممن يطلب ذلك في بدايته ولا في نهايته. كيف وأهل البدايات أول قدم لهم في الطريق النزع عن الدينا ومحوها من القلب بالكلية؛ فتنبه لذلك، واحمل ما يجري على

هؤلاء القوم من نحو ذلك على ما ذكرناه، إذ قلوبهم منزهة عن أن يخطر بها غير الله جل جلاله. وقد ظهر في الخارج ما أشرق فيه ولاح له من مقتضى ذلك الطلب، وصدق حاله فيه مع ظهور حكمته، وصرفه في سبيل الله كما سيأتي. وكان لشيخه، رضي الله عنه، به اعتناء عظيم، فكان يربيه ويرقيه حسبما سبقت له به من الله العناية، تسري له منه واردات عظام وإمدادات جسام، وربما يريد الشيخ إخفاء ذلك عن بعض الحاضرين، فيزجره بلسانه، ويظهر عدم الإقبال عليه وهو يمده باطنا.

قال رضي الله عنه : أتاني يوما بعض أصحابنا الفقراء وقالوا لي : أردنا أن نذهب إلى جنان الشيخ معه، وأردنا أن تذهب معنا لتعيننا على مباشرة ما يصلح بنا، يعنون من طبخ الطعام ونحوه، فذهبت معهم، فبينما نحن مارين في الطريق بوطن ابن مسفار(476) إذ لقينا الشيخ على فرس له أنثى. فلما رآني ردني وزجرني وجعل يقول لي : إرجع، إمش إمش؛ إذهب إذهب، يكرر ذلك كالمنكل لي، وهو في حال قوله ذلك يمدني بالمدد. وكلما كثر ذلك منه وتكرر كثر المدد علي وازداد حتى امتلأت مددا. ومن رأى ذلك في الظاهر ظن أني مطرود مبعد، وأن الشيخ قد غضب علي وأبغضني. ثم رجعت وانصرف الشيخ. فكان شيخه، رضي الله عنه، أشد عناية به وحريصا على إخفاء أمره عن غيره، مراعاة لما هو أليق به وأنجح لحاله. إذ ما لا يدفن لا يتم نتاجه، وصون البداية ضامن لحصول النهاية، ونور القلب إذا ستر قوي ولاح، كما أن المسك إذا غمت رائحته أعبق وفاح. وكان شيخه ينوه أحيانا بقدره، ويشير أوقاتا إلى ظهور أمره، وأنه صاحب سره والمنفرد بحمله عنه في حكايات شائعة مستفيضة محفوظة. من ذلك أنه قيل له يوما : إن أهل دار الشيخ تمنوا توت الزروب، فذهب من فوره إلى أجنة لمطة يلتمسه حتى وجده، فملأ منه سلة، ظرف معروف، وجاء بها إلى دار الشيخ، واتفق عندما ذهب إليه، أن الشيخ كان جالسا مع أصحابه في سماع، فقال وهم كذلك : ذهب بها صاحب التوت، يعني ذهب بالحكمة التي يصحب المشايخ عليها. وكان الشيخ يوما مع أصحابه إما في حضرة أو غيرها فقال لهم : ذهب بها الأصلع. وكان هو أصلع من بينهم.

وقال رضي الله عنه : لما قربت وفاة شيخنا سيدي أحمد بن يحيى، وهو مريض مرضه الذي توفي منه، أرسل إلى أصحابه وقال لهم : ليطلب كل واحد منكم مراده،

(476) وتنطق أيضا وطا بني مسافر، وهو موقع بسفح جبل زلاغ شمال مدينة فاس.

فجعلوا يدخلون عليه ويطلبون منه ما أرادوا حتى فرغوا فقال لهم : هل بقي أحد من الأصحاب ؟ فقالوا له : لا يا سيدي، فقال لهم : أنظروا هل بقي أحد، فنظروا وقالوا : لا يا سيدي، تكرر ذلك منه مرارا. فلما كانت المرة الأخيرة قالوا له : لا يا سيدي، ما بقي إلا الشاوي، فقال : نادوه، فأتوني وأخبروني بذلك، فدخلت عليه فقال لي : أطلب أنت ما بدا لك، فقلت : يا سيدي، أطلب عليك الدنيا والآخرة، فقال : أطلب إحداهما، فقلت : يا سيدي، طلبت عليك الدنيا والآخرة. ثم أعاد كلامه وأعدت كلامي، فقال لي في المرة الأخيرة : أعطاك الله الدنيا والآخرة. ثم أخبر، رضي الله عنه، بما حصل له من كثرة الدنيا، وبما استفاد من شيخه من قوة الحال.

وقال الشيخ الولي الكبير سيدي محمد بن عبد الله معن، رضي الله عنه : لما مرض الشيخ سيدي أحمد بن يحيى مرضه الذي توفي منه، وقربت وفاته، جعل يغمى عليه ثم يفيق فيقول : أنظروا من بالباب، فيذهبون فيجدون سيدي أحمد الشاوي جالسا هنالك، فيرجعون ويقولون له : الشاوي بالباب، تكرر ذلك منه مرارا، يقول لهم ذلك ويجيبونه بأنه بالباب، ثم قال في المرة الأخيرة : لا إله إلا الله، ما أراد الله إلا الشاوي، انتهى. يعني ما أراد الله أحدا يكون وارث حاله وحامل سره إلا سيدي أحمد الشاوي، رضي الله عنه؛ وربما أسند شيخه أمر أحد إليه، وأوصاه به، فتقيد بصحبته، والشيخ في قيد الحياة، وهو الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن زمام، صحبه زمن شيخه وتقيد بصحبته، فكان يخدمه ويعينه على خدمة شيخه تابعا له مجموعا عليه، ثم توفي الشيخ، رحمه الله ورضي عنه، وظهر بعده وارث حاله سيدي أحمد الشاوي، نفعنا الله به، وتصدى للمشيخة وصار ركنا للإسلام مشيدا، وعمادا للدين عميدا، ممن رحم به البلاد، وانتفع به العباد، وفاض بحره الطام على الخاص والعام، وكثرت عنده الأتباع، وتوفرت لديه الأشياع، وملئت بالثناء عليه الأفواه والأسماع، معظما عند الكافة، يسمع له ويطاع، منور الشيبة، عظيم الهيبة، ظاهر القوة والعناية، واضح الخصوصية والولاية، مطبقا على خصوصيته في زمانه وبعد زمانه، أهل وقته ومن بعدهم من أرباب الطريق وأعيانه. وقد شهد له أكابر المشايخ من أهل وقته، كالشيخ المجذوب الكبير سيدي أبي شتاء، حتى أنه ارتحل من أجله من البلاد التي كان أراد بناء زاويته بها أولا قبل أن يبني بفشتالة[477] وترك الموضع له، وستأتي قضيته في ذلك؛ وكالشيخ

(477) منطقة جبلية تقع شمال مدينة فاس وتكتنف مواطن سلاس وبني ورياغل (راجع : **الحركة الفكرية**، ص. 492).

الفياض أبي عبد الله محمد الشرقي[478]، وكالشيخ أبي عبد الله محمد الكَومي من حيث جاءه زائرا له، وغيرهم من المشايخ بعدهم، كالشيخ الإمام العارف الكبير أبي عبد الله محمد بن عبد الله معن، فقد كان يذكر بعض كراماته وحكاياته، رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم، آمين.

وكان له، رضي الله عنه، خمس زوايا شهيرة البركة والمزايا : زاوية بفاس بحومة الجرف مجاورة لدار سكناه، وبها دفن، وزاوية بمدشر كربال[479] من لمطة، وزاوية بالكَطاوي[480] من بني يزناتن[481] وزاوية ببني ظهير[482]، وزاوية بأبي شابل[483]، وفي كل واحدة من هذه الزوايا، تلامذة له وأصحاب كثيرون يعمرونها بإقامة الصلوات، وقراءة الأحزاب، وذكر الله عز وجل. وكان، رضي الله عنه، يقيمها من كل ما تحتاج إليه من طعام وغيره من ماله الخاص به ومما يوتى به إليه. وكان له بوادي سبو فلك صغير، وهو المسمى بالقارب، يعبر الناس عليه زمن الشتاء حيث يعظم الوادي، وذلك لوجه الله عز وجل. ويعطي الموكل به ما يكفيه كل عام من القمح والإدام. وكان سكناه رضي الله عنه، في زاويتين منها : زاويته التي بفاس إزاء داره بالجرف، وزاويته التي بكربال يتناوب المجيء إليهما، وباقيهما كان أصحابه يعمرونه ويلازمونه عن إذنه. وسبب انتقاله من الدار التي كان ساكنا بها بقرب حومة شيخه، أن إخوانه كانوا يغارون منه، وربما قوي حسد بعضهم له حتى حمله ذلك، والعياذ بالله، على التعرض لغدره. بينما هو يوما مار في الطريق، إذ فاجأه أحدهم في يده قوس، فعندما رآه رماه به فأخطأه، فنبذ عند ذلك مجاورتهم، وانتقل إلى داره بالجرف. وكان بعض أولائك[484] الحسدة يأتيه ويدعي أن له عليه دينا، يسمي له قدره، فيعطيه ذلك القدر من فوره، وهو لا شيء له عليه، وما من أحد فعل ذلك إلا ساء

(478) في ك1 : وكان الشيخ الفياض أبو عبد الله محمد الشرقي يجله.

(479) ورد في معتمد الراوي (ص. 3) أن هذا المدشر يقع على وادي سبو في العدوة المقابلة لبلاد لمطة ويقابله من لمطة المدشر المسمى بالشبرية على مشرع يدعى مشرع سيدي أحمد الشاوي (راجع أيضا : **نشر المثاني**، 133/1).

(480) واد يقع تحت عقبة الصفصاف من بني يزناسن ناحية لمطة (راجع : **معتمد الراوي**، ص. 3).

(481) طرة من م : بالراء، قرية بلمطة.

(482) مدشر على وادي سبو في العدوة المقابلة لفاس على المشرع الذي يجتاز عليه لسيدي أبي شتا، ويسمى مشرع ابن زمام (راجع : **معتمد الراوي**، ص. 3؛ **نشر المثاني**، 133/1).

(483) واد يمر عليه الذاهب من بني ظهير لسيدي أبي شتا (راجع : **معتمد الراوي**، ص. 3).

(484) في ك2 : أوليائه.

حاله، والعياذ بالله، وكان عاقبة أمره خسرا. وكان له، رضي الله عنه أربع نسوة اجتمعن عنده في عصمة واحدة. وكان، رضي الله عنه، قواما ناهضا، وجوادا فائضا، يقوم بالمؤن كلها، ويحمل أثقال جلها، وينفق الطريف والتليد على القريب والبعيد، رفيع الهمة، سريع العزمة، يحث أصحابه على السنة والحزم في الدين، واتباع سنن المهتدين، وحملهم على رفع الهمة من الخلق، والاكتفاء بالواحد الحق، ولا يحب من يركن إلى الخلق، أو يظهر شيئا من الفاقة إليهم، ولا أن يعول في شيء من الأشياء عليهم، ويقول : السعاية في مذهبنا حرام، يعني طلب العطاء من المخلوقين وقبول منتهم، حتى كان أصحابه إذا وجدوا أحدا ينتسب للشيخ، وهو يتعرض لشيء من ذلك، يقولون له : لست من أصحابه ولا تكون منهم. وكان شديد الغيرة على أصحابه وعلى كل من تعلق بجنابه، سريع الإغاثة لهم ولكل من نادى به، يجمعهم عليه ولا يترك لهم نظرا إلى غيره، ويحوطهم ظاهرا ويجذبهم إليه باطنا، لا يترك لهم مستصرخا إلا به، ولا متعلقا إلا بجنابه، حتى أن امرأة عجوزا من فقرائه المتعلقين به كانت قاطنة بداره في عداد من ينفق عليه، صعدت يوما إلى سطح الدار، فرأت قباب الصالحين وروضاتهم خارج باب الفتوح وداخلها، فجعلت تدعو وتتوسل إلى الله بأولائك الصالحين أهل تلك الروضات، ونزلت من السطح، فإذا به يقول لها : مع من كنت ؟ فقالت : ما كنت مع أحد، فقال لها : رأيت جماعة من الناس معك، أما كنت تنادين بالصالحين ؟ وكاشفها بما كان منها، فقالت : نعم يا سيدي، فقال لها : ما قنعت بالوجه الذي أمامك ؟ ثم قال لها : من لم يقنعه السبع يأكله الذئب. ومثل ذلك وقع لتلميذه أبي العباس الشامي معه، حيث أخبره، رضي الله عنه، بتكلمه مع بعض المشايخ الأموات، وكان حاضرا معه، فقال له : يا سيدي، هلا أعلمتنا به، فقال له، رضي الله عنه : وأنا ما قنعتك. وله في ذلك حكايات يطول ذكرها.

وكان رضي الله عنه مجذوبا قويا، وفياضا رويا، يقع له الفيض أحيانا وتظهر عليه سطوة الحال وصولته، ويصرح بالإعطاء والمنع، والنفع والدفع، منطلق اللسان بذلك شأن المتصرف المأذون. وكان أصحابه يستعملون السماع بين يديه وتظهر الأحوال على كثير منهم، ويتحركون ويتواجدون مع تحريهم الصدق ومراعات الأدب، ومن ظهر عليه في حاله خلاف الأدب أدبه بزواله. وجاء يوما رجل من اللمطيين ووجد عند أصحابه السماع وهو، رضي الله عنه، معهم، فدخل في زمرة الناس وطاب وقته وتواجد، فجعل يقول وهو كذلك : فم الرزق تحت رجلي، فإن شئت فتحته وإن شئت ربطته،

فسمعه يقول ذلك، فأخذته الغيرة وقال زاجرا له : يا فلان، لم يجد الخير أين يتسع. فما تحرك الرجل بعد ذلك ولا ظهر عليه أثر الحال قط. وكان يقول : لو وجدت العرب لتركت في كل موضع فحلا يصول، يعني رجلا قوي الحال، ولكني وجدت اللمطيين كالحلفة، أنت تدقها وهي على حالها، لا ترجع عن صلابتها ولا تلين. وقال السيد الصالح أبو عبد الله محمد أبو شامة[485] : كنا يوما نقرأ الحزب مع الأصحاب بالمسجد القريب من زاوية سيدي أحمد الشاوي، فخطر ببالنا، لما فرغنا من قراءته، أن نزور سيدي أحمد الشاوي، وإذا به كان ذكرنا في نفسه تلك الساعة وجذبنا إليه فجئناه. ولما جلسنا بين يديه قال لنا : سمعتكم تقرؤون الحزب فحركتموني وأعجبتموني، وإني ما وجدت في أصحابي إلا هؤلاء اللمطيين، ولو وجدت العرب لتركت في كل غابة سبعا. ثم قال لي : مد يدك لعمل الحناء، يريد بذلك الإنقياد والدخول في حزبه، فقلت : لا يا سيدي، فقال لي : إذا قال لك أخوك أنا السبع فقل له أنا ذيلك، فقلت حينئذ : نعم يا سيدي، فقال لي : فات ذلك، انتهى.

وكان رضي الله عنه كثير الأصحاب والأتباع، تبعه جيل كثير من الناس ولهج به من الرجال والنساء ما لا يعد كثرة، وأكثرهم من اللمطيين أهل بلاد لمطة، إذ كان هنالك ظهوره، وكان له في تلك البلاد شهرة كبيرة وقبول تام. وكان يكثر زيارة المشايخ الثلاثة : الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش والشيخ سيدي أبي يعزى، والشيخ سيدي أبي سلهام، نفعنا الله بهم، آمين.

ومن مزاياه، رضي الله عنه، الظاهرة، ومآثره الباهرة، المؤذنة بعظيم فتوته وسخائه، واهتمامه بأمور المسلمين واعتنائه، ما شيده من محامد الآثار، وخلده للإنتفاع به على مر الأزمنة والأعصار، من كثرة الأوقاف في سبيل الله، وإصلاحه للمسلمين ما عجزوا عن إصلاحه مما هو عام النفع لهم، وصرفه فيه الأموال العريضة. وقد كان له، رضي الله عنه، أموال كثيرة، ومكاسب غزيرة، توفرت لديه وسيقت إليه. قد بسطت له الدنيا، وكان يتسبب ويتكسب، وإنما كان تكسبه الزرع والماشية، وكان يقبض ما يوتى به إليه ويصرفه في سبيل الله، فكان حاله الأخذ والإعطاء، يعطي كثيرا ويدل على الإعطاء، حتى إنه ليقول لبعض القبائل المتعلقين به : إذا رفعتم طرفا من اللحم فاجعلوا منه عظما للشاوي.

(485) البعاج الصبيحي، ذكره القادري في كتابه «**نشر المثاني**» (27/2)، ضمن: من توفوا سنة 1053هـ (راجع أيضا : **سلوة الأنفاس**، 236/2).

وكان يفرق ماله، من مكتسب وغيره، شذر مذر، لا يبقي شيئا منه ولا يذر؛ وقد حبس أرضين كثيرة وغيرها على المساجد والقراءة وغيرهما. وأوقافه معلومة الآن. وقد قال لي بعض الأصحاب المؤقتين بجامع القرويين : إن الأحباس كثرت بسبب سيدي أحمد الشاوي. وقد فعل مصالح أخرى من أمور المسلمين صرف فيها أموالا حفيلة منها: بناؤه قنطرة ابن طاطو(486) خارج باب بني مسافر لما أفسدها السيل، ومنها إصلاحه لماء جامع الأندلس(487) الجاري لها من ناحية باب الجديد(488)، وهو آخر أعماله الصالحة ومآثره الواضحة، رضي الله عنه ونفعنا ببركاته، آمين.

ومن كلامه، رضي الله عنه : نزلت ثلاث آيات متقارنات، لا تقبل واحدة منها بغير قرينتها : أولاها، قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الّذِين آمَنُوا أطِيعُوا اللّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(489)، فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم تقبل طاعته.

ثانيتها، قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا ... أقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(490) فمن صلى ولم يؤد الزكاة لا تقبل.

وثالثتها قوله تعالى : ﴿أنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إلَيَّ المَصِيرُ﴾(491) فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه.

وقال رضي الله عنه : العمل بالنية ثم المحبة ثم تقوى الله؛ وغمض بصرك عن محارم الله وانته عن الكذب والغيبة والنميمة والبخل والحقد والحسد، والزم الوفاء مع الله ثم مع عباد الله واتبع القرآن وسنة رسول الله، ﷺ؛ خذوا زينتكم بمفاتيح دين الله ما افترض عليكم في الصلاة والصيام والزكاة في المال ثم النفس، والنفس بالصيام، والذل

(486) بنيت هذه القنطرة سنة 1013هـ (راجع : **معتمد الراوي**، ص. 8).

(487) بني هذا الجامع في عهد يحيى حفيد إدريس الثاني عام 295هـ، ويقال أيضا إن تأسيسه قد تم على يد مريم أخت فاطمة الفهرية (بانية جامع القرويين) بمساعدة الأندلسيين. وتم إصلاح مائه بعد وفاة صاحب الترجمة من ماله الذي حبسه عليه قبل وفاته بأربعة أيام (راجع : **معتمد الراوي**، ص. 10؛ **فاس قبل الحماية**، 78/1).

(488) أقيم على وادي فاس جنوب المدينة بأمر من السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق (راجع : **جذوة الإقتباس**، ص. 51).

(489) الآية 59 من سورة **النساء**.

(490) الآية 110 من سورة **البقرة**.

(491) الآية 14 من سورة **لقمان**.

والاحتقار، والصلاة على النبي، ﷺ، في كل مكان، هذا هو المعروف للفقراء، والزم الصبر، واترك الصعب، وخالف النفس والشيطان والهوى.

وقال رضي الله عنه : النفس لا تعرف نفسها لنفسها ولو بلغت ما بلغت، بل لا يكون ذلك إلا بشيخ كامل، والشيطان إن اتبعته أدخلك النار، ومن أطاع هواه هوى في جهنم.

وقال رضي الله عنه : المومن لا يغفل ولا ينام.

وقال رضي الله عنه : لكل شيء وقت ولا يحدث شيء قبل وقته.

وقال رضي الله عنه : الصاحب الذي لا يغيث صاحبه ما هو بصاحب.

وقال رضي الله عنه : الصحبة رقعة في الثوب، فلينظر أحدكم ما يليق بثوبه.

وقال رضي الله عنه : المريد المحب إذا احتاج شيخه وناداه ثلاث مرات فإنه يغيثه أي وقت كان، في رخاء أو شدة.

وقال رضي الله عنه : المريد الصادق لا ينتفع من شيخه إلا بعد وفاة شيخه.

ومن دعائه، رضي الله عنه : اللهم أرزقنا القناعة، والصلاة في الجماعة، والخروج من الدنيا بلا تباعة.

وأما كراماته، رضي الله عنه، وآياته وبركاته ومكاشفاته، فهي أكثر من أن تحصى ويأتي عليها العد، وأوفر من أن تستقصى ويحصرها الحد، اشتهرت عند الحاضر والبادي، وعلمها الرائح والغادي، وسارت بها الركبان، وشاعت في الأقطار والبلدان. وقع له، رضي الله عنه، منها ما لا يعد وقت حياته، ولم تزل تقع للناس بعد وفاته. فكراماته بعد مماته مثلها في حياته أو أكثر، وجريانها في الوجود أزيد وأوفر، لا سيما الإغاثة. فقد عرف بها برا وبحرا؛ أستغاثه الناس فيهما فوجدوه كنزا وذخرا، وقصدوه في أنواع الحوائج، فسهلت عليهم في كل ذلك المناهج، فلا يزالون لأجلها يأتونه بأنواع النذور والوعود التي رتبوا إعطاءها على قضاء تلك الأغراض والقصود. وقد صرح هو بأنه صاحب إغاثة كما مر ذكره والتنبيه عليه، فعلم من ذلك ومن الواقع أنها من الأحوال المتمكنة لديه، التي هي طوع يديه. وقد تنوعت كراماته إلى إغاثة وسواها : من إنفاد أمر، وإبراء مرض، ومكاشفة وما عداها. وتنوع الكرامات يدل على تعدد المقامات.

فمن كراماته، رضي الله عنه، [الواقعة زمن حياته][492] : أن رجلا من أصحابه كان مسافرا ذاهبا في طريق القصر، وهو إذ ذاك، رضي الله عنه، مقيم بداره، فبينما الرجل المذكور ذاهب في طريق سفره، إذ وقعت دابته بالأرض هي وما حمل عليها، فلم يقدر لها بشيء، فنادى يا سيدي فلان[493]، لبعض الصالحين سماه، فما أتم نداءه حتى فاجأه الشيخ سيدي أحمد الشاوي، رضي الله عنه، واقفا معه، فلطم خده بمرة، غيرة منه أن ينادي غيره وهو من أصحابه وقال : يا ابن كذا، وسبه، أما كفاك صالحو بلدك ؟ يريد نفسه، رضي الله عنه، ثم رفع معه الحمل وقامت الدابة تمشي، ثم غاب عنه.

ومنها أن بعض أصحابه كانت عليه جناية، وأهل المجني عليه يطلبونه بسببها، فبينما هو يوما بلمطة، إذ فاجأه طلابه، ففر هاربا، فتبعوه يريدون قتله، فقصد غيضة في جنان هنالك ليتمنع منهم، فوجد فيها سبعا، فقال في نفسه : أكل السبع خير من قتل الطلاب، ورمى بنفسه إلى السبع فتلقفه وأطبق عليه يده وجعله تحت بطنه، ومكث كذلك، فلما أشرف الطلاب عليه ووجدوه تحت السبع رجعوا عنه. فحدث هذا الرجل بعد ذلك أنه أغمي عليه تحت السبع، فلم يكن يحس ولا يسمع شيئا إلا اسم الجلالة، فكان يسمع ذلك السبع يقول : الله، ثم أفاق بعد ذلك فلم يجد السبع ووجد آنية مملوءة ثريا عليها قطعتان من اللحم، فأكل حتى شبع وزالت روعته، ثم ذهب إلى زاوية الشيخ بمدشر كربال، فلما أشرف عليه قال له قبل أن يخبره : كيف أنت يا ولدي مع السبع ؟ وأشار له إلى القضية، فعلم أنه كان هو السبع، وأنها آية من آياته، رضي الله عنه ونفعنا به.

ومنها أنه كان يوما بمدشر في بني يزناتن من بلاد لمطة، مر عليه مجتازا به فقبضه أهل المدشر، وكان المطر قد حبس عنهم، واشتدت إليه حاجتهم، فقالوا له : يا سيدي، إن هؤلاء الناس، يعنون أهل المدشر، حلفوا بالحرام، أي بتحريم أزواجهم، لا يطلقونك حتى ينزل المطر. فقال لهم، رضي الله عنه، هضما لنفسه : ما بلغت هذه الدرجة، يعني كونه يستسقى بوجهه، وينزل المطر بسببه؛ فلما ألحوا عليه في الرغبة رق لهم، فأرسل رجلا من أصحابه من أولاد ابن شهبون إلى ولي هنالك يزار ضريحه يقال له سيدي يشوش، فذهب ورجع، فوجد الشيخ وأصحابه في الحضرة

(492) زيادة في «**معتمد الراوي**».

(493) ورد في «**معتمد الراوي**» أن الشخص المنادى عليه هو عبد الرحمان المجذوب.

والسماع قد طاب وقتهم، وإذا بالمطر ينزل من السماء وابلا مدارا، وسقي [الناس][494] من حينهم ببركته، رضي الله عنه، وبسبب استغاثتهم إياه. وكان إرساله من أرسل للولي المذكور سترا على نفسه.

ومنها أن امرأة كانت هي وزوجها من الفقراء المنتسبين إليه، وكانت لا تلد، فتزوج عليها بسبب ذلك زوجها، فوجدت في نفسها وجاءته، رضي الله عنه، بداره، تخبره بذلك، وتشكو له عدم الولادة، فأعطاها، وهي في داره، سبع رمانات، فأكلتها هنالك كلها وانصرفت. فولدت بعد ذلك سبعة من الأولاد كلهم ذكور : ولدت ستة منهم في ثلاثة بطون، اثنين في كل بطن، وولدت السابع منفردا، تمام عدد الرمانات التي كان أعطاها.

ومنها أن امرأة من فقرائه عربية من أولاد خلخال، كانت مع أهلها ببلاد أولاد عيسى، فجاء الفقراء ليلة إلى منزلها، فضافوا عندها، فنصبت القدر على النار تطبخ لهم الطعام، فبينما هي كذلك، إذ أخذت القدر في السقوط، فنادت على الفور مستغيثة : يا سيدي، تعني سيدي أحمد الشاوي، فرجعت القدر لمحلها. ولما فرغ يومئذ الشيخ من صلاة المغرب بزاويته، قال لمن حضره من أصحابه : ما يتركوننا ولو في الصلاة، وأخرج كمه فيه تكفيس، أي أثر سواد القدر، وقال : الآن نادتني فلانة، وسمى المرأة المذكورة، واستغاثتني على سقوط قدرها فرددته لمحله.

ومنها، وهي كالتي قبلها، أن امرأة من فقرائه من النساء اللاتي كن بداره في عداد نفقته، كانت تباشر الطبخ مع النساء في يوم صنع الشيخ فيه الطعام للمولد النبوي، فجعلت المرأة تطبخ في برمة (كذا) انفردت [بها][495] وذلك داخل الدار، فمالت البرمة للسقوط، فنادت مسرعة : يا سيدي، يا حنيني، فرجعت البرمة لمكانها، وإذا بالشيخ داخل عليها بعصى في يده، ولم يكن أخبر بشأنها، فجعل يهددها ويقول : ما تتركيننا حتى في الكوانين ولا في المجاري.

وكانت امرأة أخرى من النساء التي في داره أيضا زلقت يوما في المرحاض فنادت به، فدخل عليها الدار من دون أن يخبر بذلك أيضا، فهددها بالعصا مثل هذه، وقال لها مثل ما قال [للأولى][496] يريد تأديبها أيضا.

(494) زيادة في ك2.

(495) زيادة في ك1.

(496) زيادة في ك2.

ومنها أن امرأة من أزواج بعض أصحابه، لم يكن لها ولد، جاءته يوما وجعلت تبكي أمامه، كأنها تريد الولد، فأخبرها بتزيد الولد عندها، وقال لها : سم الولد الذي يتزيد عندك أحمد البهلول. فتزيد لها ولد فسمته أحمد، ثم كبر حتى صار رجلا، فحسن حاله، وصحب بعض الصلحاء البهاليل، فأثرت فيه صحبته، وصار بهلولا وكان الأمر كما قال.

ومنها أن رجلا من أصحابه من أولاد ألحيان من اللمطيين كان له زرع في مطمورة له في داره بلمطة، فهبطت إليها يوما زوجته لتخرج منها القمح على عادتها، فلم تجد إلا مقدار ما يأكلونه يوما أو نحوه. فذهب إلى الشيخ وأخبره بذلك فقال له : تسلف من أبناء عمك. فقال له: يا سيدي، إني ممن يعرف بالزرع الكثير، فإن ذكرت التسلف لهم لم يصدقني أحد منهم أنه لا زرع لي. فقال له، رضي الله عنه : إذهب، فقل لزوجتك تخرج القمح من مطمورتها بيدها، وتأخذ منه كل يوم ما يكفيها، ولا تدخلها إلا على وضوء، ففعل ذلك، وبقوا يأكلون من مطمورتهم سائر فصل الربيع، ثم دخل زمن الصيف وهم يأخذون منها، كلما أخذوا شيئا وجدوا آخر، حتى كان وقت الدراس، وكان من عادتهم أنهم يعملون الثريد أول ما يدخل دارهم القمح الجديد، فاستشرفت لذلك امرأة منهم وأحبت تمام القمح الذي بالمطمورة ليجيء القمح الجديد، فيصنع منه ذلك الطعام، وجعلت تسأل عن تمامه وتراود التي تخرجه عن إخراج كل ما بقي هنالك، فتأبى عليها، فرصدتها حتى خرجت يوما لبعض الديار، وهبطت هي للمطمورة، وأخذت ما وجدته وكنستها، فانقطع ذلك بقدرة الله وأتوا بالقمح الجديد مكانه.

ومنها أن رجلا من اللمطيين، من أولاد الغيد(497)، سرق له فرس أنثى، فذهب من منزله إلى الشيخ هو وأخ له معه، فوافقا عنده السماع تلك الليلة، فباتا عنده ليلتهما، وشكيا ذلك له، فقال لهما : إذهبا إلى سيدي محمد الشرقي بتادلة. فأما أحدهما فلم يذهب واستبعد وجود الفرس هنالك، وأما الآخر فأيقن بالخبر وذهب من فوره إلى هنالك، وجد في المسير، فلما وصل إلى أرض سيدي محمد الشرقي أشرف على أناس في عين ماء يغسلون ثيابهم، وإذا فرسه ترعى قريبا منهم معها ولدها يتبعها، وكانت، لما سرقت، حاملا قريبة الولادة، فأزال حزامه عن وسطه وجعله في عنقها

(497) في ك2 : أولاد القيد.

واقتادها، فلم يقل له أحد من الحاضرين شيئا، فمضى وهي معه إلى سيدي محمد الشرقي يزوره، فلما أشرف عليه قال له : مرحبا بصاحب أخي الشاوي، فبات عنده تلك الليلة، وقفل من عنده معه فرسه لا ينازعه فيها أحد إلى أن وصل لبلده، وجمع الله عليه فرسه من هنالك كما قال الشيخ، رضي الله عنه.

ومنها أن رجلا كان ذاهبا في الطريق قادما على فاس، فسقط له الحمل أو الدابة، فلم يستطع رفعه ولا وجد من يعينه عليه، فجعل يستصرخ بالصالحين الذين كانوا موجودين حينئذ ويناديهم : يا سيدي فلان، يا سيدي فلان، وكان ممن ناداه منهم : الشيخ سيدي أحمد الشاوي، فلم يحصل له غرض، وضاق ذرعا أن لم يغثه أحد منهم، فغضب وقال : كأني أنادي جماعة من اليهود، فجاء رجل وحمل معه على الدابة وانصرف. فلما قدم على فاس، أتى الشيخ، فعندما رآه الشيخ قال له قبل أن يذكر له شيئا : أما قلت كأني أنادي جماعة من اليهود ؟ وأخبره بما وقع له، فأقر واعتذر، ثم قال الشيخ : إنا كنا جميعا بموضع كذا ننظر إليك وقد سمعنا مقالتك فضحكنا منها جميعا.

ومنها أن تلميذه أبا العباس الشامي، رحمه الله، كان يوما ذاهبا إلى زاوية الشيخ بكربال، يريد اللحاق به، إذ كان هنالك، فلقي في طريقه بعض أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن عبد الوارث[498]، فسار معه مترافقين.

قال الشامي، رحمه الله : ذهبنا حتى بلغنا الوادي، وادي سبو، فقلت له : يا أخي، تزور الشيخ، أو تذهب؟ فقال لي : يا أخي، نذهب إلى شيخي، إن الشيخ يغار على مريده؛ فمشى، ومضيت أنا إلى الشيخ، فوجدته بباب داره، فسلمت عليه فقال لي : الحمد لله على السلامة. ثم ذهبت لأربط دابتي، ودخل هو داره، فجاء الرجل الذي كان معي وقال لي : أردت زيارة الشيخ فبعثنا إليه فأبى أن يخرج إلينا. فذهب الرجل، ولما ذهب، خرج الشيخ وقال لي : إن الرجل ما أحب زيارتنا، وإنه أحب أن يمشي إلى سيدي أحمد بن عبد الوارث، وأنت كلفته بذلك، فلو أراد زيارتنا لجاء معك من أول مرة. فكاشفني الشيخ، رضي الله عنه، بما كان بيني وبين الرجل.

(498) العالم الصوفي أحمد بن محمد بن عبد الوارث الياصلوتي، حفيد الشيخ عبد الوارث الياصلوتي صاحب الزاوية الشهيرة ببني زروال من منطقة غمارة. اشتهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيرا على طريق جده عبد الوارث، عايش التقلبات السياسية التي شهدها المغرب عقب وفاة المنصور السعدي وتوفي مسموما سنة 1021هـ (راجع ترجمته في **الحركة الفكرية**، ص. 478 وما ذكر فيها من مصادر ترجمته).

ومنها ما ذكره أبو العباس الشامي المذكور أيضا فيما قيده، قال، رحمه الله : كنت مع الشيخ بزاوية كربال، فجاءه رجل يزوره فقال له : لا أسمع كلامك حتى تعطيني ما جئت به إلي. فقال له : ما جئت لك بشيء، فقال له : أما سقت لي اثني عشر درهما؟ ها هي مربوطة في كسائك، فقال له : صدقت يا سيدي، فقبل الأرض بين يديه وقال له : يا سيدي، أنظر مني ومن حالي لأني في ضيق كثير، والله يفرج ما بي. ثم دعا له. فقضى الله حاجته في الحين، رزقنا الله رضاه بجاه النبي، ﷺ، انتهى.

ومنها ما قيده أيضا الشامي المذكور مما وقع له يوما عند ذهابه إلى زاوية كربال، يريد لحاق الشيخ هنالك، قال، رحمه الله : صليت الصبح وذهبت إلى باب الجيسة فلم أجده، يعني الشيخ، فأخبرت أنه مضى، فبينما أنا واقف، إذا برجل أتى راكبا مثلي فقال لي : إلى أين تريد؟ فقلت : زاوية[499] الشيخ، فقال لي : من شيخك؟ فقلت له : سيدي أحمد الشاوي، فقال لي : طريقنا واحدة، فقلت له : وأنت أين تريد؟ فقال لي : أريد شيخي، فقلت له : ومن شيخك؟ فقال : سيدي أحمد بن عبد الوارث، فمشينا، وكان في ذلك اليوم حر شديد، فقال لي : يا أخي، إن هذا الحر شديد، فقلت له : ما جاء في وقته لا يلام، ولكن يا أخي أنت ماش إلى شيخك، اطلب الله تعالى وشيخك أن يرغب مولانا أن يرد الحر بردا فإن هذا قليل في حق أولياء الله. فقال : لا شك في ذلك، ولكن يا أخي إني قادم على شيخي أكلفه بأمور غير هذه. فقلت له : شيخي والحمد لله أكلفه بما هو أعظم من ذلك لأنه قال لي : الصاحب الذي لا يغيث صاحبه ما هو بصاحب. وأشهد علي أني مكلف به وهو مكلف بي، فقال لي : يا أخي، يقينك في شيخك أعظم من يقيني. فقلت له : الحمد لله والشكر لله، ما خدمته إلا لذلك وغيره. ثم رفعت يدي إلى السماء وقلت : اللهم إن السماء سماؤك، والأرض أرضك، والشمس شمسك، والحر حرك. اللهم بحرمة شيخنا، ألا ما أطفأت عنا هذا الحر في هذا اليوم، ويجيء بردك بجاه الشيخ سيدي أحمد الشاوي. ثم قرأنا الفاتحة وصلينا على النبي، ﷺ، وسرنا. فقبل الله دعوتنا من بركة شيخنا، رضي الله عنه، وصار الحر بردا حتى نزلت علينا الشتاء. ورأيت من ذلك عجبا [كبيرا][500] انتهى.

(499) في م زيارة.

(500) زيادة في ك2.

ومنها ما كان يذكره الشيخ الإمام العارف الكبير، سيدي محمد بن عبد الله معن، رضي الله عنه، ويحدث به قال : مر سيدي أحمد الشاوي يوما ببعض الأزقة[501]، فنظر إلى بروز هنالك، والبروز خشب مغروزة في الحائط طولا، يحمل عليها البناء، وجعل يعدها ويقول : بقي واحد، فبعد ذلك قتل أناس وعلقوا هنالك كل واحد في خشبة من تلك البروز. وبقي واحد منهم ملقى على الأرض ولم يوجد ما يعلق فيه.

ومنها أنه، رضي الله عنه، بات ليلة في جنان رجل من أصحابه يقال له الحاج منصور أبو زيد في ملأ من أصحابه، فجاء إلى ذلك الجنان تلك الليلة جماعة من المتلصصين يريدون سرقته، فراموا الدخول، فلم يستطيعوا، وصاروا كلما أرادوا أن يدخلوا من ناحية وجدوا أسدا هنالك بارزا لهم، فيفروا ثم يرجعوا فيجدونه كذلك، فاستشعروا [شيئا][502] وقالوا فيما بينهم : إن ها هنا في هذا المحل رجلا من الصالحين، وتعاقدوا أنهم يبيتون حول الجنان حتى يصبح وينظروا من فيه. فلما أصبح دخلوه فوجدوا الشيخ، رضي الله عنه، فزاروه وتابوا على يده وحسنت حالهم ببركته، رضي الله عنه.

ومنها أن رجلا من أصحابه يقال له الحاج بورمانة من بني ورا، فخذ من الشاوية، ذكر أن بني ورا جاؤوا الشيخ سيدي أحمد الشاوي وقالوا له : يا سيدي، نحن غرباء في هذه البلدة وأردنا من يحول بيننا وبين أهل المخزن، يريدون أهل الإمارة، فقال لهم : إيتوني بأولاد فلان، رجل سماه، فأتوه بهم وهم ثلاثة إخوة، فلما مثلوا بين يديه أشار إلى واحد منهم فقال : هذا لي، وأشار إلى آخر وقال : هذا يحول بينكم وبين المخزن. فكان الذي قال فيه هذا لي، من أصحابه، دينا خيرا ذاكرا مكرما للضيف، وكان الذي قال فيه، هذا يحول بينكم وبين المخزن، من أشياخ القبيلة، ميمون النقيبة، لا يتوجه لحاجة من حوائجهم عند أهل الإمارة إلا قضاها، وكان الثالث من الإخوة، الذي لم يشر إليه بشيء، من مطلق عوام الناس، وكان بنو ورا المذكورون قاطنين بالمغرب من أحواز فاس، مفارقين لقبيلتهم المذكورة القاطنة بتامسنا، نقلهم هنالك بعض الرؤساء[503]، ولذلك شكوا غربتهم إلى الشيخ رضي الله عنه، وكان

(501) في «**معتمد الراوي**» ورد أن الزقاق المذكور هو سويقة الدبان.

(502) زيادة في «**معتمد الراوي**».

(503) يقصد بها قبيلة الشاوية التي ثارت في عهد السلطان عبد الحق المريني مستغلة ضعف الدولة على أثر =

جلهم من أصحابه؛ ويذكر أن الشيخ، رضي الله عنه، من معشرهم والله أعلم.

وأما كراماته، رضي الله عنه، الواقعة بعد موته، فمنها ما أخبرني به بعض الطلبة الأصحاب عن أبيه، وكان عدلا مبرزا لتحمل الشهادة، عن بعض أحواله، أنه لما توفي الشيخ رضي الله عنه، وأراد حضور جنازته، احتاج إلى كساء يشتمله، فعمد إلى صندوق لأخته، وأخذ منه كساء جيدا جدا واشتمله، وذهب إلى شهود الجنازة، فبينما هو مع المارين بها، إذ عرض له حمل حطب ضايقه في الطريق، فنشب عود منه في الكساء الذي عليه، فمزقه تمزيقا منكرا، فأسف لذلك أسفا شديدا لجودة الكساء مع كونه لم يكن له. فلما رجع من شهود الدفن، طواه وجعله في الصندوق الذي أخذه منه. ولم يخبر مالكته بشيء، وبقي منتظرا لما يتلقى من قبلها خجلا مما وقع. فلما فتحت الصندوق وأخذته وجدته كما نسج أولا، لا شيء فيه كأن لم يقع فيه تمزيق قط. وكان ذلك آية من آياته وبركة من بركاته، رحمه الله ونفعنا به، آمين.

ومنها أن إحدى أزواج الشيخ، رضي الله عنه، الأربع، لما توفي وانقضت عدتها، تزوجت رجلا آخر ولم يكن تزوج بعده منهن إلا هي. فعاقبها الله تعالى غيرة على أوليائه، وأصابها والعياذ بالله الجذام. وأصاب أيضا الرجل الذي تزوجها. وقد كان الشيخ أخبر بتزويجها بعده، وقال لأزواجه الأخر قبل وفاته : أعطين هذه متاعها، يعني ميراثها، تذهب عنكم فإنها تتزوج ولا تبقى.

ومنها أن ابن عم له كان ورثه مع أزواجه، ولم يكن [له][504] عاصب إلا هو وأخ له صغيرا. فلم يقنعه ما حصل له من النصيب، فجعل يتطلب الزيادة ويضايق الورثة، حتى أنه لما مات [تلميذ][505] الشيخ وخاصته، أبو عبد الله سيدي محمد بن زمام، ودفنوه في روضة الشيخ، طلب منهم إعطاء المال على دفنه هنالك، فأعطوه عدة دراهم، فلم يقنعه ذلك، وحلف يوما إن لم يزيدوه ليخرجنه من ذلك القبر، فخلوا سبيله، وبات ليلته تلك عازما على ما حلف عليه، فرأى الشيخ، رضي الله عنه، مناما كأنه ضربه بشيء فاستيقظ فزعا، وأمر من حضره بإسراج السراج وقال : إن عمي

= انتقال السلطة إلى الوزراء والحجاب، فقام الوزير أبو زكرياء الوطاسي بتفريق شملهم وتغريب بعضهم إلى حوز فاس وذلك سنة 846هـ (راجع : **الإستقصا**، 96/4؛ أبو ضيف، **أثر القبائل العربية**، ص. 192).

(504) زيادة في «**معتمد الراوي**».

(505) زيادة في «**معتمد الراوي**».

ضربني. فأصبح مريضا، ومات من غد تلك الليلة أو بعد غدها. وكان في ذلك آية من آيات الشيخ، رضي الله عنه.

ومنها أنه لما قتل الرئيس سليمان الزرهوني[506] القائم بفاس، وقام أخواه علي وأحمد لأخذ الثأر، وطلب الإمارة، وأتيا بأربعمائة رجل من الزراهنة، وأدخلاهم مدينة فاس يقاتلان بهم اللمطيين ذوي الجناية على أخيهما، فقاتلهما معهم أهل فاس يدا واحدة، فلما هزموهما، وقتلوا جل من معهما ورأى أحمد أنه مدرك، فر إلى روضة الشيخ، رضي الله عنه، بالجرف مستجيرا بها، معه ثمانون رجلا من أصحابه، فغشيهم هنالك الفقيه محمد المربوع اللمطي، رئيسهم، القاتل لسليمان المذكور في عصابة عظيمة من اللمطيين[507] وعدد من غيرهم عديد، فدخل هو ومن معه دار الشيخ التي بإزاء الروضة، وتفرقوا في البيوت، فهجم المربوع عليهم هنالك ونشب القتال بين الفريقين إلى أن قتل من في الدار جميعا، فشق ذلك على زوجة الشيخ السيدة حليمة الشريفة، فأخبرني من أثق به عن أمه، وكانت من أصحاب الشيخ الموالين لداره، عن السيدة حليمة المذكورة أنها رأت الشيخ تلك الليلة مناما داخلا عليها الدار وعليه برنس، مشمر الطرفين، وفي يده مسلوت، فجعلت تتغيض عليه وتقول له : كيف تركت الرجال يدخلون دارك ويهتكون حرمك؟ فقال لها : ذاك ابن الكلب، يعني المربوع، قبضت عليه من اللبة وأخرجته وسددت الباب في وجهه. فلم تقنع بذلك منه غيضا عليه، فقال لها : والله ما جئت حتى ضربته بالحديد وعلقته في البرج الجديد، ثم أنزلته ولعبت عليه الخيل. فبقي المربوع المذكور مدة، وقبض عليه السلطان عبد الله ابن السلطان الشيخ ابن السلطان أحمد المنصور الحسني وقتله[508] وعلقه في البرج الجديد خارج باب السبع من فاس الجديد ثم أنزله ولعبت عليه الخيل كما أخبر

---

(506) أبو الربيع سليمان بن محمد الشريف الزرهوني من عرب شراقة، كان محتسبا بفاس أيام حكم عبد الله بن محمد الشيخ المامون السعدي للمدينة، قام سنة 1020هـ على شراقة فقتل أربعة من كبارهم بسبب ما قاموا به من فساد في المدينة، وعضده في ذلك الفقيه المربوع اللمطي الذي غدره وقتله سنة 1026هـ (راجع : **نشر المثاني**، 219/1؛ **الإستقصا**، 55/6).

(507) ينتسبون لمنطقة لمطة الواقعة بجوار مدينة فاس، انتقلت جماعة منهم إلى مدينة فاس واستقرت بأحد أحيائها فنسب لهم، وأصبح فيما بعد يشكل أحد الأحياء الثلاثة الكبرى بفاس بعد عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين (راجع : **فاس قبل الحماية**).

(508) ورد في «**معتمد الراوي**»، ص. 19، أن من قتل المربوع هو أحمد أخو سليمان الزرهوني الذي قام سنة 1028هـ للأخذ بثأر أخيه المقتول.

الشيخ رضي الله عنه. وقد كان الشيخ، رضي الله عنه، كما أخبرني بعض أبناء أصحابه يقول زمن حياته : يا أهل منزل خلف، تهتكون الحرم علي وأنا آخر العهد بكم. فظهر ذلك في هذه الواقعة، إذ كان الفقيه المربوع منهم، أعني من أهل منزل خلف، وهو مدشر بلمطة معروف.

ومنها القضية المشهورة، وقد حدثني بها بعض المعارف ممن حضرها ورعاها : وهي أن رجلا يدعى ابن ناصر عدا على رجل فقتله، وجاء إلى روضة الشيخ، رضي الله عنه، ودخلها مستجيرا بها، فبلغ ذلك حاكم ذلك الوقت وهو الحاج حم بن يعلى، فتغافل عنه لكونه كان من أهل حاشيته، فجاءه الناس وقالوا له : تركته أن كان من أصحابك، وألحوا عليه في قتله، فحمله ذلك على أن تجاسر على حرم الشيخ وذهب وأخرجه بيده من الروضة من بين القبر والحائط تجاه وجه الشيخ، وذهب به إلى القطانين وقتله هنالك، فما مكث إلا ساعة وإذا بقتال طرأ للمطيين مع بني وارثين[509] خارج المدينة، فخرج إليه الحاكم المذكور في جملة من خرج، فما رجع والعياذ بالله إلا مقطوع الرأس، وصف مع مقتوله ومقتول مقتوله وصلي عليهم جميعا ودفنوا ثلاثتهم في يوم واحد، نسأل الله العافية بمنه.

ومنها أن رئيس فاس بزمانه، القائد أحمد بن صالح الليريني الأندلسي[510]، رحمه الله، مر يوما بمحلة الجرف على روضة الشيخ، رضي الله عنه، فوجد رجلا بمحجة الطريق خارج الروضة، وكان ذلك الرجل قد فر منه واستجار بحرم الشيخ ماكثا فيه فقال له القائد : أها هنا يكون المستجير؟ ينقم عليه جلوسه في الطريق. وأخذ بطرف عنان فرسه، وضربه به زاجرا له. ولم يأمر بالقبض عليه لأجل قربه من الروضة، وانصرف عنه وتركه، فرأى ليلة ذلك اليوم أو بعدها في منامه الشيخ رضي الله عنه، وهو يقول له : أي شيء جسرك علي؟ وضربه على يده بقضيب مرة أو مرتين، فأصبحت يده المضروبة مريضة قد علتها الحمرة، وهي المسماة عند الناس بالعدوة (كذا)، فعرف أن ذلك من الشيخ في مقابلة ما فعل بالرجل وعقوبة منه له. فصنع

---

(509) منطقة تقع شرق مدينة فاس تحدث عنها الوزان في كتابه «**وصف إفريقيا**» (230/1)، وذكر أنها كانت تتكون من مائة قرية.

(510) أحد أمراء فاس، تولى حكمها بعد ضعف أمر الدلائيين بها، قتله المولى الرشيد عند دخوله فاسا سنة 1076هـ مع باقي رؤساء المدينة وأخذ أموالهم (راجع : **المقصد الأحمد**، ص. 256؛ **نشر المثاني**، 238/4؛ **الإستقصا**، 35/7).

ثريدا وأرسله لروضة الشيخ يؤكل بها، وأرسل بدراهم مع بعض أصحابه وضعت على الضريح. فشفاه الله عز وجل بسبب ذلك.

ومنها أن رجلا من أبناء أصحاب الشيخ، رضي الله عنه، ركب البحر فمرض بالحمى وجعل الدم يسيل من أنفه، ولقي من المرض شدة، فنادى يوما الشيخ واستصرخ بـه واستغاثه، وجعل يخاطبه في نفسه ويقول : كيف يا سيدي أحمد الشاوي تتركني هكذا؟ أما تذكر صحبة الوالد معك؟ فرآه ليلة في المنام وهو يقول له: إن تركت شرب الدخان وثبت منه فأنت تبرأ، فقال له : يا سيدي، ثبت إلى الله منه، فقال له : وأنت قد برئت، وأخذ بيده وأقامه. فلما أصبح من الغد علم أن الله قد شفاه، فلم تجئه الحمى من يومئذ، ولم يعد إلى شرب الدخان بعد ذلك. وشفاه الله من كلا المرضين ببركة الشيخ، رضي الله عنه.

ومنها أن بعض الناس سرق له متاعا من داره، فادعى على امرأة أنها هي التي سرقته، ورفعها إلى حاكم المخزن، وقال : ما سرقني إلا هي، وتولى كبر ذلك وعهدته. فأمر ذلك الحاكم بضربها لتقر، فضربت أسواطا عديدة، فلم تقر بشيء، فخلى سبيلها، فذهبت إلى روضة الشيخ، رضي الله عنه، تستغيثه في إظهار ما ادعى عليها، وجعلت توقد به الزيت ليلا، وأقامت هي وأهلها أياما ينادونه الليل والنهار ويستغيثونه. فرأته ليلة في المنام وهو يقول لها : أكثرتم علي، وهالني أمركم، وإن السرقة المدعاة عليكم تجبر في يوم كذا من الشهر، وعين اليوم والشهر، وكم هو من الشهر، وسماه، وكان قريبا من ليلة الرؤيا، فكان كل ذلك كذلك، وجدت السرقة في اليوم الذي أخبر به الشيخ بعينه، وافتضح صاحبها والعياذ بالله، وبرئت ذمة المرأة منها والحمد لله وأغاثها الشيخ، رضي الله عنه.

ومنها أن بعض المجاورين لروضة الشيخ، رضي الله عنه، كان يكثر من الجلوس والاجتماع بمحجة الطريق من حرم الروضة، مشتغلا بما لا يعنيه، مستمرا على ذلك، فرأى الشيخ، رضي الله عنه، ليلة في المنام، بعض الفضلاء الثقات المجاورين لمنزله، أنه قد خرج من روضته محتزما وفي يده آلة من حديد، سيف أو غيره، وهو يفتش على ذلك الرجل ويقول : أين فلان؟ يسميه ويعينه ويقول : عيينا (كذا) من تجاسره، ففاجأه هنالك وضربه بمرة على رأسه حتى سمع الرائي[511] صوت الضربة. فأصبح

(511) ورد في «**معتمد الراوي**»، أن الشخص المعني هو أبو عبد الله محمد العربي البعاج.

ذلك الرجل المضروب مريضا، ولم يكن به قبل ذلك بأس، وبقي مريضا أياما وتوفي من مرضه ذلك، عفا الله عنا وعنه.

ومنها أنه لما ثار أهل فاس على السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف الحسني سدده الله وحاصرهم[512]، أراد رجل، يقال له عبو السكوري، أن يخرج منها خفية إلى فاس الجديد، فطلب من رجل من أهل محلة الدوح، يقال له أبو الزيت، له كلام هنالك، أن يخرجه ليلا من باب الجديد، الباب الموالي لناحيتهم. فأجابه إلى ذلك، فلم يأمن على نفسه منه وأراد التوثق معه، فجاء به إلى ضريح الشيخ، رضي الله عنه، ليأخذ منه العهد هنالك، فأكل معه طعاما وأعطاه العهد والميثاق أن لا يغدره، وإذا به قد نصب له بالباب رماة اتفق معهم على قتله ورميه بالرصاص عندما يرونه من بعيد آتيا معه، وجعل الإمارة بينهم وبينه على تمييزه منه، أن الذي يأتي بالفنار بيده هو الذي يرمى بالرصاص، ثم إنه خرج من روضة الشيخ هو والرجل المذكور المتعاقد معه على الإخراج، وذهبا والفنار في يد السكوري حتى إذا وصل إلى المكان الذي نصب فيه الرماة، أخذ الفنار من يده ناسيا ما كان عهد إلى أصحابه من العلامة. فلما رأى الرماة الرجل في الطريق وفي يده الفنار، رموه بالرصاص يحسبونه السكوري، وإذا به أبو الزيت صاحبهم، فأثبتوه جراحا مات منها، ونجا الآخر، ورجع إلى روضة الشيخ، وعاد الغدر على الذي غدر، وقتل الذي عاهد عند ضريح الشيخ وفجر، وردت مكيدته عليه، وظهرت عناية الشيخ بمن لجأ إليه، وكان في ذلك كرامة واضحة، وآية لائحة : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّٰهُ وَاللّٰهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾[513].

ومنها أن الكاتب الرئيس عبد الرحمان الفلالي[514] حاكم السلطان بفاس الجديد كان مرة قد شدد على الهاربين من خدمة الرماية، المستجرين بحرم الصالحين، وضيق عليهم في كل حرم، فأرسل بعض خدامه إلى محلة الجرف، حرم الشيخ، رضي الله عنه، ليسد أبوابه، تضييقاعلى الذين هنالك، فلم يقنع هذا الفاجر، المرسل

---

(512) في سنة 1083هـ ثار أهل فاس القديم على المولى إسماعيل، ونادوا بابن أخيه أحمد بن محرز، وقتلوا قائد المحلة زيدان بن عبيد المالكي العامري، فحاصرهم المولى إسماعيل لمدة 14 شهرا، ولم يقبل الشفاعة فيهم إلا بعد أن تدخل الكاتب سليمان بن عبد القادر الزرهوني (راجع : **المقصد الأحمد**، ص. 206 و257؛ **نشر المثاني**، 201/2، 280/3).

(513) الآية 30 من سورة **الأنفال**.

(514) خليفة المولى إسماعيل بفاس، قتله المولى إسماعيل (راجع : **المقصد الأحمد**، ص. 257).

لذلك، بسد باب الحرم بل تجاسر على روضة الشيخ وسد بابها، وسمرها بمسمار، فعجل الله الِانتقام منه وجعل له السبب أن ذهب ليلة ذلك اليوم، أو التي تليها، إلى دار ليهبط عليها، فمر من سطح إلى سطح، فقبض قبل الوصول إلى غرضه، وأُتي به من الغد إلى الرئيس المذكور المرسل له، فاشتد غضبه عليه بتسليط من الله سبحانه وأمر بجعله في الخازوق. فجعل فيه ولم يشفع فيه أحد مع حضور جماعة ممن لا ترد شفاعتهم ليتم نفود أمر الله فيه، وعجلت له العقوبة بمثل ما فعل، سمر في باب روضة الشيخ مسمارا فسمر في جسده، والعياذ بالله، ما هو أعظم منه جزاءا وفاقا أعاذنا الله من التجاسر على أوليائه، ورزقنا حسن الأدب مع أهل وداده، وذوي اصطفائه، آمين.

هذا ما خلص إلي وصح عندي مما وقع من كراماته، رضي الله عنه، في حياته وبعد مماته، ولو جعلت أتتبع خوارق كراماته وشوارق آياته، لظفرت من ذلك بما يعز عن الإحصاء، ويشد عن الِاستقصاء، فلنكتف منها بما ذكرناه ووعيناه وسطرناه، مما حضر وقاده إلينا التيسير؛ وما حضرني منها بالنسبة للواقع في الخارج إلا يسير.

وبالجملة فالشيخ، رضي الله عنه، ممن كثرت كراماته في الحياة وبعد الممات، كثرة لا تخفى على أحد، وذلك من المعلوم بفاس، وقد كثر القاصدون له في الحوائج وما قصده أحد في كرب إلا فرج عنه، ولا في أمر مهم إلا قضي بإذن الله عز وجل. فلا تكاد تلقى أحدا إلا مخبرا بذلك ومحدثا بما جرى له معه. وكل واقع منه كرامة مستقلة. رزقنا الله محبته، وأفاض علينا بركته، وأماتنا على محبة هذا الفريق، وسلك بنا مسلكهم في كل طريق، آمين.

وأما وفاته، رضي الله عنه، وما يتعلق بها من خبر مرضه وحال موته وجنازته ودفنه، وغير ذلك، فقد استوفي إفادة جميعه، وقيده تلميذه الفاضل أبو العباس الشامي، رحمه الله، ولنورده كما قيده لحكايته ذلك عن حضور له ومشاهدة. قال، رحمه الله : وكان من خبر موته، رضي الله عنه، أنه أحس بالمرض يوم الأحد، ورقد يوم الإثنين ويوم الثلاثاء، وتوفي يوم الأربعاء. رأيته عشية يوم الثلاثاء حين جئت من باب الجديد من عند خدام ماء جامع الأندلس الذي اندثر عام السيلة(515)، وألهمه الله إلى إصلاحه آخر عمره، وهو جالس يحدثنا، ليس عليه أثر موت، وجعل يقول لي :

---

(515) لعله السيل الثاني الذي وقع بفاس عام 1009هـ والذي تهدمت من جرائه دور كثيرة وسد وقنطرة وادي سبو التي لم تبق منها سوى بعض الأقواس (انظر : **نشر المثاني**، 79/1؛ **الإستقصا**، 193/5).

شد روحك وكن رجلا، فقلت له : يا سيدي، الله يزيد في راحتك، فقال : ما خصني خير غير أني أحس جنبي يوجعني؛ سمطوني وأوجعني هذا التسميط؛ فقلت له : يا سيدي، إذا أوجعك، فانزعه عنك الله يشفيك، فقال لي : ما تجي إلا موافقا لقلبي، الله يرضي عنك. ثم خرجت من عنده، فلما انفصلت عنه قالت لي نفسي : لا تمش لدارك، الليلة يموت شيخك، وأنت لا تحضره إن مشيت. فأتيت لبعض أصحابنا من خدامه وقلت له : يا أخي، ما أدري ما أصنع، رأيت الآن الشيخ ولا رأيت عليه إلا أثر الخير، وقلبي قال لا تمش لدارك، الليلة يموت شيخك، فقال لي : يا أخي، أما سمعت أنت بأذنيك من الشيخ، قلبك على قلبي، فأزل أنت الشك وبت هنا عند شيخك. فمشيت لداري ورجعت، وبت بالزاوية. ولما صلينا المغرب وقرأنا الحزب، أمر الشيخ بدخولنا، فدخلت عليه أنا والمرابط محمد بن زمام والمرابط علي بن يوسف، وجلسنا معه إلى أن مضى وقت العشاء، وخرجنا من عنده، ثم بقينا ساعة وبعث إلينا، فدخلنا عليه، فقال لنا : صلوا على النبي، ﷺ؛ فجعلنا نقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله، ﷺ، وهو تارة يجلس وتارة يرقد وتارة يصلي على النبي، ﷺ، إلى أن مضى الثلثان من الليل تقديرا، ثم أراد أهل داره أن يروه، فامتنع من ذلك، وأبى عليهم، فقلت له : يا سيدي، هم مساكين أرادوا أن يروك، فقال لي : إنهم إذا دخلوا علي أضروا بي. فقلت له : يا سيدي، لمن ينظرون إلا إليك ولوجهك، فقال لي : أنت جئت لترقد، من قال لك تبيت هنا ؟ فقلت : محبتي فيك، لو وجدت ما فارقتك ساعة. ثم خرجنا من عنده، فغلب علي النوم، لأن نرى فضله في مماته، فبينما أنا نائم، إذ جاءني رجلان طويلان فقالا لي : قم تحضر موت شيخك، إن الرسول، ﷺ، جاء يحضر موته. فانتبهت من منامي فزعا مرعوبا وقمت، وحاولت الدخول عليه. فدخلت فقال لي : رقدت ؟ فقلت له : نعم يا سيدي، فقال لي : إن قلبي يتغاشى (كذا)، أعطيني ماء نشرب، فشرب وقال : الحمد لله، مرحبا بالموت، مدني على شقي الأيسر، وكان جالسا، فمددته على شقه الأيسر، وهو يصلي على النبي، ﷺ، ثم قلت : إذا كانت رؤيتي صحيحة فإنه يموت الآن. ثم قال لي : الله يرضي عنك، ردني على شقي الأيمن، فأجلسته وجعلته على شقه الأيمن، ثم سمع بكاء أهله عليه فقال لي : قولوا لأهلي أنا على خير، فقام المرابط محمد بن زمام ووقف بالخوخة وقال لهم : السيد على خير، ثم قال : أجلسني، فأجلسته، فقال لي : أعطني نشرب، فشرب وقال : الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا

محمدا رسول الله، مدني، فمددته على شقة الأيمن وقال لنا : صلوا على رسول الله، ﷺ، فاشتغلنا نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو يقولها معنا ويده في يدي، وهو في كل ساعة يرضي عني لله الحمد والشكر. ثم رفع بصره نحو الباب وقال لنا : ما خبر الصبح ؟ فقلت له : يا سيدي إن المؤذنين يدعون للصبح، يريد أنه قريب، فقال لنا : صلوا على النبي، ﷺ، فاشتغلنا نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ﷺ، فقال لنا : قولوا الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويده في يدي. ثم تيقنت أن رؤيتي صحيحة حين وصف لنا تلك الصلاة على تلك الصفة، رزقنا الله رضاه، ثم قال له المرابط محمد بن زمام : لمن تتركنا يا سيدي ؟ فسكت الشيخ، واشتغلنا نصلي على النبي، ﷺ، كما وصف لنا، وهو يسبح ويده في يدي، ثم قال : أشهدوا علي يا ملائكة الأرض والسماء بأني أقول لا إلاه إلا الله محمد رسول الله، وفشلت يده في يدي، فحنوت عليه فما وجدت له نفسا، رحمة الله عليه وعلينا من بعده. فقمنا وسددنا عليه البيت وخرجنا نعثر في دموعنا، ثم صلينا الصبح ورفعنا خبر موته إلى الأمير، لأنه كان يحب الشيخ كثيرا؛ لأنه لما مشى إلى سيدي أبي شتاء أتى أولا على الشيخ في زاويته بكربال، فركب معه الشيخ إلى زاوية سيدي أبي شتاء حتى وصل إليها، ودخل معه الروضة وأطعمه الزبيب والثريد، وجمع الأمير الفقراء مع الشيخ في الروضة وأبى أن يطلقه إلى أن قضى الله ما قضى وقدر ما قدر، ثم رجع الشيخ إلى داره وقال : إن الأمير في حمى الله لا يشوش عليه بشيء إن شاء الله بحوله وقوته. فكان ذلك كما قال : رضي الله عنه. ثم نرجع لخبر موته. لما ذهبت إلى الأمير لأخبره، وجدت القواد كلهم بباب داره، فقلت لهم : إن الشيخ قد توفي، فتأسفوا عليه، وقام المشاوري في الحين وأبلغ الأمير خبره ورجعت، ثم لما مضت ساعة بعث لنا الأمير أن لا تدفنوه اليوم وأخروه إلى الغد. وأرسل من داره النساء يعزين أهل دار الشيخ. ولما اجتمع الفقراء وأرادوا أن يحفروا له، قال لنا المرابط محمد بن زمام : كان الشيخ يوما في هذه الدار وجاء إلى هذا الموضع، يعني الذي هو مدفون فيه الآن، فقال : هذا قبري، فحفرنا له فيه. ثم من الغد عند الضحى اجتمع لحضور جنازته أهل فاس وأهل البوادي، ولم يبق شريف ولا عالم ولا أحد في دار ولا حانوت إلا أتى. وكان حاكم القصبة أمام النعش يعمل الطريق للصحافين لما ذهبوا به إلى جامع القرويين للصلاة عليه، وكذلك لما رجع ليدفنوه، يعني يسلك بهم الطريق حيث لم يجدوا ممرا لكثرة ازدحام الناس. وكانت وفاته، رضي

الله عنه، قرب طلوع فجر يوم الأربعاء السادس والعشرين من المحرم عام أربعة عشر وألف. ودفن يوم الخميس عند الضحى. انتهى كلام أبي العباس الشامي، رحمه الله، وما ذكره في تاريخ وفاته هو التحقيق لحضوره الوفاة وغيرها وتقييده الواقعة بتمامها.

ورأيت بخط الفقيه القاضي أبي محمد عبد الوهاب(516) بن القاضي العلامة أبي محمد عبد الواحد الحميدي، رحمه الله، ما نصه :

توفي سيدي وشيخي وقرة عيني وذخيرتي، الرجل الصالح الذي لا شك في ولايته، سيدي أحمد الشاوي، رحمه الله، وبرد ضريحه، ليلة الأربعاء رابع صفر من عام أربعة عشر ألف، انتهى. فوافق التاريخ المتقدم فيما عدا الشهر وحساب اليوم، ولعله قيده بعد مضي الوفاة بمدة، فنسي الشهر وعدد اليوم منه، فوهم في تعيين ذلك والله أعلم.

وتوفي، رضي الله عنه، عن النسوة الأربع المتقدم ذكرهن، ولم يخلف عقبا، ولم يلد قط ذكرا ولا أنثى، وخلف بفاس دارين : دار بزنقة رطل وداره التي بإزاء روضته، وبلمطة دار سكناه وما إليها، فورث ذلك عنه أزواجه الأربع، وعصبهن أخوان من بني عمه، ثم ماتا ولم يكن لهما عقب، ودفن أحدهما وهو السيد مسعود بروضة عمه، فقبره اليوم هنالك. انتهى من الكتاب المذكور وهو «**معتمد الراوي في أخبار سيدي أحمد الشاوي**» للسيد عبد السلام القادري، رحمه الله مختصرا نفعنا الله بهذا السيد المبارك بمنه وكرمه، آمين.

وأخذ، رضي الله عنه، طريق القوم كما تقدم عن الشيخ أبي العباس أحمد بن يحيى، وهو عن الشيخ أبي عبد الله محمد المطرفي دفين قرب مكس، عن الشيخ أبي عبد الله الزبير بن محمد، ويقال ابن الكبير، دفين خارج باب الفتوح، عن الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني، عن الشيخ أبي العباس سيدي أحمد زروق، وكان يحضر مجالس ابنه أبي العباس أحمد، رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم، آمين.

---

(516) ممن لازم الشيخ أبا المحاسن كثيرا وكان يحضر مجالس ابنه أبي العباس أحمد، ولي القضاء بفاس بعد تأخير ابن أبي النعيم ثم أخر وأعيد بن أبي النعيم بعده، توفي عام 1022هـ (راجع : **نشر المثاني**، 181/1).

* محمد بن زمام الرياحي

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن زمام الرياحي دفين روضة شيخه سيدي أحمد الشاوي وراءه بينه وبينه قبر واحد، وهو من قدماء أصحابه، كان، رحمه الله، رجلا خيرا فاضلا، وليا صالحا، ذا سيرة حسنة سديدة، ومآثر حميدة، وُلد، رحمه الله، بوادي الأزار على نصف مرحلة من فاس، وقدم فاس صغيرا، بقصد القراءة، فلقيه الشيخ سيدي أحمد الشاوي، رضي الله عنه، بالعطارين الكبرى، وشيخه سيدي أحمد بن يحيى إذ ذاك حي، فأخذ بأذنيه ورفعه في الهواء وجعل يطيشه، ثم أنزله وضربه بكفه بين كتفيه وقال له : أنا وراءك وأنا قدامك، فعلق قلبه إذ ذاك به، فكان يقرأ في المكتب والشيخ يتعاهده. ثم انجمع عليه ولازمه وجعل يخدمه ويخدم شيخه تبعا له، وبقي معه كذلك إلى أن توفي الشيخ سيدي أحمد بن يحيى، وظهر الشيخ سيدي أحمد الشاوي، وبقي أيضا ملازما له يخدمه، ثم بنى له شيخه بعد ذلك زاوية على نهر سبو على نصف مرحلة من فاس، بطريق سيدي أبي شتاء، نفعنا الله به، واشترى له أرضا هنالك للحرث تسمى ببني ظهير، مساحتها قدر ما يحرث فيه إثنا عشر زوجا، فكان في زمان شيخه وعن إذنه معه جماعة من الأصحاب يقرؤون هنالك الأحزاب، وبقي كذلك إلى وفاة شيخه وبعدها إلى أن ثارت فتن وشرور[517] وتعذر مقامه هنالك، فدخل فاس وبقي بها إلى أن توفي. وكان، رحمه الله، قارئا لكتاب الله، واقفا على حدود الله، مقيما للدين على سنن المهتدين. وكان له مصلى بداره معدا للعبادة يتهجد فيه ليلا بالصلاة والقراءة والذكر، وكان يحب شيخه محبة عظيمة، ويعظم جانبه غاية التعظيم. وقد رأى يوما بداره قفة من النارنج جيء بها من دار شيخه لأن تعمل في الزيتون، فقال لهم على سبيل الإنكار : نارنج دار سيدي تعملونه في العطاطير ! قدموه إلي، فأعطوه إياه، فأكل جميع ما في القفة. وكان يقيم دار شيخه بعد وفاته، يخزن لهم الزرع والإدام، ويأتيهم بالطرف والتحف. وكان يحرث ويكسب الماشية، ويحمل التجائر العديدة، ولا يدخل منها شيئا لداره حتى يقدم دار الشيخ. وكان في آخر عمره قد ظهر عليه أثر البله والغيبة حتى كان يسأل من يعلمه ما يصلي به.

* ترجمته أيضا في : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 34؛ **الإعلام بمن غبر**، ص. 363؛ **صفوة من انتشر**، ص. 58؛ **التقاط الدرر**، 68/1؛ **سلوة الأنفاس**، 279/1.

(517) لعل المقصود ما حدث بفاس سنة 1022هـ من شر وغلاء صحبه وفاة عدد من سكان المدينة وخراب في أجزائها وخلت على أثره المداشر المجاورة لفاس، واعتقد الناس أنه لم يبق بلمطة سوى الوحوش (انظر : **الإستقصا**، 111/6).

وخرج يوما لباب داره في اليوم الذي توفي فيه إثر مرض، وجلس على كرسي له، ثم دخل داره وجعل يأمر أهله وأولاده بأشياء يفعلونها ويباسطهم، ويخاطبهم بلين وحنانة وشفقة كالمودع لهم، وجعل يناولهم عنبا بيده ويعطي لكل واحد منهم قطعة، فشعر أهله أنه يريد توديعهم، فبكوا، فقال لهم : والله لا يتفقدكم أحد بشيء بعد هذا اليوم، فنعى لهم نفسه، ثم سأل عن وقت الظهر فأخبر بدخوله، فتيمم وصلى، ثم في العصر كذلك، ثم أرسل إلى مؤاخيه في الله الشيخ أبي محمد عبد الله بن ناصر، فأسنده إلى صدره ثم جعل يقول : أنا في حمى سيدنا محمد، ثم قال : سيدي، يا حنيني، مرتين، وخرجت روحه، رحمة الله عليه. وكانت وفاته أواخر سنة أربع وعشرين وألف.

* موسى بن سعيد الدراوي

ومنهم الشيخ أبو عمران موسى بن سعيد الدراوي دفين روضة شيخه سيدي أحمد الشاوي وراءه، بينه وبينه ثلاثة قبور. كان رحمه الله، ذا حال قوي، وشوكة وعناية وسهم نافذ، لا يحام حول حماه، شديد الشكيمة على الظلمة، من آذاه انتقم الله منه في الحين، ظهرت له في ذلك كرامات وآيات. وكان أسود اللون جدا. وكان في أول أمره رباعا عند شيخه ثلاث سنين. وكان له، رضي الله عنه، أتباع وأصحاب جلهم أولاد ثاير وأولاد عباد. وكانت له زاوية في حياة شيخه عن إذنه بمدشر تاغزوت من الموضع المعروف بدار العطار، بينه وبين قرية صفرو نحو مسافتين. قدم بأصحابه مرة على شيخه سيدي أحمد الشاوي بفاس، فقدم لهم طعاما، فأكلوه بسرعة عن آخره، ثم بعد ذلك أخرج لهم طعاما آخرا، فأكلوه كذلك عن آخره، ثم طعاما آخرا أيضا فأكلوه كله بسرعة، ثلاث مرات، ثم قال له الشيخ : سر بأصحابك عني يا أبا موسى، مرائي ابن مرائي ولا مصحوف ابن مصحوف. وكان، رحمه الله، يتحرك ويظهر عليه الحال ويخبر بالمغيبات. وكان من أهل الإغاثة. وكانت له، رضي الله عنه، بحيرة بدار العطار من البطيخ والقثاء وغيرهما، فكان كلما أتاها أحد نهارا أكل منها ما شاء وإذا أتاها ليلا يريد الأخذ منها أو السرقة لم يستطع وتلف عنها يمينا وشمالا، لا يصادفها البتة، حماية من الله عز وجل، استقرئ ذلك من شأنها. وكانت له شجرة من التين، فجاء أعرابي يوما يريد الأكل منها، فأخبره بعض الحاضرين أنها لسيدي موسى، وحذره وخوفه من الأكل منها، فلم يبال بذلك، وتناول منها باكورة، فرآه

* ترجمته أيضا في : نشر المثاني، 133/1؛ سلوة الأنفاس، 281/1.

سيدي موسى، فدعا عليه بالوجع، فأصابه في الحين، وسقط إلى الأرض مكانه يتقلب ظهرا لبطن هو وفرس له كان راكبا عليه، فعلم أن ذلك من أجل ما فعل، فجاءه وطلب منه الصفح، ففعل ومسح بيده عليه فبرأ من حينه هو وفرسه.

وكان مرة رجل يقال له أحمد بن عامر أصابه صداع في رأسه، فاضطجع واستغاث به وجعل يقول : يا سيدي موسى، ثم غلب عليه النوم فرآه آتيا إليه، ثم أفاق واستراح، وكان يوم جمعة، فلما ذهب الرجل إلى الصلاة لقي سيدي موسى فسلم عليه وأخبره بما رأى مناما وقال له : رأيتك يا سيدي أتيت وكساؤك مرخ (كذا) تجره وراءك وسباطك في رجلك طيفي[518]. فقال له : أنت قلت موسى فقط، فلو قلت يا موسى بن سعيد الدراوي ولد الشيخ الفحل (كذا) لأتيتك نجري وكسائي ملو (كذا) على يدي، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

* عبد الله بن ناصر

ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن ناصر دفين رحيبة قنديل من طالعة فاس، من أصحاب الشيخ سيدي أحمد الشاوي، نفعنا الله به. كان، رحمه الله، رجلا صالحا وسيدا واضحا، ذا هيئة ولباس حسن. وكان صاحب فيض وجد، تابعا للسنة محافظا عليها. وكان صاحب حال يتحرك ويتكلم في بعض الأوقات عندما يعتريه الحال بكلام لا يفهم.

وأخبرني بعض الثقات أنه رآه يوما بروضة شيخه هو وسيدي عبد الله الزروالي، وكان من أصحاب شيخه سيدي أحمد الشاوي، وصاحب حال، يتحرك دائما وقد اعتراهما حال قوي أخرجهما عن دائرة حسهما، وفي يد كل واحد منهما مدية يهدد بها الآخر، ثم يركزها في لحمه، وذلك إزاء قبر شيخهما، ثم يرجعان القهقرى متأدبين ويبايعان لقبر الشيخ ويسكنان، ثم يعودان لفعلهما ذلك، ثم يرجعان القهقرى كذلك أيضا. ولم يقع بذلك لواحد منهما جرح ولا خدش، انتهى.

وكان يوما في سماع، فاعتراه حال فرمى بنفسه من موضع عال جدا على أم رأسه وقام سريعا ما به قلبة، وشاهد ذلك جميع الحاضرين متعجبين من ذلك لأن من سقط من مثل ذلك الموضع لا يعيش عادة.

---

(518) ومعناه وضع الرجل في الحذاء كما توضع في «البلغة».

* ترجمته أيضا في : **نشر المثاني**، 133/1؛ **التقاط الدرر**، 218/1، وفيه ورد أنه توفي بالطاعون في ربيع الأول عام 1091هـ.

وظهرت له، رضي الله عنه، كرامات كثيرة ومكاشفات غزيرة. وكان يقول : من قال إنه يكاشف أو يرى شيئا فها أنذا، فليجيء قدامي، يتحدى بذلك.

وكان يوما جالسا بحانوت رجل يقال له السبع، فتركه رب الحانوت جالسا بها وذهب خفية يتبع امرأة، فلما خلا بها، وأراد منها ما يريد الرجل من المرأة، لم يجد من نفسه شهوة ولا إنعاظا، فرجع، فلما أشرف عليه كاشفة بفعله وبما وقع له فيه وقال له : تركتني نحفظ لك الحانوت وصيرتني قوادا (كذا)، يعاتبه بذلك، ثم قال له : تب إلى الله، والله لولا كذا لبقيت كذلك، يعني لا يحصل لك إنعاظ أبدا. فتاب إلى الله في الحين ولزم صحبته.

وكانت امرأة استجارت بداره، فأراد رجل أن يخرجها منها، فمد يده إليها فلم تخرج له ثم تركها، فضربت يده بالسيف ومرضت رجله التي أدخلها داخل الباب، رحمه الله ونفعنا به، آمين.

* محمد بن علي الأغصاوي

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن علي الحاج، به عرف، الأغصاوي[519] دفين وطن ابن فرقاجة[520] من طالعة فاس، من أصحاب سيدي أبي شتاء وذوي الأحوال منهم. وكان مرة عنده في سلسلة، وكانت تعتريه في بعض الأوقات أحوال تخرجه عن حسه. وكان يقول فيه سيدي مسعود الشراط : باشا سيدي أبي شتاء؛ والباشا كالوزير من الملك ونحوه. وكان له التلميذ الكثير، وله مكاشفات وأخبار بمغيبات، وظهرت له بركات، وله كلام كثير على طريقة أهل الملحون. واعتراه يوما حال وهو ببلاده غصاوة فجعل يقول : أنصروني، أنصروني، ويكررها. ثم وقع له ذلك في أوقات متعددة، فبلغ ذلك أمير الوقت، السلطان أبا عبد الله محمد الشيخ المامون ابن السلطان أبا العباس المنصور، فأنفذ إليه جيشا، فأتوا به وقتل صبرا، فمات

---

* ترجمته أيضا في : **التقاط الدرر**، 48/1؛ **نشر المثاني**، 140/1؛ **سلوة الأنفاس**، 265/1؛ **الحركة الفكرية**، 471/2.

(519) نسبة لقبيلة غصاوة ويقال لها أيضا غزاوة، وهي منطقة جبلية وعرة تقع شمال مدينة وزان وتسكنها فرقة من صنهاجة. أنجبت هذه المنطقة عددا من العلماء نال عدد منهم شهرة كبيرة خلال العصر السعدي (راجع : **الحركة الفكرية**، 470/2).

(520) وتنطق أيضا وطا ابن فرقاشة، وهو حي يقع بين حومة السياج وسويقة ابن صافي.

شهيدا، رحمة الله علينا وعليه. وكان قبل ذلك أخبر(521) أصحابه أنه يموت قتيلا. ودفن بالموضع المذكور من الطالعة وبني عليه، وقبره شهير هنالك يزار ويتبرك به.

* علي أبو الذياب

ومنهم الشيخ سيدي [علي](522) أبو الذياب دفين حومة العيون من فاس القرويين، ولي شهير، وقبره معلوم بروضته يزار ويتبرك به، وظهرت له بركات. وجاء ضريحه يوما الشيخ الولي المكاشف سيدي محمد حكيم قابضا على رجل من أهل الصرامة والفتك والإذاية وشرب الخمر، وسيفه في عنقه، وجعل يخاطبه كالحي ويقول له : يا سيدي أبا الذياب، قال لك فلان، يعني المقبوض في يده، أنا تائب إلى الله، ويكررها، ثم بعد ذلك تاب الرجل وأقلع عما كان عليه وحسنت توبته وحالته، رضي الله عنه ونفعنا به.

** محمد أكَمكَام

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد أكَمكَام، بقافين معقودتين، دفين روضة سيدي علي أبا الذياب المذكور قبل، كان سيدا صالحا، ووليا واضحا، وكان صاحب حال وتصريف، وظهرت له بركات كثيرة وكرامات غزيرة، وكان كوشا أسود اللون، ذا سمت بهي، وحال سمي. وكانت وفاته، رحمه الله، في العشرة الخامسة من هذا القرن، أعني الحادي عشر، ودفن بالروضة المذكورة، رحمه الله تعالى ونفعنا به.

---

(521) ورد في كل من «**التقاط الدرر**» و«**نشر المثاني**»، أنه قتل سنة 1017هـ. وهذا التاريخ كما في «**الحركة الفكرية**» سابق لحدث تسليم العرائش للنصارى الذي كان سنة 1019هـ. وهو الحدث الذي ذهب ضحيته صاحب الترجمة بسبب نقمته على محمد الشيخ تسليمه المدينة للإسبانيين حيث بعث له على أثر ذلك التسليم رسالة أغلظ له فيها القول، مما دفع الشيخ المامون لقتله.

* ترجمته أيضا في **سلوة الأنفاس**، 284/1.

(522) زيادة في ك2.

** ترجمته أيضا في : **المقصد الأحمد**، ص. 287؛ **صفوة من انتشر**، ص. 93؛ **نشر المثاني**، 134/1، ويظهر أن القادري اختلط عليه الأمر حين نقل عن صاحب **الممتع** كلامه عن محمد الأكحل وظن أنه يترجم لمحمد الأكحل أقمقام ذاك شخص آخر غير هذا المذكور هنا (راجع : **سلوة الأنفاس**، 284/1).

* عبد القادر بن علي الفاسي

ومنهم الشيخ الإمام، الحبر الهمام، شيخ الإسلام وبركة الأنام، الذي قاد المعالي بزمام، وحوى الفضائل والفواضل على التمام، الواقف على حدود الله، الناصح في دين الله، الفاضل الأفضل، السيد الأعدل، ذو الأخلاق الكريمة، والخصال العميمة، شيخ العلماء الأعلام، ومعتمدهم في الفتاوي والأحكام، سلالة الأخيار ونخبة الأبرار، السيد المنيف، الخير العفيف، طود العلم الراسي، أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي، رضي الله عنه ونفعنا به، وأفاض علينا من سحائب نفحاته، وأمدنا من حزبه وخيراته، ابن الفقيه الصالح البركة أبي الحسن سيدي علي ابن الشيخ الولي الشهير، الصديق الكبير، ذي الأحوال الربانية، والمقامات الكمالية، والفتوحات العرفانية، الموسوم بالقطبانية، أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي رضي الله عنه.

[كان، رضي الله عنه، مع اشتهاره في العلوم بالمشاركة والتحقيق والتبحر والتدقيق، والتصدير والدراية، والتدريس وحمل الرواية، عاملا فاضلا، وليا شهيرا كاملا، ورعا زاهدا، متصرفا عابدا، مواضبا على الأوراد والأذكار وتلاوة كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، مع تدبر وخشوع، وسكينة وخضوع، عارفا بربه، مطلعا على أحوال الطريقة، سالكا حسن مناهج الشريعة والحقيقة في أسنى مهائمها، صاعدا أفق معالمها، متصرفا في أصول شرائطها، مربيا مريدها، دليلا إلى واضح سبلها، له من الكرامات ما لا يحصى ولا يسعه مسطور فيسطر.

ذكر ولده الفقيه العلامة سيدي عبد الرحمان(523) منها في تأليف له فيها جملة وافرة. وناهيك بكماله، حضور الصلوات الخمس بالمسجد الحرام في غالب أحواله، كما أخبر به جمع من أصحابنا الحجاج عن عارفي أهل مكة وطيبة زادهما الله شرفا.

---

* ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 180؛ **التقاط الدرر**، 217/1؛ **نشر المثاني**، 270/2، وفيه ورد أن صاحب الترجمة ولد سنة 1007هـ؛ **سلوة الأنفاس**، 309/1؛ **شجرة النور**، 314/1؛ **فهرس الفهارس**، ص. 156.

(523) عالم مشارك، ولد بفاس سنة 1040هـ وبها توفي سنة 1096هـ، أجمع عدد من الذين ترجموا له على أنه خلف أزيد من مائة وسبعين مؤلفا في علوم مختلفة منها تأليفان في مناقب أبيه، وهما : «**تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر**»، و«**البستان الزاهر في أخبار الشيخ عبد القادر**» (راجع : **مؤرخو الشرفاء**، ص. 187).

وأخبرني بعض الإخوان ممن حج عام خمسة وثمانين وألف ممن رأى الشيخ، رضي الله عنه، يطوف بالبيت قال، وهو في الطواف حتى أخذ بمنكبه وصرفه وقال : يا فلان، باسمه، هذا الحكيم موضع الإجابة، قال : فدعوت بما شاء الله ثم رجعت أطلب الشيخ فوجدت تلميذه سيدي أحمد بن موسى الزرهوني، دفين زرهون، والعهد به بفاس، فعلمت أنها كرامة ثانية.

وبالجملة فالشيخ سيدي عبد القادر، رضي الله عنه، من أكمل الأئمة وأسنى الأئمة](524).

توفي الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي، رضي الله عنه، بعد زوال(525) يوم الأربعاء [والمؤذن يؤذن](526) الثامن من شهر رمضان المعظم سنة إحدى وتسعين وألف، ودفن بزاويته بالقلقليين، رضي الله عنه ونفعنا به، آمين.

* موسى بن علي

ومنهم الشيخ أبو عمران موسى بن علي دفين جامع حومة جرنيز الذي بإزاء دار الدبغ. كان، رحمه الله، رجلا بهلولا متجردا، ساقط التكليف، أسمر اللون جدا. وكان في أول أمره يذهب وياتي، وفي آخره دخل حانوتا بجرنيز، هي الآن مغلقة لا يسكنها أحد تعظيما له، وأغلقها عليه وبقي بها لم يخرج منها إلى أن توفي. وكان الناس يقصدونه للزيارة في مهماتهم، فيخبرهم بحوائجهم، وينبئهم عما في ضمائرهم. وله كرامات كثيرة شهيرة. وكان الناس يأتونه بالطعام كل يوم فيأكله. ولما مات لم ير له فيه فضلة. ولا يعرف له شيخ، بل قيل إنه من أصحاب سيدي علي ورزق.

توفي رحمه الله يوم الأربعاء ثاني جمادى الأخيرة سنة اثنتين وأربعين وألف، ولم يكن له عقب، لكونه كان أعزب، رحمه الله ونفعنا به، آمين.

(524) زيادة في م.

(525) في م : عند ظهر.

(526) زيادة في م.

* ترجمته أيضا في : **المقصد الأحمد**، ص. 287؛ **صفوة من انتشر**، ص. 57؛ **التقاط الدرر**، 95/1؛ **نشر المثاني**، 306/1.

* محمد بن مطرف التجيبي

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مطرف التجيبي الشهير بابن عزيز، بوزن أمير، دفين الدرب الطويل من عدوة فاس القرويين. قال سيدنا الشريف الأطهر، العالم الأنور، الحاج الأبر، أبو عبد الله العربي بن الطيب القادري، حفظه الله : رأيت بخطه، رحمه الله، وقد ذكر إسمه وإسم أبيه وجده ما نصه : التجيبي النسب، الأندلسي الأصل، الفاسي المولد والدار، انتهى.

ووصفه تلميذه الشيخ الإمام، العلامة الفاضل الصالح أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري، رحمه الله، فيما رأيته بخطه، بالفقيه العارف بالله، الزاهد الخاشع، السني العالم، العامل العابد، ذو الكرامات الربانية، والشوارق العرفانية. وقال فيه : شيخي وقدوتي ووسيلتي إلى ربي عز وجل.

ووصفه أيضا العلامة المحقق أبو عبد الله العربي الفاسي، رحمه الله، فيما رأيته بخطه بالعالم العارف، وعده فيمن كان يتردد إلى والده الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي، رضي الله عنه، من المشايخ.

ورأيت بخط سيدي عبد الواحد بن عاشر أيضا، أن شيخه سيدي محمد بن عزيز يروي «**البخاري**» عن شيخه الفقيه الجليل المحدث، الولي الصالح، الحاج الرحال أبي محمد سيدي بلقاسم بن الإمام الشهير، أبي عبد الله بن الإمام الكبير الحافظ الأثير، القاضي سيدي عبد الجبار بن أحمد بن موسى البرزوزي الفجيجي. ورأيت بخط صاحب الترجمة ما نصه : أخذ شيخنا سيدي أبو القاسم بن عبد الجبار(527) عن سيدي أبي الحسن البكري بمصر وهو عن سيدي أحمد زروق، انتهى.

وأبو الحسن هذا هو الشيخ الولي الكبير سيدي محمد، الملقب تاج العارفين والد الشيخ الولي الكبير أبي المكارم سيدي محمد، رضي الله عنهما، ولابد من واسطة بينهما لأن الشيخ أبا الحسن البكري هذا، كان يوم مات الشيخ زروق، ابن سنة واحدة تحقيقا، فلا يصح أخذه عنه مباشرة.

---

* ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 51؛ **سلوة الأنفاس**، 152/1، وفيها ورد أنه ولد سنة 954هـ وتوفي سنة 1022هـ؛ **شجرة النور**، 297/1.

(527) الفقيه الأديب الصوفي، أبو القاسم بن عبد الجبار الفجيجي، له شرح على قصيدة إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي الصيدية، توفي سنة 1021هـ (راجع ترجمته في : **نشر المثاني**، 175/1؛ **سلوة الأنفاس**، 152/1؛ **الحركة الفكرية**، 152/1).

ورأيت في كتاب «**عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق**» لبعض العصريين من المشارقة، وهو الفقيه الفاضل أبو إسحاق إبراهيم بن عامر العبيدي المالكي، أن الشيخ أبا الحسن محمد البكري تاج العارفين، أخذ عن والده الشيخ جلال الدين، عن والده الشيخ وجيه الدين عبد الرحمان، عن والده الشيخ أبي العباس أحمد، عن والده الشيخ أبي عبد الله محمد، عن والده الشيخ أبي محمد عوض، عن والده الشيخ أبي محمد عبد الخالق، عن والده الشيخ أبي محمد عبد المنعم، عن والده الشيخ أبي زكرياء يحيى بن الحسن، والشيخ يحيى بن الحسن عن شيخ الطريقة القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي، رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم وبأسلافهم، آمين.

* محمد الرامي التواتي

ومنهم الشيخ أبو عبد الله سيدي الحاج محمد الرامي التواتي دفين خارج باب الجيسة عن يمين الخارج منها إزاء السور بقرب ضريح الشيخ الأديب مالك بن المرحل[528]، فإذا دخلت ضريح ابن المرحل المذكور يبقى سيدي الحاج محمد الرامي المذكور في الفضاء عن يمينك وليس هو في الروضة الكائنة أمامك هناك، بل هو في الموضع المذكور إزاء السور. وكان بهلولا قاطنا بباب النقبة من عدوة فاس القرويين. وكان هو صاحب الوقت بفاس، فلما أراد الشيخ أبو المحاسن سيدي يوسف الفاسي القدوم على فاس، بعث صاحبه سيدي إبراهيم الصياد، فالتقى مع صاحب الترجمة، وذهب به إلى الشهود، وأشهدهم على نفسه بتمكينه الشيخ أبا المحاسن من فاس بجميع منافعها ومرافقها، ثم أمر بحمله فحملوه، وكان مقعدا، فأخرجوه من فاس وسكن خارجها، فكان يأوي تارة بسبو وتارة بفاس الجديد[529] إلى أن توفي، رحمه الله، كما تقدم ذلك كله في ترجمة الشيخ أبي المحاسن.

* ترجمته أيضا في : **المقصد الأحمد**، ص. 294؛ **سلوة الأنفاس، 101/3**، وفيها ورد أنه توفي أواخر القرن العاشر أو بداية الحادي عشر الهجري.

(528) الأديب اللغوي الشاعر، مالك بن عبد الرحمان بن المرحل المصمودي، السبتي، ولد بمالقة سنة 604هـ، ولي القضاء لمرات عديدة بجهات غرناطة وغيرها، كانت له مشاركة في الفقه، وله تآليف في الشعر وغيره، سكن سبتة وفاس وبها توفي عام 699هـ (راجع ترجمته في : **جذوة الإقتباس**، ص. 327؛ **سلوة الأنفاس، 99/3**).

(529) بناها السلطان أبو يوسف يعقوب المريني سنة 674هـ وسميت كذلك تمييزا لها عن فاس البالي وتسمى أيضا المدينة البيضاء ومدينة المخزن لأن المرينيين اتخذوها مقرا لحكمهم (راجع : **فاس قبل الحماية**، 96/1).

* أبو عبد الله الدقاق

ومنهم الشيخ أبو عبد الله الدقاق دفين خارج باب الجيسة.

قال الشيخ المحدث أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي إنه من أهل سجلماسة، وكان يتردد إلى فاس. قال : وكان من كبار مشايخ الصوفية وأحد أشياخ أبي مدين، ومن أصحاب أبي عبد الله الأصم(530) وأبي عمرو التلمساني(531). وكان يصرح بأنه ولي يتكلم بأشياء تنكر عليه، فذكر ذلك بعض أصحابه لابن العريف(532) وأبي الحكم بن بَرَّجان(533) فقال له : لا تنكروا عليه شيئا من أحواله. وتحدث أبو عبد الله يوما مع أصحابه، فبرزت منه كلمة لأصحابه ذكر فيها ضيق حاله، فلما افترقوا، نام بعض أصحابه فقيل له [في النوم](534) : قل لأبي عبد الله الدقاق.

قل للرويجل من ذوي الأقدار	الفقر أفضل شيمة الأحرار
يا من شكا للناس فعلة ربه	هلا شكوت تحمل الأوزار
إن الذي ألبست من حلل التقى	لو شاء ربك كنت عنها عاري(535)

فلقي أبا عبد الله الدقاق فأعلمه، فصاح أبو عبد الله وأخذ في البكاء. وحدثني أحمد بن يوسف قال : سمعت محمد بن عمروس يحدث أن رجلا من جيران

---

* ترجمته أيضا في : **جذوة الإقتباس**، ص. 259، وفيها ورد أنه توفي بين القرنين السادس والسابع الهجري؛ **سلوة الأنفاس**، ص. 102/3.

(530) محمد بن عمر الأصم، من أكابر مشايخ الصوفية، أصله من سجلماسة. توفي سنة 542هـ (راجع ترجمته في : **التشوف**، ص. 155؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 260).

(531) عثمان بن علي بن الحسن، تلمساني الأصل، من أهل العلم، نزل سجلماسة، وبها توفي سنة 542هـ (راجع : **التشوف**، ص. 140؛ **سلوة الأنفاس**، 104/3).

(532) أحمد بن محمد بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف، صوفي زاهد، من أهل طنجة، قدم مراكش وبها توفي حوالي سنة 536هـ. ذكره ابن بشكوال في «**صلته**»ـه وعنه نقل التادلي ترجمته (**التشوف**، ص. 118) (راجع ترجمته في المصادر التي ذكرها المحقق، وفي **الإستقصا**، 73/2).

(533) في م برّجان، عبد السلام بن عبد الرحمان اللخمي، أديب ولغوي، له تفسير للقرآن، ذكر عنه أنه كان يتحدث في مسائل أنكرها عليه فقهاء عصره، فلما بلغ ذلك أمير الوقت علي بن يوسف المرابطي أمر بإشخاصه من قرطبة إلى مراكش حيث مكث إلى وفاته سنة 536هـ (راجع ترجمته في : **وفيات الأعيان**، 236/4؛ **الإستقصا**، 74/2).

(534) زيادة في **التشوف**.

(535) من الكامل.

أبي عبد الله الدقاق، وكان يسمع بكراماته وفضائله فيزدري به ولا يراه هناك، فنام ليلة، فرأى في نومه شخصا فقال له : أرني وليا من الأولياء. وفي رواية أخرى : فرأى النبي، ﷺ، فدفع إليه مفتاحا وقال له : أدخل ها هنا، فكل بيت تفتحه تجد فيه وليا من الأولياء. فدخل في دار كثيرة البيوت، ففتح أول باب فوجد فيه أبا عبد الله الدقاق، ثم فتح ثانيا فوجده فيه، ثم فتح ثالثا فوجده فيه، فلما أصبح ذهب إلى أبي عبد الله ليعلمه، فابتدره أبو عبد الله قبل أن يكلمه وقال له : لو فتحت الأبواب كلها لوجدتني في كل بيت تفتحه.

وحدثني أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي قال : حدثني أبو عبد الله القاري (كذا) قال : وعدت جماعة من الصوفية أن يبيتوا عندي وفيهم أبو عبد الله الدقاق، فنمت بالنهار، فرأيت في منامي الشمس قد نزلت من السماء إلى موضع من بيتي، فلما كان في الليلة التي وعدتهم أن يبيتوا عندي، رأيت كل من يدخل البيت يميل عن الموضع الذي رأيت فيه الشمس إلى أن دخل أبو عبد الله الدقاق فقعد فيه، فلما رآني أديم النظر إليه قال : أنا شمس هذا الوقت، فانبسطت معه وقلت له : سألتك بالله هل مشيت قط في الهواء ؟ فقال لي : دخلت في بلد لا يجاز فيه إلا على قنطرة ضيقة لا يمر عليها إلا شخص واحد، فإن التقى عليها شخصان رجع أحدهما لئلا يسقط [الآخر](536)، فكنت أسير عليها ذات يوم إلى أن رأيت امرأة ضعيفة قد استقبلتني، فكرهت أن أتعبها بالرجوع، فوثبت لأسقط عن القنطرة في الوادي، فأمسكت في الهواء، فلما جازت المرأة عدت إلى القنطرة. فإن كان هذا من المشي في الهواء فهو ذاك.

هذا كلام التادلي في سيدي أبي عبد الله الدقاق، رضي الله عنه ونفعنا به. والتادلي المذكور هو صاحب كتاب «**التشوف إلى رجال التصوف**»(537) المنقول منه ما تقدم.

وصفه سيدي عبد الرحمان الثعالبي(538) بالولي المحدث(539) الثقة الصدوق.

(536) زيادة في **التشوف**.

(537) اعتنى بتصحيحه وطبعه أدولف فور (Adolph Faure) سنة 1958 وقام بمراجعته وتحقيقه الأستاذ أحمد التوفيق وتمَّ نشره في طبعة جديدة سنة 1984.

(538) الفقيه المفسر، عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، ولد سنة 786هـ وتوفي حوالي سنة 876هـ (راجع عنه : **درة الحجال**، 89/3؛ **شجرة النور**، 265/1).

(539) في ك2 : المجذوب.

وذكر ترجمة الشيخ أبي عبد الله الدقاق أيضا الشيخ أبو عبد الله التميمي في «**المستفاد**» فقال : كان، رحمه الله، من أهل الورع والتواضع، له طريق يختص بها في التصوف من الصدق وترك التصنع.

أخبرني من أثق به من إخواني عن أبي محمد[540] عبد الله التلمساني أنه جاءه يوما فرأى ثوبه مدنسا، قال : فقلت له : أعطني ثوبك أغسله، فقال لي : هو طاهر كما غسلته. ثم قال : كل من يغسل ثوبه من غير نجاسة فهو مريض القلب يحتاج أن يداوى.

أخبرني بعض أصحابنا أن بعض مشيخة البلد لقي أبا عبد الله الدقاق في بعض طرق فاس قد حمل تحته شيئا فسلم عليه ثم قال الرجل لأبي عبد الله : من أين جئت ؟ فقال له : من موضع، فلما جاوزه رجع أبو عبد الله إليه وناداه، فرجع إليه وقال له : سألتني من أين جئت فقلت لك من موضع، ثم أخرج له من تحته إناء فيه لحم مطبوخ وقال له : اشتهت المرأة هذا فاشتريته لها، ثم انصرف.

أخبرني الشيخ أبو محمد قاسم بن شريفة، رحمه الله، أن جماعة من المريدين أتوا أبا عبد الله الدقاق ليلة بعد العشاء الأخيرة فقال لهم : ما جاء بكم ؟ قالوا : لنكون عندك هذه الليلة، قال : على أن لا تتصرفوا في مراحض الدار، فإن رضيتم بالدخول على هذا فادخلوا؛ فدخلوا، فلما أصبح صنع لهم ما أكلوا ثم انصرفوا.

أخبرني أبو محمد قاسم المذكور أن الشيخ أبا عبد الله الدقاق سكن في دار مرحاضها مطمر، فكان إذا جاء من يبيت عنده من الأصحاب يقول له : هذه الدار مرحاضها مطمر، ولم أكرها من صاحبها إلا أن أسكنها أنا والمرأة، ولم أشترط عليه غيرنا، فإن كان تتصرف[541] خارج الدار فادخل. قال : فرغبة الناس في الشيخ [على هذا][542] كان يسهل عليهم ذلك ويرضون به. وكان، رحمه الله، يطلق إطلاقات، ويتكلم بكلام ينكر عليه. حتى سافر جماعة من أصحابه من مدينة فاس إلى بلاد الأندلس، فاجتمعوا بالشيخ أبي الحكم بن برجان وأبي العباس بن العريف، فذكروا لهما أمره وأحواله فقالا لهم : دعوه ولا تنكروا عليه شيئا. وكان، رحمه الله، قد

(540) في ك2 : أبي عبد الله.

(541) في ك2 : فإن كان غيرنا يتصرف.

(542) زيادة في م.

قال لهم عند سفرهم : تبلغوا سلامي للشيخ أبي الحكم وتقولوا له أنت عثمان الوقت. فكان من القدر السابق أن صادف بعض الناس بمركز وضح في صدره فكان منها وفاته رحمه الله.

أخبرني قاسم بن محمد عن أبي عبد الله الدقاق، أنه سافر إلى سجلماسة فتغيظ الوالي على أهل سجلماسة لشيء رفع عليهم، فأخذ منهم جماعة وضرب أعناقهم، وأخذ مع القوم أبا عبد الله الدقاق فيمن أخذ، وكتف وحمل لموضع القتل فقال لمن حضر : أستروا ظهري. فقيل له : أنت تحمل للقتل وتقول استروا ظهري، فقال : لا أقتل، وما جعل الله لهم علي سبيلا. فلما وصل للموضع الذي قتل فيه القوم، تكلم فيه رجل من مشيخة قبائل فاس، حرسها الله، فاستعفى فيه، فأخذ معه حتى وصل إلى مدينة فاس سالما والحمد لله.

أخبرني الشيخ الصالح أبو محمد قاسم بن محمد القيسي(543)، عن أبي عبد الله الدقاق، أنه قعد يوما مع أصحابه، فكانت منه غفلة حتى شكى ضيق حاله، فلما تفرق عنه أصحابه نام بعضهم فهتف به هاتف وقال : بالله بلغ لأبي عبد الله ما أقول لك، ثم أنشد :

قـل للرويجـل من ذوي الأقـدار

الأبيات الثلاث المتقدمة. فأتاه فأخبره بذلك، فصاح أبو عبد الله وقال : يا قوم، هكذا أكسر، وأخذ في البكاء.

وأخبرني الشيخ الواصل الصالح أبو محمد قاسم بن محمد وغيره قالوا : كان بمدينة فاس حرسها الله رجل من الصالحين، فرأى في المنام النبي ﷺ وكأنه في دار كثيرة البيوت فقال له : يا رسول الله، نحب أن تدلني على رجل جيد، كذا قال لي أبو محمد قاسم. وقال غيره : نحب أن تدلني على ولي من أولياء الله تعالى. فدفع له النبي، ﷺ، مفاتيح وقال له : افتح بعض تلك البيوت. قال : ففتحت بيتا فوجدت فيه أبا عبد الله الدقاق، فكأنه لم يعد بقلبي لأنه كان معي في البلد وأعرفه. قال الرجل : ففتحت بيتا [ثانيا](544) فوجدته فيه، ثم فتحت الثالث فوجدته فيه. فلما

(543) من أهل مدينة فاس، كان يتقن صناعة الشعر ويحسن تجويد قراءة القرآن الكريم، توفي سنة 589هـ (راجع **جذوة الإقتباس**، ص. 512 نقلا عن **المستفاد**).

(544) زيادة في م.

أصبح وأخبر أبا عبد الله بالخبر فقال له : لو فتحت جميع البيوت لوجدتني في جميعها. وكان أبو عبد الله الدقاق يتحدى بالولاية ويدعيها لنفسه ويتكلم بذلك، وكان خليقا بها لأوصافه الجميلة الحسنة. أخبرني بذلك عنه الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد القيسي، رحمه الله.

أخبرني الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج صاحبنا، وفقه الله بمدينة تونس حرسها الله، أخبرني أبو عمرو عثمان بن خلوف أنه رأى في المنام أنه في يديه عصفور أخضر، فحمله إلى داره وأدخله في بيت وأغلق عليه ولم يعرف أهل المنزل بدخوله في ذلك البيت، وكانت له امرأتان في تلك الدار، فاشتهت إحداهما ثريد لبن فصنعته، واشتهت الأخرى مجبنة، فبعثت كل واحدة منهما من اشترى لها ما احتاجت من [حليب لبن](545) وصنعت تركمة. فلما وضعت كل واحدة منهما بين يديها ما اشتهت فإذا بأبي عبد الله السلاوي قد دخل، فأخذت صاحبة المجبنة الإناء الذي فيه المجبنة فأدخلته في البيت الذي فيه أبو عبد الله الدقاق من تحت الباب، والبيت مغلق، لتخفي ذلك عن أبي عبد الله بعلها، وكذلك صنعت صاحبة التركمة. فأكل أبو عبد الله الدقاق من هذه ومن هذه. فلما جلس السلاوي مع عياله فكر في أبي عبد الله الدقاق وقال لأهله : إن فلانا نسيته اليوم بلا غذاء. ثم جاء وفتح عليه وسأله عن حاله فقال له : أكلت ما اشتهيت، فقال له : فكيف السبب ؟ فأعلمه بالقصة فتعجب من ذلك.

هذا آخر كلامه، رحمه الله، في سيدي أبي عبد الله الدقاق، رضي الله عنه.

وقال ابن العربي الحاتمي(546)، رضي الله عنه، لما تكلم على الغيبة والتنزه عنها. وما رأيت أحدا تحقق بمثل هذا في نفسه مثل شيخنا أبي عبد الله الدقاق بمدينة فاس من بلاد المغرب، ما اغتاب قط ولا اغتيب بحضرته أحد قط. وكان يقول هذا عن نفسه، انتهى.

وقرأت في مرمرة منقوشة مبنية عند رأسه : هذا قبر الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم الصدر المحصل المتقن الأعرف الأدرى، نخبة عصره، ووحيد دهره، السيد الأطهر

(545) كذا في م وح، في ك1 : سقطت كلمة لبن، وفي ك2 سقطت كلمة حليب.

(546) محمد بن علي بن العربي الحاتمي، صوفي وشاعر، رحل إلى المشرق وأخذ عن بعض علمائه، وأخذ بمدينة فاس عن علي بن حرزهم وغيره. له تآليف في مسائل مختلفة معظمها في التفسير والتصوف، توفي بدمشق سنة 636هـ (راجع : **جذوة الإقتباس**، ص. 281؛ **نفح الطيب**، 161/2).

الأسنى، الأمجد الأرفع، أبي عبد الله الدقاق السجلماسي، أحد أشياخ أبي مدين، رضي الله عنه ونفعنا به، وهو من كبار مشايخ الصوفية، وكان يصرح بأنه ولي ويتكلم بأشياء تنكر عليه؛ ولم أفهم ما بعده لقدم عهده.

* محمد بن يعلى التاودي

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن يعلى الشهير بالتاودي دفين خارج باب الجيسة.

قال أبو عبد الله التميمي : كان معلما لكتاب الله العزيز، وكان رجلا صالحا متعبدا ناسكا متقللا من الدنيا، زاهدا فيها، ظهرت له براهين وكرامات. أدركته وصحبته عند الشيخ أبي مدين، رحمه الله.

سمعت غير واحد من أصحابنا يقول إنه اجتمع مع جماعة عند بعض من أهل فاس ممن يحب الفقراء، فرأى الرجل صاحب المنزل ثوبه خلقا لا يكاد يستره، فاشترى له شقة وقال له : تقطع لنفسك منها ثوبا ولأحد أولادك. فقال له أبو عبد الله : نعم، فأرسل للخياط، فأخذ أبو عبد الله الشقة وجعلها تحته وأخرج طرفها وقال للخياط : إقطع منها ثوبا للباسي، ففعل، ثم قال : إقطع منها ثوبا لأهلي، ففعل، ثم قطع ثوبا لابنته، ثم قطع ثوبا لولده، فقال له الخياط : كم من ذراع كان في هذه الشقة ؟ فسكت الشيخ عنه وتمت الشقة عند ذلك، وهذه الشقة مشهورة عنه.

أخبرني الشيخ أبو إسحاق المؤذن الخراز أنه بات عنده أبو عبد الله التاودي مع بعض الفقهاء وكان ذلك في بعض ليالي الشتاء. قال أبو إسحاق : وغطينا عند النوم بلحاف وكان لختنتني، قال : فلما أصبحنا وخرجنا من المنزل أخذ اللحاف وجعله على حائط، قال : فجاء بعض الأهل ووضع بإزاء الحائط مجمرا (كذا) فيه نار، فوقع اللحاف وجاء على المجمر فاحترقت فيه مواضع كثيرة. فلما أتيت المنزل أعلمت بذلك، ورأيت الحرق فساءني ذلك. قال أبو إسحاق : فأتيت للشيخ أبي عبد الله التاودي فأعلمته بذلك، وأن اللحاف ليس لي ولا لأهلي، وإنما هو لختنتني فقال لي : إحمله إلي عسى أن ننظر في صلاحه، قال : فحملته إليه وأقام عنده ما شاء الله، ثم جاء أبو عبد الله باللحاف وقال لي : خذه، فأخذته ونظرت إليه فلم أر

---

* ترجمته أيضا في : **جذوة الإقتباس**، ص. 219؛ **سلوة الأنفاس**، 110/3؛ **الإستقصا**، 203/2.

فيه موضع الحرق ولا إصلاح، ولا هو إلا من جنس واحد ليس فيه شيء، قال : فعجبت من ذلك ومن عندي من الأهل، وبقينا متعجبين من ذلك. ولولا معرفتنا باللحاف، لقلنا بدل بغيره. وأوصاف هذا الشيخ كلها جميلة حسنة نفعنا الله بصحبته بحول الله وقوته. ومشيت إليه يوما من الأيام زائرا فوجدته في المكتب مع الصبيان فقال لهم : سلموا على عمكم الحاج، ففعلوا ذلك، فقلت له : ما هذا ؟ فقال لي : هذا وقع بسري، فقلت : لعل الله يفعل ذلك، فما أقمت إلا قليلا وخطر ببالي المسير للحج ويسر الله ذلك بمنه. وكان الشيخ أبو عبد الله، رحمه الله، متقشفا، بذل الهيئة، تاركا للتنعم بلذات الدنيا.

وقال الشيخ أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي : ومنهم الشيخ أبو عبد الله التاودي المعلم، من أهل فاس، ويقال إسم أبيه يعلى، ويدعى بأبي عبد الله الخياط، من أصحاب أبي يعزى، مات بفاس عام ثمانين وخمسمائة. كان من الأفراد، وكان يعلم الصبيان فيأخذ الأجر من أولاد الأغنياء ويرده على أولاد الفقراء، ويغسل أثواب الصبيان في قصعة كانت عنده في المكتب، ويخيطها إذا احتاجت إلى ذلك. ولا يأخذ على ذلك أجرا. حدثني أبو علي حسن بن محمد فتح الغافقي الصواف، قال : سمعت الشيخ أبا مدين شعيب بن الحسين الأنصاري يقول : زار أبو عبد الله التاودي رجلان فأبصرا بين يديه هرين صغيرين قد جعل كل واحد منهما رأسه على الآخر فقالا : هكذا ينبغي أن تكون أخوة بني آدم، فمضغ أبو عبد الله خبزا ورماه إليهما، فوثب كل واحد منهما على الآخر، فقال لهما : هكذا كانت أخوة بني آدم حتى دخلت بينهم الدنيا فلما دخلت بينهم فسدت أخوتهم.

سمعت محمد بن محمد بن أبي القاسم، سمعت أبا إسحاق القفال[547] يقول : دخل أبو عبد الله التاودي بيته ليخرج منه شيئا فوجد الهرة نائمة عليه، فكره أن يزيلها عنه وهي نائمة.

وحدثني أبو عبد الله بن أبي القاسم بن أبي الفضل، قال : حدثني بعض تلامذة أبي عبد الله قال : خرجت مع أبي عبد الله من فاس إلى بني تاودا فمشيت

(547) إبراهيم بن جابر بن عمر المخزومي، الصوفي الواعظ، يعرف بالقفال، من أهل العلم، أصله من مراكش ونشأ بمدينة فاس حيث صحب عددا من الصوفية منهم علي بن حرزهم وأخذ عنه، توفي بمراكش سنة 641هـ (راجع عنه : **جذوة الإقتباس**، ص. 90؛ **الإعلام**، 173/1).

معه شيئا، فأخرج من تحته أرنبا وقال لها : إذهبي حيث شئت فقد أمنت، ثم قال : إن كلاب الصيادين ألجأتها إلي فسترتها بثوبي إلى أن بعدت عن الصيادين.

وحدثني محمد بن محمد اللخمي[548] عن أبي إسحاق القفال قال : كان رجل من أهل فاس يأتي أبا عبد الله التاودي بأول عنقود يطيب في عريش العنب الذي بداره في كل عام، فقعدت عنده إلى أن أتاه بعنقود فقال لي : أقسمه على الصبيان وادفع لكل صبي غصنا، فقلت له : لا يعمهم، فقال لي : ليس لك هذا، إفعل ما أمرتك به، فلقد قسمته على الصبيان غصنا غصنا فعمهم وبقيت منه بقية.

وأخبرني مخبر قال : جاء رجل إلى أبي عبد الله بدراهم فأبى من قبولها، فألح عليه الرجل فقال له أبو عبد الله : لا أحتاجها، فألح في الإلحاح[549] عليه، فرفع أبو عبد الله السليخة التي قعد عليها عن دراهم طرية، فلما رآها الرجل انصرف عنه.

وحدثني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم وغيره قال : جاء رجل محتال إلى أبي عبد الله فقال له : رأيت النبي، ﷺ، في النوم فقال لي : إذهب إلى أبي عبد الله ومره أن يدفع لك أثوابه، فقال له : إتبعني، فدخل داره وتجرد من أثوابه ودفعها له من وراء الباب وبقي عريانا. ثم ذكر قضية احتراق اللحاف المتقدمة وقال إنها صحيحة ثم قال : وأخبرني مخبر قال : دفعت امرأة أبي عبد الله التاودي لأبي عبد الله التاودي غزلا وقالت له : بعه واشتر لنا بثمنه أضحية ولا تعطها أحدا، فباع الغزل واشترى به كبشا وأمر الحمال أن يحمله إلى داره، فلقيه في طريقه امرأة وزوجها يتنازعان، فسأل عن نزاعهما فقيل له : طلبت منه زوجه أن يشتري لها أضحية فقال لها : ليس عندي بما أشتريها، فدفع إليه أبو عبد الله الكبش الذي اشتراه وأتى إلى داره فقالت له امرأته : أين الكبش الذي اشتريته لنا ؟ فقال لها : تركته يعلف لنا، ثم خرج من الدار فقال له رجل : عسى أن تذهب معي إلى منزلي، فذهب معه وأدخله إلى كباش معلوفة وقال له : عينت لك منها كبشا لأضحيتك، فقال له أبو عبد الله : هو هذا، وأشار إلى واحد منها، فقال له الرجل : هو الذي عينته لك.

وقال الشيخ أبو عبد الله الساحلي، رضي الله عنه، في «**بغية السالك**» : وأما الشيخ أبو عبد الله التاودي فهو محمد بن يعلى المعلم، ويعرف بالخياط، قيل كان

(548) لعله محمد بن أحمد اللخمي التلمساني الذي ورد ذكره عند كل من ابن الأبار في «**تكملته**» وابن عبد الملك المراكشي في «**الذيل والتكملة**». كان معاصرا للتادلي وتوفي بمراكش سنة 614هـ.

(549) كذا في ح وك2، وفي ك1 : فألح كل الإلحاح عليه.

أندلسي الأصل، وقيل بل كان من تاود[550] من أعمال فاس ؛ كان من الأفراد المشهورين في العلم والدين. قيل إنه كان في المتأخر من عمره يعلم الصبيان القرآن بفاس فيأخذ الأجرة من الأغنياء فيردها على الفقراء، ويغسل أثواب ضعفاء الصبيان ويخيطها لهم ويرقعها بيده، ولا يأخذ على ذلك أجرا. وكان كثير البذل والمعروف، شهير الكرامات، حسن الإشارات، جميل المقاصد، كبير الشأن، متين العلم، صادق اللهجة، طلق الوجه، له أحوال تبين عن رفيع مقامه وتمكين معرفته بالله تعالى. روي أن رجلا من فضلاء أهل فاس كان له عرس، فدعا فضلاء [أهل][551] فاس إليه، فقيل له في النوم ليلة يوم العرس : إن شمس هذه البلدة يحضر غدا عرسك، قال : فلما أصبح جعل الناس يأتون العرس، وصاحب العرس يقول في نفسه : ليث شعري من الذي هو شمس هذه البلدة. فبينما هو يفكر في ذلك إذ دخل أبو عبد الله التاودي فقال لصاحب العرس : فيم أنت تفكر؟ أنا هو شمس هذه البلدة. ثم ذكر قضية الهرين المتعانقين اللذين كانا أمامه، وقضية نوم الهرة، وقضية الأرنب، وقضية الرجل الذي زعم أنه رأى النبي، ﷺ، وأمره أن يأتيه ويعطي له أثوابه؛ وقد تقدم جميع ذلك.

ثم قال الساحلي : وكراماته أكثر من أن تحصى. كان له في طريق القوم قدم راسخة وحال كبير، ومذاق شريف. وكان الشيخ أبو يعزى يشهد له بالفضل والتقدم ويطلق لسانه ثناء عليه.

أخذ عن شيخه أبي الحسن بن حرزهم، فنفذ وقطع «**المقامات**». كان شيخه أبو الحسن بن حرزهم يقول : إن أبا عبد الله التاودي قطع «**مقامات**» أبي يزيد البسطامي كلها في أربعين يوما. توفي بفاس ودفن بها سنة ثمانين وخمسمائة، وقبره بها معروف مشهور يستشفى به الناس ويتوسلون فتقضى حوائجهم.

---

(550) لعل المقصود بها مدينة تَوْدَة التي ورد ذكرها عند الوزان، وهي مدينة قديمة تشرف على نهر ورغة شمال مدينة فاس (راجع : **وصف إفريقيا**، 238/1).

(551) زيادة في ك1.

* محمد بن الحسن

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن(552) دفين خارج باب الجيسة. ذكر التادلي في «التشوف» أنه من أهل سجلماسة، قال : واستقر أخيرا بفاس وبه مات عام خمسة وتسعين وخمسمائة. وكان من تجار الصحراء، فتاب إلى الله عز وجل وانتقل إلى مدينة فاس، فأقام سبعة عشر عاما صائما لا يفطر إلا في الأيام المنهي عن صومها.

سمعت إسماعيل بن يعلى يقول : دخلت عند محمد بن الحسن وهو مريض في يوم الأربعاء، فكنا عنده في ثلاثة نفر، فأغمي عليه، فلما أفاق من إغمائه سألناه عن حاله فقال لنا : لما أغمي علي أحضرت بين يدي الحق سبحانه فقال لي : يا محمد، أكره لك الموت ولابد لك منه، فقلت له : يا رب، أريد أن تقبضني وليس علي فرض من فرائضك، وأن أموت يوم الجمعة، فقال لي : كذلك قضيت عليك أن تموت يوم الجمعة بعد أن تصلي صلاة الصبح. ثم قال لنا : اكتموا علي هذا؛ فخرج أحدنا فتحدث بذلك إلى أن فشا في الناس خبره؛ فأردت أنا أن أبيت عنده تلك الليلة فقال لي : إذهب إلى منزلك فإن عندك مريضا، فانصرفت إلى أهلي وبت عندهم، فلما انصدع الفجر خففت الصلاة وبادرت إلى منزله، فدخلت عليه فوجدته يتوضأ، فلما فرغ من وضوئه ركع ركعتي الفجر ثم صلى صلاة الصبح وقرأ فيها قراءة مرتلة فسلم وسبح ودعا، ثم امتد وقطب وجهه وارتعد ساعة فمات، رحمه الله، فانتال الناس من كل جانب وتعجبوا من إخباره بموته في الوقت الذي أخبر به.

** عبد العزيز بن محمد البوفرجي

ومنهم الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن محمد البوفرجي. كان فقيها صالحا ورعا خيرا فاضلا، وتقدم خطيبا في جامع القرويين من فاس في شوال عام ثمانين وثمانمائة، وأول صلاة صلاها فيه صلاة المغرب، وبقي فيه خطيبا إلى أن مات وحمدت سيرته،

---

* ترجمته أيضا في : **جذوة الاقتباس**، ص. 274؛ **سلوة الأنفاس**، 126/3.

(552) اليَصلُتِي كما في **التشوف**، ص. 345، وفي **سلوة الأنفاس**، 126/3، اليصلوتي. ولم تثبت في المصادر المذكورة وجود علاقة لهذا الشخص بأسرة الياصلوتيين أو اليالصوتيين التي كانت تستوطن منطقة غمارة (راجع **الحركة الفكرية**، ص. 475).

** ترجمته أيضا في : **فهرس** المنجور، ص. 59؛ **جذوة الاقتباس**، ص. 452؛ **درة الحجال**، 128/3؛ **سلوة الأنفاس**، 131/3.

وكان الثناء عليه جميلا. وكان الشيخ زروق معاصرا له فكان يقول : إن الصلاة تغبط خلفه. ووجده إنسان يغسل شيئا من ثوبه فسأله ماذا يغسل فقال له : دم البراغيث، فقال له : إنه لا ينجس، فقال له : الإمام كشاة الأضحية، يتقى فيها العيب كله. توفي، رحمه الله، عند زوال يوم السبت ثاني عشر ربيع الأخير من عام تسعمائة، وقيل تسعة وتسعين وثمانمائة، ودفن خارج باب الجيسة بقرب سيدي محمد بن الحسن. وولد عام خمسة وثمانمائة، فمات مسنا، رحمه الله تعالى.

* إبراهيم الزواري

ومنهم الشيخ أبو سالم إبراهيم الزواري دفين خارج باب الجيسة عن يسار الخارج منه، عليه روضة مبنية على صورة بيت فوق الطريق على مقربة من روضة سيدي محمد بن الحسن.

قال في «**الممتع**» : توفي بفاس سنة إحدى وستين(553) وتسعمائة وهو ابن مائة وست وثلاثين سنة أو نحوها، وصحب خمسة وثلاثين شيخا منهم : الشيخ ابن عروس التونسي، وتلميذه الشيخ منصور الزواري، ومنه اكتسب صاحب الترجمة إسم الزواري؛ ومنهم الشيخ ابن عقبة الحضرمي والشيخ الزيتوني وتلميذهما الشيخ زروق، والشيخ ابن عرفة القيرواني، والشيخ التباع، أخذ عنه بمراكش، والشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، وهو آخر من أخذ عنه. وله كرامات ومآثر منها : أنه كان يصلي العشاء مع الفقراء في مدة استيطانه القصر، وتطول إقامته بعدها معهم فيما هم فيه من سبل الخير، فإذا رجع إلى داره فربما وجد امرأته قد نامت فيوقظها قرعه الباب، فتقوم وتفتح له، وربما انتظرته فأضجرها ذلك؛ فجاء ليلة فلم تقم، وطال مقامه بالباب فقال لها : يا بريغيث، فسقط برغوث في أذنها لم يمكنها معه إلا القيام، فلما فتحت الباب سقط من أذنها. وكان جماعة للخير، حريصا على لقاء المشايخ والأخذ عنهم؛ وكان من أهل الولاية والعرفان، وجلالة القدر وكبر الشان. وكان قدم من تونس وأوطن القصر الكبير سنين، ثم رحل إلى فاس فتوفي بها، انتهى ملفقا من «**المرآة**».

وقال في المنقبة المذكورة : حضر ذلك جماعة من الفقراء، فإنهم كانوا يشيعونه إلى داره. وقال في تاريخ وفاته : سمعت ذلك من الشيخ أبي المحاسن، يعني والده. ولما

---

* لم نعثر على مصادر ولا مراجع لترجمته غير التي ذكرها المؤلف.

(553) في ك2 : تسعين.

كان قرب وفاته، جمع أصحابه وأمرهم بالتزام سيدي عبد الرحمان المجذوب والأخذ عنه؛ وأوصى سيدي عبد الرحمان عليهم وقال له : الله، الله فيهم، فإني ما رأيت في المغرب لمن نوصي إلا إليك، رضي الله عنهم أجمعين. هذا آخر كلام صاحب «**الممتع**» في سيدي إبراهيم، رضي الله عنه.

وذكر السيد الصالح سيدي علي، والحمد لله، أن سيدي إبراهيم الزواري أخبره أنه أسر مرة فاشتراه قسيس وقال له : إنما اشتريتك لأنني شممت فيك رائحة الصوفية، وذهب به إلى منزله ولم يأمره بشيء، فوجده مسلما مخفي الإسلام وقال : إنما مكثت هنا لأن الإسلام هنا غريب. وكان يحيي الليل بالقيام والنهار بالصيام.

قال سيدي إبراهيم : فبينما أنا ليلا على السطح إذا بثلاثة رجال قد نزلوا فسألتهم : من أنتم ؟ فقال لي أحدهم : هذا الشيخ سيدي عبد القادر، وهذا الشيخ سيدي أبو العباس، والثالث سيدي أحمد البدوي، وقيل سيدي أبي يعزى، نفعنا الله بهم، آمين. وتقدم الشيخ سيدي عبد القادر وقال لي : جئنا إليك لنخرجك من بلاد الكفر، فقلت : أخبر المالك بذلك، فهبطت إليه، فحين أشرفت عليه قال لي : هذه رائحة الناس فيك، فأخبرته الخبر فقال لي : أستودعك الله، والملقى في حضرته. ثم تقدمني الشيخ عبد القادر، وجاء الشيخ سيدي أبو العباس عن يميني والرجل الآخر عن شمالي، وقال لي الشيخ أبو العباس : قل يا هو ما في الوجود إلا هو، ثم رفعت، فأنزلوني بمدينة تونس، ثم قدمت إلى المغرب لزيارة الشيخ أبي العباس السبتي[554]، فلما كنت ببعض الطريق قبل الوصول إلى المغرب نزل بي مرض في فلاة من الأرض، فإذا أنا بامرأة أتتني تصلح من شأني ما أحتاج إليه فقلت لها : من أين أنت؟ فقالت لي : من فاس، من زنقة حجامة واسمي حليمة[555]. ثم ذهبت فلقيت أسدا فطلب مني الصحبة فصاحبته على ذلك، ثم لما كنا ببعض الطريق لقي الأسد أسدا آخر ولبؤة فاشتبكا وجرح صاحبي، فنزعت عمامتي وشددت جرحه، فلما وصلنا إلى مراكش قلت له : حان الفراق بيني وبينك، فدمعت عيناه وانصرف، ثم أتى من

(554) الفقيه النحوي أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي، ولد بسبتة سنة 524هـ ونزل مراكش وبها مات سنة 601هـ. وهو أحد رجالاتها المشهورين، وقد خصه ابن الزيات بترجمة مطولة في كتابه **التشوف**، ص. 451 (راجع عنه أيضا المصادر التي ذكرها المحقق في هذه الترجمة).

(555) طرة من ح : فاطمة، دفنت في زنقة حجامة في الزنقة التي تحت باب المدرسة المصباحية في الدار الداخلة في الدرب، نفعنا الله بها، آمين.

مراكش إلى فاس وكان موته بفاس ودفن خارج باب الجيسة. انتهى من خط الفاضل الفقيه المؤرخ أبي محمد عبد العزيز بن محمد بن القاضي[556] قائلا آخره : انتهى سماعا من الشيخ سيدي علي والحمد لله يوم الجمعة أوائل جمادى الأولى عام ثمانية وتسعين وتسعمائة. وكتب عبد العزيز بن محمد بن القاضي ومن خطه أيضا.

وعاش سيدي إبراهيم الزواري المذكور مائة سنة وستا وثلاثين سنة، وهو من عرب إفريقية، وكان والده عاش مائة وخمسين سنة.

وقال في «المرآة»: سمعت من غير واحد أنه كانت له سياحة، ومرض مرة في مفازة مرضا ألزمه مكانه فريدا، فرأى حمامة تطير حتى قربت منه فنزلت، فإذا هي امرأة حاملة للطعام المصنوع من خمير القمح وهو المعروف بالحريرة، ولما يحتاج إليه في الوقت، وكثر تفقدها إياه حتى برأ فقال لها: سألتك بالله من أنت؟ فقالت له: اِسمي فاطمة بنت فلان، سمته وانسيته أنا، قالت: وأنا من فاس، فإذا جئتها فسل في زنقة حجامة عن دار فلان تجدني هنالك. ولما دخل المغرب ووصل إلى فاس سأل عن الدار فوجدها، فضرب الباب فخرجت ورحبت به وأقام ضيفا عندها، فجاء رجل عليه أحوال السكر ملوث الثياب بالطين، فتلقته وغسلت عن رجليه ونظفت ثيابه ووطأت مضجعه وفعلت المستطاع في بره، فأقام الشيخ أبو سالم في ضيافتهم ثلاثة أيام، وتأمل أحوالها في عادتها وعبادتها، فرآها في لباسها على عادة النساء، وفي عبادتها لا تزيد على إحسان أداء فرائضها وما يتعلق بها، فعجب من ذلك وسألها عما نالت به ما رآه قبل، فقالت له: بالقيام بحق الله تعالى فيما أمر بالقيام به من حق الزوج.

وأخذ صاحب الترجمة كما تقدم عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عروس التونسي وعليه اعتماده في الطريق وعلى يديه فتح له، وهو أخذ عن الشيخ سيدي فتح الله العجمي التونسي، وكانت له طريقة غريبة، وهو أخذ عن الشيخ صدر الدين الناكوري عن الشيخ نصير الدين محمود الأودهي، عن الشيخ نظام الدين الخالدي، عن الشيخ فريد الدين شكركنج، عن الشيخ معين الدين الجشتي، عن الشيخ أبي عمرو عثمان الهاروني، عن الشيخ حاجي شريف الرندي، عن شيخ الطريقة الجشتية قطب الدين مورود بن يوسف بن محمد بن سمعان الجشتي، عن والده، وهو عن

(556) الفقيه عبد العزيز بن محمد بن القاضي المكناسي، قال عنه القادري في كتابه **نشر المثاني**، 69/1، أنه كان عارفا بفرعي ابن الحاجب، ولد بعد سنة 950هـ، وتوفي سنة 1006هـ (راجع أيضا : **درة الحجال**، 132/3).

والده عن خاله محمد بن أبي أحمد أبدال عن والده أبي أحمد فرشنافة عن والده أبي إسحاق الشامي، عن ممشاذ الدينوري، عن هبيرة البصري، عن حذيفة المرعشي، عن إبراهيم بن أدهم، عن الفضيل بن عياض، عن عبد الواحد بن زيد، عن كميل بن زياد، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

وأخذ صاحب الترجمة كما تقدم أيضا عن الشيخ أبي عبد الله محمد الملقب عرفة القيرواني وهو عن والده الشيخ أبي العباس أحمد بن مخلوف الشابي القيرواني، عن الشيخ أبي محمد عبد الوهاب الهندي، عن مشايخ كمل هنديين وسنديين، عن الشيخ أبي مدين. وذكر بعضهم أن الشيخ أبا محمد عبد الوهاب الهندي عن الشيخ أبي موسى السدارتي عن أبي محمد الموروي عن الشيخ أبي مدين، رضي الله عنهم أجمعين.

* عبد المجيد ابن أبي القاسم البادسي

ومنهم الشيخ أبو محمد عبد المجيد بن أبي القاسم البادسي دفين خارج باب الجيسة.

قال العلامة الدراكة الواعية أبو محمد عبد السلام[557] بن الطيب القادري الحسني حفظه الله في كتابه «**نزهة النادي وطرفة الحادي فيمن بالمغرب من أهل القرن الحادي**» : هو الشيخ الولي الشهير، المجذوب الكبير، الملامتي الخطير، القوي الحال، الغزير الأنوار، الموله في النبي، ﷺ، آناء الليل والنهار. ذو الكرامات الشهيرة، والبركات الكثيرة والمدد، أبو محمد سيدي عبد المجيد. كان، رضي الله عنه، غائبا في النبي، ﷺ، دائم اللهج به وبالصلاة عليه، مسرمدا لذكره الشريف، لا يفتر عنه وقتا من الأوقات، كثير المحبة والتعظيم لآله، ﷺ، معظما لأهل الطاعة والاتباع للسنة الشريفة. وكان إذا شرع في الصلاة عليه، ﷺ، يبتدئ فيقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمان الرحيم، إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، يرتب ذلك ترتيبا حرفا بعد حرف ثم يقول :

---

* ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 31؛ **التقاط الدرر**، 23/1؛ **نشر المثاني**، 49/1.

(557) اشتهر بدراسة أنساب الشرفاء القاطنين بمدينة فاس، وله في ذلك مؤلفات عديدة ويعد كتابه «**الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني**» من أهم ما ألف فيها، وله أيضا دراسات في السير والتراجم. ولد بفاس سنة 1058هـ وبها درس وتوفي سنة 1110هـ (راجع ترجمته في **نشر المثاني**، 86/3؛ **مؤرخو الشرفاء**، ص. 195).

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله، يكررها بأسرع من قراءته الأولى، ثم يقول : اللهم صل على سيدنا محمد، ثم يغلبه الوجد فيقول : محمد، محمد، محمد، يكرر اسمه، ﷺ، مجردا مرتبا حرفا حرفا لا يستطيع إمساك نفسه عنه نفسا من الأنفاس، وكان لا يزال كذلك على أي حال من الأحوال كان، وفي أي موضع من المواضع.

أخبرني بعض المسنين من أصحاب الشيخ سيدي محمد بن عبد الله معن، رضي الله عنه، عن بعض الفقهاء المعاصرين له أنه، أعني الفقيه، كان يوما واقفا على أبواب الميضآت التي بشرقي جامع القرويين ينتظر فراغ واحدة منها، فسمع رجلا يذكر النبي، ﷺ، يقول : محمد، محمد، يسرد آسمه، ﷺ، سردا لا يفتر عنه، فهم بدفع الباب عليه ليزجره، فإذا به، رضي الله عنه، خارجا فقال له الفقيه : أفي الميضأة تقول هذا يا سيدي ؟ فقال له : أسكت يا ابن كذا ! وسبه. وكان، رضي الله عنه، لا يبصق إلا بثيابه، ولا يرمي ببصاقه إلى الأرض البثة ويقول : لا أطرح بالأرض ريقا يجري مع ذكر النبي، ﷺ. ولم يكن له شيخ في هذا الشأن، وإنما مدده من رسول الله، ﷺ. حسبما أخبر بذلك عن نفسه.

حدثني بعض الفضلاء الأثبات عن الشيخ الولي الكبير سيدي محمد بن عبد الله معن، رضي الله عنه، أن الشيخ الولي سيدي محمد الكَومي دفين القليعة من داخل باب الفتوح لقيه، أعني سيدي عبد المجيد، رضي الله عنه، يوما، وهو موله يقول على عادته: محمد، محمد، يكرره. فقال له: أنشدك بالله يا سيدي عبد المجيد، من أين خرجت لك هذه السكرة؟ يريد على يد أي شيخ كانت، فقال له : والله ما لأحد علي منة إلا رسول الله، ﷺ، أعطاني كأسا مغدرة، يعني مملوءة كالغدير، فشربت حتى رويت وما بقي أدفقته على رأسي وبدني. فكان أخذه عن رسول الله، ﷺ، بلا واسطة. واتفق له في ذلك ما اتفق لغير واحد من الأكابر كالشيخ عبد الرحيم القناوي، والشيخ مكين الدين الأسمر، وأمثالهما، رضي الله عنهم، وصاروا في حصول هذا المدد الشريف كالصحابة، رضوان الله عليهم، وإن تأخر زمانهم، وناهيك بهذا شرفا وفضلا. وكان، رضي الله عنه، من أصحاب الخطوة، لا يصلي صلاة إلا بمكة الشريفة أو المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. أخبر بذلك عن نفسه كما سيأتي في حكاية له، فكان لأجل ذلك لا يراه أحد بفاس يصلي في مسجد من مساجدها أبدا حتى الجمعة، فصار ذلك في ظاهر الأمر ملامة. وكان متجردا غير متأهل، لا زوجة له ولا ولد، يسكن ببيت في الفندق المقابل لباب جامع

القرويين الذي فوق الباب المسمى بباب سيدي عبد القادر الجيلاني، وبه هذا الفندق اليوم يدعى، فيقال له فندق سيدي عبد المجيد. أصله من الريف، من مدشر بني يطفت[558]، مدشر يقال له العرض، وكان له أصحاب وأتباع يلوذون به ويخدمونه ويأتونه هم ومن عداهم بالطعام مطبوخا إلى موضعه، كلهم يتمنى أن يقبله منه ليأكله. وكان رجل من أصحابه يقال له ربيط يلازم له طبخ اللحم في الطنجية، ظرف معروف عند أهل فاس، ويجيد عمل ذلك له بكل ما يحسنه من أبازير وزعفران، حتى إنه ليبخر له الآنية التي يأكل فيها والتي يشرب منها لما يعلم من شأنه في ذلك ومن محبته لتبخيرها، (والمومن طيب يحب الطيب وحلو يحب الحلاوة)[559]، كما في الحديث، مناسبة لطيب قلبه وحلاوة إيمانه. وكان ظاهر الخصوصية، شهير البركة، ولايته معروفة عند الكافة، مطبق بفاس عليها، له كرامات لا تحصى ومآثر عديدة، منها : أن رجلا يقال له أحمد بن ناصر كان يخدم برحبة الصفارين لقيه، رضي الله عنه، يوم جمعة مارا بباب القرويين إزاء الباب الذي يقال له باب سيدي عبد القادر الجيلاني، فذهب خلفه، فوجد شريفين من شرفاء سجلماسة جالسين بالباب الذي بعد الباب المذكور، فقاما إلى سيدي عبد المجيد وقالا له : يا سيدي، سألناك بجاه جدنا رسول الله، ﷺ، ألا ما أخبرتنا أين تصلي؟ فسكت هنيهة واحمر وجهه وقال لهما : بمكة أو بالمدينة. فلما سمع الرجل مقالته هذه، عقد في نفسه عزما ليتبعنه أين ما سار يومه ذلك حتى ينظر ما يفعل في صلاة الجمعة، فذهب خلفه حتى قطع سوق العطارين ثم الطالعة، ثم ذهب خارج باب المحروق، أحد أبواب فاس، وهو يتبعه إلى قنطرة غدير الحمص، ثم رجع عوده على بدئه، فجعل الرجل يتبعه إلى أن بلغ جامع القرويين، فوافق، عندما لحق به، نزول العلم من موضعه وآذان المؤذن على المنار، فدخل المحل المعد للوضوء، والرجل بإثره يتبعه، فوجد ميضأة فارغة فدخلها، فوقف الرجل على بابها ينتظر خروجه، ثم دفع الباب يريد الإشراف عليه، فوجدها كالحائط لم يستطع هزها، فبينما هو كذلك إذا به، رضي الله عنه، مشرفا عليه من الناحية التي أتيا منها فقال له : صلى الناس صلاتهم، قطع الله يدك. فعرف الرجل

(558) قبيلة بني يطفت، إحدى القبائل الريفية المشرفة على البحر المتوسط، كانت تقوم، مع بعض القبائل المجاورة لها بمراقبة الإسبانيين، حين كانوا، بحجرة بادس ومنعهم من الدخول إلى المنطقة، وكانت لها علاقات تجارية مع الجزيرة المذكورة
(راجع : Auguste Moulièras, **Le Maroc Inconnu**, page 87).

(559) يوجد معناه في ج 2 من «**مسند**» ابن حنبل، ص. 199.

حلول العقوبة به وجعل يلوذ به ويطلب العفو ويتوب إلى الله عز وجل، فقال له : سر عني وإلا قطع رأسك، فلما تحقق نفوذ الوعيد قال له : يا سيدي، إن كان لابد من القطع فيدي اليسرى، فقال له : نعم، فمكث زمانا وإذا بجامع القرويين قد سرق زيته من مصابحها مرة بعد مرة، فادعي عليه أنه سرقها، وهو من ذلك بريء، فلما أمر بقطع يده رغب إليهم في قطع اليسرى. وذكر لهم دعاء سيدي عبد المجيد بذلك عليه، وذكره اليسرى له، فقطعوا يسراه، ثم بعد ذلك وجد السارق بالجامع ليلا وقبضوا عليه، فأقر بالسرقة فقتلوه وتحققوا براءة المقطوع. أخبرني بذلك كله بعض الثقات من أصحاب الشيخ سيدي محمد بن عبد الله معن، رضي الله عنه، عن صاحب الحكاية المقطوعة يده. وأخبرنا بها غير واحد، وهي حكاية مشهورة، وقد اشتملت على خمس كرامات : وجود باب الميضأة كالحائط، وخروج سيدي عبد المجيد منها وهي مغلقة من غير فرجة ولا حل باب، وإشرافه عليه من ناحية أخرى، وقبول دعائه عليه، وصدق ما وعد به من كون المقطوعة هي اليسرى، وصلاته بمكة أو المدينة بإخبار منه، رضي الله عنه ونفعنا به، آمين.

ومنها أن القاضي العلامة أبا محمد عبد الواحد بن أحمد الحميدي، رحمه الله، مر يوما وهو بجامع القرويين بإزاء صومعتها، فوجده رضي الله عنه جالسا هنالك فقال زاجرا له : قم يا بغل، الناس كلهم يصلون وأنت لا تصلي والناس يتبعونك، فنظر، رضي الله عنه، إليه وقال له : أنت معزول. فبعد ذلك بيوم أو يومين جاء كتاب السلطان أبي العباس المنصور من مراكش بعزل القاضي المذكور، أرسل به مع راكب الجمل المهرى المعد عنده للإرسال فيما يريد قضاءه فورا، وكان ذلك الجمل فيما قيل عشريا يقطع مفازة عشرة أيام في يوم واحد، فتحقق القاضي أنه إنما أتي من قبل سيدي عبد المجيد، فتربص حتى كان وقت ما بين المغرب والعشاء من يومه ذلك الذي عزل فيه، وأتى هو وأولاد له صغار قدمهم شفعاء إليه، وطلب منه الصفح عنه، فسامحه وقال له : أنت مردود؛ فبقرب ذلك جاء كتاب آخر من عند السلطان المذكور مع راكب الجمل المهرى أيضا بتوليته ورده إلى خطته. وبلغنا أن السلطان المذكور قال : إنه ما عزله حتى رأى في نومه رجلا يأمره بذلك ويهدده إن لم يفعل، وإنه ما رده حتى رآه أيضا يأمره برده. أخبرنا بهذه الحكاية غير واحد من أهل العدالة وغيرهم، وهي مشتملة على كرامتين : عزل القاضي أولا، وتوليته ثانيا، كلاهما بعد أن أذن هو فيه، رضي الله عنه ونفعنا به، آمين.

ومنها أنه، رضي الله عنه، ضرب يوما رجلا من أصحابه بمفتاح كان في يده، فصادفت الضربة عينه فأضرت بها، فإما سال ماؤها، وإما خرجت عن محلها، فمضى الرجل واضعا كفه على عينه، وبقي مريض العين أياما يصنع له الدواء، فتفقده، رضي الله عنه، يوما وسأل عنه أصحابه، فذكروا له ما وقع لعينه، فأمرهم أن ينادوه ليأتي، فجاء فوضع، رضي الله عنه، كفه على عينه وقال له : لا بأس، ليس ثم شيء، فما رفع يده إلا والعين قد برئت مكانها وعادت كأختها ببركته رضي الله عنه. فكان الرجل يحدث بذلك متعجبا منه كل العجب، وهو رجل من أهل فاس معروف.

ومنها أن رجلا من سكان الفندق الذي هو به أضاف رجلين ليلا ليبيتا عنده على شرب الخمر، فباتا، فلما أحضروا الخمر في البيت ليشربوها، جاءهم، رضي الله عنه، ودق عليهم الباب، فرفعوا أوانيهم وفتحوا له، فجلس بالباب ساعة يقول على عادته : محمد، محمد، يكررها، ثم قام وانصرف، فسدوا الباب وأحضروا الأواني يريدون الشرب أيضا، فرجع إليهم، ودق الباب، فكفوا عن ذلك وفتحوا له، فجلس هنالك أيضا. فعل ذلك مرتين أو ثلاثا، كلما أرادوا الشرب جاءهم، ولما انصرف آخر مرة جعل واحد منهم يحذرهم الشرب وينهاهم ويقول : أما ترون هذا الرجل، يعني سيدي عبد المجيد، يذهب ويجيء كأنه يحرسنا، وخوفهم العقوبة التي تلحقهم من أجله وأجل مجاورته، فانتهك الرجلان الحرمة وباتا يشربان، وأبى هو أن يشرب، فمن الغد لقيهما حاكم المخزن بكرة، فقبضهما وضرب عنقهما وعلقهما. نسأل الله العافية بمنه. وحصل بذلك كرامتان : مكاشفته أولا بما أرادوا يفعلون، وانتقام الله منهم بعد ذلك بما فعلوا.

ومنها أنه، رضي الله عنه، كان بفندقه ليلة جماعة فيهم رجل بيده آلة طرب ينقر أوتارها، فحرك منه الوجد فجعل يقول له : كَنبر [كَنبر][560] ففعل حتى مرت عليهم ساعة، فاحتاج الناس للأكل، والفندق قد أغلقت أبوابه، كما أغلقت أبواب الأسواق والطرق، فقال الرجل : يا سيدي، أردنا العشاء، فقال له : كَنبر، كَنبر، فاشتغل بذلك، فإما وعده، رضي الله عنه، بذلك وإما رجاه أو نحو ذلك، فبينما هم كذلك إذا ببعض أهل فاس قد جاءهم بأواني كبيرة مملوءة ثريدا ولحما؛ وكان ذلك البعض يومئذ صنع وليمة في سابع مولود تزيد (كذا) له، فحدث أنه كان عليه التزام لطعام

(560) زيادة من ك1.

نذر أن يأتي به سيدي عبد المجيد، رضي الله عنه، وأنه عزل بعض طعام وليمته وخبأه له ليأتيه به من الغد، فلما نام ليلتئذ رأى سيدي عبد المجيد وهو يقول له : إئتني بطعامي الآن، فاستيقظ، ثم لما رأى الليل قد عسعس وأبواب الطرق مغلقة رجع لنومه، فرآه مرة أخرى فقال : ائتني بطعامي الآن، فاستيقظ ونهض مسرعا إلى الطعام وهيأه له وأتى به ليلا يستفتح به الأبواب حتى وصل إليه، رضي الله عنه.

ومنها أن رجلا كان عليه دين كثير أهمه فقال في نفسه : أذهب إلى سيدي عبد المجيد وأذكر له ذلك عسى أن يقضيه الله عني. فجاءه، فوجده جالسا بسارية من سواري جامع القرويين، فبينما هو أمامه يفكر في دينه قبل أن يذكره له، إذا به، رضي الله عنه، قال له : يا أخي، الذي عليه الدين يصلي كل يوم على النبي، ﷺ، عشرة آلاف مرة فإنها تنفي الدين والهم والغم والحزن، فقال الرجل في نفسه من دون أن يتلفظ بشيء : كيف أصلي هذه الصلاة ؟ هل أقول اللهم صلي على سيدنا محمد، أو اللهم صلي على محمد، يعني بزيادة لفظ سيدنا أو بدونه، فقال : يا أخي، السيادة أحسن؛ فكاشفه مرتين وأفاده الحكمتين، رضي الله عنه ونفعنا به، آمين.

ومنها أنه، رضي الله عنه، قال يوما : من يأتيني يوم عيد الأضحى بكبد الشاة قبل أن يفطر به أحد من الناس فله حجة، فسمعه رجل يقول ذلك، فعزم على فعله. فلما كان يوم النحر جعل يرصد ذبح الإمام من فوق سطح له، فعندما ذبح الإمام، ذبح شاته هو سريعا وشق بطنها قبل سلخ جلدها فأخرج الكبد وشواه وأرسل به مع رجل رحوي أسرع منه مشيا. فأشرف على سيدي عبد المجيد قبل أن يأتيه أحد بشيء، فلما مر شهران أو نحوهما وجاء وقت خروج الحاج، قذف الله باعث الحج في قلب ذلك الرجل المرسل معه، فخرج مع الركب وكان هو صاحب الحجة إذ هو الآتي بشرطها.

وكراماته، رضي الله عنه، أكثر من أن تستوفى فلنقتصر على ما ذكر ففيه إجزاء وإكفاء. توفي، رضي الله عنه، سنة ثلاث أو أربع وألف ودفن خارج باب الجيسة أحد أبواب فاس، وبني عليه قرب روضة الشيخ سيدي أبي عبد الله التاودي وروضته هنالك معروفة تزار نفعنا الله به، آمين.

هذا آخر كلام صاحب «**نزهة النادي**» في سيدي عبد المجيد، رضي الله عنه.

* يعقوب الدباغ

ومنهم الشيخ أبو يوسف يعقوب الدباغ[561]، دفين خارج باب الجيسة، وشهرة ضريحه تغني عن نعته، وهو، مزارة معتبرة عند أهل فاس وحرمة موقرة؛ ويذكرون له كرامات لم نجد شيئا منها منصوصا فأضربنا عنها. ومن أعظمها ما ذكر لنا الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم، سيدي أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي حفظه الله، قال : حدثنا من نثق بقوله أنه كان واقفا عند قبره مع الشيخ سيدي شقرون الفخار، فقال له : ذكروا أن هذا الرجل من كان في الحاجة في الشيخ وقصده فيه جمعه الله به من بركته؛ وهذه الفائدة العظيمة والبركة الجسيمة لو لم يكن له غيرها لكانت كافية في كراماته، فهي تغني عن غيرها، رضي الله عنه ونفعنا به.

** مبارك بن عبابو الكوش

ومنهم الشيخ سيدي مبارك بن عبابو الكوش دفين خارج باب الجيسة، وهو أحد أشياخ الشيخ أبي الفضل قاسم الخصاصي، رضي الله عنه.

قال في «**المقصد**» : كان رجلا صالحا، ووليا واضحا، كوشا مسنا جدا، منفردا متجردا، غير متأهل ولا متسبب، تلك حالته، يأوي بالمدرسة المصباحية ببيت منها. عادته فيما يقتاته، أنه يمر بالسوق ويقف ببعض الحوانيت يتعرض لأهلها من غير أن يذكر شيئا، وإن حصل له مقدار الكفاية من واحد لم يتعرض للثاني. وجاء زمن غلاء كان في وقته فقال : إن الناس اليوم لا يعطون، فلزم بيته ولم يتعرض لأحد،

---

* انظر عنه أيضا : **سلوة الأنفاس**، 105/3.

(561) لم أعثر له على ترجمة غير التي أتى بها المؤلف، وقد ذكر عنه الكتاني في **السلوة**، 105/3، أنه وجد على هامش بعض الكتب ترجمة لشخص يحمل إسم يعقوب الدباغي بن عبد الله بن عبد الرحمان، وهو شريف إدريسي (من الشرفاء الدباغين) من أهل القرن 5 أو 6هـ وهو مدفون بفاس. ووقع لصاحب **السلوة** إشكال حول ما إذا كان الشخص هو صاحب الترجمة، لأن الشرفاء الدباغين، الذين يحتمل أن يكون واحدا منهم قد انتقلوا من فاس في أوائل منتصف القرن الرابع الهجري إلى الأندلس ولم يحملوا لقب الدباغين إلا في أواخر المائة الثامنة من مجبى دار الدباغ الذي رتبه لهم السلطان أحمد بن أبي سالم المريني حين سكنوا بسلا، فجرى عليهم النسب بلفظ المبالغة مع أنهم لم يشتغلوا بهذه الحرفة.
وقد أشار أحمد بن محمد التاشفيني اللمتوني في كتابه «**اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون**»، إلى أنه ليس من الشرفاء الدباغين بل هو عامي وكان يشتغل بحرفة «تدبغت» (راجع أيضا : عبد السلام القادري، **الدر السني**، ص. 37).

** ترجمته أيضا في **صفوة من انتشر**، ص. 15؛ **التقاط الدرر**، 69/1؛ **نشر المثاني**، 211/1.

فقيض الله له امرأة تأتيه بآنية الكسكسو كل يوم لا تعرف من هي، فتعرض رحمه الله للسؤال أولا مع قوة توكله، ارتكابا لطريق السبب الظاهري كما فعله غير واحد من أكابر الزهاد المتوكلين، كأبي سعيد الخراز، وأبي جعفر الحداد، شيخ الجنيد وغيرهما؛ وكف عنه ثانيا مخافة أن يتضرر الناس بسببه إذا منعوا، فأظهر الله تعالى عند ذلك عنايته به ومصداق توكله عليه، فأغناه عنهم ظاهرا كما أغناه عنهم باطنا. وكان، رضي الله عنه، ورعا زاهدا في غاية من الخمول والاِنقطاع عن الدنيا وأهلها، مجاب الدعوة وصاحب إغاثة.

قال، رضي الله عنه : من كان في شدة واستغاث بي فلم أغثه فليحاسبني وليطالبني غدا يوم القيامة. وله كرامات ومكاشفات: منها أنه صرح بمجيء غلاء وقع في زمانه، أخبر به قبل ورود إبانه، أظنه غلاء اثنين وعشرين وألف، الذي بلغ فيه مد القمح خمس أواق(562) وأمر سيدي قاسما بشراء الزرع فقال له : لا شيء عندي يا سيدي، فقال له : أستودعك الله. فلم ير سيدي قاسم في ذلك الغلاء ما يضيره، ويسرت فيه والحمد لله أموره.

ومنها أنه كان مرة مجتازا من باب المدرسة المصباحية إلى القرويين، فتصادم مع رجل كان ذاهبا في الطريق، فغضب الرجل غضبا مفرطا وجعل يسبه ويشتمه وأكثر من ذلك، وسيدي مبارك ساكت لا يزيد على النظر إليه شيئا، فلما لم ينته من ذلك، وسيدي مبارك ساكت، قال له : الله لا يميتني ميتتك، فما ذهب الرجل عن مكانه ذلك إلا قدر مائة خطوة وإذا برجل من أعدائه لقيه، فعرض له وضربه بالسيف ضربات(563) فقتله ومات من حينه. نسأل الله العافية ونعوذ بالله من إذاية أوليائه.

ومنها أنه لما قربت وفاته أخبر سيدي قاسما بموته وقال له : إني سائر إلى البلاد الكبيرة، يعني الدار الآخرة، وأنت الذين أتوا بك قالوا هم أخبر بك حيثما شاؤوا أنزلوك. فكان سيدي قاسم يذكر ذلك عنه ويفسر قوله، الذين أتوا بك، بأنه هو سيدي يوسف الفاسي، رضي الله عنه، إذ كان سيدي قاسم، رحمه الله، طلب ذلك منه عند ضريحه كما أسلفناه، وتمنى عليه أن يخدم رجلا من أهل الله وحده، فأعطاه إياه بإذن الله تعالى، وهو الذي رده بعده إلى أخيه وارث حاله سيدي عبد الرحمان نفعنا

(562) في ك2 : خمسون أوقية.

(563) في ك2 : ضربة.

الله بهما كما قال، أعني، سيدي قاسما رحمه الله. وكان هذا الشيخ من المنفردين، ليس له من الأتباع فيما نعرف سوى سيدي قاسم، وكان لأجل تفرده يود أن يكون موته دون تقدم مرض، ويدعو بذلك ويقول : إني غريب، اللهم اجعل موتتي كطيحة القلة، ظرف معلوم عند الناس. فاستجاب الله دعوته وأكمل الله مودته، فمات كما طلب. بينما هو في جامع القرويين في صلاة أو غيرها، إذ سقط إلى الأرض ومات لحينه، فلم يشعر بموته سيدي قاسم حتى وجده يغسل.

وكانت وفاته في حدود سنة خمس وعشرين وألف، ودفن رحمه الله، خارج باب الجيسة بالقرب منها عن يمين الطريق الذاهبة إلى الجيارين. وقد بنى عليه سيدنا أبو العباس، بإذن شيخه سيدي قاسم وفي حياته، قوسا وجهه يقابل جبل زالغ وظهره إلى المدينة، بخلاف الأقواس حوله. وخرج معه يوم الشروع في بنائه سيدي قاسم، رحمه الله، وحضر ذلك معه. وقد كنت نظمت في تاريخ وفاته، مشيرا إلى تمييز قبره، بيتين نقشهما من ابتغى الأجر في زليج بني بوجه القوس المذكور وهما.

هـــذا ضريح ولي الله سيدنـــا   مبارك مفرد الزهـــاد في الفـــاني
في نحو خمس وعشرين وألـف قضى   وســـــار لله في روح وريحاني[564]

والدعاء عند قبره مستجاب.

حدثني بعض الثقات أنه سمع الشيخ سيدي قاسما الخصاصي، رضي الله عنه، يقول : قال لي سيدي مبارك : إذا أردت قضاء حاجة فائت قبري يوم السبت قبل طلوع الشمس واستقبل القبلة وناديني ثلاث مرات تقضى لك إن شاء الله. قال لي ذلك الثقة. وقد كنت زمانا أدور على دور الكراء وعسر علي وجود القرار مع العجز عن إعطاء الكراء فضلا عن شراء الدار، فزرت هذا الشيخ كما سمعت من سيدي قاسم، فما مضت جمعة حتى فتح الله علي في شراء الدار ببركته، رضي الله عنه. وقد كنت أنا على دين، نحو الأربعمائة أوقية، عسر علي قضاؤه وأهمني اقتضاؤه، فترددت لزيارته مرات على الوصف المذكور، فجعل الله لي بعد ذلك منه مخرجا، قضي بعضه وسمح في بعضه من غير كلفة، ثم بعد مدة وجدنا من التيسير والحمد لله ما لم نكن نعهده. وقد قلت أيام ترددي إليه قصيدة أذكر فيها حاجتي وأصف حالتي عرضتها عليه بضريحه وهي :

(564) من البسيط.

يا سيدي يا ذَا المَقام العالي أمبـــارك الأقـــوال والأفعـــال
يا نابـذ الفـاني وراءه رغبـــة في الواحـد البــاقي بغير زوال
يا ذَا الغنـى بالله بين عبـاده في حالَـة الإكثـار والإقـــلال
يا ذخر مكتنزي وكنز ذخيرتي يا دُرة الإعظـــام والإجــــلال
الله فضلكـــم بأي مثوبــــة والله أكرمكـــــــم بخير نوال
لي عند باب نداك وقفة سائل أدعـو بجاهك ربنـــا المتعـــال
مستشفعـا بكـم لمن أولاكـــم مستدفعـا بكـم جميـع وبـــال
وعلي ديـن هالنـــي ولطالَمـــا قد بت منـه بليلـة الأهـــوال
أودى بدينـي أمـره وأفـــادني نقض العهـود وحالـة الإذلال
فعسى بجاهكم تنـفس كربتـي وأفك من أسري ومـن أوجـال
ولقـد سمعنـا عنكـــم بمقالـــة يسلـو بها مثلي كئيـب البـال
من كان ناداكم ثلاثـا باسمكـم بضريحكـم مستقبـلا في الحال
بغداة يوم السبت قبل شروقـه قضيت مآربـــه بلا إمهـــال
فبجـاه سيدنـا وحرمـة شيخـه تلميـذكم، وبكـم يجاب سؤال
وينيلُنـــا المولى رضى وكرامـــة منـه الهدى وبـه صلاح الحال
والله يجزيكم بأفضل ما جزى أهل الولاية وهـو ذو الأفضال
وعليكـم منـي عبيـــق تحيـــة تغشاكم بكـرا وفي الأصال[565]

وأشرت بقولي : فبجاه سيدنا، إلى سيدي أحمد بن عبد الله، رضي الله عنه، ورزقني محبته وأنالني بركته، وبشيخه تلميذكم، إلى سيدي قاسم، رحمه الله ورضي عنه، انتهى كلامه في «**المقصد**».

* يوسف المصمودي

ومنهم الشيخ أبو الحجاج يوسف المصمودي دفين قدام الحارة خارج باب الجيسة.

وصفه في «**الدوحة**» بالولي قال : وكان مبتلى [بالجذام][566] ثم عافاه الله، غير أن أطراف رجليه ويديه سقطت. وكان هذا الرجل صادق الفراسة عظيم الكرامة

(565) من الكامل.
* ترجمته أيضا في : **وفيات الونشريسي**، ص. 139؛ **لقط الفرائد**، ص. 242.
(566) زيادة في **سلوة الأنفاس**.

لا يدخل عليه أحد إلا عرفه بقصده وبما هو عليه، مرهف الحد، شوكته صائبة، له أسرار ربانية ومواهب روحانية، لا يشك أحد في ولايته، وكراماته منقولة بالتواتر. توفي، رحمه الله، في العشرة الخامسة، يعني من القرن العاشر، ودفن بالحارة المذكورة، انتهى كلام صاحب «**الدوحة**».

وقال أبو العباس المرابي في «**تحفة الإخوان**» : وجدت بخط الولي الصالح الورع الزاهد أبي الحجاج يوسف الشريف المقيم بخندق الزيتون ما نصه : كنت مرة بفاس أقرأ بالمدرسة، فاشتقت أنا وبعض الفقراء زيارة الولي سيدي يوسف الذي كان بالحارة من باب الجيسة، فقصدناه والتقينا به، فكان مما حصل عندنا من كلامه بعد أن قال : كيف تزورنا ولسنا بأهل لذلك ؟ لو كنتم تعلمون بالرجل الذي يظهر بعدنا لما كانت قلوبكم تطمئن إلا به. فسألناه عنه فقال : إسمه رضوان، لو أقسم على الله لأبره، انتهى.

* إسحاق بن مطر الورياغلي

ومنهم أبو إبراهيم إسحاق بن يحيى بن مطر الورياغلي، عرف بالأعرج، دفين خارج باب الجيسة، وكان إماما بجامع الشطة[567]، وكان يأمر الأمير بالمعروف وينهاه عن المنكر، فأكثر عليه فقال له : أخرج من بلدي، فلما خرج أصاب السلطان وجع شديد فأمر برده فقال : لا أدخل حتى يخرج هو، ولا نكون أنا وهو في بلد واحد. فخرج في الحين فسكن عنه الوجع. وأمر ببناء المدينة البيضاء. هكذا ترجمه بعضهم؛ والذي بنى المدينة البيضاء هو أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني. وأخذ عنه أبو الحسن الصغير[568]، وله طرر على «**المدونة**»، وكان آية فيها، وتوفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة، والدعاء عند قبره مستجاب فيما قيل.

---

* ترجمته أيضا في : **درة الحجال**، 207/1؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 164؛ **كفاية المحتاج**، ص. 162؛ **شجرة النور**، 202/1.

(567) يقع في حومة كَرينز.

(568) الفقيه المفتي علي بن عبد الحق الزرويلي، سمي بالصغير، ربما لقصر قامته، كانت له مشاركة في أصول الفقه وعنه قيد ابن القاضي تقاييد على «**المدونة**»، اشتغل مدرسا بجامع الأزدع من فاس ثم ولي قضاء تازة من قبل السلطان يوسف المريني وقضاء فاس أيام سليمان حفيد يوسف المذكور، وقام عنه بمهمة السفارة إلى الأندلس، توفي بفاس سنة 710هـ (راجع ترجمته في : **القرطاس**، ص. 394؛ **أنس الفقير**، في أماكن متفرقة؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 472).

* عبد العزيز بن محمد القروي

ومنهم الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن محمد القروي دفين خارج باب الجيسة.

قال أبو العباس بن الخطيب في «**أنس الفقير**» : أبو محمد عبد العزيز القروي هو الذي قال له السلطان أبو الحسن المريني تخرج مع عامل الزكاة، فقال له عبد العزيز : أما تستحيي من الله تعالى ؟ تأخذ لقبا من ألقاب الشريعة وتضعه على مغرم من المغارم، فغضب السلطان وضربه بالسكين التي يحبسها على عادته في يده وهي في غمدها، وضربه بها جملة وقال له : هكذا تقول لي ؟ فبادر إليه الوزير وأخذ بيده وأخرجه إطفاء لغيظ السلطان، وقام السلطان إلى داره وقد اشتد وجع يده التي ضربه بها، ثم خرج وقال : ردوه إلي، فردوه، فاعتذر إليه وقال له : طيب نفسك علي فإني علمت ما قلت لي إلا الحق. فقال له : يغفر الله لي ولك، وانصرف. وكان السلطان بعد هذا المجلس يزوره بداره، وكان لا يدخل شيئا من الباب حتى يعطي المغرم المعلوم ويقول : أكره أن أمتاز على الناس بشيء. وهو الذي جمع تقييد «**المدونة**» على أبي الحسن الصغير.

قال لي بعض الفقهاء : دخلت عليه وهو محتزم في كسائه وكتب الفقه مبسوطة بين يديه وأعراقه تقطر عليه، وكساؤه في غاية ما يكون من الوسخ فقلت له : إرفق بنفسك، واغسل كساءك، فقال لي : ستة أشهر نروم غسلها وما وجدت سبيلا لذلك من أجل هذا الشغل. وتعجبت منه وانصرفت، انتهى ببعض اختصار.

وقال أبو الحسن الجزنائي في «**جنى زهرة الآس**»: وجرى في سنة تسع وأربعين وسبعمائة أن بعض المجودين لقراءة القرآن فيه كان يقعد بين يديه الأحداث من الصبيان لتجويد القراءة، فيجتمع إليه الناس إلى أن حدثت فتن بسبب ذلك، فرفع ذلك للشيخ الصالح الفقيه المدرس الولي أبي فارس عبد العزيز بن محمد القروي، رحمه الله ونفع به، فأشار على بعض من له حكم نافذ أن يشتد في تغيير ذلك ويمنعه كل المنع، فمنعهم وفرق جمعهم، وأحسبه لما علم أن هذا الصبي القارئ بين يدي هذا الشخص ليس ممن يقصد التعليم وليس جلوسه كجلوس المتعلمين، أمر بإقامته،

---

* ترجمته أيضا في : **كفاية المحتاج**، ص. 233؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 451؛ **سلوة الأنفاس**، 159/3؛ **شجرة النور**، 221/1؛ **الفكر السامي**، 242/2.

عملا على ما في «**المدونة**» وغيرها من إقامة الذي يجلس في المسجد يوم الخميس وغيره لقراءة القرآن. انتهى كلام الجزنائي، رحمه الله تعالى.

وقال الشيخ أبو العباس أحمد بابا بن أحمد السوداني، رحمه الله، في «**نيل الإبتهاج**» : توفي سنة خمسين وسبعمائة، رحمه الله ونفعنا به.

* أبو جبل

ومنهم الشيخ أبو جبل دفين خارج باب الجيسة. عرف به التميمي في «**المستفاد**» وأبو يعقوب التادلي في «**التشوف**» قالا : واسمه يعلى.

قال التادلي : هو من أهل فاس، ولقي بمصر أبا الفضل عبد الله بن حسن الجوهري(569) ومات عام ثلاثة وخمسمائة(570) وقبره بجبل العرض، يعني جبل الزعفران، خارج مدينة فاس، وكان جزارا أسود إلى السمرة، ويقال إنه من الأبدال.

حدثني محمد بن علي الهواري قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المهدوي(571) عن المروي الزاهد، أن أبا جبل يعلى حدثه أنه مشى على جبل درن(572) حتى انتهى إلى طرف أوثان(573) فاستقبل الإسكندرية، فضل في الصحراء ونفذ زاده، فلقي رجلا مصفر الوجه، فناوله رغيفين وغاب عنه، فلما دخل جامع مصر(574) وجد فيه أبا الفضل الجوهري وهو يتكلم فقال له : أدن يا أبا جبل، وهو أول من ناداه بأبي جبل، فدنا منه، فإذا رجل مصفر الوجه قد قام عنه، فقال له الجوهري : أتعرف هذا؟ فقال له : لا، فقال له : هو الرجل الذي ناولك الرغيفين في الصحراء.

* ترجمته أيضا في : **القرطاس**، ص. 170؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 560؛ **سلوة الأنفاس**، 162/3.

(569) من كبار مشايخ الصوفية أصله من مصر توفي سنة 480هـ (راجع : **جامع كرامات الأولياء**، 286/1).

(570) ورد في «**القرطاس**»، أنه توفي سنة 501هـ. وهو خطأ، والصواب ما ذكر «**الروض**» وفي عدد من مصادر ترجمته.

(571) نزيل مدينة فاس ودفينها، كان من أهل العلم والزهد، سالكا لطريق الخير في معاملته للناس حتى اشتهر عنه أنه كان ينفق ما يملك في سبيل دفع الفاقة عنهم. توفي سنة 595هـ (راجع ترجمته في **التشوف**، ص. 332؛ **سلوة الأنفاس**، 267/3).

(572) أَدْرارْنْ ــ دَرْنْ، ويطلق على الأطلس الكبير ويقصد به هنا السلسلة التي تعد امتدادا له على مجموع الشمال الإفريقي.

(573) جزء من جبل أوراس ويظهر شرقا بجوار الإسكندرية.

(574) المقصود به جامع الفسطاط. بناه عمرو بن العاص، وهو من الجوامع التي يشهد بصواب قبلتها (راجع **التشوف**، ص. 103).

وحدثني أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن محمد، ومحمد بن علي بن عبد الله الأنصاري ومحمد بن خالص الأنصاري، قالوا كلهم : حدثنا أبو محمد عبد الله بن عثمان الصنهاجي المعروف بالزرهوني عن أبي الحسن بن حرزهم؛ وبعضهم في حديثه زيادة على صاحبه، فجمعت ذلك كله؛ أن أبا جبل كان جزارا بفاس، فكان يتورع في البيع والشراء، فلا يشتري الغنم إلا من قوم عرف طيب مكسبهم، ولا يبيع إلا من قوم بأعيانهم، يقطع لكل واحد منهم قدر ما يكفيه. فكان إذا صلى الصبح أقام في المسجد إلى أن يصلي الضحى ويتعالى النهار، فيخرج إلى دكانه بالسوق وقد ذبح تلامذته الغنم وأعدوها للبيع. فيختطفها المتبايعون، فيذهب ويغتسل ويتوضأ ويدخل المسجد، فلا يزال مستقبلا إلى أن يصلي الظهر، ثم لا يزال مستقبلا إلى أن يصلي العصر، ثم يجلس إلى حلق الذكر والفقه إلى أن يصلي المغرب، ثم لا يزال مستقبلا إلى أن يصلي العشاء الأخيرة، فينصرف إلى أهله فيقوم إلى ورده بالليل. فأقام على ذلك اثني عشر عاما. وكان إذا علمه أحد آية من القرآن أو مسألة من دينه أعطاه درهما؛ فسمع أن الصالحين بأغمات وريكة، فنهض إليها وأقام بها تسعة أعوام، متفرغا للعبادة؛ ثم توجه إلى مكة، فحج وجاور تسعة أعوام؛ ثم نهض إلى مصر، فكان يحضر مجلس أبي الفضل الجوهري في لفيف الناس لا يعرفه أحد، فانصرف إلى مدينة فاس، فلما قرب منها وقد أصابه جوع شديد أبصر الحصادين تساق لهم ثرد الفول بالسمن، فاستولت عليه شهوة الطعام ومالت به رائحته فقال في نفسه : أنا أسمر، وهؤلاء الحصادون من جنسي فلعلهم يدعونني للمؤاكلة معهم، فمال إلى جهتهم، فصاحوا عليه وانتهروه، فرجع على نفسه باللوم والتوبيخ وقال : والله لا أفلحت أبدا، ولأعاقبن هذه النفس بالجوع من هذا المكان، ولا أدخل عليها السرور بلقاء من كان يعرفها من الناس بفاس، فانقلب راجعا، فمر برابطة بعض المنقطعين، فخرج إليه فصافحه وعانقه وقال له : إن الله قد حماك عن طعام الحصادين فإنه حرام، وقد أمرت زوجتي أن تصنع لك مثله. قال : فأخرج له مثل ذلك الطعام، فعمل خيمة قريبا من خيمته، وعزم على المقام عنده، فجاءه سارقان بالليل ليأخذا عباءته، فناشدهما الله أن ينصرفا عنه فأبيا، فقال : اللهم ادفعهما عني، فاختطف الأسد أحدهما وهرب الثاني، وتسامع الناس بذلك، فهرب من الشهرة وعاد إلى المشرق، فلما وصل مصر دخل جامع عمرو بن العاص، وأبو الفضل الجوهري يتكلم مع الناس، فلما رآه ناداه : يا أبا جبل، فدنا منه فعانقه وأجلسه بإزائه، فرأى رجلا قد سد باب المسجد بطوله وعرضه، فدنا من أبي الفضل، فساره في أذنه

وانصرف، فقال له أبو الفضل : أرأيته ؟ فقال له أبو جبل : نعم، ولم يره من الحاضرين في المسجد غيرهما، فقال له : ذلك الخضر، عليه السلام، وقد قال لي : إقرأه مني السلام وبشره أنه قد لحق بالأبدال، وذلك على رأس أربعين سنة من إقباله على الله تعالى. قال أبو جبل : فلما بشرني بذلك اشتقت إلى أهلي وبلدي، فاستأذنته في الرجوع إلى الوطن، فأمرني بإقامة أيام ثم قال لي : خذ هذه الدراهم لتتزود بها، فقلت له : ألهذا حبستني ؟ وأبيت من أخذها. وقلت له : ما ضيعني قط قبل هذا، فالآن يضيعني. هذا لفظ التادلي بحروفه في أبي جبل نفعنا الله به.

وقال أبو عبد الله التميمي : كان أبو جبل ذا أوصاف جميلة. أخبرني جماعة من أهل فاس أنه كان جزارا، وأنه لما تاب، اعتقد أن لا يسأل ولا يتعرض ولا يقبل من أحد إلا الكفاف. فلما خرج من مدينة فاس إلى وادي سبو، وجد قافلة تسير إلى المشرق فمشى معهم، وكان يلطف الله له من غير تعرض، ولم يزل كذلك يلطف الله له إلى أن وصل مصر، فلما دخلها قال في نفسه : قد كان فيما مضى يلطف الله بي لأجل معرفة الناس إياي، والآن وصلت حيث لا أعرف، فجدد وضوءه في نيل مصر ودخل جامعها، فوجد ابن الجوهري الواعظ على المنبر يعظ الناس والحلقة دائرة عليه، فوقف في الحلقة مع الناس، فقال ابن الجوهري : يا أبا جبل، قال : لبيك، قال : فهل ضيعك فيما مضى ؟ قال : لا، قال له : وكذلك لا يضيعك فيما بقي، فكوشف الجوهري، رحمه الله، بما خطر بباله. قال أبو جبل : وبقيت في طريق الصحراء أياما لم آكل ولم أشرب، فبينما أنا أمشي وحدي فإذا برجل وقف لي فدفع لي رغيف خبز وقدح ماء، فشكرته على ذلك. قال : فلما وصلت مكة، زادها الله شرفا، بينما أنا أطوف بالبيت إذ رأيت الرجل الذي لقيت بالصحراء وأعطاني الرغيف والماء ومعه سبعة أنفس وهم يطوفون بالبيت، فسلمت عليه، فجاءني أحد السبعة فقال لي : من أين تعرف هذا الرجل ؟ فقلت : له علي فضل، وذلك أني لقيته بالصحراء وأنا جائع، فأعطاني رغيفا وماء، فقال لي : هو الخضر، رضي الله عنه.

أخبرني الفقيه أبو محمد قاسم بن علي الشريف عن الشيخ الفقيه أبي جعفر بن هارون قال : أخبرني الفقيه أبو العباس أحمد بن وعدون قال : دخلت على أبي جبل عائدا له في بيت سكناه فقال : يا سيدي فلان، بدخولك علي خرجت عني الملائكة لأنك جنب، قال : وكنت على تلك الحالة التي ذكر الشيخ.

وأخبرني الفقيه أبو محمد قاسم بن علي عن الشيخ الفقيه أبي الفضل جعفر بن هارون أن والدته أخبرته أن أخاها أبا محمد قاسما، رحمه الله، إذ كان صغيرا كانت في رأسه قرحة أعيت الأطباء ولم ينجح فيها علاج، فجاء أبو جبل يوما لدارنا، فقدم له أبي ما أكل ثم أخرج إليه قاسم المذكور، فرأى تلك القرحة في رأسه فعوفي منها، وكأنها لم تكن. انتهى الغرض من الكتاب المذكور في سيدي أبي جبل.

* عمر بن سيد الناس

ومنهم الشيخ أبو علي عمر بن سيد الناس بإزاء سيدي أبي جبل مكتوب على قبره : هذا قبر الشيخ الصالح، الحاج الزاهد، الورع الولي المجاهد في سبيل الله، القدوة المبرور المقدس، أبي علي عمر ابن الشيخ الصالح الزاهد الورع المبارك المبرور المقدس المرحوم السلطان سيد الناس.

** يوسف بن عمر بن سيد الناس

ومنهم ابنه مدفون من ورائه مكتوب على قبره : توفي الشيخ الأجل الفقيه الأفضل الحسيب المجاهد الصالح المبارك الحاج المبرور أبو الحجاج يوسف، ابن الشيخ الصالح الزاهد الحاج المجاور، شيخ الصالحين، وإمام أهل زمانه العارفين بطريق رب العالمين، أبي علي عمر بن سيد الناس نفع الله بهما، بتاريخ يوم الإثنين الرابع من شعبان المكرم عام ثمانية وعشرين وسبعمائة. وهذان القبران بأعلى جبل القلة عن يسار المار في الطريق إلى المصلى القديمة المرينية بمقابلة ما بين الحارتين، وبهذه الروضة إمارة السكنى وبها جب للماء، وبها مسجد حسن، وهذان القبران بإزاء المحراب خارج المسجد مما يلي القبلة.

*** عبد الله بن محسود الهواري

ومنهم الشيخ القاضي أبي محمد عبد الله بن محسود الهواري دفين خارج باب الجيسة.

---

* ترجمته أيضا في : **سلوة الأنفاس،** 163/3، واعتمد الكتاني سنة وفاة ابنه، التي كانت سنة 728هـ للتأريخ لوفاته فجعله من أهل القرن السابع الهجري.

** ترجمته أيضا في : **سلوة الأنفاس،** 163/3.

*** ترجمته أيضا في : **القرطاس،** ص. 117؛ **جذوة الإقتباس،** ص. 420؛ **سلوة الأنفاس،** 160/3.

قال أبو يعقوب التادلي : هو من أهل مدينة فاس، قديم الوفاة، وكان قاضيا بها على سنن قضاة العدل والفضل، وكان زاهدا في الدنيا مقبلا على الله تعالى. حدثوا عنه أنه نزل به ضيف، فرهن غزل امرأته في سمن يأتدم به الضيف، فإذا ذلك السمن مرا لا يطاق أكله. فبينما ابن محسود يوما في مجلسه، إذ أبصر السمان مقبلا إليه مع خصمه، فقام ابن محسود وأمر من حضر أن يحكم بينهما. فلما عاد إلى مجلسه أخبرهم بأن ذلك السمان كان باع منه سمنا مرا وقال : خشيت من أجل ذلك ألا أسمع منه كما أسمع من خصمه فكرهت الحكم بينهما.

حدثني أبو زكرياء يحيى بن أحمد الليثي عن أبيه سمعه يقول : كان بفاس رجل مسرف على نفسه، فمات ودفن، فأبصر الناس قبره يهتز به التراب الذي حواليه إلى أن ظهرت أكفان الميت فقالوا : لعله لم يعمق له الحفر. فأخرجوه وحفروا وعمقوا وأدخلوه في القبر، فإذا بالقبر يهتز ويربو ترابه حتى ظهرت الأكفان، فلما رأوا ذلك ضج الناس بالبكاء والعويل وقالوا : لفظته الأرض ولم تقبله، وأطالوا البكاء فقال لهم بعض الحاضرين : يا قوم، لا ينفع هذا البكاء، ولكن أنظروا له قبر رجل صالح وادفنوه جواره لعله يشفع فيه. فأخذوا في ذلك إلى أن اتفقوا أن يدفنوه جوار قبر ابن محسود، فاستقر به القبر ولم يكن منه مثل ما كان قبل ذلك.

وما الناس إلا الصالحون حقيقة وسواهم متطفل في الناس
كم بين أموات حياة نفوسهم[575] معنى، وأحياء مع الأنفاس
فإذا ظفرت بصالح فاشدد به يكفيك تشدد بالطبيب الآس[576]

انتهى كلام التادلي في ابن محسود. وذكره التميمي أيضا واقتصر في التعريف على القضية الأولى.

وقال أبو الحسن الجزنائي في «**جنى زهرة الآس**» وقد ذكر جماعة من المدرسين بجامع الأندلس، وكان يلتزم هذا الجامع المبارك: وولي القضاء بعدوة الأندلس الفقيه الصالح الولي أبو محمد عبد الله بن محمد بن محسود الهواري، قدم من قرية بأوربة[577]

(575) في ك1 وك2 وم : زمان حياتهم.

(576) من الكامل.

(577) قبيلة بربرية من البرانس، كانت مواطن استقرارها عند دخول الإسلام إلى المغرب بجبل زرهون. وقد ساندت هذه القبيلة المولى إدريس عند دخوله المغرب، ثم اندثرت فيما بعد ولم يعد يحمل اسمها سوى بطن من بطونها تحول إلى جهة تازة. وإليها ينتسب أولاد الوربي وحومة الوربية بفاس (راجع : **الإستبصار**، ص. 194؛ **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس**).

فنزل في جهة من باب بني مسافر من عدوة فاس الأندلس، وكان، رحمه الله، عدلا في أحكامه، ورعا في جميع أحواله، رحل إلى القيروان ولقي بها أبا محمد بن أبي زيد[578]، رضي الله عنه، وشاهد تأليفه للـ«**نوادر**»، وكان عنده من رجال «**المدونة**». وكان، رحمه الله، أخرج زيادات مختصر بن أبي زيد على «**المدونة**»، ثم ولي القضاء بمدينة فاس كما ذكر. وكان رجلا متقللا من الدنيا مجتهدا في الأحكام، أقام الحدود كلها، قتل وصلب وقطع الأيدي وأقام اللعان وغير ذلك. ولما توفي، رحمه الله، طلب في فاس من يعامله في شيء فلم يوجد له معامل، فبحث عن سمنه وزيته من أين كان يشتريه، فوجد له صاحب بمكناسة الزيتون، يشتري له بها الزيت والسمن ويبعثه له، ويأتيه قوته من القمح من هوارة[579]، وزوجته تغزل له كسوته من الثياب القطنية، رضي الله عنه. وقبره بخارج باب الجيسة في أسفل الموضع المعروف بالقلة. وله كرامات يطول ذكرها والدعاء عند قبره مستجاب، نفعنا الله به، انتهى.

ومما يذكر من كراماته، رضي الله عنه، أنه كان يوما جالسا في مجلس القضاء، فأتاه الطائر المعروف ببلارج (كذا) ، فجعل يومئ إليه بمنقاره فقال رضي الله عنه : إذهبوا إلى فلان واتوني به. فلما أتى الرجل قال له : مالك ولهذا الطائر ؟ فإنه جاء يشكوك ويقول إنك طردته من مكانه، فقال الرجل : إنه يأتي بما يخيف أولادي من الحنوش ونحوها، فقال القاضي : من سبق منكما للدار ؟ فقال رب الدار : الطائر سبق، فقال : أنت دخلت عليه، وقال للطائر : لا تأت بما يخيف أولاده، فأشار بمنقاره أن نعم، وأمر صاحب الدار أن لا يشوش عليه، فذهبا مصطلحين.

وقال بعضهم : توفي سنة واحد وأربعمائة، ولم يترك إلا سجادة وقعبا يتوضأ فيه ومصحفه الذي كان يقرأ فيه.

---

(578) الفقيه الشاعر، عبد الله بن أبي زيد القيرواني توفي سنة 386هـ. وخلف مؤلفات فقهية وشعرية (راجع : **شجرة النور**، 96/1).

(579) ورد في **العز والصولة** (160/1) أن في المغرب قبيلتين تسمى كل منهما بهوارة إحداهما بسوس حوز أكادير، والثانية بسهل المسون بين تازة وكَرسيف. ولعل المقصود منهما هذه الأخيرة.

* يسكر بن موسى الجورائي

ومنهم الشيخ أبو محمد يسكر[580] بن موسى الجورائي[581] دفين خارج باب الجيسة بالموضع المعروف بالقلة.

قال أبو الحسن بن أبي زرع في «**الأنيس المطرب**» : هو أحد أشياخ المغرب في الدين والفضل والورع والزهد والمجاهدة والشفقة والإيثار والصدقات، كانت له غنم وماشية كثيرة ببلدة ورثها عن آبائه، وكان يؤم ولا يخطب، يعني بجامع القرويين، لأنه كان أعجمي اللسان شديد العجمة، فقدم من ينوب عنه في الخطبة، ثم قال : فأقام الفقيه أبو محمد يسكر إماما بالقرويين أربعين سنة لم يسه فيها يوما واحداً في صلاة لشدة حضوره، انتهى.

وقال أبو العباس بن الخطيب في «**أنس الفقير**» وقد تكلم على الشيخ سيدي أبي يعزى، نفعنا الله به : وكان الشيخ الفقيه الصالح أبو محمد يسكر بن موسى فقيه فاس كثير الزيارة له؛ وهو شيخ أبي محمد صالح الهسكوري الذي ينسب إليه شرح «**الرسالة**». وشيخ أبو محمد يسكر أبو خزر يخلف الأوربي. ثم قال : ودخل أبو محمد يسكر جامع فاس بالليل وليس فيه قنديل فأضاء منه الجامع حتى صلى وخرج وعاينه الناس، انتهى الغرض منه.

وقال أبو الحسن الجزنائي في «**جنى زهرة الآس**»: هو أحد أشياخ المغرب في الدين والفضل والزهد والورع والمجاهدة والتقشف والإيثار والصدقات، كثير قيام الليل لا سيما في رمضان. قيل له ذات ليلة : لو روحت نفسك قليلا وأعطيتها حظها من النوم لكان أوفق لك، فقال : إنما أطلب راحتها، ثم أنشد رحمه الله ورضي عنه :

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة تلهيك فيه من الحديث فنونه
واعلم بأنك لن تنال ثوابه حتى تكون تصومه وتصونه[582]

---

* ترجمته أيضا في **التشوف**، ص. 337؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 562؛ **سلوة الأنفاس**، 165/3؛ **شجرة النور**، 165/1؛ **الفكر السامي**، 229/2.

(580) في ك1 وك2 : يشكر.

(581) في «**التشوف**» الجراوي ثم الغفجومي.

(582) من الطويل.

يحكى عنه أن أحد عمال الموحدين بفاس كتب لمراكش أن أبا محمد يسكر لا يدعو للخليفة، فوصله الخبر بذلك في حال خروجه، فبعث من حينه بأن يشخص إليه، وكان من الواقفين بين يديه أحد الصقلب[583] وبيده أطربيزن من حديد، فأخذه منه وأمسكه بيده وقال لمن حضره : بهذا أقتله، فقدر أن ضرب جبهة نفسه بطرف[584] الأطربيزن وانبعث من الضربة دم كثير، فبادر الأطباء لقطع دمه بجملة من الأدوية وأنواعها فلم ينقطع، وكان ممن حضر عند الخليفة أحد الصلحاء، فتفرس في ذلك وقال للخليفة، إن كنت هممت بسوء فتب منه. فتذكر إشخاص أبي محمد يسكر فتاب عن ذلك، وبودر برد الذي بعث لإشخاصه فانقطع الدم من حينه. وكان له، نفع الله به، غنم وماشية كثيرة ببلاده التي نشأ بها ورثها عن أبيه، فكان يتصدق بكثير منها. وكان يوم خطب، له يسير عجمة في لسانه فرأى بعد ذلك أن قدم خطيبا، ثم قال : وتوفي أبو محمد يسكر في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وأقام إماما بجامع القرويين أربعين سنة لم ينس فيها بوجه لشدة حضوره في صلاته. ولم يترك عقبا. وبنو يسكر الذين بفاس الآن ليسوا من عقبه وإنما اشتركوا في الإسم، انتهى كلام الجزنائي، رحمه الله.

* يوسف بن عمر الأنفاسي

ومنهم الشيخ أبو الحجاج يوسف بن عمر الأنفاسي دفين خارج باب الجيسة.

وصفه أبو العباس بن الخطيب بالشيخ الصالح، العالم المحقق العابد، وكان في زمانه، وقد رآه ثم قال فيه : إمام جامع القرويين بفاس ويحيى فيه ما بين العشاءين أبدا قائما، وله أوراد مقدرة ومجالس لقراءة العلم والتصوف. وتوفي وقد بلغ من السنين مائة سنة: في سنة إحدى وستين وسبعمائة، وصلي عليه بعقب صلاة الجمعة، وحمل ولم يبلغ إلى قبره، من كثرة الزحام عليه، إلا قرب غروب الشمس. ووقف موقفه ولده

(583) تجمع على صقالبة وتنطق أيضا بالسين، وتطلق على شعوب من أجناس مختلفة تجمعها لغة واحدة. استعمل عدد من أفرادها كحرس بالقصور خاصة في قرطبة في عهد خلفاء بني أمية وفي المغرب في عهد الأسر الشريفة (راجع : دائرة **المعارف الإسلامية**، 250/14).

(584) في ك2 بنفس.

* ترجمته أيضا في : **وفيات الونشريسي**، ص. 124؛ **لقط الفرائد**، ص. 210؛ **درة الحجال**، 351/3؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 551؛ **سلوة الأنفاس**، 154/3؛ **الفكر السامي**، 242/2.

الشاب الصالح العالم الولي أبو الربيع سليمان [بن يوسف الأنفاسي صاحب الشيخ ابن عباد. وأثنى عليه ابن عباد في «**رسائل**»ـه كثيراً.

وصفه أبو العباس بن الخطيب وقال][585] : ولي به معرفة وأخوة من مجلس العلم. وكان من كبار الصالحين ومن أهل الكرامات، وفر من الإمامة وانقطع لنفسه، انتهى محل الحاجة منه.

وقال أبو الحسن الجزنائي في «**جنى زهرة الآس**» وقد ذكر بعض الخطباء[586]، ووفاته سنة خمسين وسبعمائة : فخطب بعده الشيخ الفقيه العالم الصالح الولي، أبو الحجاج يوسف بن عمر الأنفاسي بتقديم مولانا أبي عنان، رحمه الله، بعد الِإستخارة في ذلك والنظر الأصلح للمسلمين، بعد أن أبدى لنفسه أعذارا لم يسمح له فيها للمصلحة التي غلبت على أعذاره، وفرح الناس بتقديمه له وشكروه على الِإعتناء بالأمور الدينية، وبعث له في أول خطبة خطبها كسوة سنية تشتمل على برنس وبدن كلاهما أبيضان من صوف، وإحرام للتردية ومنديل للتعميم، ودراعتان من ثوب الرصان، وقبطية شواشية العمل؛ قال الرسول الذي حملها له إن قيمتها أزيد من مائة دينار من الذهب. ولما وصلته، خجل من ذلك وقال : إن هذه الكسوة لا تصلح لمثلي، وفيما علي من اللباس كفاية، وفهم منه طلب المعافاة في قبولها، فقال له الرسول : أنت من أهل العلم وعندك وجوه لأخذها، وإنما قصد مرسلها ومهديها التنويه لأهل العلم مثلك، ليمتاز أهل الخطط عن غيرهم، وليعلم الناس بتقديمه لك؛ ولما في الهدية من التودد؛ فقبلها وشكره عليها ودعا له بصلاح الأحوال، ثم لبس بعضها في حال خطبته الأولى، ثم وهبها بعد ذلك لمن يستحقها من شرفاء البلد واقتصر على عادته في لباسه. ولم يزل عنده محمولا على البر والإكرام مقضي الحوائج على الدوام. وخطب نائبا عنه لأعذار أبداها، القاضي أبو عبد الله الجزولي[587].

---

(585) زيادة في ك2.

(586) الخطيب، هو عبد الله بن محمد الجنياري المحمدي، قدمه السلطان أبو الحسن المريني للخطبة بعد وفاة الخطيب محمد بن يحيى المزدغي سنة 748هـ (راجع : **زهرة الآس**، ص. 63؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 64؛ **جامع القرويين**، 491/2).

(587) هو الفقيه الراوية، المحدث، خطيب جامع القرويين، محمد بن الحاج علي بن عبد الرزاق الجزولي المعروف بابن أبي حاج الفاسي، وقد أقام في الخطبة إلى أن اختل حفظه وظهر عجزه عنها، فعين السلطان أبو عنان بدله الفقيه الخطيب عبد الله بن عبد الواحد بن أيوب الشهير بأبي الصبر. وتوفي الجزولي سنة 758هـ (راجع عنه : **جذوة الإقتباس**، ص. 64؛ **سلوة الأنفاس**، 275/3).

وما زال أبو الحجاج يوسف يعتذر عن القيام بها إلى أن استبد بالقيام بذلك القاضي أبو عبد الله المذكور، ثم قال : وبقي الشيخ الصالح أبو الحجاج إماما إلى أن مرض وعجز عن القيام بالإمامة، فقدم ولده الشاب الصالح الولي الورع، أبا الربيع سليمان نائبا عنه في ذلك بعد إباية منه، ثم أجاب في يوم الأربعاء الثامن عشر من رمضان سنة ستين وسبعمائة، واستمر على الِاستنابة إلى أن توفي والده المذكور في يوم الأحد الثالث عشر من شعبان سنة إحدى وستين وسبعمائة، واستقل ولده أبو الربيع بالإمامة، وظهر منه خير كثير واستقامة، ثم تأخر من تلقاء نفسه، نفع الله به، لأمر ظهر له في ذلك. انتهى كلام الجزنائي مع حذف بعض الألفاظ.

* سليمان بن يوسف الأنفاسي

ومنهم ولده الشيخ أبو الربيع سليمان بن سيدي يوسف بن عمر الأنفاسي المذكور.

قال في «**السلسل العذب**»[588] في الطبقة الثانية : منهم أبو الربيع سليمان بن يوسف بن عمر، نخبة أهل عصره، وواحد أهل زمانه، الناسك الورع، الفذ المجتهد الجامع إلى فضل الطبع وكرم الخلال مأثور الأفعال وسني الأعمال، والمنتهي من السبق في حلبة المتجارين في ميدان العرفان إلى غاية تفنن الكمال، وارث الخير ومزكيه بالمحامد البارعة التفضيل والإجمال، معمور الباطن بالحق، مغمور الوقت بالخير، كامل المروءة، ناصح لعامة المسلمين، مهتم بشأن أهل الدين، سالك في ذلك سبيل المهتدين، لا تأخذه في الحق لومة لائم، كثير المواساة، شديد الحرص على عمل الحسنات، نشأ نشأة صالحة، شاب لم تعرف له صبوة يقظان، حازم متفقد لإخوانه، متعطف على جيرانه، وطي الأخلاق، سهل الجانب، حميد السيرة، جار في العبادة على وتيرة لا تعرف الميل، وعادته كريمة، آخذ بالتوسط في جميع أموره، عالي الهمة في طاعة ربه، تهش له القلوب ولا تكاد تنصرف عنه الأحداق، معظم في الصدور، محبوب عند الخاصة والجمهور. وكان والده، رحمة الله عليه، يتعرف فيه مخايل النجابة وكان يقول : إنه سيكون لابني سليمان شأن، وذلك أنه كان في مدة رضاعه متى

---

* ترجمته أيضا في : **زهرة الآس**، ص. 64؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 516؛ **درة الحجال**، 310/3؛ **لقط الفرائد**، ص. 218؛ **سلوة الأنفاس**، 156/3؛ **شجرة النور**، 233/1.

(588) ألفه محمد بن عبد المهيمن الحضرمي المتوفى سنة 787هـ.

كانت أمه جنبا لا يقبل ثديها حتى تتطهر، وحالته، رضي الله عنه، كلها عجب. تفقهت عليه في شيء من «**رسالة**» ابن أبي زيد القيرواني، وسمعت منه «**رعاية المحاسبي**»، وبعضا من كتب التصوف، ولم يزل يظهر عليه في حلقات العلم من علو الإدراك محمود الألطاف والتبري من حظ نفسه، وترك المراء والجدال، وجودة النظر، وإصابة الفهم، وقصد المعنى، وقرب المأخذ ما انقطع به عن القرين وبذ أصحابه. وله من لطف العبارة وبيان القول وإظهار الحجة أوفر نصيب، ولم يزل مع إخوانه يرحمهم ويحفظ قلوبهم. ومن حالاته الغريبة وأخلاق نفسه الكريمة : تفقد أحوال من غاب ومن حضر من إخوانه وتكفلهم واستسلاف ما يعينهم به، إن لم يكن على ملكه، فيدفع عنه مشاق الِاحتياج، يفعل ذلك تبرعا من غير سؤال، سجية وكرم جبلة. فأما ما أظهره الله عز وجل عليه من كراماته التي تبرهن على كمال فضله وعظيم مزيته، وتقيم الدليل على صدق حاله، ما حدثني به أبو زيد عبد الرحمان الطراز، وهو خاص به وقائم على خدمته، قال : كنت جالسا يوما بحانوتي، فمر بي سيدي سليمان واستدعاني، فنزلت إليه مبادرا، فتقدم وسرت خلفه، ولا أعلم أين يريد، إلى أن خرجنا على باب الجيسة من أبواب فاس، وانتهينا إلى موضع فوق الطريق، فجلس وجلست بين يديه مدة، فمر بنا رجل وبين يديه دابة عليها حمل إدام قال : فلما رأى ذلك الرجل نهض ونهضت معه، فأقبل على الرجل يحادثه ويؤنسه إلى أن دخلنا على الباب، فبادر البوابون إلى الدابة، فلما رأوه تأخروا عنها وتقدم هو، وتأخرت أنا وتأخرت الدابة، فقام أحد البوابين وقال : لابد أن أرد هذه الدابة، وتناول رجوعها وضربها بيده فقلت له : ألا تستحيي؟ وتعلم أنها جازت في حرمة الشيخ سليمان، فلج ساعة ثم خلى سبيلها، فأبطأت عنه، ثم لحقته فسألني عن إبطائي، فقصصت عليه القصة فقال : يا سبحان الله ! وفعل ذلك؟ قلت له، نعم، فقال : إنما أضر [بنفسه][589] ثم انصرفنا. فوالله ما كان بيننا إلا أن قر بي المجلس في حانوتي حتى أتاني البواب مستغيثا بي معلق اليد فقلت له : ما الخبر؟ فقال لي : يا سيدي، لما انصرفتم أصابني وجع مبرح، فمددت يدي لآخذ درهما أبعث به لشراء دواء أدفع به ما أصابني من الألم، فوجدت عوضا عن الدرهم عقربا فلسعتني، وها أنا مشرف على الهلاك إن لم يتداركني الله برضى سيدي سليمان وبركة دعائه الصالح، قال : فانصرفت معه إليه وأخبرته القصة واستعطفته ورغبت منه في الدعاء له وقلت له : يا سيدي، إنه يتوب

(589) زيادة في «**السلسل العذب**».

إلى الله تعالى، فاستدعى بحناء فرقاها وتفل عليها وأمرنا بوضعها على موضع الألم، فوالله ما تمت تلك الليلة حتى سكن وجعه وذهب بأسه والحمد لله تعالى.

وحدث الشاب الخير أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر(590) قال : ما رأيت أعجب من بركة سيدي أبي الربيع سليمان، وذلك أن أهلي من عادتهم أن يصيبهم في رأسهم طارق ووجع مبرح أعيا الأطباء وأعجز الأدوية، فأزمن ذلك وتكرر عليها، فأصابها مرة فأشرفت منه على الهلاك، ففزعت لبركته وقصصت عليه القصة فكتب لي تميمة، فوالله ما وضعتها على رأسها إلا وسكن الوجع لحينه وذهب البأس والحمد لله.

وحدث بعض جيرانه قال : أصابني ليلة رمد في عيني فأوجعني وأسهرني ليلتي تلك ومنعني نومي، فلما أصبحت سرت إلى التبرك بالسيد أبي الربيع مسرعا، فشكوت له ما نالني من ألم الرمد، فوضع يده المباركة على عيني وتعوذ عليها فشفاني الله عز وجل ودفع عني شر ما كنت أجد والحمد لله تعالى على ذلك. ولم يفارق التسليم في حال من أحواله من لدن نشأ على ما نشأ عليه من الطهارة والعفاف. انتهى على ما فيه من التصحيف والتحريف.

قال في «**أنس الفقير**» : وتوفي سنة تسع وسبعين(591) وسبعمائة.

* إبراهيم بن قرقول بن يوسف

ومنهم الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن قرقول بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله دفين خارج باب الجيسة، وكان إماما حافظا للتفسير والحديث، عارفا برجاله وتواريخهم، فقيها نظارا موفور النصيب من علم العربية واللغة والأنساب، أديبا طلق اللسان، سهل العبارة، جميل المجالسة والمعاشرة، متين الدين، مجاب الدعوة. وقرقول لقب غلب على أبيه لنحافة كانت فيه، وهو اسم طائر رقيق نحيف الجسم، وهو بضم

---

(590) ذكره ابن القاضي في **الجذوة**، ضمن الفقهاء الغرباء الذين وفدوا على مدينة فاس وظل مقيما بها إلى حدود وفاته سنة 807هـ. له إلى جانب تآليفه المتنوعة كتاب **بيوتات فاس الكبرى** الذي عرف فيه بـ84 بيتاً من بيوتات فاس واختصره غبد الرحمان الفاسي باسم **بيوتات فاس الصغرى** (راجع عنه : **جذوة الإقتباس**، ص. 166؛ **جامع القرويين**، 500/2؛ مقدمة كتاب **بيوتات فاس الكبرى**).

(591) في ك1 وك2 : تسعين، والصواب سبعين اعتمادا على ما في النسخ الأخرى وفي مصادر ترجمته.

* ترجمته أيضا في : **التكملة**، 151/1؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 88؛ **سلوة الأنفاس**، 151/3؛ **شجرة النور**، 146/1، وفيها ورد أنه ولد بألمرية بالأندلس سنة 505هـ.

القاف وسكون الراء. وتوفي أبو إسحاق سادس شوال سنة تسع وستين وخمسمائة ودفن إثر صلاة الظهر من الغد بمقربة من برج الكوكب[592] خارج باب الجيسة أحد أبواب فاس، رحمه الله ورضي عنه.

* مسعود بن محمد الشراط

ومنهم شيخ شيخنا وشيخ والدنا، السيد البركة، المتبرك به في السكون والحركة، الولي الشهير، السمي الكبير، صاحب الأحوال السمية والأسرار الربانية، من لاحت عليه أنوار المحبة والقبول، وخامرت عقله محبة الرسول، ﷺ، وحل في أوج التقريب أي حلول، الكثير اللهج بالذكر، تاج المحبين في ذلك الأوان والعصر، من حارت في محاسن وصفه الأفهام، وعجزت عن استقصاء واستيفاء مدحه ألسن الأقلام، وحصر ما تحلى به من الفضل والفضائل والمآثر والكرامات قد أحاط، سندنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا. سيدي مسعود الشراط بن محمد، دفين خارج باب الجيسة، من أصحاب الشيخ سيدي أبي الشتاء، وكان عنده مرة في سلسلة. وكان في صغره شراطا ولذلك لقب بالشراط. وأصله من قبائل زناتة قرب تلمسان، وكان قاطنا بحارة مغراوة تحت القلة[593] قرب الشيخ يوسف بن عمر شارح «**الرسالة**»، وكانت هنالك عمارة كبيرة، وهي الآن خربة.

وعرف به في «**المقصد**» فقال : كان أسمر جداً، مقعداً بهلولًا، ساقط التكليف، وكان غائبا في النبي، ﷺ، فكان إذا غلب عليه الوجد يقول : أنا مسعود رسول الله ﷺ، بإضافة مسعود إلى رسول الله، ويكررها. واشتغل عنده يوما رجل بالسماع، فلما ذكر قول القائل : ما تجنى العسل إلا بنار، تواجد وقام على ركبتيه وضرب بكفه على الأخرى وقال : أي ! صائحا بها، صدق الله العظيم : ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[594].

---

(592) يوجد حيث ضريح علي المزالي وبه يسمى اليوم (راجع : **زهرة الآس**، ص. 25؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 89).

* ترجمته أيضا في : **ممتع الأسماع**، ص. 118؛ **صفوة من انتشر**، ص. 48؛ **التقاط الدرر**، 78/1؛ **نشر المثاني**، 239/1.

(593) ورد في «**اللؤلؤ المكنون**» أن الحارة المذكورة تقع أسفل قلل بني مرين ولعل القلة المذكورة هنا إحدى هذه القلل.

(594) الآية 92 من سورة **آل عمران**.

وذكر بعض الناس يوما أمامه بعض الأكابر من الأولياء معبرا عنه بالسلطان فقال : أنا هو السلطان، أنا هو السلطان، وجعل يكررها.

وله، رضي الله عنه، كرامات شتى، ومكاشفات كثيرة، وله شهرة وأتباع. زاره سيدي قاسم الخصاصي، رحمه الله، دخل عليه يوما وجلس أمامه فقال له : أدن مني، فقال : لا، وتكرر ذلك منه، وكلما قال له أدن أجابه سيدي قاسم أن لا، فجعل أصحابه الحاضرون يتعجبون ويقولون لسيدي قاسم : أدن إلى الشيخ، فلما لم يفعل قال له سيدي مسعود : قل لا إله إلا الله، فقالها، ثم أعادها عليه ثانيا فقالها، ثم ثالثا كذلك، فلقنه إياها ثلاث مرات، وكان ذلك هو مراده.

سمعت سيدنا أحمد بن عبد الله، رضي الله عنه، يقول : إنما قال سيدي مسعود لسيدي قاسم أدن لأنه أراد أن يختبر مراده هل جاء لله أو طامعا فيه، فلما علم صدقه وأن مجيئه لله لا إليه لقنه كلمة التوحيد؛ ولو جاءه حين ناداه لضربه على عادته في بعض الأحيان مع بعض الناس ولم يلقنه شيئا.

توفي، رضي الله عنه، يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الثانية سنة إحدى وثلاثين وألف، ودفن خارج باب الجيسة، ولم يترك عقبا، وكان قد تزوج. انتهى كلام صاحب «**المقصد**».

ودخل عليه يوما رجل يقال له الهندي، فجعل الرجل يتأمل حاله ويقول في نفسه : الله أكبر، كم بين حالة هذا الشيخ وحالة الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، رضي الله عنه، فكاشفه بذلك وقال له : يا ابن الحمقاء، هذا ماء آخر، أين تجد ماء سيدي يوسف.

ومن كراماته، رضي الله عنه ونفعنا به، أن رجلا يدعى حاجي كان له ولد مقعد لم يزل يطلب عند الأطباء دواءه، ويلتمس بزيارة الصالحين شفاءه، فأعياه العلاج ويئس من حصول الإنتاج[595]، فدل عليه، فجاءه حاملا لولده على ظهره إلى محل سكناه، موضع خارج باب الجيسة أحد أبواب فاس، فلما أشرف عليه فيه ودخله لابسا سباطه، رفع سيدي مسعود، رضي الله عنه، رمحا مهددا له به كالمريد لضربه، ففزع الرجل من ذلك وانزعج انزعاجا، فسقط ولده من ظهره، وهرب، وعندما سقط الولد قام على رجليه وأخذ في الفرار خائفا من الضرب أيضا، ثم رجع والده يطلبه فلم

(595) في ك1 : الإنتفاع.

يجده في محله، فانقلب إلى المدينة، فلقيه عند الباب، ووجده قد سبقه إليها معافى بإذن الله تعالى ومن بركته، رضي الله عنه، فكان ذلك عجبا، ولا عجب من أمر الله.

ومنها أن رجلا يقال له الحاج البايع كان له جنان عنب بلمطة، وأراد أن يختبر حاله، رضي الله عنه، فأخذ وعاء من الأوعية التي يجعل فيها العنب، وملأ جله من عنب جنانه وأكمله من عنب جنان جاره بغير إذنه، وجاء به إليه، رضي الله عنه، فلما وضعه بين يديه جعل ينظر إليه وإلى العنب، ثم فتح، رضي الله عنه، الوعاء وجعل يأخذ العنب ويشمه عنقودا بعد عنقود، ثم يرمي به في وجه صاحبه حتى وصل إلى عنبه الذي أخذه من جنانه، فجعل يأكل منه، رضي الله عنه، ولم يلتبس عليه حلال من حرام، ولم يخف عليه ما فعل بظهر الغيب منه، والله تعالى هو الحافظ لأوليائه والمتولي لهم.

ومنها، وهي قريبة من التي قبلها، أن رجلا من أصحابه مر يوما بحانوت سفاج، فأعجبه الإسفنج فاشترى له، رضي الله عنه، ما تيسر وجعله في وعاء وستره من الناس تحت ثيابه، فبينما هو مار به في الطريق كذلك، إذ وجد الشيخ سيدي جلولا، رضي الله عنه، جالسا فقال له : نعم يا أخي، بَبَ مسعود يأكل الإسفنج ونحن لا نأكله، فقال له الرجل : خذ يا سيدي، فقال له : بَبَ مسعود واعر علينا، فأكد عليه في الأخذ منه، فأخذ اثنتين ولم يزد، وانطلق الرجل إلى سيد مسعود وجعل الإسفنج بين يديه، فنظر سيدي مسعود إلى الإسفنج وقال له : وأين اثنتان ؟ وكرر عليه ذلك، ففهم الرجل وقال له : يا سيدي، أنا تائب إلى الله مما فعلت، فقال له : يا ابن كذا، تعطي متاعي؛ وجعل يضربه ويقول : تعطي متاعي، فخرج من عنده راجعا لطريقه فوجد سيدي جلولا في موضعه الأول فقال له : ألم أقل لك بَبَ مسعود واعر علينا ؟ فكان ذلك آية لهما معا، رضي الله عنهما.

ومنها أن رجلا من أصحابه كان والده يتجر في الإماء وغيرهن، فأعجبته يوما واحدة منهن. فلما جن الليل، أراد أن يصعد إليها، وكانت في غرفة الدار، فبينما هو صاعد، إذ لدغته عقرب، فرجع وقال في نفسه : هذه من آيات سيدي مسعود. ولما أصبح ذهب إليه فقال له سيدي مسعود قبل أن يخبره بشيء : أردت أن تفعل البارحة كذا وكذا، فقال له : نعم يا سيدي، قد كان ذلك، فقال له سيدي مسعود، رضي الله عنه، أليس السلاطين يكون لهم فتيان ؟ يعني خصيانا، فقال : نعم يا

سيدي، فقال له : وأنت كذلك، فكان الرجل بعد ذلك لا تحركه شهوة الجماع ولا يحصل له إنعاظ، وأيس من الزواج فلم يتزوج وبقي كذلك حتى أتاه اليقين.

ومنها وهي من معنى ما قبلها أن رجلا تاب لله على يده، فذهب يوما لمنزله فوجد فيه المرأة التي كان يصاحبها على المعصية، فاستدعته إلى ما كان يقع بينهما، فأبى وقال لها : إني تبت على يد سيدي مسعود، فراودته ولم تزل به حتى هم بها، فلما عزم على الفعل فقد الآلة، ووجد في محل ذكره فرجا كفرج المرأة فقال لها : ألم تعهديني ذكرا ؟ فقالت نعم، فأخذ بيدها وأمرها على المحل، فوجدت فيه صورة فرج المرأة، فعجبت من ذلك واتعظت ورجعت إلى الله وألقى الله في قلبها التوبة، فذهبا معا إلى سيدي مسعود وقصا عليه خبرهما، فأمر المرأة بالتزوج والذهاب إلى الحج ففعلت، وبقي الرجل في كفالة صحبته، وظهر فضل الله عليهما معا ببركته والحمد لله.

ومنها أن قوما مسافرين أهل قافلة نزلوا ليلا حوله بعرصة إزاء مقبرة، فسمعوا أنينا بقبر فأنصتوا له حتى ميزوه من بين المقابر وجعلوا عليه الحجارة علامة عليه ليعرفوه ويخبروا بذلك أهله، وإذا بسيدي مسعود خارج من موضعه يدب على يده ورجله، وكان مقعدا لا يمشي على رجليه، حتى وصل إلى القبر فوقف عليه وقال : أ الله أمركم بتعذيب هذا في ترابي ؟ وكرره ثلاث مرات، فانقطع الأنين ورفع الله العذاب عن صاحب القبر في الحين ببركته، رضي الله عنه.

ومنها أن جماعة من الناس دخلوا على سيدي مسعود وسلموا عليه فقال لهم في الجملة : أنا ولدي ما يكون سارقا، فكررها ثلاث مرات، فتحيروا في أمرهم، وبقي كل واحد منهم ينظر في صاحبه، ولم يعرفوا من المخاطب بكلام الشيخ، وكان منهم رجل يسمى علي بن عدو[596] هو الذي كان سرق سرقة وهي في حوزه وجاء للشيخ، فلما جن الليل حمل السرقة على عنقه وردها إلى أربابها ثم رجع إلى الشيخ وتاب بين يديه ولازمه، فسرت فيه حالة كبيرة من الشيخ من ساعته، ونزع ما كان عليه من لباس المخزن، وبقي على حال الجذب عاري الرأس إلى أن توفي، رحمه الله تعالى ونفعنا ببركة الصالحين، آمين.

(596) في ك2 : عمرو.

وكرامات سيدي مسعود الشراط، رضي الله عنه، كثيرة لا يكاد يستوفيها العد وفيما ذكر كفاية. وله تلامذة وأصحاب كثيرون جدا كلهم ممن نال منه خيرا كثيرا وظهر على جماعة منهم الحال، فتميزوا بالصلاح والدين، وكان لهم هدي واتباع وتلامذة وأتباع.

* محمد بن محمد بن عيشون

وممن انتفع به(*)، والد مؤلف هذا الكتاب، الرجل الصالح، المجاهد في سبيل الله أبو عبد الله محمد بن محمد بن طاهر بن عيشون، رحمه الله، توفي شهيدا في قتال النصارى بحلق سبو في رمضان سنة أربعين وألف، ودفن بروضة شيخه سيدي مسعود الشراط، رضي الله عنه.

** حمدون بن عبد الرحمان الملاحفي

وممن انتفع به أيضا السيد الصالح، الخير الناصح، شيخ مؤلف هذا الكتاب سيدي أحمد المدعو حمدون بن عبد الرحمان الملاحفي، نسبة إلى عمل الملاحف، كان سلفه يعملون الملاحف فنسبوا إلى عملها، وهم ينتسبون لبني كنانة. كان رحمه الله، ذا حال وديانة، له ذكر يواظب عليه، ويقوم من الليل، ويترسم برسم أصحاب شيخ شيخه سيدي أبي شتاء، ويعمل الحضرة، أي السماع والرقص، وله زاوية وأصحاب يجتمعون بها ويواظبون على قراءة الأحزاب صباحا ومساءا، ويقرؤون صباحا «**المعشرات**»(597) و«**حزب الفلاح**»(598) و«**نظم الحوضي**» في التوحيد و«**الحزب الكبير**»(599) للشيخ الجزولي، رضي الله عنه، و«**الحزب الكبير**» للشيخ الشاذلي(600)، رضي الله عنه، وما تيسر من ذكر لا إله إلا الله، واسم الجلالة، ويقرؤون

---

* ترجمته أيضا في : **سلوة الأنفاس**، 121/3؛ **مؤرخو الشرفاء**، ص. 198.

(*) يشار بها لمسعود الشراط الذي وردت ترجمته سابقا.

** ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 138؛ **التقاط الدرر**، 153/1؛ **نشر المثاني**، 122/2.

(597) المعشرات التسع وهي مجموع أذكار كان يتلوها أتباع الشيخ الجزولي وتتلى كل جملة فيها عشر مرات (راجع عنها : **مرآة المحاسن**، ص. 54؛ **المقصد الأحمد**، ص. 95).

(598) مجموع أذكار وأدعية وتوجهات جمعها محمد بن سليمان الجزولي (راجع عنها : **المقصد الأحمد**، ص. 45 وص. 95؛ **الزاوية الدلائية**، ص. 49، ملحق 4).

(599) راجع عنه : **المقصد الأحمد**، ص. 95.

(600) راجع عنه : **مرآة المحاسن**، ص. 58 وص. 63؛ **المقصد الأحمد**، ص. 95.

مساء **المعشرات**، **وحزب الفلاح**، وحسبنا الله ونعم الوكيل سبعين مرة، **وصلاة** الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش. وله كرامات ومكاشفات.

ومن كراماته، رضي الله عنه، أن رجلا من أصحابه يقال له محمد بن سعيد الزراري مضى إلى زيارة معه بشالة[601]. فتخاصم مع فقير من فقرائه، فغضب الزراري المذكور وصار الفقراء يطلبونه الليل كله، فلما أصبح أتى إلى الشيخ، فقال له الشيخ : كيف بك ؟ الإخوان يطلبونك الليل كله وأنت لا تكلم أحدا منهم ؟ هل كنت في موضع لا تراهم ؟ فقال : كنت نراهم ولا نكلمهم، فقال له الشيخ : والله لا يرضيني منك، عقوبة لك على فعلك، إلا بر النصارى، فما جازت عليه عشرة أيام حتى أخذ من مركب سلا وخرج ببر النصارى، ثم جاء والده إلى الشيخ، رضي الله عنه، وطلب منه الصفح وقال له : يا سيدي، أنت كنت السبب في دخوله إلى ذلك المكان، وأنت أيضا تكون السبب في خروجه منه. فقال له الشيخ : عليك بالصبر يا ولدي : فصبر يومين أو ثلاثة ثم أتى إليه، رضي الله عنه، وأساء معه الأدب وقال له : أنت قلبك على تمرة وأنا قلبي على جمرة. والله إن لم تقض لي ما طلبت منك لأطلبن غيرك ونمضي إلى سعيد الجنوي[602] وكان الجنوي المذكور حينئذ قائدا بمدينة سلا، ويعطيني نصرانيا نفدي به ولدي. ثم إن الشيخ، رضي الله عنه، انجذب وقال له : والله، ثم والله لا رأيته أبدا إلى يوم القيامة، فتوفي والده ولم يره.

ومنها أنه، رضي الله عنه، أراد الخروج إلى زيارة الشيخ سيدي أبي شتاء، وكنت معه في تلك الزيارة تقبلها الله برحمته، آمين، وقدمنا من تلك الزيارة إلى فاس المحروسة بالله، ثم بعد ذلك بأيام قليلة أراد الزيارة مرة أخرى إلى الولي المذكور، رضي الله عنه، وخطر في نفسي أني لا أخرج معه في هذه الزيارة الثانية، وطفقت أشرع في خدمة الحرير، فلما أردت أن أحمله على المنوال انقطع منه نحو شبر، فلففته وخرجت في إثره،

---

(601) آسم لحاضرة مغربية قديمة تقع على نهر أبي رقراق وتبعد عن السور الموحدي الذي يحيط بمدينة الرباط بحوالي 200م. كانت في الأصل قرية بربرية احتلها الرومان لمدة تقرب من 500 سنة، إلا أن الوندال خرّبوها على ما قيل، واستطاعت بالرغم من ذلك أن تلعب أدوارا سياسية وتاريخية بعد ذلك، وقد حوّلها المرينيون فيما بعد إلى مقبرة لملوكهم وأعيانهم.
(انظر : **Henri Basset, Chella une nécropole mérinide**).

(602) الأمين سعيد الجنوي قائد سلا وحاكم العدوتين في عهد الدلائيين؛ وحين أسند محمد الحاج الدلائي إمارة سلا لابنه عبد الله، قرب هذا الأخير سعيد الجنوي منه وجعله خليفته وأمين سرّه. توفي بسلا عام 1065هـ (راجع : **الزاوية الدلائية**، ص. 187 وص. 190).

رضي الله عنه، فلحقته بوادي سبو، فتلقاني إخواني ورحبوا بي فقال لهم الشيخ، رضي الله عنه : إسألوه عن سبب مجيئه، فسكتت ولم أجبهم، فلما قدمت فاس وجدت الحرير الذي انقطع سالما من التقطيع ببركته، رضي الله عنه ونفعنا به، آمين.

توفي رحمه الله عند العصر من يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة اثنين وسبعين وألف، ودفن بزاويته بدرب الحرة من فاس المحروسة بالله، مات عن نحو سبعين سنة.

* عبد الوارث بن محمد اليصلوتي

وممن انتفع به، رضي الله عنه، السيد الصالح الأرضى، الخير الأحظى، سلالة الأخيار، ونجل الأولياء الأبرار، أبو محمد سيدي عبد الوارث ابن سيدي محمد بن ولي الله سيدي أحمد بن سيدي محمد بن الولي الكبير أبي البقاء سيدي عبد الوارث بن عبد الله(603) اليصلوتي، من بني يصلوت، قبيلة من غمارة، وأظنها قرب شفشاون؛ ويذكر أنه من ذرية أبان بن عثمان بن عفان، رضي الله عنه. كان، رحمه الله، دينا خيرا ذا وجاهة وأتباع، له زاوية بناها قرب داره بزقاق الحجر يقرأ فيها أصحابه الأحزاب؛ يقرؤون صباحا «**المعشرات**» و«**حزب الفلاح**» و«**صلاة**» مولاي عبد السلام بن مشيش و«**الحزب الكبير**» للشاذلي، ومساء «**حزب الفلاح**» ولا إله إلا الله مائتين. وكان يعمل الحضرة ولا تعمل إلا بمحضره، ولم يكن يتحرك إلا أنه كان يهتز عند السماع يمينا وشمالا وهو جالس. توفي، رحمه الله يوم الأحد الثالث من ربيع النبوي سنة ست وسبعين وألف.

** محمد السنون السلاسي

وممن انتفع به السيد الصالح، الولي الواضح، أبو عبد الله سيدي محمد المدعو بالسنون السلاسي، القاطن بسلاس(604). كان، رحمه الله، زاهدا ورعا حازما يلبس

---

* ترجمته أيضا في **سلوة الأنفاس**، 22/1، وسماه الكتاني بعبد الوارث اليصلوتي الصغير.

(603) وفي **سلوة الأنفاس**: بن موسى، اليلصوتي نسبة لبني يلصو، وهي قبيلة تنسب لجد صاحب الترجمة يلصو بن عبد الله بن أبان بن عثمان، والياصلوتيون أو اليالصوتيون أسرة كانت تستوطن مدشر بني دركول بمنطقة غمارة (راجع : **الحركة الفكرية**، ص. 476). . وقد استبعد الكتاني، اعتمادا على ما ورد في «**الروضة المقصودة**» أن يكون في بني أبان من آسمه عبد الله.

** ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 84، وفيها ورد أن وفاته كانت سنة 1057هـ؛ **نشر المثاني**، 32/2؛ **التقاط الدرر**، 122/1.

(604) منطقة جبلية تشرف على نهر ورغة شمال مدينة فاس (راجع : **نشر المثاني**، 186/1؛ **التقاط الدرر**، 122/1؛ **الحركة الفكرية**، ص. 486).

المرقعات، دائما عاري الرأس، لا يزيل شعره، يبذل ما عنده مما يؤتى به إليه ويفر من الدعوى، لا يحب من ينسب له الخصوصية أو يواجهه بذلك أو بشيء من المدح. وكان له أتباع كثيرون جدا وزاوية يجتمع أصحابه بها. وكان معه قبض، لا يصبر إذا أوذي، وينتقم الله سريعا من مؤذيه. وكان يقول : أعطاني سيدي مسعود خُذْمِي (كذا)(605) ومنجل لا يتعرض لي أحد بسوء إلا زبرته. وكان يقول فيه شيخه سيدي مسعود : رحاتي سلاسية، يشير إلى أنه كالرحا من تعرض له طحنه. توفي، رحمه الله، ودفن بعيون السوق من سلاس سنة ست وخمسين وألف.

* قاسم السلاسي

ومن انتفع به السيد الولي الصالح، القدوة الناصح لعباد الله تعالى، أبو الفضل سيدي قاسم السلاسي، دفين روضة شيخه سيدنا وسندنا سيدي مسعود الشراط، رضي الله عنه ونفعنا بأنواره وسقانا من ينابيع أسراره. وكان لسيدي قاسم المذكور مريدون يجتمعون عليه طرفي النهار للذكر ويقتطفون من أنواره الواردة عليه من قبل الحق سبحانه. وكان رضي الله عنه، كثير الذكر ملازم الصمت لا ينطق إلا بما جاء به الشرع الكريم عليه صلوات الله، مداوما على السنة والجماعة. توفي، رحمة الله عليه، عام تسعة وأربعين وألف.

** محمد يحيى العباس

ومن انتفع به قدوة الزمان ونبراس الأوان، الفقيه المجود للقراءة، الولي الزاهد، الناسك العابد، سيدي محمد يحيى العباس دفين زقاق الرواح، قبره مشهور هنالك، ولم أقف على تاريخ وفاته.

ثم أخذ الطريقة سيدي مسعود، رضي الله عنه، عن الشيخ أبي شتاء دفين أمركَو من فشتالة، وكان مجذوبا فياضا جليلا، ظهرت عليه الخوارق العظيمة. وكان في بداية أمره يفهم العلوم كلها من ظاهر وباطن وغيرها، وكان ساقط التكليف وله أتباع كثيرة. توفي، رضي الله عنه، سنة سبع وتسعين(606) وتسعمائة؛ وهو أخذ عن الشيخ

---

(605) المقصود بها السكين.

* ترجمته أيضا في : **سلوة الأنفاس**، 121/3.

** ترجمته أيضا في **سلوة الأنفاس**، 224/1، وفيها ورد أن إسمه أبا زكرياء يحيى العباس.

(606) في ك2 : ستين، والصواب تسعين كما ثبت في النسخ الأخرى وفي مصادر ترجمته.

القطب الكبير أبي محمد سيدي عبد الله الغزواني[607] دفين القصور من داخل مراكش؛ توفي، رضي الله عنه، سنة خمس وثلاثين وتسعمائة، وهو أخذ عن الشيخ القطب الكبير الجامع الشهير أبي فارس سيدي عبد العزيز التباع[608] دفين مراكش بالموضع المعروف بثلاثة فحول؛ توفي، رضي الله عنه، سنة أربع عشرة وتسعمائة، وهو أخذ عن شيخ الطائفة الجزولية القطب الكامل، الجامع الواصل، القدوة الشهير، أبي عبد الله سيدي محمد بن سليمان الجزولي الشريف الحسني صاحب **«دلائل الخيرات»**؛ توفي، رضي الله عنه، سنة سبعين وثمانمائة، ودفن برياض العروس من مراكش، وهو أخذ عن الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد أمغار الصغير الشريف نزيل تيط[609] من بلاد أزمور، عن الشيخ أبي عثمان الهرتناني عن الشيخ أبي زيد عبد الرحمان الرجراجي المعروف عند العامة بأبي زيد والياس، وقبره بشفشاوة[610] من عمل مراكش عن الشيخ أبي الفضل الهندي عن الشيخ عنوس البدوي راعي الإبل عن الإمام أبي العباس القرافي عن الشيخ أبي عبد الله المغربي عن شيخ الطريقة وإمام أهل الحقيقة قطب الأقطاب الشريف الحسني مولانا أبي الحسن علي الشاذلي[611]؛ ولد، رضي الله عنه، ببني زرويل[612] من قبيلة غمارة بمدشر يقال له اشتنوغيل[613]

(607) نسبة لغزوان، وهي قبيلة من عرب تامسنا. وهو من كبار مشايخ الصوفية، درس في بداية أمره بفاس ثم انتقل لمراكش حيث لزم الشيخ التباع وسلك طريق القوم على يده، ثم انتقل بعد ذلك إلى منطقة الهبط حيث اشتهر أمره. ويذكر عنه أنه تنبأ بانتقال السلطة من بني وطاس إلى السعديين (راجع ترجمته في : **الإستقصا**، 144/4 وص. 166؛ **الأعلام**، 235/8؛ **الحركة الفكرية**، ص. 466).

(608) أكبر رجال الطريقة الشاذلية الجزولية في عصره، ألف في مناقبه المهدي الفاسي وفي شيخه الجزولي كتابه **«ممتع الأسماع»**.

(609) ارتبط نموها باستقرار الصنهاجيين أو الأمغاريين بها حيث كونوا بها خلال القرن السادس الهجري رباطا أصبح يحمل آسم رباط تيط. ويعود تأسيسها كمدينة للعهد الفنيقي حيث كان الساحل يتوفر على حوض يسمح باستقبال عدد من المراكب، لذلك سجل الوزان (120/1) خلال القرن العاشر الهجري وجود اتصال لسكان المنطقة بالتجار البرتغاليين.

(610) المقصود بها منطقة شيشاوة الموجودة بناحية مراكش.

(611) انتقلت طريقته من المشرق لزاوية رجراجة (تقع على وادي شيشاوة بضاحية مراكش) بواسطة أبي زيد أولياس الرجراجي الذي قضى أزيد من عشرين سنة بالديار المقدسة أخذ أثناءها على يد كبار شيوخ الصوفية. وقد شكلت طريقته أساس الطريقة الجزولية حيث أصبحت بعد انتقالها للجزولي، ولأسباب دينية وسياسية، تحمل إسم الطريقة الجزولية (راجع عنه : **مرآة المحاسن**و **ممتع الأسماع**؛ **Michaux Bellaire**, «Essai sur l'histoire des confréries marocaines», **Hespéris**, année 1921, T.1, 2e tri., p. 141-159).

(612) منطقة جبلية تقع بجوار مدينة شفشاون (راجع عنها : **وصف إفريقيا**، 258/1).

(613) في ك1 : اشنوغيل.

وداره التي ولد بها بالمدشر المذكور معلومة الآن تزار ويتبرك بها؛ وتوفي، رضي الله عنه، عام ستة وخمسين وستمائة ودفن بحميترا من صحراء عيذاب، قاله في «**لطائف المنن**»، وهو أخذ الطريقة عن إمام الأقطاب مولانا عبد السلام بن مشيش الشريف الحسني دفين جبل العلم؛ توفي سنة بضع وعشرين وستمائة[614]، وهو أخذ عن الشيخ الولي الكبير أبي زيد سيدي عبد الرحمان المدني الشريف، دفين المدينة المشرفة، وهو المعتمد عند أهل التحقيق، أخذ عن الشيخ القطب تقي الدين الفقير من أرض العراق عن الشيخ القطب فخر الدين عن الشيخ القطب نور الدين أبي الحسن علي عن الشيخ القطب تاج الدين محمد عن الشيخ القطب شمس الدين محمد بأرض الترك عن الشيخ القطب زين الدين محمد القزويني عن الشيخ القطب أبي إسحاق إبراهيم البصري عن الشيخ القطب أبي القاسم المرواني عن الشيخ القطب أبي محمد سعيد عن الشيخ القطب أبي محمد سعد عن الشيخ القطب أبي محمد فتح السعودي عن الشيخ القطب سعيد الغزواني عن الشيخ القطب أبي محمد جابر عن أول الأقطاب سبط النبي، ﷺ، مولانا الحسن بن مولانا علي، رضي الله عنهما، وهو أخذ عن جده سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ.

* أحمد البرنسي

ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد البرنسي دفين لمطة إزاء الجبل المعروف بزالغ خارج باب الجيسة، وروضته هنالك معلومة معروفة مزارة شهيرة عند أهل فاس، لا يشك عندهم في ولايته؛ ويحكون عنه كرامات وخوارق وعادات. وقد رأيت تقييدا مختصرا في بعض أخباره وكراماته غير معزو، فلا بأس بذكره هنا. ووصفه هذا المقيد بالشيخ الولي الصالح، الزاهد الورع المكاشف، أبي العباس أحمد بن محمد[615] بن عبد الرحمان بن يعلى البرنسي أفاض الله علينا من بركاته ثم قال : قدم، رضي الله عنه،

---

(614) توفي مغدورا سنة 625هـ وقبره ببني عروس من منطقة غمارة مزارة مشهورة (راجع عنه ابن الأحمر : **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس؛ مرآة المحاسن**، ص. 196 ؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 41 و42؛ **الإستقصا**، 255/2).

* ترجمته أيضا في : **نشر المثاني**، 157/4؛ **سلوة الأنفاس**، 182/3، وفيها نسبه الكتاني لأهل القرن السادس الهجري.

(615) نبه الكتاني بعد نقل ترجمته عن «**الروض**» إلى أن آسم والده علي، كما ورد أيضا عند صاحب «**نشر المثاني**»، في ترجمة أحمد الصقلي، وأن والده هذا هو دفين عين تافراوت، وهي عين تقع غرب قبته أسفلها.

من بلاد البرانس[616] وقرأ على الشيخ سيدي علي بن حرزهم مع الشيخ شعيب أبي مدين، نفعنا الله به، علم الأصول وعلم الكلام، وله كتاب جليل في شرح أسماء الله الحسنى معروف عند الناس سماه : «**الذهب الإبريز والمختصر الوجيز**». صحب الشيخ أبا مدين شعيب وتعبد معه في جبل الظل، ويقال له في زماننا هذا زالغ، بموضع هنالك يقال له العباد، ولما انتقل الشيخ أبو مدين صعد الجبل وانفرد في خلوته المعروفة له هنالك، وكانت تأتيه طوائف الجن المومن يقرؤون عليه القرآن والعلم مشافهة. وكان في وقته، رضي الله عنه، له شأن عظيم، وكان أهل فاس يتوسلون به إلى الله تبارك وتعالى في حوائجهم، وكان الناس في ذلك الوقت يمضون إلى الشيخ أبي يعزى، رضي الله عنه، فيقول لهم : تركتم الشيخ أحمد البرنسي في جبل فاس فهو يعطيكم مثل ما نعطيكم. وأتاه رجل ذات يوم فقال له : يا سيدي، إن الأمير أبا الحسن أخذ ولده مالي وجاريتي غصبا، واشتكيت عليه فلم يأخذ حقي من ولده ولم يأمره برد جاريتي ومالي، وأنا خصيمك بين يدي الله يا سيدي إن قدرت لي على رد متاعي من عنده ولم تفعل، فتبسم الشيخ، رضي الله عنه، وكان جالسا بصحن مدشر أولاد الشيخ الذي هو الآن خراب عن يسار ضريحه، فأخذ قضيبا رقيقا وجعل يبحث به في الأرض ويتبسم ويحرك رأسه قليلا، ثم نظر إليه وقال له : إمض الساعة واجلس بباب دار ولد الأمير حتى آتيك، فمضى الرجل بسرعة وجلس بباب دار ولد الأمير أبي الحسن أمير العدوتين[617] فتوضأ الشيخ، رضي الله عنه، ودخل الخلوة وقال للفقراء : من يردني فقولوا له إنك لا تصل إليه اليوم. فبينما الرجل جالس بالباب وإذا بالشيخ، رضي الله عنه، مقبلا وعصاه في يده وقد غطى رأسه ببرنسه فجلس بإزاء الرجل وقال له : السلام عليكم، فرد عليه السلام، فتأمل في وجهه، فإذا هو الشيخ، رضي الله عنه، فأكب على يديه ورجليه مقبلا، فقال له الشيخ، رضي الله عنه : مهلا عليك واسكت، وإذا فتى من غلمانه خارج يتبختر في ثيابه فقال له الشيخ : ما اسمك يا غلام ؟ فقال له : إسمي ريحان، فقال له الشيخ : يا ريحان، أدخل عند سيدك وقل له أحمد البرنسي يستأذن في الدخول عليك، فمضى العبد، وقد أدركته هيبة الشيخ، إلى

(616) جذم كبير من البربر تنطوي تحته شعوب وقبائل متعددة، ولعل المقصود بها هنا قبيلة البرانس التي كانت مستقرة بين فاس وتازة كما ورد في «**سلوة الأنفاس**»، 182/3.

(617) أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، بويع له بمراكش بعد وفاة والده سنة 500هـ، وقام منذ سنة 503هـ بأعمال جهادية في بلاد الأندلس. ولذلك لقب بأمير العدوتين وكانت وفاته سنة 537هـ (عن أخباره راجع **الإستقصا**، 63/2).

ولد الأمير وقال له : يا مولاي، يقول لك رجل بالباب اسمه أحمد البرنسي أراد الدخول عليك، وهو يا مولاي سيد على وجهه نور ساطع. ففهم ولد الأمير أنه ولي الله الشيخ سيدي أحمد البرنسي فقال له : يا ريحان، قل له مولاي راقد، فخرج إلى الشيخ، رضي الله عنه، وقال له : يا سيدي، مولاي راقد، فقال له الشيخ، رضي الله عنه : هو راقد رقادا لا يقوم منه إلي يوم القيامة، ثم اختفى هو والرجل عن بصر الغلام، فما شعر الرجل بنفسه إلا وهو في الخلوة مع الشيخ، رضي الله عنه، فتعجب وذهل عقله، فسكنه الشيخ، رضي الله عنه، وخرج معه من الخلوة. فمات ولد الأمير وبلغ خبره إلى كل ناحية، وتحقق الأمير أبو الحسن برهان الشيخ، رضي الله عنه، في قتل ولده مع مشيئة الله وقرب أجله. وكان أمر الله قدرا مقدورا، فأتى الأمير إلى الشيخ رضي الله عنه، وتضرع بين يديه وأعطاه مال الرجل وجاريته، وأعطاه مالا فلم يقبله منه، رضي الله عنه ونفعنا به.

ومن مناقبه، رضي الله عنه، أنه كان ذات يوم جالسا فأتاه رجل وقال له : يا سيدي، أردت أن تأخذ بيدي لله عز وجل، إني رجل مديان وأردت يا سيدي أن تنيلني شيئا من المال نؤدي به ديني، فقال له الشيخ، رضي الله عنه : هز تلك الشجرة، وكانت الشجرة شجرة اللوز، فلما هزها الرجل تساقطت ذهبا ودراهم، فأراد الرجل أن ينتذر هو ومن كان معه حاضرا فلم يستطيعوا، وعاد التراب كما كان وغاب ما رأوا عن أعينهم. فقال لهم الشيخ، رضي الله عنه : لما تركنا الدنيا تبعتنا، وإنما أريتكم شيئا من أسرار الله مع أوليائه، وأنت يا رجل، إمض، فإن الله يخلص عنك دينك، إنه على ذلك قدير؛ فمضى الرجل، فما جاءت الجمعة حتى فتح الله عليه وخلص دينه ببركة الشيخ، رضي الله عنه.

ومن مناقبه، رضي الله عنه وأرضاه، أن رجلا أتاه وقال له : يا سيدي، أردت الحج لبيت الله الحرام ولم أجد مالا أستعين به على المسير، فقال له الشيخ : إجلس مع الفقراء إلى غد إن شاء الله تعالى، فجلس الرجل ذلك اليوم وبات مع الفقراء. فلما أصبح الله بخير الصباح ناداه الشيخ وقال له : إمض إلى الوزير وقل له بإمارة أنك لا تنام حتى تصلي على النبي، ﷺ، ألف مرة أعطني ما نستعين به على المسير لبيت الله الحرام وزيارة قبر النبي، عليه الصلاة والسلام. فمضى الرجل إلى الوزير فوجده جالسا بباب داره، فسلم عليه وذكر له كلام الشيخ، رضي الله عنه، ولم يذكر له أن الشيخ ذكر له ذلك، فأعطاه الوزير قرطاسا مطويا ثقيلا وقال له : أبلغ السلام مني

للشيخ سيدي أحمد البرنسي وقل له لا تنس محبكم يا ولي الله، فلما انصرف الرجل نظر في القرطاس فإذا فيه مائة دينار، ففرح بذلك فرحا شديدا ومضى إلى الشيخ، رضي الله عنه، وأعلمه بما ذكر له الوزير، فتبسم الشيخ، رضي الله عنه، وقال للرجل : إعزم ولا تتأخر، فعزم الرجل وسار إلى أن بلغ الكعبة، فلما كان يوم الجمعة، دخل للحرم مع الناس فرأى الشيخ، رضي الله عنه، بالحرم، فقام إليه وقال له : يا سيدي، متى أتيت إلى هنا؟ فقال له : أكتم عنا إذا رجعت، وغاب عن بصره ولم يره.

ومن مناقبه، رضي الله عنه، أنه كان جالسا مع الفقراء، فأتته امرأة وقالت له : يا سيدي، إن ابني أسير، ولم أجد مال أفديه به، فقال لها الشيخ رضي الله عنه : يا أمة الله، إذا كان ثالث يوم من اليوم، فاخرجي إلى باب عجيسة، وامضي إلى وادي سد رواق[618] واجلسي على الطريق وأخرجي معك خبزة، فالكلب الذي يلقاك وينظر إليك أعطه تلك الخبزة ولا تقومي من مكانك إلى وقت الظهر. فمضت المرأة وفعلت ما أمرها به الشيخ، رضي الله عنه، فلقيت كلبا أسود وأعطته الخبزة وجلست على قارعة الطريق عند وادي سد رواق، فبينما هي جالسة عند الضحى وإذا هي برجل قطع الوادي من ناحية زالغ واقف وعليه ثياب النصارى، فنظرت إلى رجليه فرأت الكبل، فقطعت لناحيته جريا، فلما حققت نظرها فيه إذا هو ولدها فصاحت : يا ولدي فلان وقرة عيني، فقال لها : يا أماه، وما اسم هذا الموضع الذي لاقانا الله فيه؟ فقالت له: يا كبدي، أنسيت البلاد؟ أو ما هذا سد رواق واللواجريون[619]؟ فحقق وثبت عقله وجلس إلى ناحية مع أمه وصار يقول : سبحان الله القادر على كل شيء. فقالت له أمه : يا ولدي، كيف أتيت بقيدك إلى ها هنا ؟ وهي تقول في خاطرها : عليك سلام الله يا ولي الله، فقال لها : يا أماه، أعطاني الكلب الذي كنت أسيراً عنده طرف لحم بقري أبلغه للدار، فجلست في الطريق وافتكرتك وتفكرت إخواني وبكيت، فلما مسحت دموعي وأردت أن أقف وآخذ اللحم، وإذا بكلب قنجار قدر العجل خطف اللحم وهرب به، فتبعته حتى خرج من باب قشقيل الخضراء، وتبعته بالجري القوي، وأنا خائف أن يفوتني ويضربني النصراني ويقطر على لحمي شحم الخنزير المذاب المغلى على صفح ظهري وأنا مكتف اليدين، فما شعرت يا أماه إلا وأنا هنا واقف، فصاحت المرأة على الخلق واجتمعوا عليها،

(618) حومة بفاس لعلها المسماة في «**القرطاس**»، ص. 159، بوادي شد روع أو شد رواغ.

(619) أحد أحياء مدينة فاس واسمه مأخوذ من صناعة الآجر التي كانت تتمركز به.

فذكرت لهم الحكاية، وطلعت مع ابنها إلى الشيخ، رضي الله عنه، ومعهما خلق كثير، وفك القيود أمام الشيخ، رضي الله عنه ونفعنا به.

ومناقبه، رضي الله عنه، لا تعد ولا تحصى، وقد اختصرنا منها ما تيسر وفيه الكفاية. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. هذا آخر ما وجدت مقيدا في أخبار هذا الشيخ، رضي الله عنه.

* عبد الله بن أحمد البعاج الصبيحي

ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد البعاج الصبيحي دفين داخل باب الجيسة.

قال في «**الممتع**» : كان له الحال الصحيح، والبصيرة التامة، والفراسة المسددة. من أصحاب الشيخ التليدي(620)، وقال : لولا صحبة سيدي يوسف التليدي لمت على شعبة من شعب النفاق. وكان جلوسه مع أصحابه بجامع القرويين من فاس. توفي صاحب الترجمة، رضي الله عنه، ثاني ربيع الأول سنة خمس عشرة وألف، انتهى.

** أحمد بن عمر

ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر دفين داخل باب الجيسة من فاس وروضته شهيرة معروفة هنالك. كان، رحمه الله، كثير الكشف والكرامات، باهر الخوارق والآيات، لا يلقى أحدا غالبا ممن لم يكن يعرفه قبل إلا وسماه باسمه وباسم أبيه وأمه وزوجته، وأخبره بما غاب عنه من أموره، صادق الفراسة. وولايته عند أهل فاس قطعية شهيرة لا يشك أحد فيها رجالا ونساء لما شاهدوا من كثرة كراماته وتصريفاته. فكراماته، رضي الله عنه، لا تحصى ولا تستقصى أبدا. وشهد له الأكابر من أهل الخصوصية من أهل وقته بالولاية؛ وكان بهلولا، ولد كذلك، ساقط التكليف،

---

* ترجمته أيضا في : **تحفة الصديقية**، ص. 20؛ **التقاط الدرر**، 46/1؛ **نشر المثاني**، 136/1.

(620) يوسف بن الحسن التليدي، شيخ صوفي من أصحاب الشيخ الغزواني، توفي سنة 948هـ ودفن بقبيلة بني تليد إحدى قبائل غمارة قرب شفشاون حيث كانت له زاوية (انظر ترجمته في : **دوحة الناشر**، ص. 17؛ **سلوة الأنفاس**، 197/1).

** ترجمته أيضا في : **المقصد الأحمد**، ص. 36؛ **صفوة من انتشر**، ص. 114؛ **التقاط الدرر**، 138/1.

متجردا، عزبا لم يتزوج قط ولا شيخ له؛ وكان له القبول عند الخلق كافة والمحبة في قلوبهم. ومما حضرني من كراماته، رضي الله عنه، ما حدثنا به السيد الفقيه العلامة الشريف الأطهر، الأنزه الأنور، أبو عبد الله مولاي العربي القادري، أنه مر يوما بباب دراهم وجعل ينادي عجوزا هنالك باسمها، قال : فلما سمعته والدتي بعثت له أمة لها صغيرة تسمى الياقوت بقصد التبرك، وكان بها مرض خفيف، فلما مثلت بين يديه قال لها : مسكينة الياقوت، عشبة (كذا) الموت، وكررها، فحزن أهل الدار لذلك لما سمعوا منه، لما يتحققون من صدق فراسته، وكان ذلك عند غروب الشمس، فما أتى وقت العشاء الأخيرة التي بعد مغرب ذلك اليوم حتى توفيت وظهر صدق ما أخبر به كفلق الصبح.

ومنها ما حدثنا به مولاي العربي القادري أيضا، أنه لما قربت وفاة والده، رحمه الله، بنحو شهرين، كان كلما لقيه ناداه يا فلان، وسماه باسمه، ثم يرفع وجهه إلى السماء، ويغمض عينيه ويمسح بيده على وجهه وعيناه مغمضتان، يشير إلى موته، فكان كذلك. مرض أياما قلائل، وتوفي رحمه الله إثر فعله به ذلك.

ومنها أنه كان مرة بحانوت بعض الحجامين بباب الملاحين، فجاء سميه السيد أبو العباس أحمد المدعو حمدون البهلول، فقبض على صاحب الترجمة ولفه بردائه وجعل يقول له : لا أرسلك حتى تضمن صيف هذا العام، يعني الزرع الذي في سنبله، وكان قد دنا حصاده، فجعل يحاول دفعه عنه ويزيل رداءه من يده ويقول له : فارقني، ويكررها، وسيدي حمدون على حاله ذلك ملازما له، يقول له ذلك ويكرره، فقال له سيدي أحمد بن عمر : ها هي في رأسي، وضرب بكفه على جبهة نفسه، فأرسله سيدي حمدون إذ ذاك بمرة وذهب يثب ويضرب بإحدى كعبيه على الأخرى عندما يفعل ذلك ويقول : ها هو ضمنها، ويكررها، ثم ظهر مصداق ذلك بعد، وخدم الناس زرعهم في عافية وأمن، وكانوا قبل يتوقعون الشر ونهب الزرع لأمر عرض في الوقت. ومآثره، رضي الله عنه، لا تحد ولا تستقصى أبد الآبدين.

وكانت وفاته، رحمه الله تعالى ورضي عنه، يوم الأحد الثامن والعشرين من المحرم سنة ست وستين وألف، وقبره شهير بروضته يزار ويتبرك به.

* حمدون

وسيدي حمدون المذكور هو دفين خارج باب الجيسة، وكان معاصرا لصاحب الترجمة(*)، وكان متجردا بهلولا ملامتيا لا يعرف له شيخ، وكان يخبر بمغيبات وظهرت له كرامات وبركات.

حدثني بعض الثقات أنه دخل عليه يعوده من مرضه الذي توفي منه، فوجد عنده رجلا يقال له الروني، فوبخه ذلك الرجل على فعل شيء صدر منه، أظنه عن غير اختيار، وقال له : أتفعل هذا وأنت تموت ؟ فقال له : والله لا سبق إلا أنت. فكان كذلك؛ فطعن الرجل بالوباء، ومات يومه ذلك ودفن، ثم مات سيدي حمدون ودفن إثره.

وكان يوما مع الناس بالمصلى، يوم عيد، فلما فرغ الإمام من الخطبة صعد المنبر وتكلم عليهم مثل الخطيب وجعل يقول : أيها الناس، كلوا واشربوا وانكحوا نساءكم وزينوا لهن وافعلوا كذا وكذا، وعد أشياء من معنى ذلك، يريد أن ما أمرهم به الخطيب ونهاهم عنه لا يمتثلونه ولا يفعلون شيئا منه، لاستيلاء حب الدنيا على قلوبهم وغيبتهم عن الحق سبحانه، وأن الذي يفعلونه هو ما أمرهم به لتمكن ذلك من قلوبهم وإيلافهم إياه.

توفي، رحمه الله، بالطاعون(621) عام ستة وخمسين وألف، ودفن قرب سيدي محمد بن الحسن، ولم يتزوج ولم يعقب.

** علي المصالي

ومنهم الشيخ أبو الحسن علي المصالي(622) دفين داخل باب الجيسة.

ذكر لنا سيدنا الإمام العالم أبو عبد الله سيدي محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي، أن الشيخ الولي الكامل العارف المقرب الواصل سيدي محمد بن عبد الله معن، رضي الله عنه وعنا به، كان يحكي عنه أنه كان يخدم نساجا في

* ترجمته أيضا في : **التقاط الدرر**، 122/1؛ **نشر المثاني**، 35/2.

(*) المقصود به أحمد بن عمر الذي ضمن المؤلف ترجمته ترجمة حمدون البهلول التي أفردناها هنا.

(621) أشار القادري في «**التقاط الدرر**»، إلى أن هذا الطاعون لم يكن حادا، وقد أصاب بادية فاس أيضا.

** ترجمته أيضا في : **سلوة الأنفاس**، 210/1.

(622) وينطقها البعض المزالي. وضريحه ببرج الكوكب.

الطراز، وكان لا يأتي الطراز حتى تطلع الشمس، فإذا دخل وقت الظهر انصرف ولا يزيد شيئا، وكان يبارك له في الشغل، فكان يخدم في هذه المدة من النهار أكثر مما يخدم غيره من أهل طرازه في سائر النهار من أوله إلى آخر. فأتوه فسألوه عن ذلك وقالوا له : يا سيدي، نحن نبكر ونفوت ونأتي قبل طلوع الشمس ولا نذهب إلا عند الغروب، وأنت تفوت في المجيء فلا تأتي حتى تطلع الشمس، وإذا جاء وقت الظهر خرجت ثم لا تعود، ومع هذا يطلع لك من الشغل أكثر مما يطلع لنا، فما سر ذلك ؟ فقال : أنا إذا صليت الصبح امتثلت السنة وقعدت نذكر الله حتى تطلع الشمس، فإذا جئت وأخذت في الشغل رأيت نفسي آلة من جملة هذه الآلات التي للشغل، يعني ولم ير لنفسه حولا ولا قوة، فلذلك يطلع الشغل، وتحصل فيه البركة، فهو الذي ترون، أو كلاما هذا معناه، رضي الله عنه ونفعنا به.

* جلول

ومنهم الشيخ سيدي جلول دفين داخل باب الجيسة.

عرف به في «**المقصد**» فقال فيه : الشيخ الولي الشهير، الجليل القدر، العظيم الخطر، المتفق على ولايته وعلو مرتبته وجلالته، أبو الفيض سيدي عبد الجليل، المدعو جلولا.

ثم قال: كان رجلا مجذوبا هائما مولها غائبا في الله فانيا عما سواه، دائم الغيبة، بهلولا ساقط التكليف، تعتريه الأحوال ويتوله دائما وتصدر منه صيحات أحيانا ويقول في بعض الأوقات: أنصروا جلولا، ويكررها؛ ثم يقول: أنصروا مولاي جلول ويكررها؛ ثم يقول هو بلسانه: الله ينصر جلولا، الله ينصر مولاي جلولا، الله ينصر السلطان جلولا. وكان يقول: أطلبوا الله في حياة بَبَ جلولا فإنه تاكَيدة (كذا) المغرب، يعني عمدته. ويقول في بعض الأوقات :

يا بَبَ جلول يا جوهرة في خراصي   يا بَبَ جلول يا عمامة فوق رأسي.

وكان الشيخ الإمام العارف بالله سيدي أبو محمد عبد الرحمان بن محمد الفاسي، رضي الله عنه، يثني عليه ويشهد بصحة حاله ويقول إنه رجل قوي. وله،

---

* ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 50؛ **التقاط الدرر**، 86/1؛ **نشر المثاني**، 269/1؛ **سلوة الأنفاس**، 207/1.

رضي الله عنه، كرامات شهيرة، ومكاشفات كثيرة، وتصرفات كبيرة، يتكلم على الخواطر، وينبئ عن الضمائر. وربما يضمن من استضمنه في أمر من الدنيا والآخرة، فيظهر مصداق ذلك وأثره. وكان له أتباع. وكان سيدي قاسم الخصاصي يتردد إليه بالزيارة، وكان إذا جلس قدامه فصاح لم يتمالك سيدي قاسم أن يصيح معه. توفي، رضي الله عنه عند طلوع الشمس من يوم الخميس السابع عشر من شوال سنة ست وثلاثين وألف، ولم يكن تزوج ولا ولد له، انتهى.

وأخذ، رضي الله عنه، عن الشيخ سيدي الحاج محمد الرامي البهلول دفين خارج باب الجيسة، ولا أعرف شيخه. ودخل بعض الفضلاء يوما على سيدي جلول فقال له : إكسنا مما عليك، يريد الحال، فقال له : أنا كساني بَبَ حم الحاج. وكان كثيرا ما يقول : أنا بَبَ جلول ابن الحاج.

قال الشيخ سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي، رضي الله عنه : يشير إلى الحاج محمد الرامي الذي كان بباب النقبة قبل دخول الشيخ أبي المحاسن فاسا.

* أبو جيدة بن أحمد

ومنهم الشيخ سيدي أبو جيدة بن أحمد[623] دفين خارج باب بني مسافر[624].

ذكره أبو عبد الله التميمي في «**المستفاد**» وقال إنه دفين خارج باب بني مسافر من عدوة الأندلس، وهو هناك معروف والدعاء عنده مستجاب، عرف ذلك الناس وتحدثوا به. ثم ذكر كرامة له وقعت لبعضهم بعد موته : وهي أنه كانت له ابنة أصابها مرض أعوزه علاجه، فأتى إلى قبره وطلب الله أن يريحه منها في عافية، فاستجاب الله دعاءه ببركته، فما أتت عشية ذلك اليوم حتى ماتت. هذا حاصل ما ذكره في سيدي أبي جيدة، رضي الله عنه، ولم يذكر وفاته ولا زمنه. وذكر في ترجمة الغازي بن

---

* ترجمته أيضا في : **جذوة الإقتباس**، ص. 107؛ **سلوة الأنفاس**، 92/3؛ **دليل مؤرخ المغرب الأقصى** 221/1. وفيه ورد أن بعضهم ألف في مناقبه تأليفا سماه : «**مناقب الشيخ الجليل أبي جيدة بن أحمد اليزغيتني**».

(623) أبو جيدة بن أحمد الفاسي اليزغيتني، نسبة لبني يزغتن، ويقال لهم بنو يازغة، وهي قبيلة بربرية تقع جنوب شرق مدينة فاس، أدرك صدرا من فقهاء فاس وكان له إلمام بمذهبي مالك والشافعي، وله في هذا الأخير تآليف وتصانيف (راجع أيضا : **وصف إفريقيا**، 280/1؛ **جامع القرويين**، 155/1).

(624) هو الباب المعروف حاليا بباب بوجيدة.

يعيش(624م) أن جوهرا لما حاصر مدينة فاس، أقام عليها مدة ولم يفتح له، فساءه ذلك، فرأى في المنام قائلا يقول : لا تقدر على دخول هذا البلد عنوة أبدا ولو أقمت عليها أعواما لأن فيها أربعة من أوتاد الأرض، وذكرهم وذكر فيهم الشيخ سيدي أبا جيدة والشيخ دراس بن إسماعيل، فهما متعاصران كما يوخذ من وفاة سيدي دراس ووفاة المنصور بن أبي عامر الآتي، الذي كان معاصرا لسيدي أبي جيدة.

وقال أبو الحسن الجزنائي في «**جنى زهرة الآس**»: ويحكى أن أحد عمال المنصور بن أبي عامر حين تغلب على أرض فاس قال لهم : أخبروني عن أرضكم أصلح هي أم عنوة ؟ فقالوا له : لا جواب عندنا حتى يأتي الفقيه، يعنون سيدي أبا جيدة بن أحمد، فجاء أبو جيدة فسأله فقال : ليست بصلح ولا عنوة، إنما أسلم أهلها عليها. فقال لهم : خلصكم الرجل.

وأبو جيدة هو المدفون بخارج باب بني مسافر أحد أبواب فاس والدعاء عند قبره مستجاب وله، نفع الله به، بركات وكرامات، انتهى الغرض منه.

والمنصور بن أبي عامر المذكور هو أحد ملوك الأندلس توفي في رمضان سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة. فالشيخ أبو جيدة، رضي الله عنه، كان معاصراً له. فهو على هذا من أهل القرن الرابع(625) والله أعلم.

وذكر الفاضل الخير أبو العباس أحمد بن محمد الشامي، رحمه الله، منقبة وقعت لشيخه سيدي أحمد الشاوي دفين الجرف مع سيدي أبي جيدة نفعنا الله بهما في بناء قنطرة ابن طاطو خارج باب بني مسافر، حسبما رأيت ذلك مقيدا بخطه. قال، رحمه الله : لما توجه سيدي أحمد الشاوي لبناء قنطرة ابن طاطو سنة ثلاث عشرة وألف، وكان قد تعذر الجواز عليها عام السيلة، فأمر، رضي الله عنه، بحفر الوادي الذي يمر فيه الماء، فحفر، ثم ببناء سد يمنع الماء من المرور بموضعه الأول، وأنفق فيه مالا جزيلا، نحو الألف أوقية، إلى أن تم في شهر، وأخذ في حفر أساس الحائط الذي تبنى عليه القنطرة. ثم إن الوادي حمل ليلا، أي كثر ماؤه، وذهب بالسد كله ولم يبق

(624م) لعل آسم يعيش تحريف لاسم «الفتوح» الذي ورد ذكره في ترجمة دراس بن إسماعيل.

(625) ورد في **سلوة الأنفاس** (92/3) أنه توفي سنة بضع وستين وثلاثمائة وفي **جذوة الإقتباس** (ص.107)، أنه توفي سنة 563هـ، وهو تصحيف، والصواب هو سنة 365هـ. بدليل أن صاحب الترجمة كان معاصرا لدراس بن إسماعيل.

منه إلا يسيرا، فلما أتى الشيخ بكرة على عادته كل يوم ورأى ذلك، أرسل إلي وقال لي : أنظر في هذا الأمر وما يليق به واشتغل به، فحزنت مما رأيت فقال لي : لا يشوش عليك شيء، جيء بما يكفي من الخدام والرجال. فذهبت، فتوجه لنا رجال كثيرون معلمون وغيرهم، وأتى الناس من حيث لا ننوي مجتهدين، فما جاءت العشية حتى صار السد كما كان بل أحسن منه، وما أنفق عليه إلا عشرون أوقية، فتعجبنا من ذلك وصرت متحيرا أقول في نفسي كيف هذا ؟ خدمة شهر أو أكثر أنفق عليها نحو الألف أوقية. الشهر رجع يوما والألف أوقية رجعت عشرين أوقية. ثم ذهب الشيخ وذهبنا. ثم من الغد أشرفت عليه وهو مار على السد فسلمت عليه وقلت له : يا سيدي، سألتك بالله العظيم وبالنبي، ﷺ، وبشيخك، ألا ما أخبرتني بقضية هذا السد، الشهر رجع يوما، والألف أوقية رجعت عشرين أوقية ؟ فقال لي : والله لولا أنت ولدي وحبيبي ما أخبرتك. لما حزنت أنت من أجل الوادي الذي ذهب بالسد جاءني شيخ وقال لي : لا يشوش عليك هذا الأمر، شد روحك وأنا معك، فقلت لك كما قال لي الشيخ، فقلت له : يا سيدي، سألتك بمحبتي فيك ومحبتك في شيخك ونتوسل لك بالنبي، ﷺ، ألا ما أخبرتني بهذا الشيخ الذي أتاك البارحة من هو ؟ فقال لي : هو الشيخ سيدي أبو جيدة، أتاني وضرب على كتفي وقال لي : شد روحك ولا يشوش عليك شيء، أنا معك؛ فأمرتك بما أمرتك، وحضر معنا في ذلك [اليوم](626). انتهى الغرض منه نفعنا الله بأوليائه، آمين.

* محمد بن العربي الإشبيلي

ومنهم الشيخ الإمام العالم الأفضل القاضي الأعدل، الذي ساقته القدرة الأزلية من حضرة إشبيلية ليدفن بهذه الحضرة الإدريسية أم القرى المغربية منبع الفنون العلمية، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المغافري الإشبيلي، وتوفي ليلة الخميس(627) لثلاث خلون من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة بمغيلة، على مرحلة من فاس، ثم نقل إلى فاس،

---

(626) زيادة في ك2.

* ترجمته أيضا في : **جذوة الإقتباس**، ص. 260؛ **سلوة الأنفاس**، 198/3؛ **شجرة النور**، 136/1؛ **الفكر السامي**، 221/2.

(627) في ك2 : ليلة الجمعة.

فدفن خارج باب المحروق[628] منها. ومولده ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة، وحج ورحل في طلب العلم بالمغرب والمشرق ولقي المشايخ فأخذ عنهم، واستفاد وأفاد وألف الكتب الشهيرة الكثيرة في الفنون المختلفة، وعلمه وجلالته أشهر من أن يذكر وأعرف من ينكر، فعلمه بالمشرق والمغرب شهير، وشأنه في الوجود كبير؛ وكان حاكما بالعدل، قائلا بالحق، صليبا في الحكم، لا يخاف في الله لومة لائم، شديدا على أهل المناكر، وكانت له أحكام شديدة. أتى يوما بزامر فثقب أشداقه حتى أفسد زمره. وله مسائل من هذا. فأدته شدته إلى أن قامت عليه العامة ونهبت داره وقال : لولا أني تسترت بحريمي لكدت أن أكون شهيد الدار، يعني عثمان رضي الله عنه.

وذكر البرزلي[629] في نوازله مما حفظه من كتاب ابن الصيرفي[630] أن ابن العربي كان له شرط يطلبون أهل الخمر، فأتي له يوما برجل بيده كأس بها خمر فسأله عنها، فلقنه بعض الوزعة أن يقول إن عنده جارية نصرانية اشتراها لها، فأطرق القاضي مليا ثم رفع رأسه وقال : لعن رسول الله، ﷺ، في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري والمشترى له، فلعنه القاضي وأمر من بحضرته بلعنه، فاستمرت عليه اللعنة في نواحي إشبيلية حتى كان سبب نفيه منها، انتهى. واستمرار اللعنة على الرجل في نواحي إشبيلية إنما هي كرامة لابن العربي، رضي الله عنه. وأخذ من فعله هذا أن مذهبه جواز لعن الشخص المعين، والله أعلم.

* محمد بن منصور

ومنهم الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن منصور، كان له كلام في الإشارات والمعاني على لسان القوم، أخذ عن سيدي علي الصنهاجي، وتوفي يوم الإثنين الثالث

---

(628) ويعرف قديما بباب الشريعة، وسمي كذلك لأن الخليفة الناصر الموحدي أمر بإحراق جثة العبيدي الثائر بجبال ورغة في وسطه، سنة 600هـ. وقيل لكثرة ما كان يعلق فوقه من رؤوس الثوار (راجع : **زهرة الآس**، ص. 104؛**جذوة الإقتباس**، ص. 50).

(629) محمد بن أحمد البلوي فقيه مالكي من أصل مغربي توفي بتونس سنة 844هـ. له كتاب : «**جامع مسائل الأحكام لما نزل بالقضايا من المفتين والحكام**».

(630) لعل المقصود به كتاب «**تقصي الأنباء في سياسة الرؤساء**» ليحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري المعروف بابن الصيرفي المتوفى سنة 557هـ.

* ترجمته أيضا في : **سلوة الأنفاس**، 212/3.

والعشرين من شوال سنة سبع وتسعين[631] وتسعمائة، وولد سنة عشر وتسعمائة، ودفن خارج فاس الجديد على مقربة من وادي فاس قرب البير والنخلة اللتين هناك، وقبره مزور معروف.

* علي بن رزق السوسي

ومنهم الشيخ أبوالحسن علي بن رزق السوسي دفين خارج باب الشريعة[632] المعروف بباب المحروق، وهو المعروف بسيدي علي ورزق، بالقاف المعقودة وبالواو مكان ابن، كما يقوله أهل بلادهم. كان، رحمه الله، رجلا مجذوبا هائما مولها غائبا في التوحيد، ساقط التكليف. قال بعض الفقهاء[633] : وكان أسمر اللون أشيب، لا يعتق لحيته بل يحلقها، مبطول أصابع يده اليمنى، غالبه الخمول، وسكناه فاس الجديد بحانوت مجاورة لحمام هنالك، وبها مات على حصير أوتليس، الشك مني، مع أني زرته في مرضه الذي توفي منه عشية وفاته وهو يعالج، وبشغلي به لم ألتفت لما كان تحته. وتعرف له قبل تجريده فرسنة وشجاعة قوية. وكان ملك وقتنا مولاي الشيخ[634] يبالغ في تعظيمه. وكان له فرس يركبه يحض على ربطه بروائه مبالغة في إكرامه، ويحض على علفه وإقامته. وتعرف له، رضي الله عنه، كرامات متواترة عند أصحابه.

وحدثني غير واحد ممن يوثق بقوله بكرامات كانت تظهر على يده، انتهى الغرض منه من خطه.

وقال غيره : وكان يلبس ثيابا رثة ويركب عتاق الخيل، وظهرت له بركات، انتهى.

وكان الشيخ الولي العارف الكبير سيدي محمد بن عبد الله معن يثني عليه ويشهد له بالخصوصية وأنه رجل قوي.

حدثني السيد الفقيه الجليل الصوفي، أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي، حفظه الله، أنه سمع سيدي محمد بن عبد الله المذكور

---

(631) في ك2 : ستين، والصواب تسعين كما في النسخ الأخرى وكما أكده الكتاني في «**سلوة الأنفاس**».
ترجمته أيضا في : **المقصد الأحمد**، ص. 288؛ **الإعلام بمن غبر**، ص. 55؛ **التقاط الدرر**، 47/1؛ **نشر المثاني**، 137/1؛ **سلوة الأنفاس**، 213/3.

(632) ورد في **المقصد الأحمد** وفي **سلوة الأنفاس**، أنه دفن خارج باب السبع.

(633) الفقيه هو عبد الوهاب بن عبد الواحد الحميدي، ذكره القادري في **نشر المثاني**، 137/1.

(634) المقصود به السلطان محمد الشيخ المامون السعدي.

يقول : كنت يوما جالسا بجامع القرويين، فجاء سيدي علي ورزق ووقف قريبا مني فنظرت إليه، رجلا حارا، أو كلاما هذا معناه.

وحدثني سيدي المهدي المذكور، أنه سمع سيدي محمد بن عبد الله أيضا يقول : كان رجلان صالحان متعاصرين في زمن واحد مختلفين في أحوالهما، سيدي علي ورزق وسيدي عبد المجيد، يعني دفين خارج باب الجيسة. فأما سيدي علي فكان غائبا في التوحيد، وأما سيدي عبد المجيد فكان غائبا في النبي، ﷺ، فكان سيدي علي إذا أتاه صاحب معصية كشارب خمر أو دخان أو تارك صلاة أو غير ذلك رحب به وقربه وأجلسه بإزائه وهش إليه، وإذا أتاه صاحب صلاح ظاهري كصاحب عبادة أو صلاة أو صيام أو غير ذلك طرده وأبعده ولم يعبأ به. وكان سيدي عبد المجيد في ذلك على العكس، فكان إذا أتاه صاحب طاعة كمصل أو ذاكر أو نحوهما فرح به وعظمه وقربه، وإذا أتاه صاحب معصية طرده وأبعده ولم يعبأ به. ثم قال سيدي محمد بن عبد الله : إن الذي يربي منهما هو سيدي علي ورزق، انتهى.

واجتمع يوما عند حانوته أناس وهو بها مغلقا عليه، واشتغلوا بالسماع وجعلوا يرقصون ويسيحون، وجعل كل من يدخل معهم يلقي كساءه عند رجل جالس هنالك يقال له ربيط[635]، على وزن زبير، حتى اجتمعت عنده ثياب كثيرة، فلما رأى ذلك ورأى ما الناس فيه لام نفسه على ما فاته من ذلك وجعل يوبخها ويذمها فكاشفه سيدي علي بذلك، فرفع المغلاق بيده وصاح به : يا أخي، يا أخي، فلما نظر إليه قال له : هؤلاء مارستانيون بتقوى الإله نجا من نجا. وكان، رضي الله عنه، ملامتيا تظهر عليه أمور يأباها ظاهر الشرع. ومما يحكى عنه شائعا، أنه طلب يوما من شاب في خلوة أن يمكنه من نفسه، فأجابه إلى ذلك، فلما هيأ نفسه ضربه برجله، وإذا به بمكة شرفها الله.

وقال مولاي العربي القادري أدام الله حفظه : حدثني بعض الثقات عن خال والدتي أبي عبد الله محمد[636] بن علي المعروف بابن يخلف الأندلسي، وكان ثقة فاضلا، أنه سمعه يقول : ذهب بي والدي، رحمه الله، إلى زيارة سيدي علي ورزق، وأنا

(635) أبو الثناء ربيط، بالتصغير، كان خديما لعبد المجيد البادسي، ثم انتقل بعد وفاة شيخه عبد المجيد لخدمة علي ورزق (انظر : **سلوة الأنفاس**، 109/3).

(636) في ك1 : أبي محمد عبد الله.

إذ ذاك شاب، وكنت صبيح الوجه، فوجدناه بباب كهف من كهوف الخميس، والناس مجتمعون عليه، فلما رآني أخذ بيدي وأدخلني معه إلى قعر الكهف بحيث لا يرانا أحد من الناس، ثم إنه أرسلني وجعل يذهب ويرجع ويتكلم بكلام لم أفقهه، وبقي كذلك ساعة، ثم أخرجني، فوجدت أبي ينتظرني وهو في غاية الضيق والضجر من فعله ذلك بي، فلما أشرفت عليه، أخذ بيدي وأفردني عن الناس وسألني عن شأني، فأخبرته بذلك، فسري عنه واستراح، انتهى.

توفي، رضي الله عنه، عشية يوم الخميس مهل صفر سنة خمس عشرة وألف.

قال بعض الفقهاء ممن عاصره : وكانت له جنازة حافلة حضرها جماعة من الموسومين بالخير وأكابر الوقت على أرجلهم، وما وجد أحد نوبة لتجهيزه وتكفينه، انتهى.

وأخذ، رضي الله عنه، علم الحقيقة، على ما ذكر لي بعضهم ممن له معرفة ببعض أخباره، عن الشيخ أبي عثمان سعيد بن عبد النعيم، وهو عن الشيخ التباع، عن الشيخ الجزولي، رضي الله عنهم أجمعين.

* مجبر

ومنهم الشيخ سيدي مجبر دفين خارج باب الشريعة من فاس المعروف بباب المحروق، قرب باب السبع(637) خارج فاس الجديد، وروضته هنالك معروفة يزار بها ضريحه ويتبرك به.

حدثني السيد العالم الجليل أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي، حفظه الله، أنه سمع الشيخ الإمام، الولي الكبير سيدي محمد بن محمد بن عبد الله معن، رضي الله عنه، يقول : كان سيدي مجبارا في أول أمره يخدم بعض السلاطين ويلازمه لا يفارقه، مقتصرا عليه لا يعرف سواه، فذهب معه يوما خارج البلد للصيد، وكانت امرأة السلطان قد اشتهت رأس ذئب وكانت حاملا، فذهبوا واصطادوا ذئبا، وبعث السلطان برأسه مع سيدي مجبر وأعلمه بأن أهل داره منتظرون له، فذهب به مسرعا، فلقيته امرأة فقالت له : إني إمرة شريفة من أهل

* ترجمته أيضا في : **سلوة الأنفاس**، 220/3.

(637) ويسمى أيضا باب الدكاكين، ولعل تسميته بباب السبع تعود لكثرة الصور والطوابع البريدية العتيقة التي كانت تزينه (راجع : **فاس قبل الحماية**، 104/1).

البيت، وإني حامل، وقد اشتهيت هذا الرأس الذي في يدك، فعاملني به لوجه النبي، ﷺ، فمكنها منه وانصرف. ثم لما أتى السلطان بعد، سأله أهل داره عن الرأس فقال لهم : قد بعثت به مع مجبر، فقالوا : ما أتانا مجبرا ولا غيره بشيء. فغضب إذ ذاك وبعث إليه، فأتي به فسأله، فأخبره أنه أعطاه إمرأة شريفة اشتهته وسألته بالنبي، ﷺ، فأمر بقطع يده فقطعت، ثم بسجنه فسجن. ثم لما كان وقت من الليل غلبته عينه فنام، فرأى النبي، ﷺ، فذكر له قضيته وشكى له حاله، فأخذ، ﷺ، كفه التي قطعت ووضعها على محل القطع من ذراعه كما كانت أولا وألصقها به، فلصقت وصارت مثل ما كانت قبل كأن لم تكن قطعت، ثم استيقظ فوجد يده كذلك مثل اليد الأخرى، ورأى ما بهر عقله، وعظمت إذ ذاك عليه منة النبي، ﷺ، وتاب إلى الله مما كان فيه من خلطة أبناء الدنيا والإعراض عن الله، ثم أنهي خبره إلى السلطان، فأمر بإحضاره بين يديه، فجيء به، فرآه مثل ما وصفوا له، ويده صحيحة لا بأس بها. فسأله عن شأنه فأخبره بقصته، فخجل وجعل يعتذر له ويطلب منه الصفح، وأن يعود إلى ما كان عليه أولا معه من خدمته إياه فقال له عند ذلك : هيهات ! ذلك لا يكون أبدا، إني خدمتك مدة طويلة من السنين أتبع فيها رضاك وما خالفتك في شيء تحبه أبدا إلا مرة واحدة، فجازيتني عليها بأعظم عقوبة وهي قطع يدي، والنبي، ﷺ، ما خدمته قط وخالفت أمره مدة سنين عديدة في كل ما أمرني به، وما فعلت في جانبه خيرا أبدا إلا مرة واحدة، وهي إعطائي رأس ذئب لحفيدته فجازاني على ذلك أعظم الجزاء، وهو رد يدي المقطوعة كما كانت، فلا أخدم إلا النبي، ﷺ، ولا أخدمك أبدا. انتهى كلام سيدي محمد بن عبد الله في سيدي مجبر، رحمه الله، وهي قضية معلومة شهيرة.

وفي رواية عن بعض الإخباريين، أن سيدي مجبارا كان ديارا عند السلطان ويمشي بالباز بين يديه متصيدا. والديار هو الذي لا يفارق دير سرج السلطان محاذيا له، يسير بسيره لا يسبقه أحد، انتهى.

فسيدي مجبار على هذا أخذ عن النبي، ﷺ، بلا واسطة ولم يعرف له شيخ بعد.

وصاحب الترجمة هذا هو غير الشيخ الإمام شيخ المقرئين والنحاة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مجبر المساري صاحب «**الطرر**» وإمام مسجد الشرفاء(638)

(638) بناه إدريس الثاني بعدوة القرويين سنة 193هـ (راجع : **جذوة الإقتباس**، 132/1؛ **فاس قبل الحماية**، 57/1).

المتوفى في يوم الجمعة سادس عشر محرم سنة ثلاث أو خمس وثمانين وتسعمائة، وولد في حدود سنة ثمان وتسعين وثمانمائة، وقبره بروضة سيدي محمد بن الحسن نفعنا الله به.

خاتمـــة

انتهى الكتاب المبارك المسمى بـ«**الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**» بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الشامل ويمنه، وأنا أستغفر الله من كل داعية دعتني إلى تصنع أو تزين أو إظهار حال أو مقال بتصريح أو تلويح، أو داعية إلى رياسة من استبلاس ما لا يرضي الله بوجه ولا حال من كثير أو قليل، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[639]. وقد أنجز الله سبحانه ما ألهمنا إليه مما ذكرناه واستفدناه، نسأله سبحانه أن لا يؤاخذنا بما وقع منا من التقصير في القول والفعل، وأن يحفظنا من الزيغ والزلل، بجاه سيدنا محمد، ﷺ، الذي نزل عليه القرآن. ونسأل كل من وقف على هذا الكتاب ووجد فيه شيئا من الخلل أن يصلحه بعد إمعان النظر، ولا يؤاخذنا بالتقصير، فإن الجواد قد يكبو، والصارم قد ينبو، كما قاله الأشياخ. وما رسمناه في هذا الكتاب هو الذي انتهى إليه علمنا من خبر صلحاء فاس، وتحقق لنا أنه بقي منهم ما لا يحصى ممن لم نعثر له على ترجمة ولا تعريف به عند أحد، إما لقصور علمنا وعدم اطلاعنا، وإما لكونه لم يعرف به أحد، لكون أهل هذه البلاد معروفين بعدم الِاعتناء بذلك إلا قليلا، وقد تركنا ممن ينتسب للطريق وأهلها كثيرا ممن لم يبلغ مرتبة من ذكرنا، أو لا يعرف قبره على التعيين، كما تركنا ذكر كثير من المبطلين الذين لهم الذكر والمشهد، وإسمهم في الصالحين يعد، وليسوا هنالك ولا لهم قدم في تلك المسالك، ولا صحبة لمن هو أهل لذلك، والله يرينا الحق حقا ويوفقنا لاتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويعيننا على اجتنابه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خاتم النبيئين وإمام المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

كمل بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما أبد الآبدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(639) الآية 4 من سورة **الأحزاب**.

التنبيه

على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه

التنبيه على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الحمد لله الذي شرف أهل حضرة قدسه برفع مقامهم فوق الرؤوس والمناكب، وأنار قدرهم في أعلى سماء الكواكب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب الأرباب، شهادة نتخذها عدة ليوم الحساب، وأشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله، سيد الأصفياء والأحباب، الذين خلع عليهم خلعة الإيمان وعمر قلوبهم بزاد التقوى وألهمهم طريق الرشاد والصواب، فاشتروا الباقي بالفاني، فلله درهم في التجارة والِاكتساب، فسبحانه من أعجز العقول عند إدراك الكيفية في العاقبة والمآب.

وبعد : فيقول عبد الله محمد(640) الملقب بالشراط بن محمد بن محمد بن طاهر بن عيشون سمح الله له : إني كنت وضعت تأليفا في التعريف بالصالحين من أهل فاس سميته «**الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**» اقتصرت فيه غالبا على من له ترجمة في كتاب ووقع به تعريف، ثم إني نظرت فوجدت كثيرا من المقابر والروضات مذكورا عند الناس من أهل فاس، إما عموما وإما خصوصا، أهل محلته بالخير والفضل مشهورا لديهم، متميزا عن غيرهم من المقابر، مشاراً إليه منهم بالتعظيم والتوقير ويقصدونهم، أو بعضهم، بالزيارات، ويرون لهم كرامات وبركات، وهو غير معرف به ولا منبه عليه في كتاب. ولا يستغرب كونه بهذه المنزلة ولم يعرف به ولم توضع له ترجمة، إذ معلوم من شأن هذه البلاد عدم الِاعتناء بالتعريف، والتصدي لذلك بتأليف أو تصنيف. فكم من إمام مضى، وسيد حجحاج موصوفا بالعلم، أو مشهورا بالخير والصلاح، لم يقع لهم به اعتناء واحتفال، بل ألقي في زوايا الإغفال والإهمال، واعتبر بسيدي أبي غالب الصاريوي بفاس،

(640) في م : عبد الله بن محمد بن محمد.

ومولانا عبد السلام، وسيدي أبي سلهام، وسيدي عمر الراعي، وسيدي أبي بكر ذي الجائزة، وغيرهم ممن يكثر ذكرهم، مع اشتهارهم وشد الرحال إليهم ومشاهدة البركات الكثيرة الظاهرة لهم، هل لهم تراجم أو وقع بهم اعتناء أو إلمام في تأليف؟ فلا يلزم من عدم التعريف بهم نفي الخير عنهم.

ومدينة فاس أدامها الله للإسلام مرت عليها قرون كثيرة، وفي كل قرن احتوت على آلاف من الخلق كثيرة، وشملت أمة عظيمة، وقد كان بانيها، رضي الله عنه، يدعو لساكنها يوم حفر أساسها، حسبما هو مذكور عنه، فكيف لا يكون فيها إلا ذلك النزر اليسير الذي تضمنه كتابي المذكور، فلا جرم أنها احتوت على خير كثير وفضل كبير لم يحوه غيرها من مدن المغرب. ولما رأيت هذا، انتدبت لوضع تقييد أذيل به التأليف المذكور أذكر فيه جميع من عرفته ممن يشار إليه ويتميز عن غيره، وأسردهم سردا بذكر أسمائهم ومواقعهم، وإن كان لا يخلو بعضهم من أن تكون شهرته بخطة دنيوية، أو باتخاذ أتباع على غير بصيرة، أو بعلم ظاهر صرف، أو شبه ذلك، ككثير من أهل الروضات المبنية في زماننا هذا ممن تركنا ذكرهم، لكنا لا علم لنا بحال أولائك وسيرهم كما علمنا حال هؤلاء وسيرهم وسرائرهم إلى الله، وإذا زارهم زائر فعلى نيته، وإذا لم يحصل له منهم نفع لم يحصل ضرر، وعلى كل حال، فهذا الجمع الكثير، والجم الغفير، لا يخلو من الصالحين والصادقين والعلماء الأخيار المتقين، لا سيما وفيهم من شهد أهل البصائر بخصوصيته وقوة حاله، والله يصلح القصد والنية ويبلغ كلا أمله ومنويه.

وقد وسمت هذا الذيل بـ«**ـالتنبيه على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه**»، وهذا حين الشروع، وإلى الله تعالى المئاب والرجوع.

ذكر صالحي داخل باب الفتوح

فمنهم سيدي أبو الفرج الطنجي(641).

(641) طرة من م : محمد بن محمد الطنجي، ممن أخذ عن أبي محمد العبدوسي وأبي عمران موسى بن عبد المومن تلميذ ابن المجراد، وعن الشيخ القوري، وتوفي سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة.
وهو الفقيه، خطيب جامع الأندلس. ولعل الصواب في وفاته هي سنة 889هـ اعتمادا على ما ورد في مصادر ترجمته (راجع أيضا : **فهرس بن غازي**، ص. 121؛ **درة الحجال**، 140/2؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 243؛ **لقط الفرائد**، ص. 269؛ **سلوة الأنفاس**، 140/2؛ **فهرس الفهارس**، 112/1).

ومنهم سيدي أبو عبد الله القوري[642] الإمام العالم المحصل، شيخ الجماعة في وقته.

ومنهم سيدي أحمد زروق، والشيخ ابن غازي والشيخ ابن هلال السجلماسي وهو مذكور في «**فهرسة**» ابن غازي و«**فهرسة**» الونشريسي[643] صاحب «**المعيار**»، وكان مولده سنة أربع وثمانمائة، وتوفي أواسط ذي القعدة سنة اثنين وسبعين وثمانمائة.

ومنهم سيدي إبراهيم الحمياني ضريحه ملتصق بعتبة درج [سطح][644] باب الحمراء من باب الفتوح.

ومنهم سيدي محمد السبع ضريحه ملتصق ببير الباب الحمراء، هؤلاء الأربعة داخل الباب الحمراء من باب الفتوح.

ومنهم سيدي عبد الرحمان الثومي قرب الباب الحمراء عن يسار المار إليها من طريقها.

ومنهم سيدي محمد الشريف[645] قرب عتبة الباب الحمراء من الجهة اليمنى ملتصق بالسور.

ومنهم سيدي بو حاجة عند رجليه تغصاصة صغيرة وصخرتان قرب السور من الباب الحمراء أيضا.

---

(642) الإمام المفتي بفاس، محمد بن قاسم القوري (أصله من قورة، وهي مدينة تقع قرب إشبيلية) اللخمي المكناسي، يعتبر آخر حفاظ المدونة، توفي سنة 872هـ (راجع ترجمته في : **درة الحجال**، 295/2؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 319؛ **إتحاف أعلام الناس**، 593/3؛ **شجرة النور**، 261/1؛ **الفكر السامي**، 261/2).

(643) الفقيه، العالم المشارك، الحافظ، أحمد بن يحيى الونشريسي، نزيل فاس (سنة 874هـ) ومفتيها، أخذ عن علماء من الجزائر وفاس وبها توفي سنة 914هـ. له إلى جانب كتابه المذكور تآليف أخرى (راجع ترجمته في : **دوحة الناشر**، ص. 47؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 156).

(644) زيادة في ك1 ود.

(645) محمد بن أحمد بن يعلى الشريف، اعتقد أنه شارح «**الأجرومية**»، لذلك نسبه بعضهم لأهل القرن الثامن الهجري (راجع ترجمته في : **درة الحجال**، 213/2؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 244 ؛ **سلوة الأنفاس**، 119/2 و344/3). وفي طرة من م : سيدي محمد الشريف شارح «**الجرومية**»، وابن أجروم وابن اجطا والشريشي صاحب «**مورد الضمآن**»، جلهم في موضع واحد مدفونين، والتعريف بهم شهير.

ومنهم سيدي عبد العزيز عن يسار طريق الباب الحمراء قرب سيدي الثومي.

ومنهم سيدي علي الملقب بالكسكسو ينتسب لسيدي علي ورزق وضريحه قرب الباب الحمراء والله أعلم بما كان عليه.

ومنهم سيدي عبد الله الأغصاوي(646) قرب الباب الحمراء.

ومنهم سيدي عبد الله التمايري في الكغاطين قرب وادي الزيتون.

ومنهم مقبرة سادتنا وموالينا الشرفاء الطاهريين(647) وهي شهيرة بالكغاطين، وبالقرب منها روضة موالينا الشرفاء العمرانيين(648)، وهي أيضا شهيرة، رضي الله عنهم أجمعين وأماتنا على صحبتهم، آمين.

ومنهم سيدي أبو محمد صالح(649) في المحج، أحد شراح الرسالة من الفقهاء.

ومنهم سيدي عبد النور قرب سيدي أبي محمد صالح في المحج.

ومنهم سيدي مغيث بالروضة التي عن يسار المار لملعب الكرة عند رأس القليعة للذاهب إلى باب الفتوح.

ومنهم سيدي ابن فرحون القرطبي(650)، ضريحه معروف بقرب ذلك.

ومنهم سيدي بوحاجة بروضة في المحج يقابل زنقة سيدي محمد الكَومي.

ومنهم سيدي محمد الكَومي له نسبة صحيحة وحال وديانة، أخذ عن سيدي

---

(646) طرة من م : الذي في «**السلسل العذب**» عبد الأعلى الأغصاوي. وفي **سلوة الأنفاس**، (126/2) ورد أنه الشخص المعروف بِبَابَ العقدة الشهير عند الناس بسيدي الغزواني.

(647) أهل مصمودة من عدوة الأندلس، ويشكلون أحد فروع الشرفاء الجوطيين بفاس، وينتسبون لجدهم أبي الجمال طاهر تاسع أبناء أبي عبد الله محمد الجد الجامع لفروع الجوطية والذي كان محل سكناه بدرب الحرة من طالعة فاس (راجع : محمد بن الحاج السلمي، **الإشراف**، ص. 32؛ **مشاهير بيوتات فاس**).

(648) يشكلون أيضا أحد فروع الشرفاء الجوطيين وينتسبون لجدهم عمران سادس أبناء أبي عبد الله محمد المذكور (راجع **الإشراف**، ص. 39).

(649) صالح بن جنون الهسكوري الفاسي، أحد فقهاء فاس وعلمائها، توفي حوالي سنة 663هـ (راجع : **سلوة الأنفاس**، 42/2؛ **شجرة النور**، 185/1).

(650) ورد في **سلوة الأنفاس** أن له روضة في حومة القليعة داخل باب الفتوح (راجع : **سلوة الأنفاس**، 41/2 و343/3).

أحمد الفلالي(651)، عن سيدي الغازي(652) بن أبي القاسم، عن سيدي علي بن عبد الله الفلالي، عن سيدي أحمد بن يوسف الملياني، عن سيدي أحمد زروق.

ومنهم سيدي عبد الكريم الفشتالي، خديم سيدي أبي الشتاء، بروضة سيدي مغيث المذكور، على ضريحه قوس، بقرب سيدي أبي محمد صالح قرب زاوية بني مرين المسماة بتاحضريت.

ومنهم سيدي الغرابلي، عليه قبة لا تشابه القبب بقرب روضة سيدي محمد الطالب.

ومنهم سيدي عبد الله بن أحمد السوسي، بروضة تجاور روضة سيدي مغيث.

ومنهم السيدة زهراء الشريفة، ذكرها سيدي عبد الرحمان بن القاضي(653) قرب القبة التي فوق سيدي أبو غالب.

ومنهم سيدي كَطا، بأول الكغاطين مقابلا لزنقة أزقور.

ومنهم سيدي الحباري، بأزقور بالزنقة عن يمين الداخل إليها من ناحية سيدي كَطا.

ومنهم سيدي الفخار(654)، بأزقور أيضا، بالدار الثانية من ناحية سيدي الحباري.

ومنهم سيدي إسحاق(655)، بمصمودة(656).

---

(651) أحمد بن محمد الفلالي، دفين بني بوزرا (راجع ترجمته فيما سبق).

(652) أبو القاسم بن أحمد الملقب بالغازي، أحد مشاهير الصوفية، كانت له زوايا وأتباع، أصله من درعة، سكن سجلماسة وبها توفي سنة 981هـ (راجع : **سلوة الأنفاس**، 128/1 و48/2).

(653) الفقيه الأستاذ عبد الرحمان ابن أبي القاسم بن القاضي، المكناسي الأصل، الفاسي الدار والمنشإ، صاحب التآليف والتقاييد في فن القراءات، ولد سنة 999هـ وتوفي سنة 1082هـ (راجع ترجمته في : **ابتهاج القلوب**، ص. 195؛ **التقاط الدرر**، 188/1؛ **نشر المثاني**، 194/2؛ **سلوة الأنفاس**، 223/2؛ **الحركة الفكرية**، ص. 369).

(654) طرة من م : الفخار، فاسي مذكور في التواريخ، لا أدري هل هو أو غيره.

(655) طرة من م : سيدي إسحاق عرف به في «**السلسل العذب**» وابن الزبير وغيرهما. أورده الكتاني في **سلوة الأنفاس** (342/1) في صلحاء حومة درب الشيخ، وقال عنه : إسحاق الملقب بعبد العلا ابن أبي العباس أحمد دفين جرواوة قريبا من باب بوجيدة، والده هو يعلى دفين طالعة فاس، ووفاته بالتقريب أواخر القرن الثالث وضريحه بداره المجاورة لمسجده الذي عن يسار الخارج من درب الدرج طالعا لناحية باب الفتوح.

(656) ودرب مصمودة المذكور يقع في حومة الجزيرة.

ومنهم سيدي البيطار، خارج باب درب مصمودة فوق سيدي إسحاق.

ومنهم سيدي العلام، بزنقة أبي ميمونة قرب مسجد سيدي الدراس بالدار الأولى عن يمين الداخل لزنقة مصمودة.

ومنهم سيدي أحمد(657) بن سيدي عياد السايح، دفين القليعة، وأبوه سيدي عياد(658) دفين باب الجيسة، لم يترك سيدي عياد إلا هو وأخاه سيدي محمد(659) وأختهما العابدة الصالحة التي لم تخالط الدنيا بشيء سوى العبادة وقراءة القرآن، وهي دفينة عند رجليه، واسمها آمنة(660)، كان بيتهما بالبليدة بدرب عين الناس في الدار المقابلة لداخل الدرب المذكور بمدينة فاس المحروسة. توفي سيدي أحمد المذكور في عام خمسة أواق(661)، وكان يوم توفي اشتدت حاجة الناس للمطر فرحمهم الله في ذلك اليوم بالمطر من بركة هذا السيد، وهو ينتسب لصحبة سيدي عبد الله بن حسون(662)، وهو عن سيدي عبد الله الهبطي، عن سيدي عبد الله الغزواني، عن سيدي عبد العزيز التباع، عن سيدي محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن سليمان الجزولي الشريف الحسني مؤلف «**دلائل الخيرات**».

ومنهم سيدي بووردة، بأسفل روضة سيدي أحمد السايح.

ومنهم سيدي عبد الرحمان بن منصور(663)، بقرب سيدي أحمد السايح أسفل منه.

---

(657) طرة من م : سيدي أحمد، لعله هو الذي كان في مستودع جامع الأندلس، توفي سنة اثنين وعشرين وألف (راجع أيضا : **نشر المثاني**، 157/2؛ **التقاط الدرر**، 168/1؛ **سلوة الأنفاس**، 39/2).

(658) توفي أواخر القرن العاشر أو أوائل الحادي عشر (راجع : **سلوة الأنفاس**، 20/2 و119/3).

(659) الفقيه العدل، أورده القادري فيمن توفوا سنة 1005هـ (راجع : **التقاط الدرر**، 281/1؛ **نشر المثاني**، 62/1؛ **سلوة الأنفاس**، 40/2).

(660) ورد ذكرها أيضا في : **نشر المثاني**، 158/2؛ **سلوة الأنفاس**، 40/2.

(661) وهو عام 1076هـ الذي اشتد فيه الغلاء بحصار المولى الرشيد لمدينة فاس فبلغ فيه ثمن القمح خمس أواق للصاع. وذكر الكتاني في **السلوة** في ترجمة مبارك بن عبابو الكوش أن مباركاً هذا صرح بمجيء غلاء سنة 1022هـ ورجح الكتاني أن تكون وفاة صاحب الترجمة في هذه السنة (راجع : **نشر المثاني**، 157/2؛ **سلوة الأنفاس**، 39/2).

(662) الأستاذ الصوفي، الصالح الزاهد، عبد الله بن أحمد بن حسون الخالدي السلاسي، درس بمنطقة سلاس وبلاد الهبط وتخرج بفاس على يد عبد الواحد الونشريسي وطبقته، رحل من فاس إلى سلا حيث استقر وانقطع للتدريس بالجامع القريب من سكناه، توفي سنة 1013هـ (راجع ترجمته في : **الإعلام بمن غبر**، ص. 311؛ **نشر المثاني**، 129/1؛ **سلوة الأنفاس**، 39/2؛ **الحركة الفكرية**، ص. 344).

(663) الفقيه عبد الرحمان بن منصور، كان مؤدبا للصبيان بمكتب درب الشيخ (انظر: **سلوة الأنفاس**، 40/2 و343/3).

ومنهم سيدي الحاج أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني القرطبي، المعروف بابن حنين، بالتصغير، قرب رحبة الزرع من العدوة [وتقدم ذكره في «**الروض**»][664]، وممن أخذ عنه سيدي عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري دفين سبتة أعادها الله دار إسلام.

ومنهم سيدي أحمد الشريف قرب سيدي السايح.

ومنهم سيدي الشريف صاحب مسجد درب السعود، ضريحه مقابل لرأس سيدي كَطا، بينهما المحج عن يمين المار به.

ومنهم سيدي الحاج بودرهم بإزاء باب الخوخة[665].

ومنهم سيدي فاتح.

ومنهم سيدي مفتاح بباب الخوخة.

ومنهم سيدي خلف الله[666] قرب جامع الجنائز بجامع الأندلس، وإليه ينسب درب سيدي خلف الله. توفي سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة[667].

ومنهم سيدي الحسن بن ريسون[668] قرب جامع الأندلس، نسبة لسيدي الحسن الشريف العلمي الإدريسي الحسني بن محمد بن علي بن عيسى بن عبد الرحمان بن الحسن بن موسى بن الحسن بن عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد الله بن يونس بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن مزوار بن حيدرة، وهو علي بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما. اللهم يا رب بجاههم عندك أمتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، يا أرحم الراحمين.

---

(664) زيادة في ك1 ود.

(665) هو باب الكنيسة قديما، بناه الناصر الموحدي حين جدد سور المدينة سنة 601هـ (راجع : **زهرة الآس**، ص. 103).

(666) ذكر الكتاني في **سلوة الأنفاس** (355/1) أن الشخص المعني هو خلف الله بن عبد القادر دفين حومة أشنيخن بعدوة الأندلس وهو شريف إدريسي، وليس هو خلف الله المجاصي المالكي دفين درب عقبة علي المصالي الذي كان يحمل آسم درب جلول بن الحاج وأصبح يحمل، حين دفن به خلف الله، آسمه كما ذكره ابن عيشون.

(667) التحقيق في وفاته هي سنة 732هـ كما في **جذوة الإقتباس** (ص. 192)؛ **ودرة الحجال** (259/1).

(668) فقيه محدث وصوفي، قرأ على والده بتزروت وعلى عبد الرحمان الفاسي وطبقته بفاس، له تأليف في مناقب الريسونيين ترجم فيه لوالده وأعمامه، توفي سنة 1055هـ (راجع : **ابتهاج القلوب**، ص. 194؛ **التقاط الدرر**، 120/1؛ **نشر المثاني**، 30/2؛ **سلوة الأنفاس**، 7/2؛ **الحركة الفكرية**، ص. 465).

ومنهم سيدي علي بن منصور، بروضة سيدي الحسن بن ريسون سابقا عليه.

ومنهم سيدي عبد النور، قرب سيدي الحسن بن ريسون بالروضة المعروفة للسقاط عن يسار الداخل إليها.

ومنهم سيدي محمد[669] بن أحمد، قرب سيدي الحسن بن ريسون، توفي عام ستين وألف، ينتسب للطريق، وأخذ عن رجل يقال له سيدي عبد الله بن كَرير الحسني بصاريوة من بني يازغة، ولا نعرفه، وأخذ أيضا عن سيدي علي الهيري بفاس.

ومنهم سيدي بورمانة[670]، بالفخارين.

ومنهم سيدي أحمد بن يحيى الونشريسي، قرب سيدي محمد بن عباد، وهو العالم المشهور صاحب كتاب «**المعيار**» وغيره.

ومنهم العالم الصالح، السيد البركة، سيدي أبو القاسم[671] بن علي، عرف بابن خج الخلوفي الحساني، رحمه الله ونفعنا به، توفي، رحمه الله، سنة خمسين وتسعمائة، وحضر سلطان وقته جنازته مع كافة الناس، وكسر نعشه وحمل أطرافا للتبرك، ودفن بباب روضة الشيخ محمد بن عباد، أعني الباب الأول عليه مقبرية رخام.

ومنهم سيدي السمار، قرب سيدي الونشريسي.

ومنهم سيدي علي بن مشيش الشريف الحسني الإدريسي، قرب سيدي أبي غالب.

ومنهم سيدي عمر الشريف[672]، ضريحه يقابل سيدي أبا غالب.

ومنهم سيدي مخلوف بالفخارين، قرب سيدي علي الهيري.

---

(669) محمد بن أحمد بن منصور الإدريسي، الشهير بالزكَاري، من الشرفاء الأدارسة المعروفين بالزكَاريين وضريحه قرب الفخارين (راجع : **سلوة الأنفاس، 6/2**).

(670) سمي كذلك لأنه كانت عند رأسه رمانة نابتة (راجع : **سلوة الأنفاس، 5/2**).

(671) الفقيه النوازلي المفتي بالبلاد الهبطية، من المتخرجين بفاس على طبقة الإمام ابن غازي، كان الطلبة والعامة يقصدونه بالبلاد الهبطية للأخذ عنه، فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد ترك رسائل تدور موضوعاتها حول المشاكل الإقتصادية والإجتماعية لتلك الجهة. وقيل في وفاته أيضا إنها كانت سنة 956هـ (راجع ترجمته في : **دوحة الناشر**، ص. 14؛ **درة الحجال، 286/3**؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 111؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 44؛ **سلوة الأنفاس، 149/2**).

(672) عمر الشريف الحسيني، بالتصغير، من أصحاب يوسف الملياني، نسب لاهل القرن العاشر الهجري (راجع : **سلوة الأنفاس، 11/2**).

ومنهم سيدي أبو غالب(673)، ضريحه قرب سيدي محمد بن عبد الرحمان بن جلال(674).

ومنهم سيدي علي الركَيكَي(675)، بروضة سيدي أبي زيد الهزميري، دفنا معا.

ومنهم سيدي أبو عمران التسولي(676) خارج باب روضة سيدي أبي زيد الهزميري يجعله الزائر الواقف على باب روضة سيدي أبي زيد المذكور على كتفه الأيمن.

ذكر صالحي خارج باب الفتوح نفعنا الله بهم

فمنهم أهل روضة سيدي يوسف الفاسي، رضي الله عنه ونفعنا به، وقد اشتملت على عارفين ومجذوبين، وسالكين وناسكين ومن له قدم في الطريق أو نسبة صحيحة من أصحابه وأصحاب أصحابه وأتباعه، وهم كثيرون نعرف أسماء كثير منهم تبركنا بذكرهم اختصارا.

ومنهم سيدي أحمد(677) حبيب أسفل قبة سيدي يوسف الفاسي وما معها من القبب، أخذ عن سيدي أحمد الغماري(678) عن سيدي أحمد الحساني، عن سيدي علي صالح، عن سيدي عبد العزيز التباع، ثم أخذ سيدي حبيب أيضا عن سيد يوسف الفاسي ولازمه مدة.

---

(673) هو أبو غالب الصاريوي (انظر ترجمته فيما سبق).

(674) محمد بن عبد الرحمان بن جلال المغراوي التلمساني، مفتي فاس وخطيب جامعي الأندلس والقرويين بها، توفي حوالي سنة 981هـ (راجع ترجمته في : **دوحة الناشر**، ص. 123؛ **سلوة الأنفاس**، 28/2).

(675) لعله علي الركَراكي المذكور في **سلوة الأنفاس** (59/2)، دفين روضة أبي زيد الهزميري.

(676) في م : موسى بن محمد بن الحسن ابن أبي بكر التسولي، الشيخ الصالح الورع الأستاذ، شيخ ابن الأزرق مؤلف «**الحلال والحرام**»، توفي بمدينة فاس سنة 716هـ، ودفن بمقبرة مسجد الصابرين داخل باب الجيزيين قرب أبي زيد الهزميري. من **درة الحجال** لابن القاضي (راجع ترجمته أيضا في : **وفيات الونشريسي**، ص. 102؛ **لقط الفرائد**، ص. 174؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 346؛ **سلوة الأنفاس**، 62/2).

(677) الفقيه الصوفي، أحمد بن علي، وقيل بن محمد، المعروف بحبيب الأندلسي الرندي، نزيل فاس، كانت له زاوية بالمخفية، وله رسائل ومؤلفات في التصوف، توفي سنة 1013هـ (راجع ترجمته في : **الإعلام بمن غبر**، ص. 321؛ **التقاط الدرر**، 117/1؛ **سلوة الأنفاس**، 365/2).

(678) والصواب محمد بن أحمد الغماري المالقي الفاسي، صاحب الزاوية بالمخفية، توفي بالمدينة المشرفة عام 968هـ (راجع : **الإعلام بمن غبر** وفيه ورد أن وفاته كانت سنة 998هـ، وهو خطأ؛ **سلوة الأنفاس**، 366/2).

ومنهم العالم الشهير، الحاج المجاهد، أبو محمد عبد الواحد بن عاشر[679]، وقوسه في غربي روضة سيدي يوسف الفاسي معروف، ويعتقد سيدي محمد بن عزيز دفين الدرب الطويل وينتسب إليه، وتوفي عام أربعين وألف، عن خمسين سنة.

ومنهم سيدي بوجبنة، عن يسار روضة سيدي علي الصنهاجي.

ومنهم أهل روضة الأنوار، وهو سيدي علي بن محمد صالح الأندلسي وأصحابه وأتباعه، وتوفي في حياة شيخه سيدي عبد العزيز التباع سنة ثلاث وتسعمائة، ودفن بروضته المسماة بروضة الأنوار.

وممن بالروضة المذكورة من أصحابه وأتباعه : سيدي أبو العباس أحمد الحساني، وسيدي أحمد بن قاسم الشرفي، وسيدي جناح، وسيدي عبد الحق السهلي أحد حفدة سيدي الصغير السهلي، وسيدي الزيتوني؛ وكان على كل واحد منهم بناء قوس، فكان عام في السنين الماضية كثير المطر والريح، فسقط جلها.

ومنهم سيدي عبد الرحمان القيرواني، بمطرح الجنة، قرب سيدي أحمد المنجور.

[ومنهم الإمام العالم العلامة الهمام، أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواسي[680] الفاسي قرب سيدي الدراس بن إسماعيل، فقيه فاس ومفتيها وعالمها.

قال المنجور في «**فهرستـ**»ـه : هو الأستاذ المفتي الخطيب، أبو مهدي، أخذ عن شيوخ فاس وتلمسان سائر العلوم، منهم الإمام المفتي الكبير أبو محمد عبد الله العبدوسي[681] وغيره، توفي سنة ست وتسعين وثمانمائة عن سن عالية. حكي أنه خطب بفاس الجديد نحوا من ستين سنة، انتهى.

قال صاحبنا محمد بن يعقوب الأديب[682] : هو من بيت علم بفاس، لقيه

---

(679) عبد الواحد بن أحمد بن عاشر بن سعد الأنصاري، الأندلسي، الفاسي، ولد سنة 990هـ، وقيل إنه توفي مسموما (راجع ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 59؛ **التقاط الدرر**، 91/1؛ **سلوة الأنفاس**، 274/2؛ **نشر المثاني**، 91/1).

(680) انظر ترجمته أيضا في : **وفيات الونشريسي**، ص. 152؛ **درة الحجال**، 192/3؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 502؛ **سلوة الأنفاس**، 314/3.

(681) عبد الله بن محمد بن موسى بن معطي العبدوسي، الفقيه، خطيب جامع القرويين، توفي حوالي سنة 958هـ (راجع ترجمته في : **فهرس ابن غازي**، ص. 65؛ **درة الحجال**، 53/3).

(682) الأديب والمؤرخ، محمد بن يعقوب، ذكره الكتاني في **سلوة الأنفاس**، 314/3.

العلامة سقين وأخذ عنه هو وغيره، قلت : ووقع النقل عنه في «**المعيار**» في مواضع. ووالده هو العباس أحمد بن محمد الماواسي[683]، الشيخ الفقيه الصالح، أبو العباس، توفي عام اثنين وأربعين وثمانمائة. هذا قاله صاحبنا ابن يعقوب، انتهى من «**نيل الإبتهاج**»][684].

ومنهم سيدي السفاح[685]، بمطرح الجنة.

ومنهم سيدي مسعود الدراوي، توفي عام اثني عشرة وألف، وأخذ أولا عن سيدي يوسف الفاسي وعلى يده كان فتحه، ثم أوصله لشيخه سيدي عبد الرحمان المجذوب، فأخذ عنه واشتهرت نسبته إليه، وحوله رجال ينتسبون إليه ويرجون رحمة الله من بابه، والله واسع الكرم والجود.

ومنهم أبو الحسن علي[686] بن الحاج، وأبو العباس أحمد بن دريهم[687]، وأبو عبد الله محمد أبو شامة[688] البعاج الصبيحي، رحمهم الله.

ومنهم سيدي أحمد الميسوري[689]، بهلول، مدفون بباب روضة سيدي مسعود الدراوي.

[ومنهم سيدي محمد الخلطي، بهلول، دفين روضة سيدي مسعود الدراوي.

ومنهم سيدي عمر الرجراجي شهير، الدعاء عند قبره مستجاب، عند رأسه قوس، ومعه قبران فيه، هو الأوسط عن يسار الطريق لسيدي يوسف الفاسي][690].

ومنهم سيدي إبراهيم الراضي[691] قرب سيدي الدراس بن إسماعيل.

---

(683) راجع ترجمته أيضا في : **وفيات الونشريسي**، ص. 141، وفيه ورد أنه توفي سنة 840هـ؛ **لقط الفرائد**، ص. 248؛ **جذوة الإقتباس**، ص. 126؛ **كفاية المحتاج**، ص. 122؛ **سلوة الأنفاس**، 245/3.

(684) زيادة في م.

(685) يؤخذ من وفاة رضوان الجنوي، وكانت سنة 991هـ، أن السفاح قد عاش قبل هذه الفترة بدليل أن رضوان الجنوي كان يزور قبره (راجع : **سلوة الأنفاس**، 57/3).

(686) توفي عام 1049هـ (راجع : **سلوة الأنفاس**، 236/2).

(687) توفي سنة 1044هـ (**سلوة الأنفاس**، 236/2)، وفي **نشر المثاني** (335/1) ورد أن وفاته كانت سنة 1045هـ.

(688) راجع ترجمته فيما سبق.

(689) توفي سنة 1075هـ (راجع : **سلوة الأنفاس**، 237/2).

(690) زيادة في م (راجع ترجمة كل من الخلطي والرجراجي فيما سبق).

(691) أورده المدرع في **منظومتـه** باسم الكَرّاذْ.

ومنهم السيد الفقيه البركة الخاشع، سيدي محمد بن حسين الرفاعي قرب سيدي الدراس أيضا، وأخذ أولا عن سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي(692)، ثم عن سيدي محمد بن عبد الله معن، ولازمه إلى أن مات في حياته قرب موته.

ومنهم سيدي محمد بن بكار(693)، بروضة تقابل باب روضة سيدي رضوان الأولى، على ضريحه حجر منجور محفوف به.

ومنهم سيدي عاصم، فوق الصهريج عن يمين باب الجيزيين وتسمى الآن بالباب الحمراء.

ومنهم سيدي سعيد بن هبيرة(694)، ويسميه أكثر الناس الآن سيدي البناد.

ذكر صالحي داخل المدينة

فمنهم سيدي بوكاسة(695)، بمسجده المعروف بجامع الحجاج من مصمودة، ضريحه وراء المحراب عن يمنة المستقبل.

ومنهم سيدي النخاس، بدرب الشيخ.

ومنهم سيدي المخفي، بمسجده بالمخفية.

ومنهم سيدي زكري، بالقوس من جزاء ابن عامر بالدار الثالثة من الدرب عن يسار الداخل له من جزاء ابن عامر.

ومنهم سيدي الدقاق(696)، في رأس الجنان بروضة سيدي عزوز، مدفون معه.

---

(692) محمد بن أبي بكر المجاطي الصنهاجي الدلائي، أشهر علماء الزاوية الدلائية، ولد بالدلاء سنة 967هـ ودرس بالزاوية حيث أخذ عن شيوخها، توفي سنة 1046هـ (انظر : **الزاوية الدلائية**، ص. 76).

(693) الفقيه محمد الأصغر، به عرف، ابن أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن بكار، توفي أول سنة 975هـ ودفن بفاس. قيل إنه مات مسموما (راجع ترجمته في : **دوحة الناشر**، ص. 65؛ **سلوة الأنفاس**، 265/2).

(694) طرة من ح : إنما هو واحد، وسعيد اسمه، والبناد : معناه العلام، قيل، لأنه كان يحمل راية مولانا إدريس نفعنا الله به. وذكر الكتاني (**سلوة**، 163/2) أن العامة تسميه «فتوح» وفتوح هذا شخص آخر مدفون داخل باب الفتوح.

(695) ويسمى أيضا ابن كاسة (انظر : **سلوة الأنفاس**، 340/3؛ **جامع القرويين**، 684/3).

(696) محمد الدقاق الفاسي، كان يبيع الدقيق قبل أن يأخذ الطريق عن عبد الله الغزواني فنسب لهذه الحرفة. واختلف في محل دفنه، فقيل إنه بروضة القادريين بحومة رأس الجنان، وقيل دفن بمراكش (انظر : **سلوة الأنفاس**، 289/1).

ومنهم سيدي عبد السلام البرنسي، في الرشم من العيون بداره المقابلة للسقاية.

ومنهم سيدي عبد القادر بن بويحيى، بداره الأولى عن يمين الداخل للزنقة الأولى من باب العيون، عن يسار المار بالطريق.

ومنهم سيدي ابن شليش(697)، بدرب ابن شليش، بالدرب المعروف الآن بدرب ابن شليش، بداره في قعر الدرب المذكور.

ومنهم سيدي الدكالي، بدرب تريال بالدار الأولى عن يمين الداخل.

ومنهم سيدي صوال(698)، بالعقبة المذكورة لسيدي صوال، بالدار الثانية من الجامع السفلي عن يسار الذاهب للعقبة.

ومنهم سيدي عبد الرحمان البياض، بجامع(699) عقبة ابن صوال السفلى التي تقابل(700) دار الشرفاء الطاهريين(701).

ومنهم سيدي مصباح، بدرب سيدي مصباح من العقبة الزرقاء بداره، وهي الأولى عن يسار داخل الدرب المذكور.

ومنهم سيدي عبد النور.

ومنهم سيدي عفيف(702)، بداره الأولى قبل دخول الدرب المذكور، عن يمين الداخل، وروضته فوقها أروى تقابل القادم من قنطرة الصباغين(703).

ومنهم سيدي الصنهاجي(704).

---

(697) الفقيه محمد بن شليش، من بيت بني شليش المطغريين، وهم من البربر، وإليهم ينسب الزقاق المذكور الذي يوجد قرب عقبة ابن صوال، وبيتهم بفاس بيت علم وثروة (انظر: عبد الرحمان الفاسي، **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس؛ سلوة الأنفاس، 337/3**).

(698) لعله من بيت بني صوال الذين ينسب لهم الزقاق المعروف بفاس، وبيتهم بفاس بيت فقه وثروة ولا عقب لهم (راجع : **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس؛ سلوة الأنفاس، 301/1**).

(699) ويسمى بمسجد ابن البياض (راجع : **جامع القرويين، 684/3**).

(700) في م : تقارب.

(701) توجد بحومة الجزيرة (راجع : **سلوة الأنفاس، 343/1**).

(702) ويسميه البعض سيدي العمراني، ولعل سيدي العمراني هذا شخص آخر مدفون معه فنسبت له الدار، أو أنه عمراني الأصل، ويحتمل أن يكون الناس قد قلبوا اسمه (راجع : **سلوة الأنفاس، 338/3**).

(703) هي المسماة أيضا قنطرة سيدي العواد (راجع : **سلوة الأنفاس، 338/3**).

(704) ذكر اللمتوني في «**اللؤلؤ المكنون**» أنه غير المذكور بعده، وأنه دفين رحبة الزبيب من العقبة الزرقاء.

ومنهم سيدي عبد الرحمان، هؤلاء الأربعة بجزاء بن زكون.

ومنهم سيدي عبد الله الشريف(705)، بزنقة دار الثقات تقابل قنطرة الصباغين.

ومنهم سيدي عبد الله الصنهاجي، بزنقة دار الثقات(706).

ومنهم سيدي طلوق(707).

ومنهم سيدي اللجائي(708)، ضريحه بجامع سيدي طلوق عند أساس الصومعة داخلها.

ومنهم سيدي علي التواتي(709)، بروضة سيدي محمد بن سعيد الدبدوبي.

ومنهم سيدي محمد الدبدوبي(710)، المذكور قرب جامع الشوك من الرميلة، توفي سنة ست وثلاثين وألف، وأخذ عن سيدي الحسن الجزولي دفين خارج باب الفتوح.

ومنهم سيدي الصواف، بزنقة المسيد بالرميلة.

ومنهم سيدي مخلوف، بدرب الجيار قرب جامع سيبوس(711).

ومنهم سيدي مغيث، بالدرب الجديد بالدار الأولى.

ومنهم سيدي عبد النور، في النخالين في قعر الزنقة، بدار تقابل الداخل.

---

(705) وهو الملقب عند العامة بالحداد (راجع : **سلوة الأنفاس، 338/3**).

(706) والزنقة المذكورة هي المسماة بدرب الساقوط (انظر : **المصدر و ج وص نفسها**).

(707) إليه ينسب المسجد المعروف بمسجد طلوقة ويحرفه العوام إلى طلوق وهو إسم لسيد محسن له وصايا على المعوزين، والمسجد يجاور باب السلسلة (راجع : **جامع القرويين، 684/3**).

(708) ترجم الكتاني في **سلوة الأنفاس** (304/1) لأربعة أشخاص يحملون آسم اللجائي، لكنه لم يعرف أيهم مدفون مع سيدي طلوق بجامعه.

(709) علي بن الحاج التواتي، دفين بين المدن بقرب مسجد الشوك، توفي سنة 1058هـ (راجع : **سلوة الأنفاس، 367/1**).

(710) وأخذ أيضا عن علي الهيري (راجع عنه : **التقاط الدرر، 88/1؛ نشر المثاني، 276/1؛ سلوة الأنفاس، 367/1**).

(711) يقع في حومة الكذان، ويعرف بمسجد سيدي يونس وتحرفه العامة إلى سيبوس (راجع : **جامع القرويين، 684/3**).

ومنهم الشيخ الشهير، سيدي أبو الحسن علي بن محمد الحارثي[712]، دفين الرميلة عدوة فاس، توفي، رضي الله عنه، سنة أربع وألف. وكان ممن أخذ عنه الطريقة، وانتفع به في الحقيقة، الشيخ الشهير، أبو عبد الله سيدي محمد بن عطية[713]، دفين الرميلة أيضا قريبا من ضريح شيخه المذكور. توفي، رضي الله عنه، في الثامن عشر من القعدة الحرام سنة اثنين وخمسين وألف.

ومنهم الشيخ أبو العباس سيدي محمد[714] بن علي الدرك، دفين الرميلة أيضا، بزاوية أخيه في الله الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن عطية المذكور، توفي نفعنا الله به، سنة تسع وخمسين وألف. وكان الشيخ أبو الحسن سيدي علي ابن سيدي محمد الحارثي المذكور أخذ الطريقة عن شيخه الشهير أبو العباس سيدي أحمد بن موسى[715] دفين إيليغ من سوس الأقصى، ولقي قبله جماعة من المشايخ الصوفية، رضي الله عنهم، منهم سيدي عبد الله بن حسين، دفين تمصلوحت، وغيره من مشايخ أهل زمانه، وكلهم انتفع بما سمع منهم حتى ظهرت عليه بركاتهم وانتفع به خلق كثير؛ وبركته وكرامته لم تزل ظاهرة مشهورة، نفعنا الله به.

ومنهم سيدي مجبر، في النخالين عن يسار الداخل للزنقة، دفن مع سيدي عبد النور.

ومنهم سيدي عبد الرحمان السوسي، في المكتب يقابل الشيبوبة[716] تحت الجامع عن يمين درب الغرابلي.

---

(712) علي بن محمد الحارثي السوسي، نزيل زواغة، حيث كانت له زاوية، وقيل في وفاته أيضا إنها كانت سنة 1010هـ، ودفن بمسجد ابن عطية بالحومة المذكورة (راجع : **صفوة من انتشر**، ص. 56؛ **نشر المثاني**، 59/1؛ **سلوة الأنفاس**، 367/1).

(713) الفقيه الصوفي، محمد بن محمد بن عطية السلوي الأندلسي، درس بسلا وفاس، له تأليف في التصوف وفهرست، دفن بمسجده المنسوب له (راجع ترجمته أيضا في : **صفوة من انتشر**، ص. 80؛ **التقاط الدرر**، 117/1؛ **نشر المثاني**، 24/2؛ **الحركة الفكرية**، ص. 446).

(714) في م : أحمد.

(715) الصوفي العالم المشارك، أحمد بن موسى السملالي، ولد ببلده سملالة وبها درس، ثم انتقل إلى منطقة تازروالت حيث أسس زاويته الشهيرة. توفي سنة 971هـ (راجع ترجمته في : **دوحة الناشر**، ص. 112؛ **درة الحجال**، 165/1؛ **تحفة أهل الصديقية**، ص. 25؛ **سلوة الأنفاس**، 367/1؛ **الحركة الفكرية**، ص. 601).

(716) موضع يقع بين الحدادين وبين المدن، وبه يسمى الجامع الذي يقع في نهاية الحدادين قرب سيدي مغيث (انظر : **جامع القرويين**، 684/3).

ومنهم سيدي عبد النور، بالنخالين أيضا.

ومنهم سيدي المليلي[717]، ضريحه عن يسار المحراب بجامع رحيبة ابن رزوق[718].

ومنهم سيدي الفخار، بزنقة مقابلة لأرحى وفرن سرادة.

ومنهم سيدي الخضار[719]، ببومبير حول درب الخضار عن يمين الداخل للزنقة.

ومنهم سيدي العواد[720]، بقنطرة العوادين بداره، وضريحه تحت المسجد.

ومنهم سيدي علي بودلامة، بداره في زنقة طويلة، وهي الزنقة الرابعة عن يسار الداخل للدرب الطويل من باب حارة قيس[721]، والدار في قعر الزنقة المذكورة عن يسار الداخل إليها.

ومنهم سيدي سليمان الغماري[722]، بدرب تازغدريت فوق فرن النوالة من البليدة.

ومنهم سيدي سلمك الله، بدرب عن يمين الساباط مقابلة درب الغماري.

ومنهم سيدي عبد الله الغريب، في الدرداس في عرصة الطالب أحمد الجباص.

ومنهم سيدي العزاف، قرب عين الرماد في عرصة البطيوي بظهر غالب.

---

(717) عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الرحمان المليلي، من عقب عبد الرحمان المليلي الصنهاجي الحميري الذي سكن مليلة أيام الموحدين فلقب بالمليلي، وأول من انتقل من عقبه لفاس، ابنه أبو بكر، وهو الجد الثالث لصاحب الترجمة. وإليهم ينسب بيت بني المليلي بفاس، وصاحب الترجمة كان فقيها شاعرا؛ وذكر الكتاني أن وفاته كانت أواخر القرن الثامن أو أوائل التاسع (راجع : **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس؛ سلوة الأنفاس، 347/1**).

(718) ويقال لها رحيبة ابن زروق، ويسمى المسجد بمسجد المليلي، ويشكل أحد فروع مسجد القرويين (انظر : **جامع القرويين، 685/3**).

(719) لعل المسجد الموجود بدرب الخضار ينسب له (راجع : **جامع القرويين، 683/3**).

(720) إليه ينسب مسجد سيدي العواد الذي يوجد يسار القادم من جزاء ابن زكون للطرافين، وداره هي التي بنيت عليه ضريحا. ويشير الكتاني (**سلوة، 306/1**) إلى أنه ليس صاحب الدربوز الذي بالمسجد المذكور (راجع أيضا : **جامع القرويين، 684/3**).

(721) لعلها رحيبة قيس التي ينسب لها مسجد قيس؛ وقيس هذا ربما هو قيس الإشبيلي (راجع عنه : **جامع القرويين، 684/3**).

(722) إليه ينسب مسجد الغماري الموجود بحومة البليدة وبه قبره (راجع : **جامع القرويين، 684/3**).

ومنهم سيدي جياد والسيدة حفصة زوجته، نفعنا الله بهما، بمسجده عن يمين المحراب بزنقة الجياد(723).

ومنهم سيدي يدير(724) بن محمد، من حفدة سيدي سعيد وعمني الجراري ضريحه بزنقة التيالين.

ومنهم سيدي المستاري، المدعو باسنانو(725)، خديم سيدي يدير، ضريحه مع شيخه بدار بالتيالين.

ومنهم سيدي محمد العابد، خديم سيدي يدير، برحاة الحنا من النجارين، في الدار المقابلة للمسيد. وهذان الرجلان ينتسبان للرجل المذكور، ولا نعرف حقيقة أمرهما وما كانا عليه والله أعلم بسريرتهما.

ومنهم سيدي شفا بداره الثالثة عن يمين الداخل لدرب ابن وداعة.

ومنهم سيدي خالد(726) بدار الحبس في قعر درب مينا.

ومنهم سيدي بصري بفرن الشطّا بالدار الأولى عن يمين الداخل الملتصق بالفرن.

ومنهم سيدي عبد الرحمان الفلالي(727)، ضريحه بصحن المسجد عن اليسار، والمسجد له بابان، باب لسقاية الدمناتي وباب لدرب ديور بني عامر.

ومنهم سيدي الآبار بجامعه بالشرشور(728).

---

(723) يحرفها العوام إلى الجياف، وفيها كان يسكن الأمين الحاج محمد التازي موحا (راجع : **جامع القرويين**، 709/3).

(724) توفي بفاس سنة 1042هـ (راجع : **نشر المثاني**، 306/1؛ **سلوة الأنفاس**، 217/1).

(725) اشتهر بهذا الإسم، لأنه نزع أسنانه من فمه في يوم واحد وقال حين قلعها : «قلعت والله عني لذة الدنيا وأرحت نفسي منها». توفي سنة 1074هـ (راجع : **سلوة الأنفاس**، 218/1).

(726) لعله الشخص الذي ينسب له مسجد خالد بدرب الأمانة الذي تحرفه العامة لدرب للا مينة، وذكر الكتاني (**سلوة**، 100/1) أن الدار التي بها ضريحه هي التي دفن بها قاسم بن رحمون، وهومن أولاد بن رحمون النازلين بناحية وزان (راجع : **جامع القرويين**، 683/3).

(727) عبد الرحمان بن عبد الواحد السجلماسي الفاسي، أستاذ، فقيه ومجود، توفي سنة 1029هـ، والمسجد الذي دفن به هو مسجد سيدي خيار (راجع : **نشر المثاني**، 232/1؛ **سلوة الأنفاس**، 216/1؛ **جامع القرويين**، 683/3).

(728) يتصل هذا الجامع بباب حومة الشرشور وهو يعد في جملة المساجد الخربة (راجع : **جامع القرويين**، 682/3).

ومنهم سيدي خيار، عن يمين خارج زنقة الفواح(729)، في آخر دار منها بقرب سقاية الدمناتي.

ومنهم سيدي جبل، بالشناكين، بزنقة فوق الساباط الثاني عن يسار المار بالمحجة بالدار الأولى منها على اليسار(730).

ومنهم سيدي عبد الكريم، بدرب عبد الكريم(731) بالدار السادسة عن يسار الداخل.

ومنهم سيدي الجزولي، بدرب الجزولي بالدار الثالثة عن يسار الداخل للدرب المذكور بالشناكين.

ومنهم سيدي علي الخياط(732).

ومنهم سيدي عبد الله بن أحمد، في المنية الكبيرة.

ومنهم سيدي محمد بن أحمد، في المنية.

ومنهم سيدي مغيث، في المنية الكبيرة.

ومنهم سيدي صافي، بدرب ابن صافي في الدار الأولى عن يسار الداخل للدرب المذكور.

ومنهم سيدي أبو رجاء، بمسجده المقابل لباب درب رحيبة قنديل(733).

ومنهم سيدي عبد الله الغريب، بدرب ابن زيان(734)، بداره الأولى عن يمين الداخل قرب سيدي محمد الحاج في وطا ابن فرقاجة.

---

(729) تقع هذه الزنقة بحومة الكذان.

(730) ورد في «**سلوة الأنفاس**» (393/3) أن هناك اختلافاً حول محل دفنه، فمن الناس من يقول إنه بالدار المذكورة وهي الآن خراب، ومنهم من يقول بغيرها.

(731) الدرب المذكور يوجد بالطرافين.

(732) الفقيه علي الخياط، حفيد عبد الله الخياط دفين جبل زرهون، أرخ صاحب «**سلوة الأنفاس**» (229/1) لوفاته بوفاة شيخه أبي الطيب بن يحيى دفين ميسور من بلاد ملوية الذي توفي سنة 988هـ، فتكون وفاته بذلك في أواخر القرن العاشر الهجري.

(733) ويسمى أيضا بدرب أهل تادلا، وهو مجاور لروضة عبد السلام التواتي (ت 1155هـ) وصاحب الترجمة مدفون بالقرب من سيدي يونس بالمسجد المذكور.

(734) يقع في حومة زقاق الحجر.

ومنهم سيدي محمد الهبطي[735]، بباب الزربطانة.

ومنهم سيدي الشريف، بالزنقة الأولى من روضة سيدي أحمد الشاوي، عن يمين الذاهب للجرف بداره في قعر الزنقة المقابلة للداخل.

ومنهم سيدي ماسان، بدرب ماسان، ويسمى الآن بدرب سيدي أحمد الشاوي بمسجده[736] داخل الدرب أو بجدار داره المجاور للمسجد.

ومنهم سيدي محمد الخياط، بسويقة الدوح.

ومنهم سيدي عبد الرحمان السوسي، دفين روضة سيدي محمد الخياط.

ومنهم سيدي محمد[737] أبو طاق الخياط، بالدوح الفوقي، ودفن عنده أحمد البادسي بوكموسة[738].

ومنهم سيدي محمد القبي، قرب سيدي الخياط المذكور.

ومنهم سيدي الغريب[739].

ومنهم سيدي الطيار.

ومنهم سيدي المحجوب، بأعلى الدوح في أعلى زنقة منه آخر دار منها عن يمين الداخل للزنقة في البيت الأول عن يسار الداخل لها. وقبورهم عن يمين الداخل للبيت.

---

(735) محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي، الفقيه النحوي الفرضي، صاحب «**تقييد وقف القرآن**»، أخذ عن الإمام ابن غازي وعنه قيد الوقف المذكور. توفي سنة 930هـ. والباب الذي دفن به يوجد بطالعة فاس (راجع : **درة الحجال**، 152/2؛ **نشر المثاني**، 35/1؛ **سلوة الأنفاس**، 268/1).

(736) هذا المسجد كان سكنى لجعفر الكتاني ثم صار فيما بعد كتابا (راجع : **جامع القرويين**، 685/3).

(737) في ك1 ود عبد الله، ولعله الفقيه أبو محمد عبد الله المدعو أبو طاق الخياط الذي ينسب له مسجد سيدي الخياط الأدنى الذي يوجد بسويقة الدوح، وقد تهدم، ولذلك يسمى سيدي الخياط الدوح (راجع : **سلوة الأنفاس**، 271/1؛ **جامع القرويين**، 683/3).

(738) أحمد بن يحيى البادسي الفاسي، المشهور بأبي كموسة، لأنه كانت عنده كموسة فيها مائة مثقال رشيدية، وكان يحملها دائما على كتفه، وكان الناس يتجنبونه لما يعلمون من كثرة انتقامه ممن عاداه، توفي سنة 1100هـ (راجع : **نشر المثاني**، 356/2؛ **سلوة الأنفاس**، 271/1).

(739) أشار الكتاني في «**سلوة الأنفاس**» (335/3)، إلى أن قبره يوجد في العرصة المعروفة بالزيات قريبا من بابها.

ومنهم سيدي أحمد الغماري[740]، بالزيات.

ومنهم سيدي عبد القادر، بوادي الفجالين بالعرصة التي بابها إزاء رحى هنالك.

ومنهم سيدي يونس، بجامع رحيبة قنديل داخل الدرب.

ومنهم سيدي قنديل، بقرب سيدي يونس.

ومنهم سيدي عتيق[741]، بدرب ابن عتيق.

ومنهم سيدي اللزاز[742]، بزاي مشممة بالصاد، بمسجده عن يمين المحراب بسوق القصر بالطالعة.

ومنهم سيدي عبد الله بن ناصر[742م]، بالدار الأولى عن يمين الداخل للدرب المذكور، أخذ عن سيدي أحمد الشاوي، عن سيدي أحمد بن يحيى، عن سيدي المطرفي، عن سيدي الزبير بن الكبير، عن سيدي أحمد بن يوسف، عن سيدي أحمد زروق، نفع الله بهم.

ذكر صالحي داخل باب بني مسافر

فمنهم سيدي عمر الشريف[743]، عن يمين الذاهب لباب بني مسافر.

ومنهم سيدي عمران[744]، بروضة عن يسار الجامع الذي هنالك.

(740) لعله أحمد الغماري المدفون بعرصة الغماري التي بالحمية من حومة الدوح وعلى ضريحه قبة (راجع : **سلوة الأنفاس، 272/1**).

(741) محمد بن أبي زكرياء يحيى بن عتيق، من بني عتيق العبدريين القرشيين، بيتهم بفاس بيت علم، ولهم زقاق يحمل اسمهم بطالعتها (راجع : **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس؛ سلوة الأنفاس، 241/1؛ جامع القرويين، 683/3**).

(742) محمد اللزاز، وهو الذي يقصده الناس للقسم فيه اعتقادا منهم بأن من حلف فيه على الغموس لابد أن يصاب بسوء، ومسجده المذكور هو الذي حبس عليه السلطان المولى إسماعيل فندقا بكامله (راجع : **جامع القرويين، 683/3**).

(742م) راجع ترجمته فيما سبق.

(743) عمر، المدعو الشريف، بن محمد بن عمران، والد علي بن عمر، دفين غزوان قرب وادي كَير، جد الشرفاء السغروشنيين بفاس وغيرها. ويؤخذ من وفاة ابنه التي كانت سنة 559هـ أن تكون وفاته أوائل القرن السادس أو أواسطه (راجع : **سلوة الأنفاس، 372/1**).

(744) أبو عمران، الخطيب الأندلسي الفاسي، وتسميه العامة سيدي عمران، وإليه ينسب مسجد سيدي عمران الذي يوجد بحومة الكدان، وقد خرب، ويعتقد أن به ضريح عبد الله بن الشيخ المذكور بعده (راجع : **سلوة الأنفاس، 342/3؛ جامع القرويين، 684/3**).

ومنهم سيدي عبد الله بن الشيخ، ضريحه بروضة سيدي عمران.

ومنهم سيدي عبد النور، في عرصة في باب بني مسافر.

ومنهم سيدي حلال، بدرب الحلال.

ومنهم سيدي علي بن مهدي، بجوار كَرواوة.

ومنهم سيدي مخلوف، بدرب الخلوف من الكذان.

ذكر صالحي خارج باب بني مسافر

فمنهم سيدي الركَاني، قرب يمين المحراب في ركن الجامع[745] عند رأس سيدي أبي جيدة داخل جامع روضة سيدي بوجيدة.

ومنهم سيدي المواق[746]، ضريحه وراء سيدي أبي جيدة متصلا بلحده ما بينهما إلا مقدار ذراعين فقط، وإنه ولي من أولياء الله تعالى فيما يقال.

ذكر صالحي داخل باب عجيسة نفعنا الله بهم

فمنهم سيدي المحجوب.

ومنهم سيدي ميمون الفخار، قرب سقاية وجهين[747].

[ومنهم المجذوب سيدي أحمد العجالي[748]، ضريحه في الدرب المقابل لسقاية وجهين][749].

---

(745) ويسمى مسجد المقابر، لأنه يضم رفات العلامة أبي جيدة (راجع : **جامع القرويين، 683/3**).

(746) ذكر الكتاني (**سلوة، 96/3**) أنه ليس الفقيه الصوفي محمد بن يوسف العبدري الشهير بالمواق صاحب «**سنن المهتدين**» و«**شارح المختصر**»، لأن هذا لم يقطن فاسا ولم يتوف بها، وإن كان قد دخلها كما صرح بذلك ابن القاضي في «**جذوة الإقتباس**»، بل توفي بغرناطة سنة 897هـ. ولعله الفقيه أبو الحجاج يوسف بن أحمد المواق، من أصحاب أبي المحاسن الفاسي، ووفاته كانت سنة 1014هـ (راجع أيضا : **الإعلام بمن غبر**، ص. 324).

(747) لعلها السقاية التي بجوار جامع سيدي الفلاس بأعلى حومة زقاق الرمان (راجع : **سلوة الأنفاس، 326/3**).

(748) أحمد الخبزي السفياني، ويعرف بالحاج العجالي، من ذرية القائد إبراهيم السفياني، توفي بالطاعون حوالي سنة 1092هـ ودفن برأس زقاق الرمان. ولعل مسجد العجالي الذي في أعلى زقاق الرمان يمنة المار للشرشور بجوار عرصة ابن الصغير ينسب له، وقد تهدم (راجع : **سلوة الأنفاس، 213/1؛ جامع القرويين، 684/3**).

(749) زيادة في م.

ومنهم سيدي الزرهوني[750]، بالدرب الجديد.

ومنهم سيدي خالد.

ومنهم السيدة مريم الخياطية، بسقاية وجهين بباب الدرب الجديد.

ومنهم سيدي الكرجاطي[751]، بزقاق الرمان.

ومنهم سيدي علي الدشيش، بزقاق الرمان أيضا[752].

ومنهم سيدي حاحا[753]، قرب جامع سيدي عبد الله بن حسون.

ومنهم سيدي ابن تاشفنت، عليه قبة قرب درب سيدي جلول.

ومنهم سيدي خبو، قرب سيدي ابن تاشفنت.

ومنهم سيدي الشريف الصقلي.

ومنهم سيدي الحاج عبد النور. دفنا معا بالروضة[754] التي بظهر السقاية المقابلة لدرب سيدي جلول بن الحاج.

ومنهم سيدي قنديل.

ومنهم سيدي خلف الله، بدرب سيدي جلول. دفنا بالدار المذكورة معا.

ومنهم سيدي المطروح، بدرب المطروح من الأزداع.

ومنهم سيدي عبد الرحمان المخفي[755]، بدرب الخزانة في قعر الدرب من الأزداع.

---

(750) دفن إزاء الحاج العجالي المشهور بهذا الدرب (راجع : **سلوة الأنفاس**، 213/1 و327/3).

(751) لعله الشخص الذي ينسب له مسجد القيجاطي الموجود في أعلى زقاق الرمان يسرة المار لناحية الشرشور، وهو قديم، كان يتصل بعرصة ابن عمرو ويقابل عرصة ابن الصغير (راجع : **جامع القرويين**، 684/3).

(752) علي بن محمد الزرهوني، المعروف بالدشيش، بالتصغير، من أصحاب رضوان الجنوي، فقيه زاهد من أهل فاس وبها توفي سنة 1021هـ، وروضته اندثرت وأضيفت إلى عرصة تقابل الدرب المذكور (راجع : **نشر المثاني**، 173/1؛ **سلوة الأنفاس**، 212/1).

(753) ذكر الكتاني أنه أحد الثلاثة الذين ضمنوا فاسا وما والاها مدة أربعين سنة أن لا يوجد بها جوع ولا فتنة من غير سلطان ولا أمير حاكم، ولعل الثاني والثالث هما سيدي جلول وسيدي مسعود الشراط، وضريح صاحب الترجمة يوجد أسفل درب سيدي جلول بجوار فندق هناك.

(754) وتسمى هذه الروضة بخريبة الوسواس (راجع : **سلوة الأنفاس**، 325/3).

(755) ذكر الكتاني (**سلوة**، 323/3) أن الشخص المدفون بقعر درب الخزانة من الأزداع (الأصداع)، يسمى سيدي الغزواني ولعل العامة قلبت آسمه.

ومنهم سيدي محمد بن عبد الله الزيتوني[756]، في الساباط من الحفارين فوق رحبة الزرع، والقوس الذي عليه الساباط يسمى باب حصن سعدون[757] أحد الأبواب التي عملها مولانا إدريس.

ومنهم سيدي الركَاني، بزنقة كسكسو من الحفارين.

[ومنهم سيدي الكتامي، بالحفارين بروضة ابن زاكور، ضريحه محفوف بالحجر المنجور، وعند رأسه مشهد من حجر مكتوب][758].

ومنهم سيدي التواتي[759]، بأعلى المعاصر عن يمين الخارج لباب الجيسة.

ومنهم سيدي عبد الله التواتي، بظهر سيدي عبد الله البعاج في سويقة باب الجيسة.

ومنهم سيدي شيبون، بزنقة بني مرين من الحفارين.

ومنهم سيدي السوداني.

ومنهم سيدي حسين الزرويلي[760]، توفي ثاني وعشرين من صفر سنة إحدى وثلاثين وألف، وضريحه هو والذي قبله بعقبة سيدي علي المصالي.

ومنهم سيدي محمد الفلالي، بدرب البرامكة قرب سيدي الغسال بروضة أولاد ابن سليمان.

ومنهم سيدي الغسال، بجدر التغزازة قرب جامع باب الجيسة[761].

---

(756) في ك1 ود عبد الله : اشتهر باسم عبد الله المكي، أخذ عن سيدي الغسال شيخ علي بن منصور المعروف بأبي الشكاوي، ويعتقد البعض أنه المتوفى سنة 911هـ، وليس هو، لأن المتوفى في هذه السنة دفن بالمسيلة من بلاد الجريد، ولعل المسجد المعروف بمسجد عبد الله المكي الزيتوني بفاس ينسب له (راجع : **سلوة الأنفاس**، 190/1؛ **جامع القرويين**، 683/3).

(757) هو باب الجيسة الحالي (راجع : **زهرة الآس**، ص. 103؛ **سلوة الأنفاس**، 190/1).

(758) زيادة في م.

(759) لعله الموجود قرب سيدي الغسال (راجع : **سلوة الأنفاس**، 324/3).

(760) الفقيه العالم، كان مقيما بالمدرسة المصباحية، أورده القادري في «**نشر المثاني**» (248/1) فيمن توفوا سنة 1022هـ، ثم فيمن توفوا سنة 1032هـ ولعل الأول غير الثاني (راجع : **سلوة الأنفاس**، 210/1).

(761) يعود بناؤه للعهد المريني، من خطبائه أواخر العهد السعدي الإمام عبد الرحمان بن إبراهيم المشنزائي (راجع : **جامع القرويين**، 682/3).

ذكر صالحي خارج باب عجيسة

فمنهم سيدي الجزار، في القوس عن يسار الداخل للروضة الثانية، في روضة عند رأس الأديب مالك بن المرحل.

[ومنهم سيدي الحاج محمد الفريمي، في الروضة المذكورة أيضا أمامك](762).

ومنهم سيدي سليمان الحداد، قرب سيدي الدقاق من ناحية الطريق للقنطرة.

ومنهم سيدي السفاح، بروضة سيدي الدقاق بالقوس الذي عن يسار الداخل لروضة سيدي الدقاق، بالدال.

ومنهم سيدي الزقاق، بالزاي، [بروضة سيدي الدقاق](763).

ومنهم سيدي الرقاق، بالراء، قرب سيدي الدقاق عن يسار روضته في العوسجة التي هنالك.

ومنهم سيدي ربيط، بضم الراء وسكون المثناة التحتية بعد الموحدة المفتوحة، خديم سيدي علي ورزق، بروضة سيدي عبد المجيد.

ومنهم سيدي شقرون(764) الصواف، خديم سيدي عبد المجيد مدفون معه، كان يلبس قطيفة صغيرة يخرج بها لا يملك غيرها، وكان سيدي عبد المجيد يدعوه أخونا عيسى بن مريم، فأول ذلك بعض أهل البصائر في وقته، بأن سيدي عبد المجيد غائبا في النبي، ﷺ، فيشير إلى أن صاحبه المذكور يدفن معه كما يدفن عيسى بن مريم، عليهما السلام، مع النبي، ﷺ.

ومنهم سيدي أحمد البيار، قرب سيدي البغدادي وسيدي عبد العزيز الورياغلي.

ومنهم سيدي البغدادي(765)، قرب سيدي مسعود الشراط.

ومنهم الولي الصالح سيدي بوعزة بن ريان(766)، بالراء قبل المثناة التحتية، قبره بجامع شيخه سيدي مسعود الشراط. ومن كراماته، رضي الله عنه ونفعنا ببركاته، ما

(762) زيادة في م.

(763) زيادة في م، وفي ك1 ود : قرب سيدي الدقاق عن يسار روضته في العوسجة التي هناك.

(764) توفي بعد وفاة شيخه عبد المجيد البادسي (راجع : **سلوة الأنفاس**، 193/3).

(765) توفي سنة 546هـ (راجع : **سلوة الأنفاس**، 355/3).

(766) المرابط أبو عزة بن ريان، توفي سنة 1076هـ (راجع : **صفوة من انتشر**، ص. 149؛ **نشر المثاني**، 157/2؛ **سلوة الأنفاس**، 122/3).

أخبرنا به الفقير سيدي مسعود بن زاكور، أنه بات معه ليلة بروضة الشيخ سيدي مسعود وأخذوا في الصلاة على النبي، ﷺ، قال : فبينما نحن على حالتنا فإذا بسيدي بوعزة المذكور تعاظمت جثته وكبر حتى امتلأت جميع الروضة بجثته، وخرجت أنا من جميع الروضة ولم يبق لي معه اتساع في جميع الروضة.

وأخبرنا أيضا الفقير الحاج أحمد سكيرج أنه كان أعطاه سيدي بوعزة المذكور سبحة وكانت عنده، قال : وسرت بها إلى الحج، فلما حججت ورجعت، وأنا بطريق برقة، وقعت السبحة من يدي بالأرض من غير علم مني وسرت عنها، فلما تحققت أنها تلفت ولم يبق لي فيها مطمع، تغيرت عليها غيارا شديدا، فإذا به، رضي الله عنه، بين يدي، فقمت وسلمت عليه وظننت أنه جاء سائرا إلى الحج، فإذا هو ناولني سبحتي وقال لي : تغيرت على سبحتك، هاك سبحتك، وغاب عني، فلم نره حتى رجعت إلى فاس، فوجدته لم يسافر قط ولا غاب عنها، وخدمته إلى أن توفي، رضي الله عنه، انتهى. وقليل هذا في حق أولياء الله، نفعنا الله بهم.

ومنهم السيدة فاطمة بنت عمر الفشتالي، خديمة سيدي عبد الله بن حسون ضريحها عن يسار الداخل لروضة سيدي مسعود الشراط، وتوفيت يوم الأربعاء خامس عشر ربيع النبوي سنة خمس وأربعين وألف[767].

ومنهم سيدي عبد الله الصواف، بروضة لأولاد ابن جلول معروف عندهم الآن بالروضة البالية.

ومنهم بها أيضا السيد الجليل الأكمل أبو محمد سيدي عبد الجليل بن جلول من نسب أرباب الروضة، له رضي الله عنه، كرامات لا تحصى عددا. مات سنة (...) كذا[768].

ومنهم بها أيضا سيدي عبد الجليل التازي شهرة[769]، يذكر أنه من نسب أولاد ابن جلول.

ومنهم سيدي عمر[770] المجاصي بجبل الزعفران.

---

(767) طرة من ح : سنة أربع وخمسين وألف.

(768) بياض في جميع النسخ.

(769) طرة من ح : وهو بروضة لهم أيضا معروفة بالروضة القديمة الآن.

(770) في ك1 وفي «**اللؤلؤ المكنون**» : عمران.

ومنهم سيدي عبد الله الكوش دفين جبل العرض، وهو جبل الزعفران.

ومنهم السيدة فاطمة القصرية، عن يسار الداخل لروضة سيدي عبد العزيز بن محمد البوفرجي.

ومنهم سيدي اللحاف[771]، صاحب التغزازة التي قرب سيدي محمد بن الحسن.

ومنهم سيدي حمدون بن عثمان الجابري، بقرب روضة المشاط، المسمى عندهم سيدي حمدون عيشا أختي.

ومنهم سيدي الحرار، عند رجلي سيدي اللحاف.

ومنهم سيدي الزليجي، وراء قوس سيدي محمد الصقلي بروضة سيدي اللحاف.

ومنهم السيدة فاطمة السبعية[772]، بنت سيدي سعيد السبع.

ومنهم أمها السيدة فاطمة الأرحبية[773]، ضريحها بروضة الشرفاء الصقليين بقرب سيدي اللحاف.

ومنهم سيدي عبد الرحمان المكسي، بروضة أولاد ابن القاضي.

ومنهم سيدي أبو الدماغ، بجامع سيدي أبي عبد الله التاودي.

ومنهم سيدي محمد[774] بن سيدي يوسف السايح، الدفين قرب روضة سيدي أبي عبد الله التاودي. أخذ عن سيدي رضوان هو وأخوه سيدي عياد. له تآليف في شيخه سيدي رضوان، وله تأليف سماه بـ : «**حانوت المسكين**»، وله تأليف سماه بـ : «**سحر العيون ما قيل في أهل بيت الرسول المطهري الفروع والأصول**». كان رحمه الله ونفعنا ببركاته، زاهدا ورعا عالما، ظهرت له كرامات، رحمة الله عليه.

ومنهم سيدي يوسف بن عامر السايح.

---

(771) دفين روضة الشرفاء الصقليين (راجع : **سلوة الأنفاس**، 133/3).

(772) توفيت سنة 1061هـ (**المصدر وج وص نفسها**).

(773) طرة من ح : توفيت في منتصف ربيع الثاني سنة سبعين بعد الألف.

(774) الفقيه الصوفي الزاهد، توفي أواخر القرن العاشر أو أوائل الحادي عشر (راجع : **نشر المثاني**، 157/2؛ **سلوة الأنفاس**، 119/3).

ومنهم سيدي عياد ولده، أخو سيدي محمد السايح، وحذاؤه زوجته السيدة الزهراء بنت سيدي محمد علي الحموش، في العوسجة الكائنة بقرب سيدي أبي عبد الله التاودي، وقرب سيدي محمد السايح.

ومنهم سيدي أبي الخير، في السدرة المحررة بقرب الباب الحمراء من باب الجيسة.

ومنهم سيدي الشريف، بأعلى قبب بني جابر من الباب الحمراء أيضا.

ومنهم سيدي البادني، عن يسار المار للباب الحمراء.

ومنهم سيدي بركات، بالباب الحمراء.

ومنهم سيدي قطبان[775]، بضم القاف المعقودة وسكون الطاء المهملة، وقيل إن إسمه أحمد، وأخذ عن سيدي محمد المطرفي دفين بلاد أولاد عيسى على نهر مكس، وضريحه بمقابلة سيدي إبراهيم الزواري بينهما المحجة.

ومنهم سيدي أحمد البيار، قريب من سيدي عبد العزيز الورياغلي.

ومنهم سيدي جناح، عند رجلي سيدي الطيار المذكور عن يمين الباب الحمراء.

ومنهم سيدي الكوش، بخلوة سيدي عبد العزيز القروي.

ومنهم سيدي طلحة، قرب سيدي عبد العزيز القروي أيضا.

ومنهم سيدي الوليدي، قرب سيدي يوسف المصمودي.

ومنهم سيدي عبد العزيز الورياغلي، بجبل الزعفران، عن يمين الصفاح الذاهب للبستيون مجاور للحارة.

ومنهم سيدي عثمان بن علي، في حجر البستيون الذي بباب الجيسة قرب ممر الماء لجامعها.

ومنهم سيدي مغيث، بالفدان، قرب سيدي ميمون الفخار.

ومنهم سيدي موسى الراعي[776]، بالعباد، وهو جبل الظل، وهو اليوم يسمى زالغ.

---

(775) لعله صاحب الروضة المبنية على صورة بيت فوق روضة يعقوب الدباغ (انظر : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 75؛ **سلوة الأنفاس**، 124/3).

(776) ويقال له الحاضي (انظر **سلوة الأنفاس**، 184/3).

ومنهم السيد، الأستاذ، سيدي محمد بن أحمد[777]، قرب سيدي موسى الراعي. كان يقرأ القرآن بالقراءات السبع، وكان زاهدا متقشفا يلبس درابيل خشنة مرقعة، وما في رأسه من جنسها، منقبضا عن الناس، لا يألف أحدا ولا يقبل من أحد شيئا، ولا يستطيع أحد أن يتبرك به أو ينسب له خصوصية أو يطلب منه دعاء لما يلقى منه من فعل ذلك من الشدة والعنف به. وتوفي في أواخر العشرة السادسة بعد الألف، وكان سكناه بالمدرسة المصباحية كما كان فيها قبله سيدي أحمد بن علي السوسي دفين الكغاطين من باب الفتوح، وكان بها قبل سيدي أحمد بن علي سيدي حسين الزرويلي دفين داخل باب الجيسة.

ومنهم سيدي علي البرنسي[778].

ومنهم سيدي جبل[779].

ومنهم السيدة زينب، قرب سيدي جبل.

ومنهم سيدي عبد الحق، قرب سيدي أحمد البرنسي.

ومنهم سيدي عمران، بجامع سيدي أحمد البرنسي[780].

ومنهم سيدي عبد الله، بمنزل حاجب على قبره بطمات، شهد بعض أهل البصائر بجلالته وعظم شأنه وقوة حاله. وسألنا عنه بعض أهل المنزل فسماه سيدي عبد الله، فقلنا له : ما نسبه أو لقبه ؟ فقال : لا ندري، إلا أن ذلك القبر عندنا معظم محترم، ولا يزال يشاهد عنده نور.

ومنهم سيدي الحسن، بوسط مدشر منزل حاجب.

ومنهم سيدي أبو إسحاق، قرب عين البراغيث.

ومنهم سيدي أبو قنادل.

ومنهم سيدي مسعود قاضي الحوائج، ضريحه في ابن قلوبة.

ومنهم سيدي أبو زيان وسيدي أبو العينين، وهما في الملاح.

---

(777) راجع ترجمته أيضا في **سلوة الأنفاس**، 185/3.

(778) لعله والد أحمد البرنسي المترجم له سابقا.

(779) أبو الفضل جبل، ضريحه قريب من أحمد البرنسي خارج قبته. ولعله الشخص، المترجم له سابقا.

(780) ويوجد به أيضا ضريح أحمد البرنسي (راجع : **جامع القرويين**، 683/3).

ومنهم سيدي مساهل وسيدي سليمان العكوش وسيدي الحاج الموذن وسيدي حماموش، هؤلاء الأربعة بمنزل ثوابة.

ومنهم سيدي عبد الحق الشريف وسيدي علي الهايج، هذان الإثنان بتامكَاتت.

ومنهم سيدي أحمد الشريف، بعين هبرا بمنزل خلف.

ومنهم سيدي أحمد الشريف، ببني سلمان من لمطة، أخذ عن سيدي سعيد بن بوبكر دفين مكناسة الزيتون، وكان صاحب حال وعلو شأن.

ومنهم سيدي يخلف، بأولاد يدوا بعين البقر من لمطة.

ومنهم سيدي المغراوي، في السبت القديم.

ومنهم سيدي الزبير، وسيدي المكناسي، كلاهما بورطيطة.

ومنهم سيدي أبو شعالة.

ومنهم سيدي يوسف بن حسين.

ومنهم سيدي العابد، في بورجيلات، ومعه سيدي الزيتوني.

ومنهم سيدي محمد، بواد رثين.

ومنهم سيدي مخلوف، ببني وردان.

ومنهم سيدي الأنفاسي، في بني زمرا.

ومنهم سيدي حجي، في المايات.

ومنهم سيدي يشوش، وسيدي صحراوا، وسيدي الغراس، وسيدي محمد بن حسين الشريف، هؤلاء الأربعة في بني يزناتن من لمطة.

ومنهم سيدي المزواري، والسيدة سونة، وسيدي بومنجل، وسيدي عبد الله الكوش، الأربعة بماردة.

ومنهم سيدي النخال، بفتح النون وتشديد الخاء المعجمة، في الشبرية.

ومنهم سيدي صالح، في الشعرا.

ومنهم سيدي الحسن [الرقعي](781)، في الرقعة(782).

(781) زيادة في م.

(782) قرية تقع بمنطقة لمطة المجاورة لمدينة فاس.

ومنهم سيدي عبد الرحمان[783] الرقعي، في الرقعة أيضا.

ومنهم سيدي يدير.

ومنهم سيدي يحيى الكبير وسيدي عبد الله الكوش، الإثنان في دار ابن حيون[784].

ومنهم سيدي أبو لغمان.

ومنهم سيدي عبد الله الكوش، في الخيامات، وهو ثالثهم، وتقدم الأول في ماردة، والثاني في دار ابن حيون، وهذا الثالث في الخيامات.

ذكر صالحي خارج باب الشريعة وهي اليوم تسمى باب المحروق

فمنهم سيدي عميرة[785]، عن يسار الذاهب في الطريق قرب وادي فاس.

ومنهم سيدي أحمد الشريف، عن يمين الذاهب لطريق مشرع سيدي عميرة.

ومنهم سيدي أبو نخلة، قرب سيدي علي ورزق، ولي كبير شهد له بعض أهل البصائر بجلالته وعظم شأنه فيما بلغنا عنه، ولم أعرف إسمه.

ومنهم رجل بهلول كان يقال له سيدي عزيزي، ويقال له طاح الندى، توفي عام أربعة وثمانين وألف، ودفن قرب سيدي علي ورزق.

ومنهم سيدي قاضي الحوائج، بمزبلة باب السبع.

ومنهم شيخه سيدي عبد الرحمان بن أحمد المدفون في روضة تقابل مشرع السقايات، ومعه تلميذه سيدي عمر، دفنا معا.

(783) الفقيه، عبد الرحمان الرقعي الفاسي، صاحب «**نظم مقدمة ابن رشد**»، أخذ عن الفقيه العكرمي وعيسى بن علال المصمودي وأذنا له بالتدريس. ومنزل سلفه بالرقعة حيث توفي سنة 859هـ (راجع : **لقط الفرائد**، ص. 256؛ **كفاية المحتاج**، ص. 225).

(784) أشار الكتاني في **سلوة الأنفاس** (339/3) إلى أن كل من يدير ويحيى الكبير وعبد الله الكوش الثلاثة يوجدون بالمخفية.

(785) عمير بن الأمير مصعب بن المهلب بن أبي صفرة، وزير الإمام إدريس باني فاس، وهو جد بني الملجوم أعلام مدينة فاس الذين تولوا بها القضاء؛ وذكر الكتاني أن قبره عن يمين الطريق وأن الطريق تتغير أحيانا تكون أعلى فيكون عن يسارها وأحيانا تكون أسفل فيكون عن يمينها (راجع : **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس**، ص. 31؛ **سلوة الأنفاس**، 215/3؛ **الحركة الفكرية**، ص. 189).

ومنهم سيدي يعقوب الشريف[786]، عن يمين روضة سيدي مجبر.

ومنهم سيدي الحارثي، قرب سيدي أبي بكر بن العربي.

ومنهم سيدي ميمون الحبشي، قرب سيدي أبي بكر بن العربي، عن يسار الطريق، عليه حوش وفيه شجرة تين.

ومنهم سيدي مسعود الفلالي، عليه قبة[787].

ومنهم سيدي المنظري وسيدي عبد الله أقطات وسيدي ابن ربيعة، الثلاثة المذكورين في كدية العناية.

ومنهم السيدة خاوة[788]، ضريحها عن يسار الصفاح محفوف ببناء قريب السمو بلبن وجير، وعند رجليها صخرة.

ومنهم سيدي الحاج عبد النور[789] بن محمد بن حمو بن عزز ابن الشيخ الكبير، الشهير الذكر، سيدي أبي يعزى نفعنا الله به، آمين.

ومنهم سيدي سحنون، بالروضة التي فوق روضة سيدي عبد النور.

[790].

ومنهم سيدي بن تاشفنت، في أعلى مجزرة باب المحروق.

[791].

---

(786) طرة من م : من الشرفاء الدباغين القاطنين الآن بفاس البالي.

(787) مسعود بن مبارك الفلالي، من أصحاب أبي القاسم الملقب بالغازي دفين سجلماسة، توفي أوائل القرن 11هـ (راجع : **تحفة أهل الصديقية**، ص. 64؛ **سلوة الأنفاس**، 194/3، وفيها ورد أنه يسمى مسعود مول النخلة لوجود نخلة نابتة قرب قبته؛ **جامع القرويين**، 684/3، وفيه ورد أن مسجد الفلالي الموجود بحومة البليدة ينسب له ويسمى أيضا مسجد الصيفر أو الأصيفر). وفي طرة من م : أخذ عن سيدي أحمد الفاسي وسيدي الغازي وقيل عن سيدي الغازي بلا واسطة.

(788) فاطمة، وتعرف ببنت خاوة، توفيت عام 1050هـ (راجع : **صفوة من انتشر**، ص. 75؛ **سلوة الأنفاس**، 193/3).

(789) الحاج عبد النور اليعزوي، من عقب الشيخ أبي يعزى يلنور بن ميمون الهزميري دفين تاغيا، توفي أواخر القرن السابع أو أوائل الثامن (راجع : **سلوة الأنفاس**، 186/3).

(790) طرة من م : ومنهم الشيخ الولي الصالح سيدي بونافع دفين داخل باب الجياف بفاس الجديد وضريحه معروف عند الناس رحمة الله عليه.

(791) طرة من م : ومنهم السيد الشريف مولاي محمد العراقي دفين روضة سيدي أبي جيدة خارج باب بني مسافر. توفي رحمه الله يوم الإثنين الثاني من شبعان المبارك عام ستة ومائة وألف.

ذكر صالحي داخل باب الشريعة

ومنهم سيدي عبيد، الملقب بالمظلوم[792].

ومنهم السيدة تميمونت، بالقصبة الجديدة[793] في الدكاكين منها.

ومنهم سيدي العربي، داخل القصبة البالية[794] قرب التغصاصة.

ومنهم سيدي العربي، داخلها أيضا.

ومنهم سيدي العربي، في الهري من القصبة المذكورة.

ومنهم سيدي سالم، بدرب ابن سالم من الطالعة.

ومنهم سيدي فاتح، بزنقة سيدي فاتح من الرماحين.

ومنهم سيدي يعلى[795]، بدرب سيدي يعلى من الطالعة.

ومنهم سيدي غنواد، داخل درب بني شروال.

ومنهم سيدي فجاح، بمسجد درب فجاح[796].

ومنهم سيدي عبد الوهاب الشريف، بوادي ابن عزاهم.

ومنهم سيدي علي بن دريهم، وسيدي أحمد البهلولي بدرب أبو حاج[797] والسيدة محجوبة، عن يسار الداخل للدرب، أدركتها تدعي محبة سيدي عبد القادر الجيلاني وتنسب إليه. وجناب الله عظيم وفضله واسع عميم. دفن الثلاثة بالدرب المذكور.

---

(792) أورده المدرع في «**منظومت**»ـه في صلحاء خارج باب الشريعة أو لعله شخص آخر.

(793) وتسمى بقصبة النوار، أسسها أحد الملوك العلويين (راجع : **جامع القرويين، 683/3**).

(794) بناها الناصر الموحدي قرب باب الشريعة حوالي سنة 600هـ، وفيها كان يقيم ملوك بني مرين قبل أن يشيدوا فاسا الجديد (**المرجع نفسه، 684/3**).

(795) علي، الملقب بيعلى، بن إسحاق بن إدريس باني فاس، عاش بفاس في المائة الثالثة وبها توفي ودفن بدربه المشهور به، وإليه ينتسب الشرفاء الودغيريون بفاس، وإليه أيضا ينسب مسجد سيدي يعلى الموجود قرب فندق عشيشة بالطالعة من فاس (راجع : **سلوة الأنفاس، 242/1**؛ **جامع القرويين، 685/3**).

(796) لعله مسجد فجاح الموجود بالطالعة بدرب أهل تادلة (راجع : **سلوة الأنفاس، 252/1**؛ **جامع القرويين، 683/3**).

(797) ينسب لموسى بن أبي حاج الغفجومي الفاسي المترجم له في «**جذوة الإقتباس**» (ص. 344) (راجع أيضا : **سلوة الأنفاس، 33/3**).

خاتمة

اللهم يا رب توسلنا إليك بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد، ثم بجاههم عندك إكفناهم الدنيا وعذاب الآخرة ياالله، ياالله، واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة، عالمين بها، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها، وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها، كما قال سيدنا ومولانا أبو الحسن الشاذلي، رضي الله عنه ونفعنا ببركاته، آمين.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله رب العالمين.

كمل بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ثبت المصادر والمراجع

ابن الأبّار، محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت 1260/658). - **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955/1375 ـ 1956، في جزءين.

ابن إبراهيم، العباس بن محمد السملالي المراكشي (ت 1959/1378). - **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1974-1983، في عشرة أجزاء.

ابن أبي زرع، علي بن عبد الله (ت حوالي 1319/719). - **الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، 1972.

ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف الأنصاري الغرناطي (ت 1405/808). - **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم** (بيوتات فاس الكبرى)، دار المنصور، الرباط، 1972.

ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك الأنصاري القرطبي (ت 1182/578). - **الصلة**، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتبة المثنى، بغداد، 1374/ 1955، في جزءين.

ابن تاويت، محمد التطواني (ت1413/1993). - **تاريخ سبتة**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982/1402.

ابن تيجلات، عبد الله (كان حيا في ق 13/8). - **إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين أبي زيد وأبي عبد الله الهزميريين**، تحقيق محمد رابطة الدين، 1985- 1986، كلية الآداب، الرباط.

ابن الحاج، محمد الطالب بن حمدون (ت 1856/1273). - **الإشراف على من بفاس من نسب الأشراف**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 653 د.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت 1449/852). - **لسان الميزان**، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1971/1390، في سبعة أجزاء.

ابن الخطيب، لسان الدين السلماني (ت 1374/776). - **معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة، المحمدية، 1976/1396.

ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت 1406/808). - **العبر وديوان المبتدإ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1956- 1961، في سبعة أجزاء.

ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت 1282/681). - **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبتته العيان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968، في سبعة أجزاء.

ابن الزيات، يوسف بن يحيى التادلي (ت 1229/627). - **التشوف إلى رجال التصوف**، نشر سنة 1958 بتحقيق أدولف فور، وأعادت كلية الآداب بالرباط نشره سنة 1984 ضمن سلسلة «نصوص ووثائق»، تحقيق الأستاذ أحمد التوفيق.

ابن زيدان، عبد الرحمان العلوي المكناسي (ت 1946/1365). - **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، المطبعة الوطنية، الرباط، 1347- 1929/1352- 1933، في خمسة أجزاء.

- - **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، المطبعة الملكية، الرباط، 1961/1381.

ابن سودة، عبد السلام بن عبد القادر الفاسي (ت 1980/1400). - **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960/1379، في جزءين.

ابن صاحب الصلاة، عبد الملك (كان حيا سنة 1198/594). - **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، 1964/1383.

ابن عبد الملك، محمد الأنصاري المراكشي (ت 703/1303). - **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984، في جزئين.

ابن عسكر، محمد الشفشاوني (ت 986/1578). - **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1396/1976.

ابن غازي، محمد بن أحمد العثماني المكناسي (ت 919/1513). - **فهرس : التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد**، تحقيق محمد الزاهي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1399/1979.

ابن فرحون، إبراهيم بن علي المدني (ت 799/1397). - **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1972 - 1979، في جزءين.

ابن الفرضي، عبد الله بن محمد الأزدي (ت 403/1013). - **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**، تحقيق عزت العطار، مكتبة المثنى، بغداد، 1374/ 1954.

ابن القاضي، أحمد بن محمد المكناسي (ت 1025/1616). - **جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، 1973.

- - **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة 1391/ 1971، في ثلاثة أجزاء.

- - **لقط الفرائد من لفاظة حُقَقِ الفوائد** (نشر ضمن مجموعة «ألف سنة من الوفيات»)، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1396/ 1976.

ابن قنفد، أحمد بن الخطيب القسنطيني (ت 809/1406). - **أنس الفقير وعز الحقير**، تحقيق أدولف فور ومحمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.

- - **الوفيات** (نشر ضمن مجموعة «ألف سنة من الوفيات»)، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1396/1976.

ابن منصور، عبد الوهاب. – **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1388/ 1968.

ابن مهدي محمد بن سلامة الجراري الدرعي (ت 979/1571). – «**إجازات» برسم ابن مهدي**، مخطوط داخل مجموع، خ.ع. الرباط، رقم 262 ق.

أبو ضيف، أحمد مصطفى. – **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين**، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1982.

أحمد بابا، السوداني (ت 1036/1627). – **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، مطبعة المعاهد، القاهرة، 1351 هـ.

– – **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق محمد مطيع، 1987، كلية الآداب، الرباط.

الإدريسي، الشريف محمد بن عبد الله (ت 564/1160). – **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، المعهد الشرقي، نابولي، 1974–1975.

أفا، عمر. – **مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر** (سوس 1822–1906)، منشورات كلية الآداب بأكَادير، 1988.

الإفراني، محمد السوسي المراكشي (ت 1140/27–1728). – **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، المطبعة الحجرية بفاس، دون تاريخ.

– – **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، المطبعة الحجرية بفاس، دون تاريخ.

بروفنصال، لـفي (ت 1376/1956). – **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397/1977.

البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد (ت 1339/1920). – **هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، وكالة المعارف، إستانبول، 1951– 1955، في جزءين.

– – **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، وكالة المعارف، إستانبول، 1947، في ثلاثة أجزاء.

البكري، عبد الله بن عبد العزيز، أبو عبيد (ت 487/1094). – **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، مكتبة أمريكا والشرق، باريس، 1965.

بنعبد الله، عبد العزيز بن عبد الواحد الرباطي. — **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية**، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1395ـ 1401/ 1975ـ 1981، في أربعة أجزاء وملحقين.

بوشرب، أحمد. — **دكالة والإستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور قبل غشت 1481ـ أكتوبر 1541**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984.

التازي، عبد الهادي. — **جامع القرويين**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972ـ 1973، في ثلاثة أجزاء.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت 1413/816). — **التعريفات**، الدار التونسية، تونس، 1971.

الجزنائي، علي (كان حيا عام 1365/766). — **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1967/1387، الطبعة الثانية، 1991/1411.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله التركي (ت 1657/1067). — **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مكتبة المثنى، بغداد، دون تاريخ، في ستة أجزاء.

الحجوي، محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي (ت 1956/1376). — **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1396هـ، في جزءين.

حجي، محمد بن عبد الله الجزار السلاوي. — **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، المطبعة الوطنية، الرباط، 1964/1384، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1988/1409.

— — **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1398/ 1978.

الحضرمي، محمد بن أبي بكر (كان حيا في ق. 14/8). — **السلسل العذب والمنهل الأحلى المرفوع للخلافة العزيزية التي لا تزال مناقبها على مر الدهور تتلى في سلك من تحلى، سلكهم الأربعيني في جيل فاس ومكناسة وسلا**، نشره محمد الفاسي في مجلة **معهد المخطوطات العربية**، القاهرة، الجزء الأول، المجلد العاشر، محرم 1964/1384.

الحميدي، محمد بن فتوح الأزدي (ت 1095/488). – **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966.

الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 1326/726). – **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

الحوات، سليمان بن محمد الشفشاوني (ت 1817/1233). – **السر الظاهر فيمن أحرز بفاس السر الباهر، من أعقاب الشيخ عبد القادر**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 2619 د.

الزركلي، خير الدين. – **الأعلام**، (قاموس تراجم) بيروت، 1969، في إحدى عشر جزءاً.

الساحلي، محمد بن محمد الأنصاري المالقي (ت 1353/754). – **بغية السالك في أشرف المسالك**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 1735د.

السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت 1370/771). – **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1968، في تسعة أجزاء.

السلمي، محمد بن الحسن النيسابوري (ت 1021/412). – **طبقات الصوفية**، تحقيق نور الدين شريبة، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1953.

السوسي، محمد المختار (ت 1963/1383). – **إيليغ قديما وحديثا**، المطبعة الملكية، الرباط، 1966/1386.

الشبيهي، عبد القادر بن محمد الإدريسي المكناسي (ت 1688/1099). – **تأليف في أنساب الشرفاء الذين لهم شهرة بفاس**، مخطوط، خ.ع، الرباط رقم 1457د.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الفلسطيني (ت 1363/764). – **الوافي بالوفيات**، طبع بعناية س. ديد رينغ وآخرون، فرانز شتايز فيسبادن 1962–1974، في تسعة أجزاء.

العراقي، الوليد بن العربي (ت 1849/1265). – **الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 97 ج.

عياش، جرمان. - **جوانب من الأزمة المالية**، معهد الدراسات العليا المغربية، الرباط، 1959.

الغزالي، محمد بن محمد الطوسي أبو حامد (ت 1111/505). - **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ، في خمسة أجزاء.

الفاسي، أحمد بن يوسف الفهري (ت 1612/1021). - **المنح الصفية في الأسانيد اليوسفية**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 1234 د.

الفاسي، عبد الرحمان بن عبد القادر (ت 1685/1096). - **آبتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 327 ك.

- **ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم** (بيوتات فاس الصغرى)، نسب ـ غلطا ـ لأخيه محمد بن عبد القادر الفاسي وهو اختصار لكتاب ابن الأحمر «**بيوتات فاس الكبرى**»، طبع على الحجر بفاس، دون تاريخ.

الفاسي، عبد الله بن محمد الفهري (ت 1718/1131). - **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 1080 ك.

الفاسي، محمد العربي بن يوسف الفهري (ت 1642/1052). - **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، طبع على الحجر بفاس، 1906/1324.

الفاسي، محمد المهدي بن أحمد الفهري (ت 1698/1109). - **الجواهر الصفية من المحاسن اليوسفية**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 1234 د.

- **ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومن لهما من الأتباع**، طبع على الحجر بفاس، 1887.

- **الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 1515.

- **تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 2990 ك.

القادري، عبد السلام بن الطيب الحسني الفاسي (ت 1698/1110). - **المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد**، طبع على الحجر بفاس، 1351/ 1932.

- **الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 1456 د.

- **معتمد الراوي في مناقب سيدي أحمد الشاوي**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 777 د.
- **نزهة النادي وطرفة الحادي فيمن بالمغرب من أهل القرن الحادي**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 370 د.
- **العرف العاطر فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 2619 د.

القادري، محمد بن الطيب الحسني الفاسي (ت 1773/1187). - **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1407/ 1986، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1982/1402 ؛ 1986/1407، في أربعة أجزاء.
- **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403/ 1983، في جزءين.

القادري، محمد العربي بن الطيب الحسني الفاسي (ت 1694/1106). - **الكناشة العلمية**، مخطوط في نسختين خ.ح، الرباط، رقم 2774-2389.
- **الطرفة في اختصار التحفة**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 247 ك.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن (ت 1072/465). - **الرسالة القشيرية في علم التصوف**. دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.

الكتاني، عبد الحي بن محمد الحسني الفاسي (ت 1962/1382). - **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، المطبعة الجديدة، فاس، 1927/1346، في جزءين.

الكتاني، محمد بن جعفر الحسني الفاسي (ت 1926/1345). - **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، المطبعة الحجرية، فاس، 1900/1318.

اللمتوني، أحمد بن محمد التاشفيني (ت 1893/1311). - **اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 12152.

لوطورنو، روجي (ت 1971/1391). - **فاس قبل الحماية**، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986/1406.

مجهول. - **الإستبصار في عجائب الأمصار**، ترجمه إلى العربية ونشره سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958/1378.

مخلوف، محمد حسنين بن محمد (ت 1936/1355). - **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، في جزءين.

المدرع، محمد الأندلسي (ت 1147/34 ـ 1735). - **منظومة في صلحاء فاس**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 1726 د.

المرابي، أحمد بن موسى الأندلسي الفاسي (ت 1624/1034). - **تحفة الإخوان ومواهب الإمتنان في مناقب سيدي رضوان**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 114 ك.

المسناوي، محمد بن أحمد الدلائي الفاسي (ت 1724/1136). - **نتيجة التحقيق في بعض أهل الشرف الوثيق**، مخطوط خ.ع، الرباط، رقم 310د.

مفتاح، محمد. - **التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن 14/8**، 1980، كلية الآداب، الرباط.

المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041/31 ـ 1632). - **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388/ 1968، في ثمانية أجزاء.

المنجور، أحمد بن علي المكناسي (ت 1587/995). - **فهرس**، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976/1396.

الناصري، أحمد بن خالد السلاوي (ت 1897/1315). - **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق ولدي المؤلف (جعفر ومحمد)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، في تسعة أجزاء.

النبهان، محمد فاروق. - **المدخل للتشريع الإسلامي**، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977.

النبهاني، يوسف بن إسماعيل (ت 1932/1350). - **جامع كرامات الأولياء**، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، في جزءين.

الوزان، الحسن بن محمد الفاسي (ت 59 ـ 1552/960). - **وصف إفريقيا**، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، مطبعة ووراقة البلاد، الرباط، 1980/1400، في جزءين.

معاجم ودوريات :

تراث الإنسانية، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ب ت، في أربعة أجزاء.

دائرة المعارف الإسلامية، انتشارات جهان تمران بوذر جمهري، طبعة 1352/ 1933.

دعوة الحق، عدد محرم ـ صفر 1407/شتنبر ـ أكتوبر، 1986.

القاموس المحيط (الفيزوزبادي، محمد بن يعقوب ـ ت 1415/817). بيروت، 1987.

لسان العرب (ابن منظور، محمد بن مكرم ـ ت 1311/711)، دار لسان العرب، بيروت، 1970، في ثلاثة أجزاء.

مذكرات من التراث المغربي، مجموعة يشرف عليها العربي الصقلي، ألطاميرا، مدريد، 1984ـ1986، في ثمانية أجزاء.

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (ونسنك أ.ي وآخرون)، مطبعة بريل، ليدن، 1965، في ثمانية أجزاء.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (محمد فؤاد عبد الباقي)، دار مطابع الشعب، القاهرة، 1945/1364.

BASSET (M.) et LEVI-PROVENÇAL (E.). - **Chella une nécropole mérinide,** E. Larose, Paris, 1923.

BRIGNON (J.), AMINE (A.) et autres avec la collaboration de Terrasse (M.). - **Histoire du Maroc,** Edition Hatier, Paris, 1967.

BROCKLEMANN (C.). - **Geschichte der arabischen littérature** (G.A.L.), E.J. Brill, Leiden, 1943-1949.

ENCYCLOPEDIE DE L'ISLAM, Leyde-Paris, 1913-1942, 4 tomes + supplément.

HESPERIS TAMUDA, Année 1921, T. 1, 2e Trim. ; 1925, T. 5, 1er Trim.

LE TOURNEAU (R.). - **Fès avant le protectorat,** Societé Marocaine de Librairie et d'édition, Casablanca, 1949.

MASSIGNON (L.). - **La passion de Husayn Ibn Mansûr Hallaj,** Gallimard, Paris, 1975, 2 tomes.

MOULIERAS (A.) - **Le Maroc inconnu,** Librairie coloniale et Africaine. J. André, Paris, 1985.

TERRASSE (H.). - **Histoire du Maroc des origines à l'établissement du Protectorat français,** Atlantides, Casablanca, 1949-1950, 2 tomes.

فَهارِسُ عامّةٌ

فهرس أعلام الأشخاص المترجمين(*)

(*) تشير الأرقام بين قوسين إلى تمييز الصفحات التي وردت فيها تراجم الأعلام.

– ب –

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

- و -

- ي -

فهرس أعلام الأشخاص المذكورين

ـ ب ـ

ـ ت ـ

فهرس6

فهرس الأماكن والقبائل والفرق

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

- ح -

- خ -

- ش -

- ص -

- ط -

- ظ -

- ع -

فهرس الكتب

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة التي وردت فيها
ولِلّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا....................	180	الأعراف	72
وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا	54	الكهف	78
وَجَادَلُوا بِالبَاطِلِ لِيَدْحَضُوا بِهِ الْحَقَّ	5	غافر	78
وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ	99	النساء	88
ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ	21	الحديد	89
وَاللّهُ خَيْرُ الوَارِثِينَ	89	الأنبياء	104
وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً	15	لقمان	116
والسَّمَـٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ	67	الزمر	126
وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ	4	القلم	132
وَالْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ	29	الحديد	138
وَمَا يَعْقِلُهَا إِلّا العَالِمُونَ	43	العنكبوت	154
أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ	18	هود	157
وَمَا يَعْقِلُهَا إِلّا العَالِمُونَ	43	العنكبوت	163
أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ	77	يٓس	164
إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ	9	الإنسان	165
وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ	18	المجادلة	169
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا	69	العنكبوت	169
وَالْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ	29	الحديد	179
إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ	13	الحجرات	184
وَتَزَوَّدُوا فَإِنّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى	197	البقرة	184
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا	177	البقرة	184
وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولَا	34	الإسراء	184

فهرس الأحاديث

فهرس القوافي

فهرس المحتويات

القسم الأول : الدراسة

القسم الثاني : التحقيق 45

فهارس عامة

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الـربـاط
سلسلة رسائل وأطروحات جامعية
Thèses et Mémoires

- □ نعيمة هراج التوزاني : الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن (1290 ـ 1873/1311 ـ 1894) مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب، يناير 1979.
- □ سعيد بنسعيد : دولة الخلافة، دراسة في التفكير السياسي عند الماوردي، 1980.
- □ سالم يفوت : مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر، 1981.
- □ عبد اللطيف الشاذلي : الحركة العياشية، حلقة من تاريخ المغرب في القرن السابع عشر، 1982.
- □ أحمد التوفيق : المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إنولتـان 1912/1850)، طبعة جديدة، جزءان في مجلد واحد، 1983.
- □ محمد مزين : فاس وباديتها (1549 ـ 1637م)، جزءان 1986.
- □ مبارك ربيع : مخاوف الأطفال وعلاقتها بالوسط الاجتماعي، 1991.
- □ محمد الأمين البزاز : تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، 1991.
- □ أحمد أبو زيد : التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، 1992.
- □ فاطمة طخطخ : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، 1993.
- □ محمد الروكي : نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء، 1994.
- □ عبد الرحمن المودن : البوادي المغربية قبل الإستعمار، 1994.

- مصطفى الشابي : النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر، 1995.
- إدريس بلمليح : المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام، 1995.
- الحسين أفا : ديوان الحسن البونعماني، 1996.
- نفيسة الذهبي : (محققة) اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر. فهرس أبي سالم العياشي، 11هـ — 17م، 1996.

- Abderrahmane Taha : Langue et philosophie, essai sur les structures linguistiques de l'ontologie, Janvier 1979.
- Ali Oumli : L'histoire et son discours, essai sur la méthodologie d'Ibn Khaldoun, 1979.
- Abdellatif Bencherifa : Chtouka et Massa, étude de géographie agraire, 1980.
- Abdelkader Fassi Fehri : Linguistique arabe : forme et interprétation, 1982.
- Ahmed Moutaouakil : Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe, 1982.
- Aziza Bennani : Monde mental et monde romanesque de Carlos Fuentes, 1985.
- Larbi Mezzine : Le Tafilalt, contribution à l'histoire du Maroc aux XVII^e^ et XVIII^e^ siècles, 1987.
- Hassan Benhalima : Petites villes traditionnelles et mutations socio-économiques au Maroc, le cas de Sefrou, 1987.
- Mohamed Berriane : Tourisme national en migrations de loisirs au Maroc (étude géographique),1992.
- Ahmed Chaouqi Binbine : Histoire des bibliothèques au Maroc, 1992.
- M'Hamed Jadda : Bibliographie analytique des publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines (1915-1959), 1994.
- Mohammed Kenbib : Juifs et Musulmans au Maroc (1859-1948), 1994.
- Mohammed El Medlaoui : Aspects des représentations phonologiques dans certaines langues chamito-sémitiques, 1995.
- Bahija Simou : Les réformes militaires au Maroc de 1844 à 1912, 1995.
- Mohammed Refass : L'organisation urbaine de la péninsule tingitane, 1996.
- Mohammed Kenbib : Les Protégés, contribution à l'histoire contemporaine du Maroc, 1996.
- Mohamed Ezroura : Criticism Between Scientificity and Ideology : Theoretical Impasses in F.R. Leavis and P. Macherey, 1996.
- Jamaâ Baïda : La presse marocaine d'expression française, des origines à 1956, 1996.


مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

هذا الكتاب

إن التصنيف في أخبار الصلحاء يأتي من باب العناية والإهتمام برجال تميزوا بفضلهم وصلاحهم، وتأمل أحوالهم وسيرهم، والدعوة للإقتداء بأفعالهم وأعمالهم.

ويدخل كتاب «الروض العطر الأنفاس» في عداد كتب المناقب الخاصة بمدينة فاس في بداية العصر الحديث لاشتماله على تراجم لشخصيات متميزة بعلمها وعملها وصلاحها وانفراده في التعريف بعدد منهم. وتمكن قراءة لتراجم الكتاب من تعرُّف أحوال هؤلاء الصوفية والإطلاع على تأثيرهم في المجتمع الذي كان يتم من خلال سلوكات معينة خاصة، وتسمح بتتبع نشأة الحركة الصوفية بالمغرب وانتشارها مع أتباع الشيخ الجزولي مجدد الطريقة الشاذلية وباعثها في منطقة الغرب الإسلامي، وتكشف عن المكانة الحضارية المميزة لمدينة فاس وإشعاعها الروحي الواسع الذي كان يجعل منها ملتقى لعلماء العالم الإسلامي وفقهائه وصوفيته ومجالا لنشاطهم العلمي والديني، كما تكشف عن الدور الرائد لجامعة القرويين في تمتين الروابط الفكرية وترسيخ الوحدة الروحية وتقويتها بين المغرب وبقية الأقطار الإسلامية.